سلسلة الرسائل المكية في العقيدة الإسلامية المجموعة الأولى (١-٤)

مجموعة الرسائل العقدية

للعلامة الشيخ أبي بكر بن محمد عارف خوقير
المدرس بالحرم المكي
(١٢٨٤ - ١٣٤٩هـ)

قدم لبعضها

الشيخ العلامة
محمد بخيت المطيعي
مفتي الديار المصرية
وشيخ الحنفية بالأزهر الشريف

الشيخ العلامة
أحمد البسيوني الأزهري
شيخ الحنابلة بالأزهر الشريف

الشيخ العلامة
عبد الوارث عبد الصمد الصعيدي
شيخ المالكية بالأزهر الشريف

الشيخ العلامة
عبد المعطي السقا
شيخ الشافعية بالأزهر الشريف

وغيرهم

دراسة وتحقيق
د. عبد الله بن عمر الدميجي
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة أم القرى

دار الهدي النبوي
مصر

دار الفضيلة

مجموعة الرسائل العقدية

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

توزيع
دار الهدي النبوي للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية ـ المنصورة
تليفون: ٢٢٢٣١٧٥ / ٠٥٠ ـ جوّال: ٧١٤٥٦٨١ / ٠١٢

الناشر
دار الفضيلة للنشر والتوزيع
الرياض ١١٥٤٣ ـ ص. ب ٥١١٤٢
تليفاكس ٤٤٥٤٨١٥

سلسلة الرسائل المكية في العقيدة الإسلامية المجموعة الأولى (١-٤)

مجموعة الرسائل العقدية

للعلامة الشيخ أبي بكر بن محمد عارف خوقير
المدرس بالحرم المكي
(١٢٨٤ - ١٣٤٩ هـ)

قدم لبعضها

الشيخ العلامة
محمد بخيت المطيعي
مفتي الديار المصرية
وشيخ الحنفية بالأزهر الشريف

الشيخ العلامة
أحمد البسيوني الأزهري
شيخ الحنابلة بالأزهر الشريف

الشيخ العلامة
عبد الوارث عبد الصمد الصعيدي
شيخ المالكية بالأزهر الشريف

الشيخ العلامة
عبد المعطي السقا
شيخ الشافعية بالأزهر الشريف

وغيرهم

دراسة وتحقيق
د. عبد الله بن عمر الدميجي
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة أم القرى

دار الهدي النبوي
مصر

دار الفضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه الغُرِّ الميامين، وعلى من سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن من خصائص هذه الرسالة وميزاتها العظيمة، ومن المبشرات التي تزرع الأمل في قلوب الغيورين على هذا الدِّين وحرماته؛ تلك البشارة السماوية، وذلك الوعد الرباني الذي لا يتخلف؛ وهو تكفل الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهذه الأمة بحفظ دينها حتى قيام الساعة. قال عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(١). وقال ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»**(٢).

ولولا هذه الحماية الربّانية، وذلك الوعد الإلهي، لا ندرست معالم هذا الدِّين، وانمحت آثاره؛ إذ تكالب على حربه الأعداء، وأمعنوا في مكائدهم ودسائسهم؛ بدءًا بمؤامرة دار الندوة، ومحاولة القضاء على الدعوة وهي ناشئة في مهدها، ومرورًا بما سطَّره التاريخ عبر القرون، إلى ما نشاهده اليوم من شتى وسائل الحرب وضروبه لهذا الدِّين وأهله، من أمم الكفر، وممَّن

---

(١) سورة الحجر، الآية: (٩).

(٢) رواه البخاري في الاعتصام، الفتح (١٣/ ٢٩٣)، ومسلم في الإمارة، شرح النووي (١٣/ ٧٠).

تربى في أحضانهم من أبناء المسلمين، وتشرّب مبادئهم ومناهجهم في التشكيك، ومن ثَمَّ تعطيل ما هو معلوم بالضرورة من أصول الإسلام ومبادئه وأحكامه، وضعف الالتزام بهديه وتوجيهاته، مما أدى إلى قلة الغيرة عند كثير من أتباعه، وأتاح الفرصة لانتشار الجهل والبدعة والخرافة بين بعض أبنائه. وبروز أشخاص وأقلام تطعن في الإسلام وعقيدته، وتهدم بنيانه وركيزته، وهم يدَّعون الإصلاح والبناء، وبعضهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾(١).

ولكن الله تعالى وقد تأذن بتحقيق موعوده في حفظ هذا الدِّين وحمايته؛ رحمة بهذه الأمة المختارة، على رغم ما يعتريها من ضعف وجهل وتقصير، ما يزال يقيِّض الله لها ــ في كل زمان تنحرف فيه عن الجادة ــ رجالاً زكت نفوسهم بالعلم الشرعي، واستنارت بنوره الإلهي، فيحيون ما اندرس من الدِّين، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين. ويتحقق فيهم قول الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ في مقدمة الرد على الجهيمة والزنادقة(٢): «يدعون من ضَلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم...».

(١) سورة البقرة، آية: (١١، ١٢).

(٢) ص (٨٥). تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.

ولعل من هؤلاء الأعلام الذين تحقق فيهم كلام الإمام أحمد رحمه الله، ونحسب أنهم ممن أقام الله بهم الحجة على عباده؛ العلم العلامة الشيخ / أبو بكر بن محمد عارف خوقير. المولود سنة (١٢٨٤هـ)، والمتوفى سنة: (١٣٤٩هـ) بمكة المحروسة، الذي بذل نفسه مجاهدًا في سبيل عقيدته، محاربًا للبدع والخرافات المنتشرة في مجتمعه، قائمًا بالتدريس في المسجد الحرام، وداعيًا إلى تصحيح العقيدة في دروسه ومؤلفاته، ومن أجل ذلك حورب وعودي، وكثرت عليه الردود، وحيكت حوله الإشاعات، حتى منع من التدريس، بل أودع السجن من أجل دعوته، فلبث فيه بضع سنين في سجن انفرادي، حتى تم الإفراج عنه بعد دخول الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ مكة عام: (١٣٤٣هـ).

قال عنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله: «رحم الله الشيخ أبا بكر خوقير، حيث جاهد في الله بقلمه ولسانه حق جهاده، وأوذي في ذات الله، فما ضعف وما استكان، والله يحب الصابرين»(١).

ومع هذه المكانة والمنزلة إلا أنه ـ وللأسف الشديد ـ قد طوى ذكره النسيان، ولم يبق له ذكر إلا في أسطر معدودة في بطون بعض كتب السير والتراجم، مع ثلة من أمثاله من المصلحين، عاشوا حراسًا للعقيدة السلفية في تلك المدَّة في البلد الحرام، فأصبحوا اليوم من المغمورين عند طلبة العلم فضلاً عن غيرهم.

---

(١) مشاهير علماء نجد، (ص٤٤٠).

أما آثاره العلمية فقد بقيت حبيسة الأدراج[(١)]، وبعضها لا يزال مخطوطًا حتى يومنا هذا، أما أربعة منها على الأقل فقد أصبحت في عداد المفقود.

وغير خاف ما يراد من هذه التعمية على هؤلاء الأعلام وتراثهم الثمين، زد على هذا أنه يقع في عصر قد اهتمت كل طائفة بروَّادها ورؤسائها؛ فأظهروا مآثرهم، ونشروا تراثهم، حتى ذاع صيتهم وعرفهم القاصي والداني، وظنّ الناس أنه لا وجود في الساحة لغيرهم، وهذا في الحقيقة من عقوق بعض أهل العلم إخوانهم، وحراس العقيدة أشياخهم. فإلى الله المشتكى.

هذا وقد رأيت منذ سنوات مضت، أنه من الواجب عليّ ـ بعد أن منَّ الله عليّ أن أكون أحد المجاورين لبيته العتيق ـ، الشروع في مشروع علمي يُعرِّفُ بهؤلاء الأعلام، وينشر تراثهم العلمي الرصين، الذي نحن في أمس الحاجة إليه، في هذه الحقبة العصيبة من حياتنا؛ قيامًا ببعض حقهم علينا، ورغبة في استمرار أجورهم وهم في قبورهم، على العلم الذي دَوَّنوه، واستكمالاً لمسيرة الإصلاح العقدي الذي سلكوه، وإسهامًا في معالجة بعض الظواهر البدعية والانحرافات العقدية، المبنية على بعض الشُّبه التي فَنَّدوها، ولاقوا في سبيل ذلك ما لاقوا.

إضافة إلى ضرورة إبراز أمثال هؤلاء الرُّوَّاد؛ ليكونوا قدوة لنا ولشبابنا وأهل الغيرة منا، الراغبين في سلوك طريق الإصلاح والبناء، فالإصلاح الحقيقي يبدأ بالأساس، ويهتم بتصحيح العقيدة أولاً، وتربية الناس عليها، ونشر العلم الصحيح من الكتاب والسنة، أسوة بإمام الدعاة المصلحين

(١) باستثناء رسالة: «ما لابد منه»، ورسالة: «فصل المقال». فقد طبعا مؤخرًا.

والهداة المهتدين؛ نبينا محمد ﷺ، الذي بقي ثلاث عشرة سنة بمكة يدعو الناس إلى التوحيد، ويغرسه في قلوب أتباعه.

وفي سلوك هذا الطريق حماية للشباب من الانشغال ببُنَيَّات الطريق، وسلوك المسالك التي تهدم أكثر مما تبني، وتفرق أكثر مما تجمع، وتفسد أكثر مما تصلح.

فمن رام الإصلاح والبناء من غير بدء بتصحيح العقيدة أولاً، وإخلاص التوحيد والدعاء، فكأنما يبني في الهواء ويعمر من هباء.

ثم إنه لا سبيل إلى تحقيق الوحدة المنشودة، واجتماع الكلمة، إلا على أساس التوحيد الخالص لله رب العالمين. وكل راية ترغب صادقة في ائتلاف الأمة، واجتماع الكلمة لا تقوم على تصحيح المعتقد، وتحقيق التوحيد، فمآلها معلوم، وبناؤها موهوم. ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[1].

وكانت باكورة إنتاج هذا المشروع هي هذه المجموعة، التي تمثل الرسائل الأربع المتعلقة بالعقيدة، عند الشيخ/ أبي بكر خوقير. فقد توليت تحقيقها والتعليق عليها، واستكمال ما كنت بدأته من عمل في شأنها، حتى ظهرت بهذه الصورة، وهي على النحو التالي:

الرسالة الأولى: ما لابد منه في أمور الدين.

الرسالة الثانية: فصل المقال وإرشال الضال في توسل الجهَّال.

---

(١) سورة الأنفال، آية: (٦٣).

الرسالة الثالثة: التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق.

الرسالة الرابعة: تحرير الكلام في صفة الكلام.

وقد كانت جامعة أم القرى قد قامت مشكورة بطباعة (الطبعة الأولى)، ولكنها كانت نسخًا محدودة جدًا بمناسبة: تكريم الروَّاد في مكة المكرمة عام ١٤٢٥هـ، وكان الرائد الأول من هؤلاء الأعلام هو الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله تعالى.

وفي الختام أحب أن أؤكد أن هذا النتاج العلمي ـ لهذا العَلَم العلامة ـ وتلك الجهود الموفقة في الذبّ عن عقيدة السلف، وإظهار الحق، والصبر على الأذى فيه، لا يقدره حقَّ قدره إلا من تهيأ له تصور ذلك الزمن، الذي بذلت فيه تلك الجهود، مع قلة الناصر وفقد المعين، بيد أن العقيدة غالية، يبذل المخلصون في سبيلها الغالي والنفيس، مؤيدين بتوفيق الله وعونه.

كما قال الشاعر:

لئن عزّ ديني واستبيحت جوارحي فأين مقام العزِّ إلا مقاميا

وفي هذه المناسبة لا يفوتني أن أشكر فضيلة الزميل الدكتور/ سعد الموسى، عضو هيئة التدريس بقسم التاريخ، الذي كان حريصًا ومؤيدًا ومشجعًا على إخراج تراث هذا الإمام.

كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير، لسعادة الأخ الأستاذ/ صالح بن محمد سعيد خوقير، ناظر أوقاف آل خوقير، والمنسق مع عائلة المؤلف، على تشجيعه وتعاونه معنا في هذا الإنجاز.

وأشكر كل من أسهم بجهد قلَّ أو كثر في إنجاز هـذا العمـل. أجـزل الله للجميع المثوبة والأجر.

وفي الختـام: أسـأل الله المـولى عـز وجـل، أن يجـزي الشـيخ عنـا وعـن المسلمين خير الجزاء؛ على ما قدم خدمة لدينه وأمته، وأن يجزل لـه المثوبـة والأجر، وأن ينفع بعلمه، وأن يصلح له في عقبه، وأن يرفع درجته في عليين، وأن يجمعنـا بـه في جنـات النعـيم، وأن يجعـل هـذا العمـل خالصًـا لوجهـه الكـريم، نافعًـا لعبـاده المـؤمنين. وصـلى الله عـلى وسـلم وبـارك عـلى نبينـا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبـــه

د. عبد الله بن عمر الدميجي

قسم العقيدة/ كلية الدعوة وأصول الدين

تحريرًا في يوم عاشوراء من عام ١٤٢٥هـ

بمكة المكرمـة

ترجمة المؤلف

أولاً: العصر الذي نشأ فيه الشيخ:

كانت مكة المكرمة خاضعة للدولة العثمانية منذ توليها زمام الأمور بمصر عام (٩٢٣هـ) وأقروا الأشراف على إمارتها مكتفين منهم بالدعاء للخليفة العثماني على المنبر، وإرسال الصدقات والهبات من مصر إلى مكة دون تدخل في شؤون الحجاز الداخلية الجزئية، مع بعض الامتيازات المادية والمعنوية(١).

واستمر وضع الحجاز على هذه الحال إلى بداية حياة الشيخ أبي بكر خوقير المولود سنة ١٢٨٢هـ، فقد وُلد في ولاية الشريف عبد الله بن محمد بن عبد المعين الذي تولى بعد وفاة والده سنة (١٢٧٤هـ) إلى أن توفي عام (١٢٩٤هـ) في الطائف. ثم أقام الوالي التركي أخاه الشريف عون الرفيق وكيلًا في الأمارة، وفي هذه الأثناء حصلت أحداث جسام في مقر الخلافة بتركيا حيث نجحت حركة «تركيا الفتاة»(٢) إلى عزل السلطان عبد العزيز ثم خلعه وأقاموا مكانه السلطان مراد ثم خلعوه، ونصبوا السلطان عبد الحميد، وكانت هذه الأحداث في عام ١٢٩٤هـ وفي هذه الأثناء اختير الشريف الحسين بن محمد بن عبد المعين أميرًا لمكة، واستمرت إمارته

---

(١) ينظر: تاريخ مكة لأحمد السباعي (ص٤٥٧) والعلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز د. فائق بكر الصواف (٥٤- ٤٧).

(٢) هي حركة قومية تركية علمانية نشأت عام ١٢٨٢هـ، ثم تدرجت بإنشاء جمعيات سرية ماسونية يهودية مثل جميعة الاتحاد والترقي، هدفها هدم الخلافة وحرب الإسلام. ينظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب (١٠٣٨- ١٠٣٩).

حتى اغتيل عام ١٢٩٧هـ، ثم عُيِّن بدلًا منه الشريف عبد المطلب بن غالب الذي كان مناوئًا لحرب الاتحاد والترقي، مؤيدًا للسلطان عبد الحميد، إلى أن تم عزله وتولية الشريف عون الرفيق عام ١٢٩٩هـ إلى أن توفي بالطائف سنة ١٣٢٣هـ، ثم ولي بدلًا منه الشريف علي بن عبد الله فظل أميرًا على مكة لمدة سنتين ونصف[1]، وفي هذه الأثناء تمكن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي من الانقلاب عسكري فلم يبق للسلطان عبد الحميد إلا الاسم، ففرّ الشريف علي إلى مصر، وصدر قرار الاتحاديين بعزله وتولية الشريف عبد الإله بن محمد بن عبد المعين، وكان طاعنًا في السن، فتوفي قبل أن يغادر الأستانه إلى مكة عام (١٣٢٦)هـ. ثم احتدم التنافس بين اثنين من الأشراف في الأستانة على الإمارة إلى أن ظفر بها الشريف حسين بن علي؛ فوصل مكة في ذي القعدة (١٣٢٦هـ)[2]، ثم عزل الاتحاديون السلطان عبد الحميد عام (١٣٢٧هـ) وولّوا بعده سلطانًا طاعنًا في السن وهو محمد رشاد؛ فسيطروا على تدبير الأمور سيطرة كاملة، ثم ساءت العلاقات بينهم وبين الشريف حسين، وقامت الحرب العالمية الأولى في عام (١٣٣٢هـ)، ودخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا، فاستمالت بريطانيا الشريف حسين إلى جانبها؛ ووعدته برعاية قيام دولة عربية مستقلة، فقامت الثورة سنة (١٣٣٤) واستخلصت مكة وجدة من الأتراك، ثم بويع عام (١٤٣٥هـ) للحسين بمكة ملكًا على بلاد العرب، لكن البريطانيين تخلّوا عن وعودهم له بعد أن حققوا منه ما أرادوا.

---

(١) مكة في القرن الرابع عشر لمحمد عمر رفيع (ص٢٤٥- ٢٤٦) وتأريخ مكة (ص٥٥٧).

(٢) العلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز (ص١٠٢) وتأريخ مكة (ص٥٦٠- ٥٦١).

وفي هذه الأثناء كان الشريف حسين يطعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ وأهل نجد ويرميهم بالكفر وتكفير المسلمين، وبعد نهاية حربه ضد الدولة العثمانية بدأ تفكيره بغزو نجد للانتقام من ابن سعود ومحو البدعة الوهابية[(١)] كما زعم.

فأرسل جيشه عام (١٣٣٧هـ) إلى قبيلة عتيبة، وفي العام نفسه أرسل جيشه بقيادة ابنه عبد الله إلى تربه، وقد كان عظيم الاغترار بجيشه ومعداته، ولكن الإخوان بقيادة الشريف خالد بن لؤي رحمه الله ـ أمير الخرمة ـ كانوا له بالمرصاد، فصدوا الهجوم، وأفنوا غالبية الجيش، ولم يتمكن إلا نفر قليل من الفرار منهم قائد الجيش[(٢)]، وفي هذه الأثناء زادت العلاقة بين ابن سعود والشريف حسين سوءً، ومنع الشريف حجاج الإخوان إلى أن تقدم الإخوان بقيادة خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد رحمهما الله زحفًا إلى الطائف عام (١٣٤٣هـ) فاستولوا عليها، ثم عزل أهل الحجاز الشريف حسين وولوا مكانه ابنه عليًا، فغادر الحسين مكة إلى جدة ثم منها إلى عمّان عام (١٣٤٣هـ) ثم غادر ابنه علي بن الحسين مكة فدخلها الإخوان معتمرين منادين بالأمان لأهلها وتغيير المنكرات الظاهرة فيها بهدم قباب القبور ونحوها. بعد ذلك زحف الجيش إلى جدة فحاصرها إلى أن سلّم الشريف علي البلاد وغادر جدة في ٦/ ٦/ ١٣٤٤هـ[(٣)].

---

(١) ينظر: الوهابيون والحجاز (ص٣٠، ٣١).

(٢) ينظر: تاريخ نجد الحديث (ص٣٥١) والوهابيون والحجاز (ص٣٠) وتأريخ مكة (ص٦٢٥- ٦٢٦).

(٣) تاريخ مكة (ص٦٥١- ٦٥٨) وتأريخ نجد الحديث (ص٦٤٠).

وفي ٢٥/٦/١٣٤٤هـ تمت مبايعة السلطان عبد العزيز رحمه الله بالحرم المكي ملكًا على الحجاز ونجد وملحقاتها، وعلى ذلك استمر حال مكة إلى اليوم تحت حكم آل سعود في أمن وإيمان ورخاء وتوحيد ولله الحمد. وقد ولى الملك عبد العزيز رحمه الله نجله فيصلًا - رحمه الله - أميرًا لمكة ونائبًا له عليها إلى أن توفي رحمه الله سنة ١٣٧٣هـ[١].

وكانت مكة في ذلك العصر تموج بخليط من الأجناس والعائلات من شتى بلاد العالم الإسلامي من العرب وغيرهم، وقد نقلت هذه العائلات موروثاتها العقدية وعاداتها وتقاليدها إلى مكة، وكان التعليم في ذلك الزمان تقليديًا قائمًا على حِلق العلم في المساجد، وخاصة المسجد الحرام، كما أنشئت بعض المدارس كالصَّوْلتية والفخرية ومدارس الفلاح[٢]، إلى أن جاء العهد السعودي الزاهر، فاتسعت رقعة التعليم وتعددت مدارسه، وكان التصوف في ذلك العصر قد ضرب بأطنابه في مكة، وكانت القباب على القبور والأضرحة تملأ أرجاء مكة والناس عليها أسراب إثر أسراب، وشجع على ذلك تبني الدولة العثمانية والأمراء في مكة له. ولما قامت دعوة الشيخ

---

(١) ينظر: تاريخ أمراء البلد الحرام لعبد الفتاح حسين راوة (ص٤٦٣) وينظر: الشيخ أبو بكر خوقير وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف (ص٤ - ٢١) د. بدر الدين ناضرين، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى.

(٢) الصولتيه نسبة إلى امرأة ثرية من الهند، تسمى (صولة النساء) قامت بتمويل إنشاء هذه المدرسة بإشراف الشيخ رحمه الله الهندي سنة (١٢٩١هـ).
والفخرية أنشأها أحد أساتذة المدرسة الصولتيه عام ١٢٩٦هـ. والفلاح أنشأها أحد المحسنين - جزاه الله خيرًا - عام ١٣٤٠، وهي باقية إلى اليوم.
ينظر تاريخ مكة (٥٨١ - ٥٨٢)، والشيخ أبو بكر... (ص٢٥).

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وانتشرت في الأقطار، وأبى كثير من علماء تلك الأقطار إلا مخالفة الدعوة لما ألفوه من أمور نسبوها إلى الدين، وما هي من الدين في شيء، فاستغل الساسة هذه النفرة لحرب الدعوة، وساعدهم في ذلك بعض علماء السوء، وكان من أكبر المناوئين لدعوة الشيخ محمد رحمه الله مفتي الشافعية بمكة في ذلك الزمان أحمد زيني دحلان (ت: ١٣٠٤هـ) الذي نشط في عداوة الدعوة والكذب والافتراء عليها، وتكفير أهلها، وألّف في ذلك العديد من الرسائل منها: «الرد على الوهابية» مطبوعة، وجاء بعد دحلان بعض تلامذته الذين سلكوا منهجه في معاداة دعوة التوحيد، ومن أبرزهم وريثه الذي تولى إفتاء الشافعية بعده في مكة محمد سعيد بن محمد بابصيل (ت: ١٣٣٠هـ) وله مؤلفات في الرد على علماء الدعوة، ومنهم الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله.

ثانيًا: مولده ونشأته وأسرته:

في هذا الجو المليء بالأحداث والصراعات السياسية والعقدية والاجتماعية ولد الشيخ أبو بكر بن محمد بن عارف بن عبد القادر بن محمد بن علي خوقير في ٢٦ ذي الحجة عام ١٢٨٤هـ كما أفاد عمه صَدِّيق خوقير، وذهب بعض المؤرخين إلى أنه من مواليد ١٢٨٢هـ[١] في بيت علم بمكة، فوالده هو الفاضل الإمام بالمقام الحنفي الشيخ محمد عارف خوقير، وجدّه العلامة الفرضي عبد القادر بن الشيخ محمد علي خوقير، وأسرتهم من البيوت المشهورة في مكة بالوجاهة والثراء، وأصلهم من الهند، ومعنى

(١) ينظر: سير وتراجم لعمر عبد الجبار (ص٢٢)، أعلام المكين لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي (ص٤١٥).

(خوقير) قيل إنها: نسبة إلى قبيلة في الهند من جهة: كوجرات والبنجاب، وقيل: إنها كلمة فارسية معناها: المالك لطبيعته، أو الممسك بعاداته[(١)]، وكان للشيخ ابنان توفيا في حياته، وهما: عبد القادر؛ وتوفي في السجن من أجل معتقده السلفي، قيل: خنقًا، والآخر حسن: مرض فمات أيام سجن أبيه، وليس لهما عقب. وللشيخ ثلاثة أعمام؛ عبد الرحمن وعبد الله وصدّيق، ولوالده أعمام ولهم ذرية موجودة[(٢)].

نشأ الشيخ محبًّا للعلم شغوفًا به؛ نشأ في بيت علم ـ كما تقدم ـ، حفظ القرآن في صغره، ثم اشتغل بطلب العلم، وكان مولعًا بكتب الحديث ومطالعتها، فكان يسافر إلى الهند من أجل جلب كتب السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ ثم يقوم بنشرها وبيعها في مكة، وكان ينتهز فرصة وجوده في الهند فيتلقى العلم عن علمائها المشهورين.

وقد هداه الله تعالى إلى الإلتزام بمنهج السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ على يدي الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى رحمه الله (ت: ١٣٢٨هـ)، فقد تتلمذ عليه واستفاد منه.

يقول رحمه الله: «قرأت عليه في علم التوحيد والفقه الحنبلي وسمعت منه شرحه على النونية لابن القيم في مجلدين وكتابه تنبيه النبيه والغبي المطبوع في مصر...»[(٣)].

---

(١) الشيخ أبو بكر خوقير (ص٣٤).

(٢) مكة في القرن الرابع عشر (ص٢٨٤).

(٣) ثبت الأثبات (ق: ٥).

ثم عكف على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهما الله تعالى ـ فشغل ذهنه ما كان عليه الناس من انحراف خطير عن عقيدة التوحيد، فأخذ يدعو الناس إلى العودة إلى ما كان عليه سلفهم ـ رحمهم الله ـ من توحيد الله عز وجل، فأخذ يقرر التوحيد بأنواعه الثلاث، ويدعو إلى نبذ البدع والخرافات[١].

وكان ـ رحمه الله ـ مهذبًا، رقيق الطبع، حسن المعاشرة، على قوة في دينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وكان مجلسه لا يخلو من دُعابة ونكت أدبية وتاريخية[٢].

ثالثًا: رحلاته العلمية:

كان للشيخ عدّة رحلات من بينها رحلاته إلى الهند، فرحل إلى دلهي عام (١٣٠٧) وبهوبال عام (١٣١٢هـ) وبوفال عام (١٣١٧هـ)، وذلك من أجل جلب كتب السلف، ثم القيام بنشرها في مكة[٣]، كما كانت له رحلات إلى مصر في فصل الصيف الحار بمكة ومن أجل طباعة كتبه، وكان في أثناء هذه الرحلات يلتقي بعلماء الأزهر ويتبادلون الأحاديث حول المسائل العلمية[٤].

---

(١) سير وتراجم (ص١٣).

(٢) مشاهير علماء نجد (ص٤٣٧).

(٣) مجلة المنار، مجلد (٣١) الجزء الثالث من سنة (١٣٤٩هـ) (ص٢٤٠).

(٤) سير وتراجم (ص١٧)، والإضافات على النعت الأكمل (ص٤١٦).

رابعًا: مشايخه:

تلقى الشيخ عن عدد كبير من المشايخ الذين يفدون إلى مكة في المواسم وغيرها، والذين يلتقي بهم في رحلاته، وأخذ عن بعضهم الإسناد، يقول رحمه الله: «رويت عن مشايخ معروفين مشهورين بعلوّ الإسناد منهم:

١- الشيخ حسين بن عيسى اليماني.

٢- القاضي أحمد بن إبراهيم بن عيسى (١٢٥٣- ١٣٢٨هـ).

٣- الشيخ محمد الأنصاري (١٢٢٠-١٣٠٨).

٤- الشيخ محمد بن عبد العزيز الهاشمي الجفري الهندي (١٢٥٢- ١٣٢٠هـ).

٥- أحمد دحلان، مفتي الشافعية في مكة، وتقدمت الإشارة إليه (١٢٣١- ١٣٠٤هـ).

٦- الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي مكة (١٢٤٩هـ - ١٣١٤هـ).

٧- الشيخ حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي (١٢٢٥- ١٣٢٧هـ).

٨- محمد بن سعيد بن سنبل»[١].

٩- كما قرأ على جده عبد القادر بن محمد خوقير (١٢٤٦- ١٣٠٤هـ) أكثر الشفاء للقاضي عياض بشرح الملا علي القاري، وشرح نخبة الفكر لابن حجر[٢].

---

(١) سير وتراجم (ص١٧، ١٨)، والإضافات على النعت الأكمل (ص٤١٦).

(٢) ثبت الأثبات (ق ٩).

١٠- الشيخ محمد نذير حسين الدهلوي (١٢٢٠- ١٣٢٠هـ) تلقى عنه بدهلي بالهند.

١١- الشيخ محمد خليل القاونجي الطرابلسي (١٢٢٤- ١٣٠٥).

١٢- الشيخ محمد الأنصاري السهارنفوري (١٢٢٠ ـ ١٣٠٨هـ).

١٣- الشيخ علوي بن صالح بن عقيل (١٢٦٣-) وغيرهم من العلماء[١].

خامسًا: تلاميذه:

وقد قام بالتدريس في الحرم المكي في زمن الأشراف، وبعد خروجه من السجن في زمن الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، فتتلمذ عليه خلق كثير من أبرزهم:

١- سليمان بن عبد الرحمن الصنيع (١٣٢٣- ١٣٨٩هـ).

٢- أحمد علي أسد الله الكاظمي.

٣- عبد الله بن عبد الغني خياط[٢] (١٣٢٦ ـ ١٤١٥هـ).

٤- صالح بن عثمان القاضي (١٢٨٢- ١٣٥١هـ).

٥- حمود بن حسين الشغدلي (١٢٩٥- ١٣٩٠هـ).

٦- محمد بن حسين عمر نصيف (١٣٠٢- ١٣٩١هـ).

٧- محمد بن عبد الرزاق حمزة (١٣٠٨- ١٣٩٢هـ).

---

(١) ثبت الأثبات (ق ١١)، وينظر: الشيخ أبو بكر خوقير وجهوده... (ص٤٧ ـ ٦٧).

(٢) انظر: سير وتراجم (ص١٧)، أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر لإبراهيم الحازمي (ص٨١)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبد الله البسام (٢/ ٣٠٢).

٨- عبد العزيز بن سليمان الفريح (١٣١٢- ١٣٩٥هـ)(١).

سادسًا: مؤلفاته:

اشتغل الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله بالتأليف والتصنيف مع التدريس، كما اشتغل غيره من العلماء، فترك ثروة علمية طيبة، منها ما يلي:

١ ـ التحقيق فيما يُنسب إلى أهل الطريق:

وقد عرض في هذا الكتاب لنقد المتصوفة، حيث رتّبه إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة، وهو ضمن هذه المجموعة المباركة.

٢ ـ تحرير الكلام في الجواب عن سؤال الهندي في صفة الكلام:

وهو عبارة عن جواب عن سؤال طُرح عليه حول صفة الكلام لله تعالى، فأجاب بهذه الرسالة، وعرض فيها مذهب أهل السنة والجماعة في القرآن، وأنه كلام الله غير مخلوق، ثم عرض كلام المخالفين لأهل السنة في هذه المسألة وأورد شبههم وما يحتجون به على مذهبهم، فتتبّعها بالتفنيد والردّ، وهو ضمن هذه المجموعة المباركة.

٣ ـ ما لابد منه في أمور الدين:

وهو كتابنا هذا الذي نقدم له، وهو عبارة عن سؤال وجواب في مسائل العقيدة، حوى خلاصة ما في الكتب المطولة مع سهولة أسلوبه وسلاسلة عباراته، فهو بين الإيجاز المخلّ والتطويل المملّ.

---

(١) الشيخ أبو بكر خوقير وجهوده.. (ص٧٢- ٨٠).

٤ ـ مختصر في فقه الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو عبارة عن كتاب مختصر في المسائل الفقهية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهو مطبوع بمطبعة دار الطباعة المنيرية في مصر، ويقع في أربعين صفحة، وقد حققه الأخ الفاضل د. عبد المحسن الصاعدي ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ الذي طبعته جامعة أم القرى عام ١٤٢٥هـ.

٥ ـ مسامرة الضيف في رحلة الشتاء والصيف:

وهو كتاب أدبي لطيف على نسق كتاب الجاحظ «سلوة الحرّيف بمناظرة الربيع والخريف».

وهو مطبوع، طبع في بيروت سنة (١٣٢٠هـ) ويقع في ثلاث وتسعين صفحة، وقد أعيدت طباعته ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ الذي طبعته جامعة أم القرى عام ١٤٢٥هـ بتحقيق الزميل أ.د. عبد الله بن إبراهيم الزهراني.

٦ ـ ثبت الأثبات الشهيرة:

وهذا الكتاب عبارة عن أسانيده ومشايخه الذين أخذ عنهم بالإسناد المتصل.

وقد حققه الزميل د. حاتم الشريف ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ الذي طباعته الجامعة عام ١٤٢٥هـ.

٧ ـ فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهّال:

وسبب تأليفه لهذا الكتاب أنه ورد إلى جدة رجل من أهل الهند فذهب له الشيخ من أجل المدارسة والمذاكرة، وحصلت بينهما مذاكرة في مسألة التوسّل، وما يتفرع عنها من مسائل، فتبيّن للشيخ أن هذا الرجل من أهل البدع، فما كان منه إلا أن كتب هذه الرسالة يوضح فيها مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، ويعرض لشُبه أهل الضلال على المسألة ذاتها، ثم يقوم بالرد عليها ويُورد كلام العلماء حول كل شبهة، كما بيَّن في هذه الرسالة أنواع التوسل الجائز، والتوسل الممنوع.

وهو مطبوع بمطبعة المنار الإسلامية بمصر سنة (١٣٢٤هـ) على نفقة الشيخ عبد القادر التلمساني رحمه الله، ويقع في (٧٢) صفحة.

وهو أحد رسائل هذه المجموعة المباركة وقد طُبع ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ الذي طبعته الجامعة عام ١٤٢٥هـ.

٨ ـ حسن الاتصال بفصل المقال في الرد على بابصيل وكمال.

وهو ـ فيما يبدو ـ ردّ على رسالة محمد سعيد بابصيل (ت: ١٣٣٠هـ): «القول المنير في الرد على رسالة أبي بكر خوقير»، وعلى رسالة محمد صالح بن صديق كمال (ت: ١٣٣٢هـ): «إقامة التكبير على رسالة أبي بكر خوقير من كلام الأئمة الحنابلة».

٩ ـ السجن والمسجونون.

١٠ ـ ما لا غنى عنه شرح ما لابدّ منه.

١١ ـ القسم الثاني: مما لابد منه الخاص بالعبادات:

ذكره في مقدمة القسم الأول من قسم الاعتقاد.

وهذه الكتب الأربعة الأخيرة ذكرها صاحب مجلة المنار (٣١/ ٣٢٠) لكن لم نعثر لها على أثر بعد البحث والتقصي. والله أعلم.

سابعًا: وظائفه:

لقد تقلّد الشيخ عدّة وظائف رسمية أيام حكم الأشراف ثم في عهد حكم الملك عبد العزيز رحمه الله ومنها:

١ ـ إمامة الصلاة في الحرم المكي الشريف في المقام الحنبلي والإفتاء والتدريس إلى أن عزله الشريف عون عام (١٣١٤هـ) مع غيره من العلماء، وبعدها اشتغل بتجارة الكتب.

٢ ـ كتابة الفتوى والاستشارة لمفتي الحنابلة الشيخ أحمد فقيه الشافعي، ثم تعيينه مفتيًا للحنابلة وبعد يومين فقط عزله الشريف حسين عام (١٣٢٧هـ) بوشاية من معاصريه واتهامه بالوهابية.

٣ ـ عضو مجلس الشيوخ إلى أن عزله الشريف حسين.

٤ ـ بعد خروجه من السجن وقبل وفاته بسنة أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بتعيينه مدرسًا بالمسجد الحرام إلى أن توفي رحمه الله (١).

---

(١) ينظر مجلة المنار (٣١/ ٢٤٠) والثورة العربية الكبرى (٣/ ١٣٣) والعلاقات بين الدولة العثمانية والحجاز (ص٣٤٧)، والشيخ أبو بكر خوقير وجهوده... (ص١٠٠).

ثامنًا: محنته:

من سنن الله ـ عز وجل ـ في عباده المؤمنين أن يبتليهم ليرى مدى ثباتهم وصبرهم على دينهم وما يلاقونه في سبيله، كما أنّ من سنن الله أن أهل الباطل لا يتركون أهل الحق دون إيذاء. ومن هذا الباب كان ما جرى للشيخ أبي بكر خوقير رحمه الله حينما تعرّض للسجن، وذلك بسبب دعوته إلى محاربة البدع والخرافات، ولاسيَّما بدع القبوريين والمتصوفين، فبلغ ذلك حكام البلاد آنذاك فتربصوا به، وضيقوا عليه، ومنعوه من التدريس، إلى أن أمر الشريف حسين بن علي بالقبض عليه فسجنه مع المجرمين في غرفة واحدة، وذلك عام (١٣٣٩هـ) حيث سُجن دون تحقيق أو حكم، وظل في السجن ثمانية عشر شهرًا، ثم نحوًا من سبعين شهرًا، يعني زهاء سبع سنوات، ولم يُفرج عنه إلا بعد أن دخل جيش الإخوان مكة، وزالت دولة الأشراف.

يقول عمر عبد الجبار رحمه الله وهو يحدّث عن حال الشيخ في السجن: «لقد شاهدت الشيخ أبا بكر أثناء دخولي السجن في غرفته بملابس رثّة، وهو أشعث، طال شعر رأسه ولحيته ـ إذ لا يُسمح لسجين باستعمال مقص أو موسى ـ فسلّمت عليه فردّ السلام وقال: إن الله مع الصابرين، ولي أسوة بإمامنا أحمد بن حنبل رحمه الله، وظلّ في السجن إلى أن أُفرج عنه مع بقية السجناء بعد استيلاء الملك عبد العزيز على مكة عام (١٣٤٣هـ)، وبعد خروجه اعتزل الوظائف ولازم المسجد والبيت»[١].

---

(١) سير وتراجم (ص١٩ - ٢٠)، وتفسير المنار (٤/ ١٠). وينظر: جهود علماء البلد الحرام في تقرير العقيدة السلفية في القرن الرابع عشر الهجري (ص٣٧٤)، رسالة ماجستير، د. عبد المحسن بن ردة الله الحربي.

وقد انبرى بعض المناوئين والمخالفين له في المعتقد بالرد عليه وتأليف الكتب في ذلك، وكلها تنبئ عن تعصب ذميم وحقد دفين، لم تزد الشيخ إلا ثباتًا، ولا لمنهجه إلا انتشارًا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت ... أتاح لها نار حسود[(١)]

تاسعًا: ثناء العلماء عليه:

إن المتتبع لكلام العلماء والمعاصرين للشيخ أبي بكر، يجدهم قد اتفقوا على الثناء عليه، وعلى وصفه بصفات المدح والإجلال، وهذا من عاجل بُشرى المؤمن من الذكر الحسن عند الناس في حياته وبعد موته رحمه الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[(٢)].

ومن هذه الموروثات في الثناء عليه:

ما قاله عنه الشيخ عثمان القاضي ـ رحمه الله ـ: «كان آية في علم الحديث، وكان من أخص زملائنا في مكة، وله شهرة وصيت ذائع، رحمه الله»[(٣)].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ: «صديقنا العالم، العامل، المصلح الشيخ أبو بكر خوقير...»[(٤)].

---

(١) من قول أبي تمام. ينظر ديوان (ص٢٧٨).

(٢) سورة مريم، الآية: (٩٦).

(٣) تاريخ حوادث نجد وملحقاتها (ص٢٧) باختصار.

(٤) مجلة المنار (٣١/ ٢٤٠).

وقال الشيخ عبد الستار الدهلوي ـ رحمه الله ـ: «صديقنا الفاضل السلفي، ورفيقنا الكامل الأثري...»(١).

وقال الشيخ محمد منير الدمشقي: «الشيخ الوقور، والمجاهد الغيور...». وقال: «وهكذا شأن العلماء المخلصين الموحدين العاملين، فلهم أسوة بمن تقدم من الأنبياء والمرسلين، والعلماء الوارثين، رحمه الله، وجعل الجنة مثواه»(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: «الشيخ التقي المحقق، أبو بكر ابن الشيخ محمد عارف...»، وقال: «رحم الله الشيخ أبو بكر خوقير حيث جاهد في الله بقلمه ولسانه حق جهاده، وأوذي في ذات الله، فما ضعف وما استكان، والله يحب الصابرين»(٣).

وقال الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «كان رحمه الله على جانب عظيم من العلم، وله اليد الطولى في الفقه وأصوله، والتوحيد، والحديث، والتفسير.

ووجدت أهل مكة يحسنون الثناء عليه جدًا، ويصفونه بالعبادة والعفة، وحسن السيرة، وسمت السلف واعتقادهم.

ورأيت له كتاب «ما لابد منه» وهو كتاب يدل على سعة اطلاع الرجل، وحسن اعتقاده» اهـ(٤).

---

(١) فيض الملك المتعالي (ق٣/ ٢٧١).

(٢) نموذج من الأعمال الخيرية (ص١٠٠ - ١٠٢).

(٣) مشاهير علماء نجد (ص٣٣٩).

(٤) تسهيل السابلة لمريدي علماء الحنابلة (٣/ ١٧٩٧)، ترجمة رقم (٣١٢٧).

وقال الشيخ زكريا بيلا ـ رحمه الله ـ: «العالم الوقور، المتضلع، السلفي، الأثري، الكبير...» اهـ[١].

هذا بالإضافة إلى تقريض العلماء الكبار لكتبه وثنائهم على المؤلِّف والمؤلَّف. ومنها ما تقدم ذكره من تقريض لهذا الكتاب (ما لابد منه) كما قرض غيرهم بعض كتبه الأخرى[٢]، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

عاشراً: وفاته:

اتفقت المصادر التي ترجمت للشيخ على أن وفاته كانت سنة (١٣٤٩هـ)[٣]، وكانت بعض المصادر أكثر تحديدًا، فذكرت أن وفاته في يوم الجمعة، غرة ربيع الأول[٤].

وعلى أن وفاته كانت بالطائف[٥]، وذكر الشيخ عبد الله بن غازي أن وفاته كانت: «بمكة، ودفن بالمعلاة»[٦]، والصواب الأول.

وكان ذلك عن عمر يناهز السبعين، إثر إصابته بمرض الزُّحار[٧]، وهو داء يصيب البطن.

---

(١) الجواهر الحسان (ص٤٢٠).

(٢) ينظر: الشيخ أبو بكر خوقير وجهوده... (ص٨١- ٩٥).

(٣) تاريخ حوادث نجد وملحقاتها (ص٢٧)، علماء الحنابلة رقم (٣٨٥٥).

(٤) مجلة المنار (٣١/ ٣٢٠)، نموذج من الأعمال الخيرية (ص١٠١).

(٥) الجواهر الحسان (ص٤٢١)، سير وتراجم (ص٢٤)، مجلة المنار (٣١/ ٣٢٠).

(٦) نثر الغرر (ق١٧).

(٧) سير وتراجم (ص٢٤)، مجلة المنار (٣١/ ٣٢٠).

وقد عد النبي ﷺ المبطلون من الشهداء، كما جاء في الحديث: «**الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله**»[1] .

فنسأل المولى العلي القدير أن يكتبه في عِداد الشهداء، وأن يرحمه رحمة واسعة، وأن يسكنه فسيح جناته، أن يجمعنا به وأحبابنا في جنات النعيم، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجماعة والإمام، باب فضل التهجير إلى الظهر (١/ ٢٣٣/ ح٦٢٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء (٣/ ١٥٢١/ ح١٩١٤).
والمبطون: الذي يموت بداء البطن، وهو الإسهال وغيره. انظر: النهاية (١/ ١٣٦)، شرح مسلم (١٣/ ٦٢).

مجموعة الرسائل المكية في العقيدة الإسلامية

المجموعة الأولى: مجموعة رسائل الشيخ أبي بكر محمد خوقير رحمه الله (١/١)

الرسالة الأولى

كتاب

ما لابد منه في أمور الدين

تأليف العلَّامة

أبي بكر بن محمد عارف خوقير

(ت: ١٣٤٩هـ)

القسم الأول: في الاعتقاد

دراسة وتحقيق

د. عبد الله بن عمر الدميجي

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

تقريظ الأستاذ العلامة الإمام الشيخ/ محمد بخيت المطيعي

مفتي نظارة الديار المصرية، وشيخ الحنفية بالأزهر الشريف

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بالمعجزات الباهرات، وعلى آله وصحبه وسائر أتباعه وحزبه.

وبعد: فإني قد اطلعت على كتاب: «ما لابد منه في أمور الدِّين». لمؤلفه الفاضل الشيخ/ أبي بكر بن محمد عارف، المدرس بالحرم المكي، صانه الله من الأعداء. فوجدته كتابًا يحتاج إليه المبتدىء ولا يستغنى عنه المنتهي، فقد حوى من العقائد الدينية خلاصة ما في الكتب المطولة، مع عذوبته في الأسلوب وسهولته في المعاني، قد اجتنب صاحبه فيه الإيجاز المُخِلّ والتطويل الممل، فجاء كتابًا وسطًا وخير الأمور أوساطها.

جزى الله مؤلفه أحسن الجزاء، وأكثر من أمثاله في السادة العلماء، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وفقني الله وإياه لما فيه رضاه، إنه السميع القريب المجيب.

كتبه

الفقير إلى الله الغني عمن سواه

محمد بخيت المطيعي الحنفي، بالأزهر

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه، وسائر

إخوانه في الله تعالى

تقريظ الإمام شيخ الحنابلة بالأزهر الشيخ/أحمد البسيوني الأزهري

نحمدك يا من خلقت الخلق أطوارًا، وأرسلت بتوحيدك الرسل إليهم إنذارًا، والصلاة والسلام على من أرسلته بالهدى ودين الحق، بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وآله وأصحابه السالكين سبل الرشاد، ومن تمسك بحججهم الباهرة إلى يوم المعاد.

أما بعد: فقد اطلعت على بعض هذا الكتاب، فوجدته متحليًا بعقايد التوحيد السلفية، ناطقًا بما كان به من السلف يعتقدون بين البرية، قاطعًا لبدعة المخالفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، مؤيدًا لما يجب على المكلفين من العقائد اعتقاده شرعًا.

تالله إنه لفريد في بابه، ولم ينسج ناسًا يومًا على منواله، وكيف ــ لا ــ وهو حديقة للناظرين، والصارم المنكي ناسج المخالفين، وشاهد عدل لمؤلفه بالفضل بين أقرانه، وناطق بعلو قدره بين أهل عصره وزمانه، وإنه جدير بأن تفتخر به الأقطار الحجازية، ويقوم على منبر الشكر له أهل ديارنا المصرية، وهو العالم الورع الفرد بلا إفك ولا شك، محيي مذهب الإمام أحمد بن حنبل بالحرم المكي. مَنَ لسان الحمد بالشكر له جدير، الأستاذ/ أبو بكر خوقير، وفقنا الله وإياه للصواب ما تولى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب.

قاله بلسانه ورسمه ببنانه:
خادم السادة الحنابلة بالأزهر الشريف
الفقير/ أحمد البسيوني الحنبلي

تقريظ الأستاذ الهمام/عبد الوارث بن عبد الصمد الصعيدي المالكي الأزهري

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، ومن تبعه في قوله وفعله.

أما بعد: فقد اطلعت على هذه الرسالة، فأعجبني حسن صنيعها، كيف ـ لا ـ وهي محض النصيحة، موافقة للنصوص الصريحة، لا عيب فيها سوى أنها قليلة المباني جليلة المعاني، ناشئة من قلب طبيب، وبارزة من قلب حبيب.

فلله در مؤلفها، لقد أبدى للأئمة النصايح، فجزاه الله عن هذه الأمة الجزاء الأوفى، وقربه ـ ومن يلوذ به ـ لديه زلفى، وأيَّدَّ به السُنَّة وهدم به البدعة، وأدام لأمته نفعه، إنه سميع مجيب.

كتبـــه

الفقير/ عبد الوارث بن عبد الصمد

الأقصري المالكي الأزهري

تقريظ العلامة الأستاذ الفهامة/عبد المعطي السقا الشافعي الأزهري

الحمد لله يوافي نعمه ويكافىء مزيده، والصلاة والسلام على من دعا إلى توحيد ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه وعترته وأحبابه.

أما بعد: فلما وفد على مصر المحروسة (١٣٣٢هـ)، الفاضل العلامة والحبر البحر الفهامة، الأستاذ الشيخ/ أبو بكر خوقير، المدرس بالحرم الشريف المكي.

أتحفنا بتأليف له متن في «ما لابد منه في أمور الدِّين»، فألفيناه وقد وضع على نمط يسهل معه تناول ما حواه للطالب، ولو أن كل مؤلف نحا ما نحاه الأستاذ في وضع كتابه، لما شكا قارىء صعوبة، فجزاه الله خير الجزاء، ووفقه على الدوام لإبراز مثل هذا المؤَلَّف في الفنون المتداولة، إنه سميع مجيب الدعاء.

حرره في اليوم الثامن عشر، من شهر شوال المبارك، سنة: (١٣٣٢هـ).

كتبه

الفقير إليه سبحانه وتعالى

عبد المعطي السقا الشافعي

المدرس بالأزهر

تقريظ الفاضل الهمام الشيخ/ أبو طالب الحنبلي الأزهري

الحمد لله الذي أمد أحبابه بالحكمة والمعارف، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي من اتبعه وقي من جميع المخاوف، وعلى آله وصحبه المتصفين بالرشد واللطائف.

أما بعد: فقد اطلعت على هذا الكتاب فوجدته كثير النفع بديع الصُنّع، لما اشتمل عليه من بيان العقائد الصحيحة السلفية، قاطعًا للبدع الفاسدة الغير مرضية.

فهذا الكتاب الفريد في بابه لم ينسج أحد على منواله، كيف ـ لا ـ وهو يسر الناظرين، وشاهد لمؤلفه بالفضل وصنع الجميل، وناطق بعلو همته بين المسلمين. والله يهدي من يشاء إلى بيان أحكام شرائع الدِّين، ولا يضيع أجر العاملين.

كاتبه بخطه وقائله بلسانه وقلبه
الفقير إليه تعالى
أبو طالب الحنبلي
المدرس بالأزهر

تقريظ العلامة الشيخ/ محمد الذهبي الحنبلي الأزهري

حمدًا لمن له الحمد والمِنَّة، وصلاة وسلامًا على نبي الرحمة، سيدنا محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه السادة الأعيان.

وبعد: فقد اطلعت على هذا الكتاب الجليل، فوجدته عديم المثيل؛ لما احتوى عليه من جميع الشوارد، وعموم الفوائد والفرايد، من أحكام أصول الدِّين، التي بها تمسك أهل اليقين. لصاحبه قدوة الأماثل، وعمدة العلماء الأفاضل، مربي السادة العاملين، ومرشد القادة النجباء الراشدين، لا زال محفوظًا بعناية رب العالمين، ونفع بكتابه عموم المسلمين.

تالله إنه لكتاب ناطق بالعدل، شاهد لمؤلفه بالبراعة والفضل، قاصم للبدع الفاسدة المضلة، مثبتًا لعقايد السلف الصالح المرضية.

لقد أبدعه مؤلفه على أحسن نظام وأكمل، وأودع فيه من الحِكَمِ ما فَصَّلَ في غيره وأجمل، تبارك الله أحسن الخالقين.

رسمه ببنانه وقاله بلسانه

الفقير إليه تعالى

محمد الذهبي الحنبلي

المدرس بالأزهر

تقريظ الأستاذ العلامة البركة /الشيخ حسين العبوشي الحنبلي الأزهري

الحمد لله المبديْ المعيد، الفعال لما يريد، والصلاة والسلام على أشرف حبيب وأكرم خليل، سيدنا محمد الواجب والجايز والمستحيل، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد اطلعت على كتب كثير من المتقدمين، وتصفحت مؤلفات كثير من المتأخرين، فما وجدت أسهل مورد للمبتدئين، وأعذب مصدر للمنتهين، من كتاب: **«ما لابد منه في أمور الدِّين»**. فيا له من مؤلف جنى الجنين دانيًا، للمقتطفين كافيًا للموحدين، ولا عجب فهو تأليف الأستاذ الجليل، والورع النبيل الشيخ/ أبي بكر خوقير، مدرس الحرم المكي، نفع الله به العباد، وألهمه الحكمة والسداد، وجعله ركنًا حصينًا للدِّين، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

كتبه الفقير إلى ربه القدير
حسين العبوشي الحنبلي
المدرس بالأزهر الشريف

تقديم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على الرسول المجتبى، والنبي المصطفى، وعلى الآل والصحب ومن على النهج اقتفى.

أما بعد: فيسرني أن أقدم لباكورة نتاج المشروع العلمي، المتعلق بجمع وتحقيق ونشر كتب ورسائل علماء البلد الحرام، في القرن الرابع عشر الهجري، في العقيدة السلفية، وكان في مقدمتهم: العلم العلاّمة/ أبو بكر بن محمد عارف خوقير، المتوفى سنة: (١٣٤٩هـ) بمكة المكرمة.

وقد ترك لنا جملة من المؤلفات العقدية، الدالة على سعة في العلم، وغَيرَة على العقيدة، وحرص على بيان الحق والدعوة إليه، والرد على الشبه والاعتراضات التي يثيرها المناوؤون حول بعض المسائل العقدية.

وأول هذه الكتب هو: «ما لابد منه في أمور الدين». الذي نقدم للقسم الأول منه، وهو المتعلق بالعقيدة. أما القسم الثاني فقد أشار إليه المصنف - رحمه الله - في خاتمة الطبع لهذا القسم، فقال: «وسنطبع القسم الثاني مع تعليقات نفيسة على أشياء...». ولكن لم نجد لهذا القسم أثرًا وللأسف، ولم نجد من أشار إليه ممن ترجم للمصنف.

مع أن هناك أربعة كتب للمؤلف في عداد المفقود غير هذا القسم، ذكرها مترجموه؛ ومنهم: محمد رشيد رضا، في مجلة المنار (٣١ / ٣٢٩)، ونقل عنه من جاء من بعده، وهي: «ما لا غنى عنه شرح ما لابد منه». و«السجن والمسجونون». و«ما لا يسع المسلم جهله». ولعلها تسمية أخرى لكتابه: «ما لابد منه».

خاصة وأنه لم يذكره إلا عبد الستار الدهلوي في: فيض الله المتعالي، (٣/ ٢٧٦).

إضافة إلى كتاب: «حسن الاتصال بفصل المقال، في الرد على بابصيل وكمال». ويبدو أنه رد على المعترضين على كتابه: «فصل المقال».

وهذا الكتاب الذي نقدم له، ذكر المصنف ـ رحمه الله ـ منهجه في مقدمته، فقال: «سلكت فيه الطريقة العصرية، والسنة النبوية، في التعليم والسؤال والجواب، كما في حديث: الإسلام والإيمان والإحسان؛ لأن السؤال نصف العلم، والجواب بعده أوقع في النفس، وأسرع للفهم والحفظ».

سلك فيه مصنفه مسلك البسط والتسهيل، والبعد عن الحشو والتطويل، ويظهر أنه ألّفه ليكون مقررًا للمدارس في العقيدة، وجاء في صفحة العنوان المطبوع بعد التعريف به: «عسى أن يكون هذا الكتاب هو الضالة المنشودة للمدارس في العقيدة الإسلامية».

وقال: «كتبته لأبنائنا على وجه ينشرح به الصدر، ويمازج بشاشة القلب، حين قلّ السائل والمسؤول في مذهبنا، وصعب جمع ما ينبغي اعتقاده، وتخليصه من الأبحاث والأقاويل، وما فيها من التشنيع والتضليل».

والمصنف ـ رحمه الله تعالى ـ يظهر من كتابه، أنه سلفي المعتقد، صافي المشرب، يعتمد على الدليل الشرعي، ولا يرضى له بديلاً، وقد جاء التصريح بذلك على غلاف النسخة المطبوعة في عصره رحمه الله، التي راجعها بنفسه، وأقرها في خاتمة الطبع، وفيها: «هذا كتاب: ما لابد منه في أمور الدين، على طريقة السلف الصالح، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله».

وقد اعتمد المصنف ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب ـ إضافة إلى الوحيين، الكتاب والسنة ـ على بعض كتب علماء السلف من المتقدمين والمتأخرين؛ ومنها: عقيدة أهل الحديث للصابوني، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ومنها: الواسطية. وكتب ابن القيم، ومنها: مدارج السالكين، وزاد المعاد، وتفسير الحافظ ابن كثير، وفتح الباري للحافظ ابن حجر، وابن حجر المكي، والسفاريني، والبهوتي، والحجاوي، ومرعي الحنبلي. واستفاد من كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه، تحت المطلب الرابع فيما ينافي التوحيد.

وقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على النسخة المطبوعة في عصر المؤلف، سنة: (١٣٣٢هـ)، بمطبعة التمدن بالقاهرة، والتي قال عنها المؤلف رحمه الله، في خاتمة الطبع: «فقد تم طبع القسم الأول من كتاب: ما لابد منه في أمور الدين، في غاية التصحيح والتحسين، بالمقابلة على الأصل الذي بخطي، وإعادة نظري عليه حين وصولي إلى مصر المحروسة...». وعليه فهو ـ في نظري ـ أوثق من أصله المخطوط، المحفوظ في مكتبة جامعة الملك سعود، برقم: (٧٣١)، وعدد أوراقها (٤٣) ورقة.

وقد قمت بعزو الآيات إلى سورها وترقيمها، وتخريج الأحاديث، والتعريف بما يحتاج إلى تعريف، والتعليق على بعض المسائل التي تحتاج ـ في نظري ـ إلى إيضاح أو بسط أو تعليق.

أسال المولى عز وجل أن يجزي مؤلفه خير الجزاء، وأن يجعله من

الأعمال الباقية التي يلحقه ثوابها من غير انقطاع بعد وفاته، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده المؤمنين.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. عبد الله بن عمر الدميجي
قسم العقيدة/ كلية الدعوة وأصول الدين

ما لابد منه

تأليف

أبي بكر بن محمد عارف خوقير

المدرس بالحرم المكي

القسم الأول

في

الاعتقاد

١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م - رقم ٥١٩

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

[illegible]

ما لا بد منه في امور الدين

على طريقة اهل الحق

ومذهب الامام احمد

ابن حنبل رضي الله

عنه

[illegible] شيخ المدرسين بالمسجد الحرام بمكة ابو بكر بن محمد عارف خوقير رضي الله عنهما

هذا القسم الاول وكتبه في الاعتقاد في ثلاثة ابواب [illegible]

وهي الثلاثة الاصول التي يجب [illegible]

(من ربك) وما دينك ومن نبيك

[illegible] فيه بيان الكبائر وشعب الايمان

وعسى ان يكون هذا الكتاب

هو الضالة المنشودة للراغب

في العقيدة الاسلامية

وهو كالشرح لحديث جبريل

في الايمان والاسلام

والاحسان

فهو كتاب علم

ودين واخلاق

[illegible] الكتاب

النص المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فقه من أراد به خيرًا في الدِّين، فألهمه الإخلاص في التوحيد واليقين، ومنَّ عليه بمتابعة نبيه الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله الصادقين، وأصحابه المخلصين.

أما بعد: فهذا: «ما لابد منه في أمور الدِّين»، كتبته لأبنائنا على وجه ينشرح به الصدر، ويمازج بشاشة القلب، حين قَلَّ السائل والمسؤول في مذهبنا، وصعب جمع ما ينبغي اعتقاده، وتخليصه من الأبحاث والأقاويل، وما فيها من التشنع والتضليل، سلكت فيه الطريقة العصرية، والسُّنَّة النبوية في التعليم بالسؤال والجواب، كما في حديث الإسلام والإيمان والإحسان(١).

---

(١) في حاشية الأصل: قوله: «في حديث الإسلام والإيمان والإحسان». ولفظه لمسلم عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة، وتوتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا». قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها أعلم من السائل». قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة =

ولأن السؤال نصف العلم(١)، والجواب بعده أوقع في النفس وأسرع للحفظ والفهم.

ورتبته على قسمين:

القسم الأول: في الاعتقاد، وهو في ثلاث أبواب، وفي كل مطالب.

والقسم الثاني: في ربع العبادات، وهو في أربعة أبواب، وفي كل باب مطلب. والله الموفق للصواب، والمعين على بلوغ المآرب.

= يتطاولون في البنيان». ثم انطلق، فلبثت مليا، ثم قال: «يا عمر، أتدري من السائل؟». قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». رواه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان. وقد افتتح به الإمام مسلم صحيحه ح (١) (١/ ٣٦).

ورواه البخاري بنحوه في كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ، ح (٥٠) (الفتح ١/ ٢٧).

(١) روي مرفوعًا إلى النبي ﷺ ولا يصح، بلفظ: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم». عزاه السيوطي في الجامع الصغير للطبراني في: مكارم الأخلاق، والبيهقي في: الشعب.

قال ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٢٨٤) عن أبيه: «هذا حديث باطل، مخيس وحفص مجهولان».

قال الذهبي في الميزان (٤ / ٨٥) في ترجمة مخيس: «روى عنه هشام بن عمار حديثًا منكرًا» فذكره. وضعفه الألباني في الضعيفة: ح (١٥٧) (١/ ١٨٧)، وحكم عليه بالوضع في ضعيف الجامع: (٢٢٨٦) (٢/ ٢٧٩)، وتخريج المشكاة ح (٤٩٩٦).

ولعله: من كلام الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقد نسبه إليه: ابن أبي الحسين المعتزلي، في: شرح نهج البلاغة، ص (١٠٨).

الباب الأول: في معرفة الله تبارك وتعالى

وفيه: سبعة(١) مطالب:

المطلب الأول
[في كيفية الوصول إلى معرفته تعالى]

وفيه: أربعة أسئلة:

س١: ماذا يجب على الإنسان معرفته قبل كل شيء؟

ج: أول واجب عليه معرفة ربه ودينه ونبيه ﷺ، وأول نعم الله الدينية عليه وأعظمها أن [أقدره](٢) على معرفته تعالى بالنظر والاستدلال بالنقل(٣) والعقل(٤).

---

(١) في الأصل: «سبع». وهو كذلك في كل مطالب الكتاب، ثم إن الأصل أن يكون تحت الباب فصول. وتحت الفصول مطالب.

(٢) في الأصل: «قدره».

(٣) أي: الأدلة المنقولة إلينا عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهي: الكتاب العزيز، والسُّنَّة المطهرة، وكذلك الإجماع؛ لأنه لا يكون إلا على أصل شرعي.

(٤) أي: المبنية على التفكير الصحيح والنظر السليم، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]. وهي دليل عقلي شرعي.
وكذلك: عن طريق الآيات الكونية المرئية من خلال المشاهدة والملاحظة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي =

س٢: كيف تكون معرفة الرب تبارك وتعالى، وكيف السبيل إليها؟

ج: بآياته ومخلوقاته، فكل صنعة تدل على صانعها، والإنسان واحد من مصنوعاته تعالى، فالله ربه الذي رباه وربى جميع العالمين بإيجاده ونعماه، ولأجل ربوبيته استحق العبادة، ولأجلها خلقهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١).

س٣: ما هي تلك العبادة؟

ج: هي: أقصى غاية الخضوع مع نهاية الحب له تعالى(٢)؛ لكونه

= خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].
وغيرهما من الآيات.
والأدلة العقلية، وهي: دالة إجمالاً على الخالق سبحانه وتعالى. أما الشرعية؛ فهي: المفصلة والمبينة والمُعَرِّفَة بالمعبود سبحانه، وما يجب له، وأحكام دينه وشرعه.
فالعقل مرشد ودال إلى الخالق، والشرع مبيِّن ومفصِّل، وهذا النظر ليس هو النظر الذي يدعى المتكلمون أنه أول واجب على المسلم.
ثم إن هذا النظر إنما هو لمن تلوثت فطرته، أو لمن أراد أن يزداد إيمانًا ويقينًا، وإلا فإن معرفة الله تعالى فطرية فطر العباد عليها، ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠].

(١) سورة الذاريات، الآية: (٥٦).

(٢) العبادة تطلق على شيئين:
الأول: التعبد، وهو غاية التذلل والخضوع لله تعالى بفعل أوامره واجتناب منهياته، محبة وتعظيمًا.
الثاني: المتعبد به، وهو: اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم في كل شيء، ولذلك اتخذوه إلهًا أي مألوهًا. أي: معبودًا.

فلفظ: «الله» دال على صفة له تعالى؛ وهي الإلهية الجامعة لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهو الذي ينكره المشركون مع اعترافهم بأنه الرب الخالق الرازق، الذي ترجع إليه جميع الشؤون، فمعناه: الإله تألهه القلوب وتخضع له(١).

س٤: هل تعرف حقيقة ذاته بالعقل؟

ج: العقل قاصر عن إدراك نفسه، وله حد محدود، ولا يعرف حقيقته تعالى إلا هو، والعجز عن إدراكها إدراك.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(٢). و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٣). فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

وقد نهينا عن التفكير في ذاته، وأمرنا بالتفكير في مخلوقاته(٤).

= انظر: العبودية لابن تيمية ص (٦-٧). وعليه: فإن الدِّين كله داخل في معنى العبادة.

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٨)، وانظر: فتح المجيد ص (٤٦) وما بعدها. وفيه: نقل لأقوال أهل العلم المتقدمين لهذا المعنى.

(٢) سورة طه، الآية: (١١٠).

(٣) سورة الشورى، الآية: (١١).

(٤) كأنه يشير إلى ما روي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «لا تفكروا في الله، وتفكروا في خلق الله....». رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٦ - ٦٧) وفيه: عبد الجليل بن عطية وشهر بن حوشب، وكلاهما صدوق سيء الحفظ. انظر: التقريب (٣٣٢) و(٢٦٩)، ط: عوامة.

=

وَفي كُـلِّ شيءٍ لَـهُ آيَـةٌ تَـدُلُّ عَـلَى أَنَّـهُ وَاحِـدٌ[(١)]

وكما تكون معرفته بعبادته، والنظر في مخلوقاته، تكون بمعرفة أسمائه وصفاته، وذلك هو توحيد الأنبياء والمرسلين[(٢)].

❁ ❁ ❁

= وروي عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: «تفكَّروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله عز وجل». رواه الطبراني في الأوسط (٦٤٥٦)، واللالكائي في شرح الأصول (١/ ١١٩)، والبيهقي في الشعب (١/ ٧٥).

قال الهيثمي في المجمع (١/ ٨١) عن اسناد الطبراني: «وفيه: الوازع بن نافع، وهو متروك».

وقد جمع الشيخ الألباني - رحمه الله - طرقه في السلسلة الصحيحة، (١٧٨٨) (٤/ ٣٩٥)، ثم قال: «وبالجملة: فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي. والله أعلم».

(١) نسبه صاحب الوفيات (٧/ ١٣٨) إلى أبي نواس، ونسبه أبو الفرج في الأغاني (٤/ ٣٥) إلى أبي العتاهية. وانظر ديوانه ص (٦٢). ونسبه الحافظ ابن كثير في التفسير (١/ ٣٢) لابن المعتز.

(٢) قال ابن القيم في مدارج السالكين (٤/ ٤٦٩): «وهذه الطريق - يعنى الاستدلال بأسمائه وصفاته على توحيده وعبادته - قليل سالكها، ولا يهتدي إليها إلا الخواص، وطريقة الجمهور الاستدلال بالآيات المشاهدة؛ لأنها أسهل تناولاً وأوسع، والله يفضل بعض خلقه على بعض، ويرفع درجات من يشاء وهو العليم الحكيم». وانظر: نقلاً عنه شرح الطحاوية (١/ ٥٣)، طبعة التركي.

المطلب الثاني
[في توحيد المرسلين، وتقسيمه إلى قسمين]

وفيه: خمس أسئلة:

س١: ما هو ذلك التوحيد؟

ج: هو على قسمين: قولي وفعلي[١] كما في القرآن العزيز.

---

(١) أو بتعبير آخر علمي وعملي:
فالتوحيد العلمي: هو ما سماه المصنف هنا: «القولي». ويسمى: توحيد المعرفة والإثبات، والتوحيد الاعتقادي والخبري، ونحوها.
وهذا النوع يشمل توحيدي الربوبية والأسماء والصفات، وهو: إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر به رسوله ﷺ.
وقد أفصح القرآن الكريم عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أول سورة: الحديد، وطه، وآخر سورة الحشر، وأول ﴿آلم تنزيل﴾ السجدة، وأول آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها، وغير ذلك.
والتوحيد العملي: وهو ما سماه المصنف: «الفعلي». وهو: توحيد الطلب والقصد، ويسمى توحيد العبادة والألوهية، وتوحيد الجوارح وعمل القلب ونحوها، مثل: ما تضمنته سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. وأول سورة الزمر وآخرها، وأول سورة يونس وأوسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها. وجملة سورة الأنعام. وكل سورة في القرآن متضمنة لنوعي التوحيد.
انظر: شرح الطحاوية (١/ ٤٢)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٧٩)، ومدارج السالكين (١/ ٣٣). ونونية ابن القيم (٢٣٨).

س٢: ما قسم التوحيد القولي؟

ج: هو على نوعين: سلب وإثبات.

فـ(السلب): تنزيه أوصاف كماله عن التشبيه والإنكار، وسلب جميع النقائص والعيوب منفصلة أو متصلة.

فالأولى: كالشريك والظهير، والشفيع بدون إذنه، والزوج والولد، والكفء والولي.

الثانية: كالموت والإعياء والتعب، والنوم والسِنَة، وغروب شيء عنه، والحاجة إلى رزق أو إطعام أو شيء من خلقه، وترك الخلق سدى بلا بعث ولا معاد، والعبث الذي تنفيه حكمته تعالى.

(والإثبات): هو إثبات أوصاف الكمال، من العلو والعظمة والجلال والجمال، والحياة والإرادة والسمع والبصر، والقدرة والعلم والكلام، والقدم(١) والبقاء، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، الموصوف بالأسماء الحسنى التي هي أوصاف مدح؛ لأنها مشتقة تدل على معاني ما اشتقت منه(٢)، وقد حذر سبحانه من الإلحاد فيها.

---

(١) لم يَرِد وصف الله تعالى أو تسميته: بالقدم والبقاء، فلا يقال: القديم، الباقي؛ لأن لفظ: (القديم) مجمل، فهو يستخدم في اللغة بمعنى: المتقدم على غيره، أو المتقدم في الزمان، وهو خلاف الحديث. ومنه: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].
أما المتكلمون: فيعدونه من الأسماء الحسنى، ويعنون به الذي لم يسبقه شيء.
ويجوز الإخبار عن الله تعالى بالقديم والباقي دون التسمية أو الوصف؛ لأن باب الأخبار أوسع من باب الأسماء والصفات.
انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٤٢٥)، (٦/ ١٤٢، ١٤٣)، شرح الطحاوية (١/ ٧٧).

(٢) وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظًا لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة =

س٣: كيف يكون الإلحاد في إثبات أسمائه الحسنى؟

ج: بالإشراك فيها، أو إنكار معانيها، أو التحريف فيها، بضرب من التأويل يؤدي إلى التعطيل، فتثبت حقائق الأسماء والأوصاف على ما جاء في القرآن والسُّنَّة ومضى عليه سلف الأمة.

س٤: ما هو قسم التوحيد الفعلي؟

ج: هو عبادته وحده لا شريك له، بأن لا يكون المسلم عبدًا لغيره تعالى، ولا يعبده بغير ما شرعه من الإيمان والإسلام والإحسان، ولا يجعل له ندًا في قصد ولا حب، ولا خوف ولا رجاء، ولا لفظ ولا حلف ولا نذر، بل يرفع الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته، كما أنها معدومة في نفس الأمر لا وجود لها البتة، فلا يجعل لها وجودًا في قلبه ولا لسانه. كما قاله ابن القيم(١).

س٥: أطلب زيادة الإيضاح في العبادة حيث كانت مدار التوحيد الفعلي؟

ج: عرف الفقهاء العبادة بقولهم: «ما أمر به شرعًا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي».

= على مدح ولا كمال. انظر: اسم الله الأعظم، للمحقق، ص (٤٥).

(١) الروح، ص (٣٥٨، ٣٥٩)، طبعة: المكتبة العصرية. وذكره الهراس في شرح النونية (٢/ ٥١-٥٣). ولشيخ الإسلام - رحمه الله - كلام نفيس حول هذه المسألة، عند قوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ [الأعراف: ٧١]، في رسالة: الاسم والمسمى. انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٥)، وما بعدها.

والمراد بها هنا: معناها اللغوي، وهو خضوع القلب والأركان، وغاية التعظيم القلبي بالحب الخالص وما تولد منه؛ من الرجاء والخوف، والدعاء والخشية، والتوكل والإنابة والتوبة، والنذر والذبح، وغير ذلك، كأنواع العبادات الشرعية التي هي خضوع وتعظيم بهيئة مخصوصة جاءت في الشريعة، ومن ذلك: اعتقاد التأثير لله وحده والنفع والضر، وطلبه منه وحده، خصوصًا فيما خرج عن الأسباب الظاهرة[١].

❁ ❁ ❁

(١) تقدم التعليق على تعريف العبادة، (ص٤٠).

المطلب الثالث

[في أركان التوحيد، وأقسامه الثلاثة، وكيفية دعوة الرسل إلى التوحيد]

وفيه: أحد عشر سؤالاً:

س١: كم أركان التوحيد؟

ج: اثنان: الإخلاص والصدق.

فالأول: توحيد المراد فلا يزاحمه مراد غيره.

والثاني: توحيد الإرادة ببذل الجهد والطاقة في عبادته(١).

س٢: كم أقسام التوحيد؟

ج: ثلاث: (١) توحيد الربوبية. (٢) توحيد الألوهية. (٣) توحيد

---

(١) وهناك تقسيم آخر لم يُشر إليه المصنف رحمه الله، وقد دلت عليه النصوص القرآنية، وهو:
الأول: توحيد المرسِل: وهو توحيد الله تعالى بأنواع التوحيد الثلاثة، وهو الذي يشير إليه شطر الشهادة الأول: «شهادة أن لا إله إلا الله».
الثاني: توحيد المرسَل: وهو اعتقاد وإفراد الرسول ﷺ بالطاعة والاتباع، والتمكين فيما بلغنا عن الله عز وجل، وهو الذي يشير إليه شطر الشهادة الثاني وهو: «شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ».
وهذان التوحيدان هما مضمون الشهادة كما تقدم، وعن تحقيقهما يسأل الأولون والآخرون، كما قال أبو العالية: «كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٨٥]، و ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]».
فالسؤال في الآية الأولى: عن تحقيق توحيد المرسِل، ويقابله الشرك. والسؤال في الآية الثانية: عن تحقيق توحيد المرسَل، ويقابله الابتداع.
وركنا التوحيد اثنان: النفي والإثبات؛ نفي ما يُعبد من دون الله، وإثبات العبادة لله وحده.

الأسماء الصفات، كما ذكرها الشيخ السفاريني[1] وغيره.

---

(١) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٨).

وهذا التقسيم باعتبار ما يتعلق بالله عز وجل، والتقسيم الذي ذكره المصنف في جواب السؤال الخامس باعتبار ما يجب على الموحد، وهذا التقسيم صحيح بنوعيه ولا خلاف بينهما، وقد دلت على ذلك الآيات القرآنية.

وهناك من المناوئين لأهل السنة من يقول ببدعية هذا التقسيم، ويجاب عليهم بعدة أوجه، منها:

أ- أن هذا التقسيم اصطلاحي، فلا يدخل في حال التعبد بحال، حتى يقال: إنه بدعة، كتقسيم العلوم الشرعية إلى حديث وفقه وتفسير...

ب- إن هذا التقسيم كان نتيجة استقراء النصوص الواردة في التوحيد، من الكتاب والسُّنَّة، فعلم بالاستقراء والتتبع: أن التوحيد لا يخرج عن هذه الثلاثة الأنواع. والاستقراء دليل معتبر. انظر: أضواء البيان (٣/ ٤١٠) وما بعدها.

ج- إن هذا التقسيم مأثور نحوه عن السلف من الصحابة والتابعين، مثل: ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد، وعطاء وعكرمة وعبد الرحمن بن زيد، وابن جرير الطبري وغيرهم.

انظر: أقوالهم في تفسير الطبري (١٣/ ٧٧)، وكتب التفسير بالمأثور الأخرى، عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

د- قد أشار بعض العلماء المتقدمين إلى هذا التقسيم؛ مثل: ابن منده في القرن الرابع الهجري (٣١٠-٣٩٥هـ) في كتابه: «التوحيد»، والطحاوي في عقيدته المشهورة، حيث بدأها بقوله: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله، إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه...».

فقوله: «أن الله واحد لا شريك له». إشارة إلى توحيد الإلهية. وقوله: «ولا شيء مثله». إشارة إلى توحيد الأسماء والصفات. وقوله: «ولا شيء يعجزه». إشارة إلى توحيد الربوبية.

س٣: ما هو توحيد الربوبية؟

ج: إفراده تعالى باعتقاد أن لا خالق ولا رازق، ولا محيي ولا مميت، ولا موجود ولا معدم، إلا الله تعالى.

س٤: ما هو توحيد الألوهية أو الإلهية؟

ج: إفراده تعالى بالعبادة والتأله والخضوع والذل والحب، والافتقار والتوجه إليه بالدعاء والطلب، ويقال له أيضًا: توحيد العبودية أو العبادة، ويسمى ـ أيضًا ـ التوحيد العملي الإرادي، كما قال ابن القيم(١).

س٥: ما هو توحيد الصفات؟

ج: إفراده تعالى بإثبات ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، بغير تشبيه ولا تأويل، كما سيأتي، ويسمى التوحيد العلمي الخبري، كما قاله ابن القيم.

س٦: ما هو التوحيد الذي جاءت به الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ من هذه الأقسام؟ وهل هي متلازمة أم لا؟

ج: هي في الحقيقة متلازمة غير منفكة، فلا يتم الإيمان إلا بها جميعًا، والذي بعث الله به رسله هو توحيد الألوهية، كما حكى عنه بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٤٩).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٣).

الآية[١]. وغيرها مما يدل على أن المشركين لم ينكروا توحيد الربوبية، وتوحيد الصفات.

س٧: كيف لم ينكر المشركون توحيد الربوبية؟ وهل جاء ذلك في آيات؟

ج: حكى الله عنهم في إثباتهم توحيد الربوبية بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ﴾ الآية[٢]، وقوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾[٣]. إلى غير ذلك من الآيات مما يتضمن الاحتجاج على منكري الإلهية بإثبات الربوبية والملك.

س٨: كيف لم ينكر المشركون توحيد الصفات؟

ج: خاطبهم الله تعالى بلسانهم بما لم يفهموا منه خلاف ظاهر اللفظ مع التنزيه، وقد كان شعار التوحيد في المناسك التلبية، المتضمنة لإثبات صفات الكمال، التي يستحق عليها الحمد[٤]، ولإثبات الأفعال التي استحق بها أن يكون منعمًا، ولإثبات القدرة والمشيئة والإرادة والتصرف، والغضب والرضا والغنى والجود، الذي هو حقيقة ملكه، كما أن أهل الكتاب من العرب وغيرهم، يقرون بذلك ويستبشرون بسماعه؛ لأنه مطابق لما عندهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٦٥).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: (٦١، ٦٣)، وسورة لقمان، الآية: (٢٥)، وسورة الزمر، الآية: (٣٨)، وسورة الزخرف، الآية: (٩).

(٣) سورة يونس، الآية: (٣١).

(٤) ومع ذلك فهم يشركون فيها، فكانت تلبيتهم كما روى ابن عباس رضي الله عنهما: «لبيك لا شريك لك، فيقول رسول الله ﷺ: "ويلكم! قدٍ قدٍ" - أي: اقتصروا عليه ولا تتجاوزا عنه إلى ما بعده - فيقولون: إلا شريكًا لك تملكه وما ملك... يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت». رواه مسلم في الحج، باب: التلبية ح (١١٨٥) (٢/ ٨٤٣).

س٩: كيف كانت دعاية الرسل أممها؟ وإلى أي كلمة تدعوها؟

ج: كل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ﴾(١)، ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾(٢)، ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾(٣)، ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾(٤)، ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾(٥)، ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا﴾(٦)، وقال ﷺ: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله**»(٧).

س١٠: هل كانت دعاية الرسل إلى قول هذه الكلمة مع ملاحظة معناها، أم لا؟

ج: كانت دعايتهم باعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان(٨).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (٥٩)

(٢) سورة هود، الآية: (٢٦)، سورة فصلت، الآية: (١٤)، وسورة الأحقاف، الآية: (٢١).

(٣) سورة نوح، الآية: (٣).

(٤) سورة الأنعام، الآية: (١٤).

(٥) سورة الأنعام، الآية: (١١٤).

(٦) سورة الأنعام، الآية: (١٦٤).

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ مرسلاً، ح (٣٢) (١/ ٢١٤ - ٢١٥)، وأخرجه الترمذي في الدعوات، باب: دعاء يوم عرفة، ح (٣٥٨٥)، وقال: «غريب من هذا الوجه». والبيهقي في الشعب الإيمان، ح (٤٠٧٢) (٣/ ٤٦٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب، ح (١٥٣٦)، وتخريج المشكاة، ح (٢٥٩٨) (٢/ ٧٩٧).

(٨) واستكمال شروطها السبعة المجموعة في قول الناظم:

العِلْمُ واليَقِينُ والقَبُولُ ... والإِنْقِيَادُ فَادْرِ مَا أَقُولُ
والصِّدْقُ والإِخْلاَصُ والمَحبَّةُ ... وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا أَحَبَّهُ

انظر: أدلة هذه الشروط بالتفصيل: معارج القبول، للشيخ/ حافظ حكمي (١/ ٣٠٧) فما بعدها. وانظر: مجموعة التوحيد، الرسالة الأولى، ص (٤٩).

ومعناها: هو إفراد الله بالألهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه، والبراءة منه. فلو قال: لا رب إلا الله، لما أجزأه عند المحققين.

س ١١: هل للإنسان حاجة إلى معرفة حال الجاهلية، وكيفية الدعوة؟

ج: نعم ينبغي البحث عن حالها، والتأمل فيما حكى الله عنها مع رسله، وكيفية جدالهم، كما قص الله علينا ذلك في معظم كتابه، وقد قال الفاروق رضي الله عنه: تنقض عرى الإسلام عروة عروة، قالوا: متى؟ قال: إذا دخل الأمر من لا يعرف الجاهلية. أو كما قال(١).

وقد جاء في السنة التحذير من أشياء كثيرة كانوا يعملونها، وبعضها شرك أكبر، وبعضها أصغر، كما ورد كفر دون كفر.

❁ ❁ ❁

(١) الأثر المشهور عن عمر قوله: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية). ذكره ابن القيم في الفوائد، ص (٢٠٢).
ولذلك ألف الإمام المصلح الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب، كتابه: «مسائل الجاهلية»، وذكر فيه بعض المسائل المنتشرة في عصره، وفيها مشابهة لأعمال أهل الجاهلية، والتي خالفهم فيها رسول الله ﷺ، وقد زاد فضيلة الشيخ/ عبد الله الدويش على هذه المسائل إحدى عشر ومائتي مسألة، في كتاب سماه: «زوائد مسائل الجاهلية».
وقام فضيلة الشيخ الدكتور/ يوسف السعيد بتحقيق كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشرحه، في رسالة علمية في جامعة الإمام، بمرحلة الماجستير بقسم العقيدة، وقد طبع في مجلدين، عام (١٤١٦هـ). بدار: عالم الفوائد.

المطلب الرابع
[فيما ينافي التوحيد والتحذير من أشياء]

وفيه: خمسة أسئلة:

س١: ما تلك الأشياء التي حذر منها ﷺ، ولأي معنى كان؟

ج: بعضها في القرآن، وبعضها في السنة، والحكمة في التحذير منها: حماية جانب التوحيد. وهي ـ هذه ـ نحو اثنين وعشرين أمرًا(١).

١ - الرقى والتمائم من غير القرآن(٢).

٢ - التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

٣- الذبح لغير الله تعالى.

٤ - النذر لغير الله تعالى.

٥ - الاستعاذة بغير الله تعالى.

٦ - الاستغاثة بغير الله، ودعاء غيره.

---

(١) جميع هذه الأمور هي التي ذكرها الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب، في أبواب كتابه: «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد». مدللاً على كل مسألة بأدلة من الكتاب والسنَّة وأقوال السلف، وقد شُرحت هذه الأبواب، وفُصلت أحكام هذه المسائل، في شروح كتاب التوحيد المختلفة. وبُيِّن فيها ما هو محرَّم قادح في التوحيد، وما هو من قبيل المباحات. ثم إن قوادح التوحيد ليست محصورة في هذه المسائل. فغيرها كثير لم يذكره المؤلف ولا الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى.

(٢) التمائم: جمع تميمة، وهي: ما يعلق على الصغار ونحوهم من العين وشبهها، وإذا كان المعلق من القرآن فقد اختلف الصحابة في جوازه، والجمهور على المنع من ذلك؛ منهم: ابن مسعود رضي الله عنه.
انظر: فتح المجيد (١/ ١٥٣)، تحقيق: أشرف عبد المقصود.

٧- الاستشفاع بالغير، بمعنى طلب الشفاعة من الغير.

٨- الغلو في الصالحين بالإطراء.

٩- عبادة الله عند قبر رجل صالح.

١٠- السحر والكهانة.

١١- النشرة والتطير.

١٢- الاستسقاء بالأنوار.

١٣- محبة غير الله، كمحبته والخوف منه.

١٤- الرياء وإرادة الدنيا بالعمل.

١٥- طاعة العلماء والأمراء في معصية الله، أو تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم.

١٦- اتخاذ الأضداد(١).

١٧- الحلف بغير الله.

١٨- قرن مشيئة الله بمشيئة المخلوق بالتساوي؛ كنحو: ما شاء الله وشاء فلان.

١٩- سب الدهر.

٢٠- التسمي بـ: قاضي القضاة.

٢١- الهزل بشيء فيه ذكر الله.

٢٢- الاستشفاع بالله على خلقه.

---

(١) كذا في المخطوط والمطبوع، ولعلها: «الأنداد».

س٢: اذكر لنا ما ينافي أقسام التوحيد، كل قسم على حدة؟ فما ضد توحيد الصفات؟

ج: أمران: (١) التعطيل، (٢) التشبيه.

فمن نفي صفاته تعالى وعطلها ناقض تعطيلُه توحيدَه وكذَّبه، ومن شبَّهه بخلقه ناقض تشبيهُهْ توحيدَه وكذّبه.

س٣: فما ضد توحيد الألوهية؟

ج: أمران أيضًا: (١) الإعراض عن محبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه. (٢) الإشراك به في ذلك، واتخاذ أوليائه شفعاء من دونه.

فالشرك: تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، التي تفرد بها سبحانه وتعالى.

وبعبارة أخرى[(١)]: هو اعتقاد أن لغير الله أثرًا فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة، وأن لشيء من الأشياء سلطانًا [خارجًا][(٢)] عن قدرة المخلوقين.

---

(١) في هامش الأصل: قوله: «وبعبارة أخرى». هي للأستاذ الإمام في رسالة التوحيد - يعني: الإمام محمد عبده - وأوضحها بقوله: وهو اعتقاد من يعظم سوى الله، مستعينًا به فيما لا يقدرعليه العبد؛ كالاستنصار في الحرب بغير قوة الجيش، والاستشفاء من الأمراض بغير الأدوية التي هدانا الله إليها، والاستعانة على السعادة - الأخروية أو الدنيوية - بغير الطرق أو السنن التي شرعها الله لنا. هذا هو الشرك الذي كان عليه الوثنيون ومن ماثلهم، فجاءت الشريعة الإسلامية بمحوه، ورد الأمر فيما فوق القدرة البشرية والأسباب الكونية، إلى الله وحده. وتقرير أمرين عظيمين...». ثم أخذ في بيانهما.

(٢) في الأصل: «عن ما خرج».

س٤: فما ضد توحيد الربوبية؟

ج: هو: أن يجعل لغيره معه تدبير، فالربوبية منه سبحانه وتعالى لعباده، والتأله من عباده له تعالى[(١)].

س٥: في كم نوع تنحصر أصول الشرك؟

ج: في ستة أنواع، كما أفاده بعض المتأخرين:

١- شرك استقلال: وهو إثبات إلهين مستقلين؛ كـ: شرك المجوس.

٢- شرك تبعيض: وهو تركيب إله من آلهة، كـ: شرك النصارى.

٣- شرك تقريب: وهو عبادة غير الله ليقرب إليه زلفى[(٢)].

٤- شرك تقليد: كـ: شرك متأخري الجاهليين.

٥- شرك أسباب: بإسناد التأثير إلى الأسباب العادية نفسها بدون قدرة الله؛ كما للفلاسفة والطبيعيين، كقولهم: مطرنا بنوء الكوكب.

٦- شرك أغراض: وهو العمل لغير الله، وحكم هذه المعصية فقط[(٣)]، كما ذكره البعض.

❁ ❁ ❁

(١) وبعبارة أخرى: فالربوبية هي: توحيد الله تعالى بأفعاله؛ كالخلق والملك والتدبير.
والألوهية هي: توحيد الله تعالى بأفعال المكلفين؛ كالحب والإنابة والاستعانة، والتوكل والسجود... الخ.

(٢) نحو: شرك أكثر العرب قبل الإسلام، ومعظم شرك القبوريين الآن.

(٣) مثل: الرياء وشرك النفاق. وهذا من الشرك الخفي، وقد يكون شركًا أكبر، وقد يكون شركًا أصغر، بحسب اختلاف الصور.

المطلب الخامس
[في توحيد الصفات وأقسامها]

وفيه: أحد عشر سؤالاً:

س١: لم تبين لنا توحيد الصفات كما ينبغي، وقد أفرده الجمهور بالتأليف، وسموه: «علم الكلام»(١)، و«فن التوحيد والعقائد»؟

ج: يجمع الكلام عليه قولنا: يوصف الله بجميع صفات الكمال، كما

---

(١) هذا على اصطلاح المتكلمين أنفسهم.
أما عند أهل السنة والجماعة، فتوحيد الأسماء والصفات: علم شرعي صرف، قائم على نصوص الوحيين فقط، ولذلك قال المصنف في جواب السؤال: «ولا يجوز وصفه إلا بما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، فهو توفيقي».
ويعرف العلماء علم الكلام بأنه: «علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية، بالأدلة العقلية».
قال ابن خلدون في المقدمة ص (٨٢١)، في تعريفه: «هو: علم العقائد القائم على الأدلة العقلية».
ويعرفه التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون بأنه: «علم يقتدر منه على إثبات العقائد الدينية على الغير، بإيراد الحجج ودفع الشبه».
ولابد من تقييد تعريف التهانوي بزيادة: «بالأدلة العقلية»، وإلا إختلط بالعلوم الشرعية.
والفرق بينه وبين علم المنطق، أن: الأخير أعم، فلا يختص بالعقائد فقط؛ لأنه كما يعرفه أصحابه: «العلم بقوانين تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر».
انظر: نقص المنطق ص (١٧٥)، ومقدمة ابن خلدون ص (٩٠٨).
وأهم مصادر علم الكلام، هو: الفلسفة اليونانية. انظر: شرح العقائد النسفية، ص (٨).
وعليه، فهو: علم غير شرعي مبتدع، جَرَّ على العقيدة الإسلامية من المصائب ما لا يخفى، ذمه السلف وحذورا منه، ومن أوسع من جمع أقوالهم في ذلك: الهروي، في: ذم الكلام وأهله، في خمسة مجلدات، حققه الشيخ/ عبد الرحمن الشبل.

وصف نفسه بمعاني أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، كما وصفه به رسوله [وأنبياؤه][(١)] من قبله.

ولا يجوز وصفه إلا بما دل عليه الكتاب والسنة، أو أُجمع عليه.

س٢: إلى كم قسم تنقسم صفاته تعالى؟

ج: إلى قسمين: صفات الذات، وصفات الأفعال.

س٣: ما بيان القسم الأول؟

ج: صفات الذات: مما استحقه تعالى في الأزل وفيما لا يزال[(٢)]، فمنها: ما ثبت بنص الكتاب والسنة؛ كالوجه واليد والعين.

ومنها: ما ثبت كذلك واقترنت به دلالة العقل من استحالة أضداده، وهي: الحياة والقدرة والعلم والإرادة، والسمع والبصر والكلام[(٣)]. ويسميها المتأخرون: بالصفات الثبوتية، وصفات المعاني، والصفات العقلية، ويسمون ما سواها: بالصفات الخبرية.

س٤: فما بيان القسم الثاني؟

ج: صفات الأفعال: مما استحق تعالى فيما لا يزال دون الأزل[(٤)]،

---

(١) في الأصل: «وأنبيائه».

(٢) ويضاف لها ضابط آخر؛ وهو: هي التي لا تنفك عن الذات. انظر: شرح الطحاوية، ص(١٢٧).

(٣) وغيرها من الصفات؛ كالحكمة والعلو، وهذه السبع هي التي يثبتها الأشاعرة المتأخرون.

(٤) في هامش الأصل: قوله: «دون الأزل». أي: «باعتبار التعلق، حتى يتضح الفرق بين القسمين، وإلا فنفس الصفة قديمة، فلا ينافي ما سيأتي في صفة التكوين». اهـ كاتبه.

وهذا التعليق فيه نظر، وهو تقرير لمذهب الماتريدية؛ وذلك لأن ضابط الصفة الفعلية، =

والاستواء والنزول والمجيء، وكالخلق والرزق والإحياء والإماتة، والعفو والعقوبة.

والماتريدية(١)، تسمي كلما دل على إخراج المعدوم من العدم: بصفة التكوين، وهو المعنى المعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق، والإيجاد والإحداث والاختراع، ونحو ذلك.

= هو: انفكاكها عن الذات في بعض الأوقات، وتعلقها بالمشيئة والقدرة. والماتريدية يقولون: إن الأفعال قديمة، ولا تعلق لها بالمشيئة والقدرة، والمتجدد إنما هو متعلقاتها، ويحيلون جميع صفات الأفعال إلى صفة التكوين عندهم، وهي قديمة.

أما أهل السنة والجماعة، فيقولون: إن نوع صفة الفعل قديم، أما آحاده فمتجددة حادثة؛ لتعلقها بالمشيئة والقدرة.

والمصنف مع أنه يقرر هذا، إلا أنه لا يلتزم بلوازم مذهب الماتريدية، فيثبت صفات الأفعال، ويرى أن آحادها متجددة؛ لتعلقها بالمشيئة، خلافًا لقول الماتريدية، وموافقة لمذهب السلف رحمهم الله جميعًا. انظر: تعليقات المحقق على رسالة المصنف: تحرير الكلام. وانظر رسالة: أبو بكر خوقير وجهوده في نشر عقيدة السلف، (١/ ٢١٥)، قسم العقيدة بجامعة أم القرى، من الباحث الدكتور/ بدر الدين ناضرين.

(١) في هامش الأصل: قوله: «الماتريدية». نسبة إلى الإمام/ أبي منصور الماتريدي، وهم الحنفية، وهم أقرب إلى السلف، ويقابلهم الأشاعرة أتباع الإمام/ أبي الحسن الأشعري من الشافعية والمالكية. وأما الحنابلة فعلى طريق السلف، والمقدم فيهم الإمام/ أحمد ابن حنبل؛ لأنه أكبر قائم امتحن فيها رحمه الله ورضي عنه.

وفي قوله: «إن الماتريدية أقرب إلى السلف» نظر؛ فالحق أن أقرب طوائف المتكلمين إلى السلف، هم: الأشاعرة. كما قرر ذلك شيخ الإسلام وغيره من المحققين. انظر: الرسالة المدنية لابن تيمية، ص (٣٦-٣٩). وكذلك ليس كل الحنفية ماتريدية، ولا كل الشافعية والمالكية أشاعرة. كما أنه ليس كل الحنابلة على منهج السلف. وإنما هذا من باب التغليب.

وسيأتي الكلام عليها في المطلب السابع، وفي مطلب الإيمان بالقدر من الباب الثاني.

س٥: هل إثبات هذه الصفات له تعالى على ظاهرها أو بشيء من التأويل؟

ج: إن طريقة السلف اثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات، مع نفي مشابهة المخلوقات، إثباتًا بلا تكييف ولا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(١)]. فسمعه ليس كسمعنا، وبصره ليس كبصرنا، وكذا غيرهما.

س٦: ماذا تقول في اشتراك الألفاظ المستعملة في حقه تعالى، وفي حق غيره من المخلوقات، وكيف يكون التنزيه؟

ج: الاشتراك في الألفاظ لا يقتضي الاشتراك في المعاني[(٢)]، والصفة تابعة للموصوف، فإذا كانت الذات مجهولة الكيف، ولا تشبه الذوات، فالصفة كذلك، والفرق بين الحادث والقديم معلوم بالضرورة.

س٧: ماذا يجب تعينه من الصفات له تعالى وتعداده؟

ج: لا يجب حصر جميع الصفات، وجمع المتفرق منها مما ورد في الكتاب والسنة، وقد قال ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين[(٣)] اسمًا ــ مائة إلا**

---

(١) سورة الشورى، الآية: (١١).

(٢) لو قال: «في الحقائق والماهيات». لكانت ـ في نظري ـ أدق؛ لأن المعاني قد تكون مشتركة، أما الحقائق فمختلفة.

(٣) في الأصل: «تسعون».

واحدًا ـ من أحصاها[١] دخل الجنة» كما رواه الشيخان وأهل السنن[٢].

س٨: هل يثبت الخلف عددًا معينًا من الصفات له تعالى، وهل يثبتها السلف؟

ج: يثبت الخلف خمسة عشر صفة[٣] له تعالى فقط.

---

(١) في هامش الأصل: قوله: «من أحصاها»الراجح في معنى الإحصاء: الحفظ دون مجرد العدِّ، والذي عول عليه جماعة من الحفاظ، أن سرد الأسماء مدرج في هذا الحديث. اهـ

قلت: وردت عدة معاني في معنى الإحصاء؛ منها: العد، والإطاقة، والعقل والمعرفة.

وذهب ابن القيم إلى أن مراتب الإحصاء ثلاثة:

الأولى: إحصاء ألفاظها وعدها.

الثاني: فهم معانيها ومدلولها.

الثالثة: دعاؤه بها.

انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٨٥). وانظر: زيادة تفصيل ودراسة كتاب: اسم الله الأعظم، ص (٥٦- ٦١) للمحقق.

وقوله: «والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء مدرج في هذا الحديث». اهـ.

قلت: هذا نص كلام الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/ ٥١٦)، ونص على الإدراج وعلل أخرى من الاختلاف والاضطراب والتدليس، مجموعة من العلماء.

انظر: تفصيل ذلك في: اسم الله الأعظم، ص (٦٣).

ويعني بالحديث الذي يعدد التسعة والتسعين اسمًا، ما عند الترمذي وغيره. فهذا ليس من كلام النبي ﷺ، بل من اجتهادات العلماء في تحديد هذه الأسماء. والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري في الشروط، باب: ما يجوز في الاشتراط، ح(٢٧٣٦) (الفتح ٥/ ٤١٧)، وفي الدعوات ح (٦٤١٠)، وفي التوحيد (٧٣٩٢). ومسلم في الذكر والدعاء، باب: في أسماء الله وفضل من أحصاها، ح(٢٦٧٧) (٤/ ٢٠٦٢). من حديث: أبي هريرة.

(٣) في هامش الأصل: قوله: «خمسة عشر»، الذي في السنوسية: عشرون صفة؛ صفات المعاني السبعة، والصفات السلبية الخمسة، والصفة النفسية، والصفات المعنوية =

صفات المعاني[(١)] السبعة المتقدمة؛ وهي: ١ـ الحياة، ٢ـ القدرة، ٣ـ الإرادة، ٤ـ العلم، ٥ـ الكلام، ٦ـ السمع، ٧ـ البصر.

والصفات السلبية[(٢)] الخمسة، أي: التي معناها سلب؛ وهي: ١ـ القدم، ٢ـ البقاء، ٣ـ المخالفة والحوادث[(٣)]، ٤ـ القيام بالنفس[(٤)]، ٥ـ الوحدانية.

والصفة النفسية[(٥)]؛ وهي: الوجود.

وعند الماتريدية صفتان: ١ـ التكوين، ٢ـ الحكمة[(٦)]، بمعنى اتقان العمل ووضع كل شيء في محله اللائق به، والسلف يثبتون هذه الصفات كغيرها[(٧)].

= السبعة، أي: المنسوبة إلى صفات المعاني لكونها لازمة لها، وهي كونه قادرًا ومريدًا وعالمًا وحيًا وسميعًا وبصيرًا ومتكلمًا، فهي تابعة لصفات المعاني، فلهذا لم يعدها بعضهم، كما جرى عليه المؤلف.

(١) صفات المعاني، هي: ما دل على معنى وجودي قائم بالذات.

(٢) الصفات السلبية، هي: ما دل على سلب ما لا يليق بالله عن الله، من غير أن يدل على معنىً وجودي قائم بالذات. ومعلوم أن منهج السلف: أن النفي لإثبات كمال الضد.

(٣) في هامش الأصل: قوله «المخالفة للحوادث». أي: عدم مشابهته لشيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا توصف ذاته بالجوهر ولا بالعرض، وغير ذلك من أوصاف المحدثات، ولا تشبه شيئًا منها، وكذا صفاته المحدثات وأفعاله.

(٤) في هامش الأصل: قوله: «والقيام بالنفس». أي: عدم احتياجه إلى شيء من الأشياء، وكل شيء محتاج إليه تعالى.

(٥) هي: كل صفة إثبات لنفس لازمة ما بقيت النفس، غير معللة بعلل قائمة بالموصوف. انظر هذا التعريف وما قبله: الصفات الألوهية، تعريفها، أقسامها. للدكتور: محمد بن خليفة التميمي، ص (٨٠- ٨١).

(٦) في هامش الأصل: قوله: «الحكمة». أي: كما عددها شيخ زاده، في: نظم الفرائد.

(٧) السلف يثبتون معاني هذه الصفات، ولكن بألفاظها الشرعية.

س٩: فماذا يقول الخلف في غيرها، ولما خصوها بالإثبات؟

ج: يقولون: بتأويل غيرها، ولا يجرونه على ظاهره؛ لاستعماله في الحادث، وإنما خصوا تلك الصفات المحصورة، لثبوتها بالعقل لاستحالة أضدادها، ووجوب اتصافه بالكمال المطلق.

س١٠: لم يظهر لنا وجه الفرق بين تلك الصفات المحصورة وغيرها على مذهب الخلف؟

ج: هو غير ظاهر، والسلف أعلم وأقرب عهدًا، والظاهر عدم الفرق فيما ثبت من الكتاب والسنة من الصفات، في إجرائه على ظاهره، مع التنزيه الذي تقدم بيانه؛ وهو سبحانه متصف بجميع أنواع الكمال عقلاً، ولا تجوز التفرقة بين المتماثلين عقلاً ولا نقلاً، كما يقول الخلف بإثبات البعض وتأويل البعض، مع أن ظواهر الجميع في حق المخلوقين جوهر محدث، وإما عرض قائم بغيره؛ كالسمع والبصر والعلم والإرادة، وقد نزه الله نفسه بنفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

س١١: ما بال السلف يطيلون الكلام على بعض الصفات؛ مثل: الاستواء؟

ج: لكثرة ما جاء فيه من الكتاب والسنة، فقد ذكر في سبع مواضع من القرآن، وأفتى فيه السلف[2] جميعهم، بقولهم: الاستواء معلوم،

(١) سورة الشورى، الآية: (١١).

(٢) قال الشيخ عبد الله الدهلوي معلقًا: قوله: «أفتى فيه السلف». ومن أوله بالاستيلاء يلزمه القول بأن استيلاءه ليس كاستيلائنا، فخير له أن يقول: استوى لا كاستوائنا.

والكيف مجهول[١]. فكان كالقاعدة في باب الصفات، وقال الإمام أحمد: «استوى كما أخبر، لا كما يخطر للبشر»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) كما ورد ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها، عند اللالكائي (٣/ ٣٩٧). وعن الإمام مالك في الرد على الجهمية للدارمي، ص (٢٨٠) ضمن عقائد السلف. ورواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، (٣/ ٣٩٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٢٥-٣٢٦). وينظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥)، والعلو للذهبي، ص(٦٥).

(٢) انظر: الفواكه الدواني شرح رسالة أبي زيد القيرواني، للنفراوي الأزهري(١/ ٦٠)، طبعة: المكتبة الثقافية ببيروت.
وينظر أقوال الإمام أحمد في: الاستواء (١/ ٣٤٢)، من كتاب: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة».

المطلب السادس
[في التأويل وما يتعلق به]

وفيه: سبعة أسئلة:

س١: هل جميع الخلف يؤوِّلون الصفات الخبرية؟

ج: كثير من الخلف يميل إلى عدم التأويل، ومنهم الماتريدية[١]. فهذا صاحب بدء الأمالي[٢] يقول:

وربّ العرش فوق العرش لكن بلا وصف التمكن واتصال[٣]

س٢: ما وجه ترجيح عدم التأويل؟

ج: هو: أن النفوس تأنس بالإثبات، وقد بالغت[٤] فيه الأنبياء؛ ليقروا

---

(١) الماتريدية كغيرهم من المتكلمين مؤولة لأكثر الصفات، وفيهم مفوضة كما في الأشاعرة. وقد يكون التفويض أشر من التأويل. نسأل الله السلامة. ونعني بالتفويض هنا تفويض المعاني. أما تفويض الكيفيات فهذا مما أجمع عليه السلف رحمهم الله تعالى. ولا يمنع هذا من وجود بعض الأفراد المثبتة. والوقوف على كتب القوم؛ كالتفتازاني وغيره، يرى ذلك جليًا.
وانظر: «الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات»(٢/ ٢٥٩ – ٢٨٢).

(٢) هو: سراج الدين، على بن عثمان الفرغاني الحنفي، مفتى مدينة فرغان بتركستان. توفي بعد (٦٩هـ). انظر: الأعلام (٤/ ٣١٠)، ومعجم المؤلفين (٧/ ١٤٨).
وشرح بدء الأمالى، الشيخ إبراهيم اللكتاني الأشعري، صاحب: «تحفة المريد في شرح جوهرة المريد، على مذهب الأشاعرة».

(٣) السلف لا ينفون ولا يثبتون هذه العبارات وأمثالها، التي لم يرد فيها شيء من الشارع، لا بالنفي ولا بالإثبات.

(٤) بمعنى: أكثرت.

في أنفس العوام وجود الخالق، ومن أضرّ الأشياء عليهم كلام المتأولين، ولو لم يكن في ترجيح الإثبات على التأويل، إلا أن صاحب التأويل ليس جازمًا بتأويله، بخلاف الإثبات لكفى ذلك.

س٣: هل يلزم من إثبات بعض الصفات بعض اللوازم الفاسدة، كما يلزم من إثبات صفة الاستواء كونه تعالى بجهة العلو؛ لأن العرش فوق سبع سمواته، والجهة والمكان من صفات المحدثات التي ينزه الله عنها؟

ج: لا يلزم شيء من الإثبات مع التنزيه، ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، ومن فهم من صفات الرب ـ الذي ليس كمثله شيء ـ ما يناسب صفات المخلوق، فقد غوى.

وما فوق العرش خارج عن العالم لا يوصف بمكان ولا جهة، إلا بالنسبة إلينا، فهو تعالى فوق الكون باعتبار الكون لا باعتبار وحدانيته، إذ لا فوق فيها ولا تحت، وقد فطر الله القلوب على طلبه من جهة العلو، فلم يقل قائل: يا الله. إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، لا يتلفت يمنة ولا يسرة، ولا يمكن إزالة تلك الضرورة عنه(١).

(١) إشارة إلى قصة أبي جعفر الهمداني مع أبي المعالي الجويني، لما سمعه وقد سئل عن قوله عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فقال أبو المعالي: «كان الله ولا عرش». وجعل يتخبط في الكلام، فقلت: قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة؟ فقال: «ما تريد بهذا القول؟ وما تعني بهذه الإشارة؟» فقلت: ما قال عارف قط: يا رباه، إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة؛ يقصد الفوق. فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت، وبكيت وبكى الخلق، فضرب الأستاذ بكمه على السرير وصاح: «الحيرة!» وخرق ما كان عليه. وصارت قيامة في المسجد، ونزل ولم يجبني إلا: =

س٤: ماذا تقول في المعية التي جاءت في القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(١)، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾(٢). وغيرها؟

ج: اتفق الأئمة من الصحابة والتابعين، والأئمة الأربعة وسائر أئمة الدِّين، على أن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ الآية. ليس معناه: أنه مختلط بالمخلوقات وحالٌّ فيها، ولا أنه بذاته في كل مكان، بل هو سبحانه وتعالى مع كل شيء بعلمه وقدرته، ونحو ذلك، وهو مستو على عرشه، بائن من خلقه. على أن معيته على نوعين: خاصة وعامة، فالخاصة: بالنصر والرحمة وما أشبه ذلك(٣).

س٥: كيف ينسب للحنابلة القول: بأن صفة الكلام بحرف وصوت، وهو منزه عن مشابهة المخلوقات؟

ج: الحنابلة سائرون على طريقة السلف، وإمامهم شيخ هذه الطريقة، وهم متفقون على أن كلامه تعالى: قديم غير مخلوق، وأنه بحرف وصوت

= «ياحبيبي... الحيرة الحيرة!! والدهشة!». فسمعت بعد ذلك أصحابه، يقولون: سمعناه يقول: «حيرني الهمداني».

هذه القصة أسندها الحافظ الذهبي في كتاب: «العلو». قال الألباني: «إسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ». مختصر العلو ص (٢٧٦). والسير (١٨/ ٤٧٤ – ٤٧٥).

وذكرها شيخ الإسلام في: «نقض المنطق»(ص٥٢)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٤٤، ٦١).

وقال: «وإن كان - يعني الجويني - في آخر عمره رجع عن هذه العقيدة، ومات على دين أمه وعجائز نيسابور».

(١) سورة التوبة، الآية: (٤٠).

(٢) سورة الحديد، الآية: (٤).

(٣) والعامة: بالعلم والسمع والبصر، ونحو ذلك.

قديمين(١)، بلا كيف، كما جاء في ذلك أحاديث كثيرة، تنيف على أربعين

---

(١) ما قرره المصنف ـ رحمه الله ـ هنا ليس هو مذهب السلف، وإنما هو كلام السالمية وبعض متأخري الحنابلة، الذين حاولوا الجمع بين قول السلف وقول المعتزلة، وقول ابن كلاب ومن وافقه من الأشاعرة.
فالمعتزلة قالوا: «كلام الله مخلوق، وخلقه الله في غيره، وهو حروف وأصوات مخلوقة».
وقال الكلابية والأشعرية: «إن كلام الله قديم ليس بحروف ولا أصوات، وإنما هو الكلام النفسي، والقرآن الكريم إنما هو عبارة أو حكاية عن ذلك المعنى النفسي، وليس هو كلام الله على الحقيقة».
قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٢/ ٣١٩، ٣٢٠): «وحدثت طائفة أخرى من السالمية وغيرهم، ممن هو من أهل الكلام والفقه والحديث والتصوف، ومنهم كثير ممن ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وكثر هذا في بعض المتأخرين المنتسبين إلى أحمد بن حنبل فقالوا بقول المعتزلة، وبقول الكلابية، وافقوا هؤلاء في قولهم: إنه قديم، ووافقوا أولئك في قولهم: إنه حروف وأصوات».
وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٠)، والصفدية (٢/ ٥٨). وقد وجد من الحنابلة من يقول: «بأن كلام الله قديم، وأنه بحروف وأصوات» ومنهم: ابن قدامه في: لمعة الاعتقاد، ص (١٥)، المطبعة السلفية. ومنهم: السفاريني، في: لوامع الأنوار البهية، ص (١٣٧، ١٤٣).
وقد تعقبه على ذلك الشيخ/ عبد الله بابطين، والشيخ/ ابن سحمان، كما هو مبين في حاشية الكتاب، ص (١٣٠). وكذلك الشيخ/ عبد الباقي البعلي الحنبلي، في كتابه: العين والأثر في عقائد أهل الأثر، ص (٣٢، ٩٠، ١٠٤، ١٠٦).
والشيخ أبو بكر خوقير ـ رحمه الله ـ اعتمد كثيرًا في النقل على هذين الأخيرين، فدخل عليه هذا الخطأ من هاهنا، مع أنه لم يلتزم في بقية المواضع لوازم هذا القول؛ فقد صرح بأن كلام الله تعالى تابع المشيئة، فلم يزل متكلمًا بما شاء كما شاء سبحانه.
ولعل سبب هذا الخطأ، هو ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله، في مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٢١)، بقوله: «ومن الناس من يطلق لفظ: القديم ولا يتصور معناه، ومنهم: من =

حديثًا، وكما جاء ذكر النداء في القرآن في ثماني آيات منسوبًا إليه تعالى، وهو في اللغة: الصوت.

وتلك الحروف القديمة لا تحتاج إلى مخارج وأدوات، كما هي في حقنا، فهو كلام بلا كيف، ولم يزل ولا يزال متكلمًا كيف شاء، وإذا شاء يأمر بما يشاء ويحكم.

س٦: هل المكتوب في المصحف عين كلام الله، وكذا المحفوظ والمسموع؟

ج: قال الحافظ ابن حجر: «والذي استقر عليه قول الأشعري: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروء

= يقول يعنى القديم أنه بدأ من الله، وأنه غير مخلوق، وهذا المعنى الصحيح، لكن الذين نازعوا هل هو قديم أو ليس بقديم، لم يعنوا هذا المعنى».

وأما أهل السنة والجماعة السلف الصالح، فهم يثبتون صفة الكلام لله تعالى كسائر صفاته تعالى، وأن الله يتكلم إذا شاء متى شاء كيف شاء، وأنه يتكلم بحرف وصوت يسمع، وأن القرآن المنزل هو كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

وانظر تقرير المصنف لمذهب السلف، في رسالته: تحرير الكلام في صفة الكلام.

وصفة الكلام عندهم صفة ذاتية فعلية، فنوع الصفة قديم، أما أفرادها وآحادها فهي حادثة متجددة، متعلقة بمشيئة الله تعالى.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٠١): «كما لم يقل أحد من السلف إنه مخلوق، فلم يقل أحد منهم: إنه قديم، ولم يقل واحدٌ من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا من بعدهم من الأئمة الأربعة، ولا غيرهم».

انظر تفصيل هذه المسألة، في رسالة المصنف: تحرير الكلام، وتعليقات المحقق عليها. وانظر: رسالة الشيخ/ أبو بكر خوقير، وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف، للأستاذ/ بدر الدين ناضرين، (١/ ٢٠٧)، فما بعدها.

بالألسنة(١). قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾(٢)، وفي الحديث: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو؛ كراهة أن يناله العدو»(٣). وليس المراد ما في الصدر، بل ما في المصحف. وأجمع السلف على أن الذي بين الدفتين كلام الله»(٤) انتهى.

س٧: ماذا تقول في مسألة اللفظ؟

ج: قد اشتد إنكار الإمام أحمد على من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق»(٥). لما ابتلي بالدخول في الرد على المبتدعة؛ لحسم هذه البدعة الحادثة، وسد بابها، وما يجر إلى القول بخلق القرآن.

وقد اقتصر السلف على قولهم: كلام الله غير مخلوق، وعلينا الإقتداء وعدم الخوض فيما لا طائل تحته، والوقوف عند ما ورد بلا زيادة ولا نقص.

---

(١) ومع ذلك فأكثر الأشاعرة يخالفون إمامهم أبا الحسن في هذه المسألة الخطيرة، ويزعمون: أن ما في المصاحف إنما هو عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله على الحقيقة؛ لأن كلام الله في زعمهم ليس بحرف ولا صوت ولا هو مسموع.
انظر تفصيل هذه المسألة، في: كتاب: العقيدة السلفية في كلام رب البرية، لفضيلة الشيخ/ يوسف الجديع.

(٢) سورة التوبة، الآية: (٦).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في الجهاد، باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو ح (٢٩٩٠) (فتح ٦/ ١٣٣)، ومسلم في الإمارة، باب: النهي عن أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار (١٨٦٩) (٣/ ١٤٩٠).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٤٩٣) بنحوه.

(٥) ينظر: باب: «ذكر اللفظية من زعم أن هذا القرآن حكاية للقرآن الذي في اللوح المحفوظ، كذبوا». من كتاب: الشريعة للإمام الآجري، (١/ ٥٣٢). وما فيه من نصوص للإمام أحمد وغيره في هذه المسألة. وانظر: تعليق المحقق عليها.

المطلب السابع
[في صفات الأفعال]

وفيه: ستة أسئلة:

س١: هل جميع الصفات قديمة، حتى صفة التكوين(١)؟

ج: نعم صفات الذات قديمة، ومثلها صفات الأفعال عند السلف والماتريدية(٢)، فأفعاله سبحانه وتعالى لا تشبه أفعال شيء من خلقه؛ لأنه سبحانه يفعل الأشياء بلا واسطة وآلة، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٣). ولا يفعل سبحانه شيئًا عبثًا، ولا لاحتياجه إليه، بل هو الحكيم الذي يضع كل شيء في محله، يفعل ما يشاء باختياره وحكمته، ولا يزال فاعلا كما أنه لم يزل فعالاً.

---

(١) التكوين: من الصفات التي اختص بإثباتها الماتريدية، إضافة إلى السبع صفات التي يثبتها الأشاعرة؛ وهو مبدأ الإخراج من العدم إلى الوجود، وصفات الأفعال عندهم راجعة إليه، وهي في حقيقة زعمهم من متعلقات صفة التكوين، وليست صفات حقيقة، وهذا ما يخالف فيه الماتريدية أهل السنة والجماعة.
انظر: التوحيد للماتريدية (٤٧- ٤٩)، شرح العقائد النسفية، ص (٥٣، ٦٣، ٦٩). وينظر: الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، (١/ ٤١٨).

(٢) الماتريدية يقولون: بأفعال قديمة؛ لأنهم يرجعونها إلى صفة التكوين القديمة، ولا تعلق لها بالمشيئة في زعمهم، والمتجدد إنما هو متعلقاتها. وهذا خلاف مذهب السلف الذين يثبتون الصفات الفعلية على الحقيقة، وأنها متعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته، وأن آحادها متجددة وحادثة بعد أن لم تكن، أما نوعها فقديم.

(٣) سورة يس، آية: (٨٢).

س٢: هل يلزم على ذلك القول بحوادث لا أول لها، كما شنع به الأشاعرة، فجعلوا هذه الصفات الفعلية حادثة؟

ج: إن لزم القول: بحوادث لا مبدأ لأولها، فذاك بحكم الضرورة في التبعية، وإلا لزم تعطيل الصفات واستغناء الحوادث عن الموجد، وهو محال، فالتكوين موجودًا أزلاً وأبدًا، والمكون حادث بحدوث التعلق؛ كما في العلم والقدرة، وغيرها من الصفات القديمة، التي لم يلزم من قدمها قدم متعلقاتها، لكونها تعلقاتها حادثة، فلا يضر القول بحوادث لا أول لها، تبعًا لصفات الأفعال والأقوال، ولا يلزم من ذلك القول بحدوثها[١].

س٣: هل يجب على الله فعل الصلاح والأصلح[٢]؟

ج: لا يجب عليه فعل شيء مطلقًا[٣]، وأفعاله صادرة عن علمه وإرادته،

---

(١) انظر: تفصيل ذلك والاستشهاد عليه من كلام شيخ الإسلام؛ رسالة المصنف رحمه الله: «تحرير الكلام في صفة الكلام».
وانظر: كلام شيخ الإسلام في هذه المسألة، في: مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٢ – ٥٩٣)، وشرح حديث النزول، ص (١٢٥). وانظر: الرد على دعوى التسلسل، مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٩ – ٥٣٤) و(١٦/ ٣٨٠ – ٣٩١).

(٢) هذا من قول المعتزلة ومن تابعهم من الشيعة، فيوجبون على الله تعالى فعل الصلاح والأصلح للعبد، تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا؛ بناء على قياسهم الخالق - تعالى - على المخلوق، ويشبهون أفعاله تعالى بأفعال المخلوقين، فهم مشبهة الأفعال، وقد لزمهم من هذا القول عدة لوازم، أوصلها ابن القيم إلى ثمانية عشر إلزامًا، توضح مدى مخالفة قولهم هذا للشرع والعقل.
انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٥٢ – ٥٥).

(٣) أي: ليس للخلق أن يوجبوا على الله تعالى شيئًا مطلقًا، لكن الله تعالى - لكماله المطلق - =

وذلك لازم لاختياره، فهو الفاعل المختار سبحانه يفعل ما يشاء ويختار.

س٤: هل تـخلو أفعاله من الحكمة؟

ج: نعتقد أن أفعاله لا تـخلو مـن الحكمـة، وأن حكمته في فعلـه خاصـة بـه، لاتشبه ما للمخلوقين مـن الحكمـة. كـما لا مشـابهة لـه في ذاتـه وصـفاته، فبطل القول: بالصلاح والأصلح المزعومين بالنسبة لعقول البشر.

س٥: هل للإنسان الخوض في حكمة أفعاله وأسرار قدره؟

ج: ليس له ذلك شرعًا، فقد علمت أن حكمته في أفعاله خاصـة بـه، وقـد ورد النهي(١) عن الخوض في القدر، ومنه ما لا يصل إليـه العقـل، مـن خـرق عادة، أو إيجاد شيء بلا سبب طبيعي، كما تواتر النقل به، وأخبر بـه تعـالى في القرآن على أنه قد ظهرت حكمة أشياء كثيرة.

= قد يوجب على نفسه، ويحرم على نفسه سبحانه؛ تكرمًا وتمننيًا، وهذا ما نطق بـه الكتـاب والسنة، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقـال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. وقال تعالى في الحديث القدسي: «ياعبادي، إني حرمت الظلم على نفسي» رواه مسلم في كتاب: البر والصلة، ح (٢٥٧٧) (٤/ ١٩٩٤).
وانظر: منهاج السنة (١/ ٤٥٢).

(١) في هامش الأصل: قوله: «وقد ورد النهي عـن الخـوض في القـدر». معنـاه: التحـذير مـن مجارات المبتدعة في القدر، والمراد: بغير علم على وجه يؤدى إلى إثارة الشر والشـك، بخلاف الخوض فيه على وجه التعلم والتعرف لما جاءت به الشريعة، ثم الإيمان به بعـد معرفته على الوجه المشروع، كما قال صاحب: «إيثار الحق».
قلـت: انظـر: ص (٢٨١)، ط (١٤٠٣) عـن دار الكتـاب العلميـة، بـيروت، وهـو: أبـو عبد الله، محمد بن المرتضى ابن الوزير اليماني، المتوفى سنة: (٨٤٠هـ).

س٦: فما تقول في قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾(١). فظاهر يقتضي عدم تغيير المعتاد من مجارى الطبيعة؟

ج: المراد من سنة الله هنا: نصره لأنبيائه على من كذبهم وعاداهم، كما يدل عليه صدر الآية: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(٢)، فهي السنة التي لا تتبدل.

وقد صرح سبحانه بتغيير المعتاد من مجارى الطبيعة وتبديلها، وتحويلها متى شاء.

س٧: هل تأتي الأنبياء بما لا تدركه العقول؟

ج: تأتي الأنبياء بما تدركه العقول أو تتحير فيه، ولا تأتي بما تحيله العقول أبدًا، فتأتي بمحارات العقول لا بمحالات العقول، كما قال السفاريني(٣) وغيره.

---

(١) سورة طه، الآية: (٤٣).

(٢) سورة فاطر، الآية: (٤٣).

(٣) نقلاً عن شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢/ ٣١٢).

الباب الثاني: [في معرفة الدِّين]

وفيه: سبعة مطالب:

المطلب الأول
في أركان الإسلام، وهو الركن الأول من أركان الدِّين

وفيه: ستة عشر سؤالاً:

س١: ما معنى الدِّين؟

ج: هو: ما شرعه الله من الأحكام.

س٢: كيف تكون معرفة الإنسان لدينه؟

ج: بمعرفة أركانه الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان.

س٣: ما هو الإسلام؟

ج: هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة في الأحكام الشرعية(١).

س٤: ما أركان الإسلام التي يقوم عليها؟

ج: خمسة؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام مع الاستطاعة. فمن أنكر ذلك أو بعضه لم يكن مسلمًا.

---

(١) زاد الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب، في الأصل الثاني من الأصول الثلاثة: «والبراءة من الشرك وأهله». بدل الأحكام الشرعية، وهذا من باب التأكيد، وإلا فهي من لوازم تحقيق التوحيد، فلا يكون موحدًا إلا إذا تبرأ من الشرك وأهله. والله أعلم.

س٥: ما معنى الشهادة المذكورة؟

ج: الاعتراف بأن لا معبود حق إلا الله وحده، وبرسالة نبيه ﷺ محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب، وطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر[١].

س٦: ما علاقة صدق هذا الاعتراف بتلك الشهادة؟

ج: أن لا يعمل صاحبه ما يخالفه قولاً أو فعلاً أو اعتقادًا، وإلا فاعترافه كذب. كما بينه الفقهاء في باب: الردة.

س٧: ما معنى إقام الصلاة؟

ج: المداومة عليها في أوقاتها الخمسة[٢] كما ينبغي، كما قام بها النبي ﷺ ومن معه، ثم من بعده إلى يومنا هذا من سائر المسلمين في أنحاء الأرض.

وقد ذكر الإمام الصابوني في عقيدته: «أن أصحاب الحديث يرون المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها في أوائل أوقاتها، أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات، ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام، ويأمرون بإتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما، والارتفاع من الركوع والانتصاب منه، والطمأنينة فيه، وكذلك الارتفاع من السجود، والجلوس بين السجدتين مطمئنين فيه، من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها»[٣] انتهى.

---

(١) زاد الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، في تعريف الشهادة بأن محمدًا رسول الله: «واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع». انظر: تيسير العزيز الحميد، ص (٥٥٤).

(٢) في الأصل والمخطوط: «الخمس».

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص (٩٧-٩٨)، تحقيق: بدر البدر، طبعة الكويت، (١٤٠٤هـ).

وسيأتي بيان ما يتعلق بالصلاة في القسم الثاني في ربع العبادات(١).

س٨: ما حكم من جحد وجوبها، ومن تركها تهاونًا وكسلاً؟

ج: حكم الأول: أنه يكفر، ويقتله الإمام أو نائبه بعد الاستتابة ثلاثة أيام، كسائر المرتدين.

والثاني: لا يكفر إلا إذا استتيب ثلاثة أيام، ودعاه إمام أو نائبه وامتنع وتضايق وقت الثانية التي بعدها فيقتل كفرًا، وكذا إذا ترك شرطًا أو ركنًا مجمعًا عليه، ولا قتل ولا تكفير قبل الدعاية، قال الشيخ تقي الدين: «وتنبغي الإشاعة عنه بتركها حتى يصلي، ولا ينبغي السلام عليه، ولا إجابة دعوته»(٢). انتهى.

س٩: ما معنى إيتاء الزكاة؟

ج: إعطاء القدر الواجب في المال لمستحقه، كما سيأتي بيانه في القسم الثاني.

س١٠: ما حكم من جحدها، ومن تركها عازمًا على أن لا يعطيها؟

ج: حكم الأول: كسائر المرتدين.

والثاني: يستتاب إن كان عارفًا بوجوبها، وإن كان جاهلاً عُرِّف، فإن أصرَّ قتل حدًا ولا يكفر، وكذا القبيلة إذا امتنعت عن أدائها تقاتل، ويتولى

---

(١) لعله ما عناه في آخر هذه الرسالة، من وعد بطبع القسم الثاني منه، ولكن لم نجد له ذكرًا وللأسف.

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٣١٨).

ذلك إمام أو نائبه[١].

س١١: ما حكم من مات وعليه زكاة وجبت في ماله؟

ج: حكمها كديون الله وديون الآدميين، تؤخذ من تركته يخرجها وارث، فإن كان صغيرًا فوليه، فإن كان مع الزكاة دين آدمي وضاق ماله، قسمت التركة بالحصص، إلا إذا كان به رهن فيقدم.

س١٢: ما المراد بصوم رمضان، هل فيه تفصيل؟

ج: شهر رمضان لا يحتاج إلى تعريف وصيامه معلوم، أما وجوبه ففيه تفصيل؛ فيجب على المسلم البالغ العاقل القادر عليه. ويصح من مميز، ويجب على وليه أمره به إذا أطاقه ليعتاده، وإذا تركه ضربه كالصلاة، إلا أن الصوم أشق، فاعتبرت له الطاقة.

ويجب على الحائض والنفساء ولا يصح منهما، فيفطران مدة الحيض والنفاس ويقضيانها، ويجب على المسافر والمريض ومن في حكمه، ويسن لهما الفطر وعليهما القضاء.

س١٣: هل يجب على الكبير الهرم، أو المرأة الهرمة، أو المريض الذي لا يرجى برؤه، أو يسقط عنه بالكفارة أو غيرها؟

ج: لا يجب عليهم إذا عجزوا عن الصوم، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ويطعمون مكان كل يوم ما يجزىء في كفارة؛ مدًا من بر، أو نصف

(١) كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتاله المرتدين، حينما منعوا الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ ووافقه على ذلك سائر الصحابة رضوان الله عليهم.

صاع من غيره، ويسقط عنهما الاطعام بالسفر والمرض؛ لأن الفطر بعذر معتاد، ولا يصام عنهما؛ لأن الصيام عبادة محضة وجبت بأصل الشرع، فلا تدخله النية كالصلاة.

س١٤: ما حكم من جحده، ومن تركه من غير عذر؟

ج: هو مثل ما تقدم في الزكاة.

س١٥: ما المراد بحج البيت مع الاستطاعة؟ وهل هو على الفور؟

ج: الحج: قصد البيت من استطاع في العمر، على هيئة مخصوصة، ولا يجب إلا على من استطاع إليه سبيلا، بوجود الزاد والراحلة، ووجوبه حينئذ على الفور مع سعة الوقت وأمن الطريق، فإذا عجز عزم على الفعل عند الإمكان، ويأثم إن لم يعزم، فالعزم في العبادات مع العجز قائم مقام الأداء في عدم الإثم، وترك المستطيع للحج حتى مع العزم من الكبائر، التي ترد بواحدة الشهادة، كمنع الزكاة، وحكم من جحد وجوبه، ومن تركه مع العزم على أن لا يفعله، كما تقدم في الزكاة أيضًا.

س١٦: هل العمرة واجبة مثل الحج؟

ج: هي مثله بلا فرق بين المكي وغيره، ويروى عن الإمام عدم وجوبها على المكي، قال: يروى عن ابن عباس أنه قال: «يا أهل مكة، ليس عليكم عمرة؛ إنما عمرتكم الطواف بالبيت»(١). وسيأتي بيان أحكام الحج والعمرة في القسم الثاني في ربع العبادات.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٨٨)، الطبعة الهندية.

المطلب الثاني
[في الإيمان الذي هو الركن الثاني من أركان الدِّين]

وفيه: الإيمان بالله وملائكته وكتبه. وفيه: عشرة أسئلة:

س١: ما الإيمان؟

ج: هو: تصديق القلب بكل ما جاء به نبينا محمد ﷺ، مما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه(١).

س٢: كم أركان الإيمان؟

ج: ستة؛ أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى.

س٣: قد اشتهر عن السلف: أن الإيمان قول وعمل ونية، وأنه يزيد وينقص على حسب الأعمال، فكيف أخرجتها عن مسمى الإيمان وقصرته على التصديق، وجعلت أركانه هذه الستة؟

---

(١) قال القاضي أبو يعلى: «وأما حده في الشرك - أي: الإيمان - فهو: جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، فالباطنة: أي: أعمال القلوب وهو تصديق القلب، والظاهرة: هي أفعال البدن والواجبات والمندوبات، ونص أحمد على هذا في مواضع».
انظر: القاضي أبو يعلى وكتاب مسائل الإيمان، ص (١٥٢)، حققه وعلق عليه الدكتور/ سعود الخلف.
وتصديق القلب هو: قوله لا عمله، كما حرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.
وقد نقل الإجماع على هذا ابن عبد البر في التمهيد (٩/ ٢٣٨)، فقال: «أجمع أهل الفقه والحديث على: أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانًا».

ج: نعم اشتهر عن السلف ما ذكر هو اعتقادنا، ولكن إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر، فلا فرق بينهما، فيصدق كل واحد منهما على ما صدق عليه الآخر، وإذا اجتمعا فرقنا بينهما، كما جاء في الحديث الذي سأل فيه جبريل النبي ﷺ فأجابه؛ تعليمًا للناس. وقد اقتفينا أثره[١].

س٤: ما معنى الإيمان بالله الذي هو الركن الأول من أركان الإيمان؟

ج: اعتقاد ربوبيته وألوهيته وحده[٢].

قال في الواسطية: «ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصف به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكليف ولا تمثيل»[٣].

وقد تقدم تفصيل ذلك في الباب الأول ومطالبه[٤].

س٥: فما معنى الإيمان بملائكته؟ ومن هم؟ وهو الركن الثاني من أركان الإيمان؟

ج: اعتقاد وجودهم، وأنهم عباد مكرمون، منزهون عن الصفات البشرية، معصومون من المعاصي، مخلوقون من النور كما في الصحيح[٥]، ولا يحصى عددهم إلا الله.

---

(١) تقدم تخريجه في أول الكتاب (ص٣٧).

(٢) وأسمائه وصفاته.

(٣) العقيدة الواسطية ص (٤٧)، بشرح ابن عثيمين، طبع بدار: البصيرة.

(٤) انظر: (ص٣٩) وما بعدها.

(٥) في صحيح مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: في أحاديث وتفرقه، ح (٢٩٩٦)، (٤/ ٢٢٩٤). من حديث: عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

س٦: هل يكفي الإيمان بهم إجمالاً؟

ج: نعم يكفي من غير تفصيل، إلا من ورد بعينه باسمه المخصوص؛ جبريل وإسرافيل وعزرائيل[١]، ومنكر ونكير، ورضوان ومالك ورقيب وعتيد، فيجب الإيمان بهم تفصيلاً.

وكذا من ورد تعيين نوعه المخصوص؛ كحملة العرش، والحفظة، والكتبة، فهم علويون مقربون، وآخرون موكلون على كتابة الأعمال، وحفظ العبد عن المهالك، والدعوة إلى الخيرات، ويلمون للعبد بالخير كما تلم الشياطين له بالشر، لكل واحد منهم مقام معلوم.

س٧: الملائكة عالم لا يرى، فهل يوجد نظير هذا؟

ج: لله عوالم كثيرة لا ترى.

فمنها: أجسام حية تطير في الجو لا ترى إلا بالنظارة[٢]، ومنها: عالم الجن.

وهم جنس مكلفون، يثاب مسلمهم، ويعذب كافرهم، كما قال الله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٣].

---

(١) لم يرد اسم عزرائيل في حديث صحيح، وإن كان قد ورد في بعض الإسرائيليات، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

(٢) أي: كائنات دقيقة، لا ترى إلا بالمجاهر والمناظير المكبرة؛ كالميكروبات والجراثيم ونحوها، وبعضها لا يرى.

(٣) سورة هود، الآية: (١١٩).

ومنهم: الشياطين، يوسوسون للآدميين، ويقصدون استنزالهم[١]، ويترصدون لهم، وأن الله يسلطهم على من يشاء، ويعصم[٢] من كيدهم ومكرهم من يشاء، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[٣]. فله سبحانه وتعالى عوالم غيبية؛ كالملائكة في عدم رؤيتها، لكونها أجسامًا لطيفة، وربما ظهر بعض الملائكة للرسول في صورة إنسان؛ كما كان ﷺ يرى جبريل في صورة دحية الكلبي[٤]، وكما قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٥].

س٨: هل الملائكة أفضل من البشر؟

ج: مذهب أهل السنة أن صالح البشر أفضل من الملائكة، وقال بعضهم: النوع الإنساني أفضل منهم؛ لخروجه عن جبلته تبعًا للتكاليف[٦].

---

(١) كذا في الأصل والمخطوط. ولعلها: «استزلالهم».

(٢) في هامش الأصل: قوله: «ويعصم من كيدهم». نقل ابن القيم عن بقراط في بعض كتبه، قوله في معالجة الصرع: هذا ما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح فلا ينفع فيه هذا العلاج. وذكر أن أئمة الأطباء وعقلائهم يعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية، لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدفع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها. أهـ. قلت: انظر: زاد المعاد (٤/ ٦٧).

(٣) سورة المدثر، الآية: (٣١).

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٠٧)، بسند صحيح من حديث: ابن عمر، وذكره الحافظ في الإصابة (٣/ ١٩١)، عن النسائي وصحح إسناده. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٨)، عن أم سلمة، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: عفير ابن معدان، ضعيف».

انظر ترجمة الصحابي دحية في: الإصابة (٣/ ١٩١)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٠).

(٥) سورة مريم، الآية: (١٧).

(٦) انظر: شرح الطحاوية، ص (٣٣٨). قال ابن تيمية: «الملائكة أفضل في الحال، وصالحو =

وقال بعضهم: ليس في التفضيل كبير فائدة؛ لاختلاف نسبة الفضيلة في الجهة[١].

س٩: ما معنى الإيمان بكتبه الذي هو الركن الثالث من أركان الإيمان؟

ج: الاعتراف بأن لله كتبًا أنزلها على رسله، وهي من كلامه حقيقة، وهي كثيرة، اختلفت الروايات في عددها، فيكفي الإيمان بها إجمالاً إلا الكتب الأربعة؛ التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان. فيجب الإيمان بها وبنزول كل واحد منها من الله، لا اعتقاد أنها موجودة كما أنزلت، إلا القرآن، فإنه المخصوص بمزية حفظه من التبديل والتحريف؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾[٢] الآية. وقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٣]. وقد أيده الواقع، كما خص بالإعجاز من وجوه شتى.

س١٠: هل يجوز النظر في تلك الكتب السماوية؟

ج: لا يجوز؛ لأنه ﷺ غضب حين رأى مع عمر صحيفة من التوراة، وقال: «**أفي شك أنت يابن الخطاب؟!**» الحديث[٤].

= البشر أفضل في المآل». مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٣) وما بعدها، و(١٠/ ٣٠٠).

(١) ولذلك قال شارح الطحاوية ص (٣٣٨- ٣٤٨): «هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول».

(٢) سورة فصلت، الآية: (٤٢).

(٣) سورة فصلت، الآية: (٩).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧)، والدارمي (١/ ١١٥)، وابن عبد البر في: جامع بيان العلم وفضله، (٢/ ٤٢). من حديث: جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

قال الحافظ في الفتح (١٣ / ٢٨٤): «رواه أحمد وابن شيبة والبزار، ورجاله موثقون، =

أما من أراد الدخول في رد الشبهات، فيجوز له النظر فيها للضرورة إذا كان أهلاً لذلك.

❁ ❁ ❁

= إلا أن في مجالد ضعفًا». وحسنه الشيخ الألباني بشواهده في إرواء الغليل، ح (١٥٨٩) (٦/ ٣٤).

المطلب الثالث
[في الإيمان بالرسل]

وفيه: ثلاثة عشر سؤالاً:

س١: ما معنى الإيمان برسله، وما الحكمة في إرسالهم؟ وهو الركن الرابع من أركان الإيمان.

ج: اعتقاد أن لله رسلاً أرسلهم لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم. اقتضت حكمة الحكيم العادل، أن لا يهمل أشرف مخلوقاته بدون شريعة، يتم بها نظام أمورهم دينًا ودنيا، فبعث إليهم الرسل بالقانون المقدس، المبني على العدل والانصاف، وبيان ما يحتاجونه، إلى آخر ما اقتضت الحكمة بيانه.

كما عمت عنايته لجميع خلقه، من أنواع الحيوانات أعطاها ما يليق بها، وهداها إلى ما فيه [بقاؤها][1] وقوامها، وقد أشار في القرآن إلى الحكمة المذكورة بقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾[2].

س٢: هل ميَّزهم سبحانه وتعالى بخصوصية فيهم؟

ج: ميّزهم بخصوصية فيهم كما قال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[3]، فانتخبهم الله من خلاصة خلقه وقدّسهم؛ ليكونوا واسطة

---

(١) في الأصل: «ابقائها».
(٢) سورة النساء، الآية: (١٦٥).
(٣) سورة الأنعام، الآية: (١٢٤).

بين جنابه الأقدس وبين بني جنسهم، فتكون لهم مناسبة ذات وجهين، فليست النبوة مكتسبة.

س٣: هل جعل الله علامات على صدقهم؛ كالعلامة التي تدل على رسالة رسول المَلِك إلى رعيته؟

ج: نعم جعل المعجزة[1] علامة على صدقهم في دعوى الرسالة، فهي في منزلة قوله تعالى: «صدق عبدي فيما يدعى». مع انضمام المعجزة إلى أحوالهم الجليلة وصفاتهم الجميلة، من سلامة فطرتهم، وكمال أخلاقهم[2].

س٤: ما هي المعجزة؟ وما الفرق بينها وبين الكرامة؟

ج: المعجزة هي: أمر خارق للعادة على يد داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة على وجه التحدي، وهو طلبها منه علامة على صدق دعواه الرسالة، ولإقناع المنكرين وإعجازهم.

والكرامة: أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة والتحدي، بل يقع عفوًا من الله؛ إكرامًا للرجل الصالح، من غير علم منه، فلا يقطع هو بكرامته لنفسه ولا يدعيها، ولا يعلم من ظهرت منه أو غيره، أنه ولي الله تعالى غالبًا، ولا تدل على ولايته؛ لجواز سلبها أو كونها استدراجًا، وقد قال ابن كثير في تفسيره: «لا يقطع لأحد أنه ولي الله؛ لأن ذلك من

(١) ليست المعجزة وحدها هي الدليل على صدق الرسول، كما يقرر المتكلمون. إنما يجعل الله للرسل من الآيات والبراهين الكثيرة والمختلفة على أيديهم، ما على مثله يؤمن البشر ومنها المعجزة.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٨٨، ١٨٩)، وشرح الطحاوية ص (١٥٨).

الغيب الذي لا يعلمه إلا الله»(١).

س٥: ما الفرق بين النبي والرسول؟

ج: النبي إنسان أوحي إليه بشرع ليعمل به في خاصة نفسه، ولم يؤمر بتبليغه إلا كونه نبيًا ليحترم.

والرسول: إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه. فكل رسول نبي ولا عكس(٢).

س٦: هل يجب الإيمان تفصيلا بكل نبي ورسول؛ بحفظ بيان عددهم؟

ج: يكفي الإيمان بأن لله أنبياء ورسلاً هكذا بالإجمال، ولا يجب حفظ أسماء من جاء النّص بذكرهم، ولكن إنكار نبوة أو رسالة واحد منهم كفر،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٣٢-٢٣٣) بنحوه. وانظر: النبوات لابن تيمية ص (٤، ٢٠٦، ٢٣٣). وذلك فيما عدا الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم. فهم أولياء الله قطعًا.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص (١٦٧)، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٤٩)، وهذا هو الشائع بين العلماء، ولكن فيه نظر؛ لأن الله تعالى نص على أنه أرسل الأنبياء، كما أرسل الرسل، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢].

الأمر الثاني: إن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم وإنما ليبلغ، وقد أمر العلماء بالتبليغ فما بالك بالأنبياء؟! قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

ولعل الفرق المختار: أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو: المبعوث لتقرير شرع من قبله. والله أعلم.

انظر: النبوات لابن تيمية، ص (١٨٤)، وتفسير الألوسي (١٧/ ١٥٧)، والرسل والرسالات للأشقر، ص (١٤).

ولا يعلم عدد الأنبياء بيقين(١)، وأما عدد الرسل المذكورين في القرآن فخمسة وعشرون: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، والياس، واليسع، ويونس، ويحيى، وعيسى، و محمد ﷺ.

س٨: من هم أولو العزم منهم؟

ج: خمسة: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام.

س٩: ماذا يجب لهم من الصفات عليهم الصلاة والسلام؟

ج: يجب لهم [أربع](٢) صفات: الصدق والأمانة، والتبليغ لما أمروا به، والفطانة(٣).

---

(١) قد أخبرنا رسول الله ﷺ بعدد الأنبياء والمرسلين؛ فعن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيرًا». وفي رواية أبي أمامة، قال أبو ذر: قلت: يارسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر. جمًّا غفيرًا». رواه أحمد في المسند (٥/ ١٧٨، ١٧٩، ٢٦٦)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢١٧)، وصححه الألباني في المشكاة (٣/ ١٢٢).

كما أخرجه ابن حبان (٢/ ٧٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٧)، والبيهقي في السنن (٩/ ٤) بإسناد ضعيف جدًا.

(٢) في الأصل: «أربعة».

(٣) في الأصل: «النظافة».

س١٠: ماذا يستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام؟[١].

ج: يستحيل عليهم أضداد الصفات الواجبة لهم؛ وهي: الكذب، والخيانة، والكتمان، والغفلة، والبلادة.

وبالإجمال: يجب اتصافهم بصفات الكمال والعصمة، والنزاهة عن كل ما ينفرد طبعًا، أو يعد عيبًا عند الناس؛ لأن ذلك ينافي حكمة البعثة التي أشرنا إليها سابقًا.

س١١: ماذا يجوز في حقهم صلوات الله وسلامه عليهم؟

ج: يجوز في حقهم وقوع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية؛ كالأكل، والشرب، والجماع، والمرض غير المنفر، وكالتجارة والاحتراف بحرفة ليست دنيئة.

س١٢: هل يجب اعتقاد العصمة لهم من الذنوب، وكيف تكون؟

ج: نعم يجب اعتقاد عصمتهم من الكفر والكبائر، والإصرار على الصغائر[٢]، يعصمهم الله سبحانه بوجوه ثلاثة، كما أفاده بعضهم:

أحدهما: أن يخلقهم في سلامة من الفطرة، وغاية اعتدال الأخلاق، فلا تكون لهم رغبة في المعاصي، بل ينفرون عنها.

---

(١) انظر: ما يجب وما يستحيل في حقهم صلوات الله وسلامه عليهم؛ لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٠٣- ٣١٠).

(٢) قد يقع منهم بعض الذنوب، ولكنهم لا يقرّون عليها فيتوبون إلى الله ويقلعون عنها، وتحدث لهم عقيبها عبودية التوبة والإنابة التي لا تكون إلا بعد الوقوع في الذنب.

والثاني: أن يوحي إليهم: أن المعاصي يعاقب عليها، والطاعات يثاب عليها، فيكون ذلك رادعًا لهم عنها.

الثالث: أن يحول الله تعالى بينهم وبين المعاصي؛ بأحداث لطيفة غيبية، كما وقع في قصة يوسف عليه السلام، ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾[(١)]. ولا عصمة لغير الأنبياء. وهي واجبة لهم في تبليغ ما أمروا به عن ربهم.

س١٣: هل يبلغ الولي درجة النبي؟ ومن هو الولي؟ وقد نقلت فيما سبق عن ابن كثير بأنه: «لا يقطع لأحد أنه ولي الله». وقد جاء ذكر الأولياء في القرآن كثيرًا وكذا في السنة؟

ج: أجمعوا على: أن الولي لا يبلغ درجة النبي، ولا عبرة بمن شذ[(٢)].

وأفضل أولياء الله هم: أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلون أولو العزم، وأفضلهم نبينا ﷺ.

وأولياؤه تعالى بينهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[(٣)]. فعلامتهم التقوى بمتابعة السنة، وهم في جميع أصناف الأمة المحمدية، من تجار وصناع وزراع وغيرهم، فنحسن الظن بمن كانت هذه صفته، ولا نقطع

---

(١) سورة يوسف، الآية: (٢٤).

(٢) مثل: دعوى بعض غلاة الصوفية، أن مقام الولي فوق مقام النبي. وفي هذا يقول قائلهم:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٧١) و(١١/ ٢٢٦)، وشرح الطحاوية ص (٥٥٥- ٥٥٨).

(٣) سورة يونس، آية: (٦٣).

له بالولاية، كما لانقطع له بالجنة[1]، فلا يقطع أهل السنة لأحد بها إلا لمن بشره ﷺ بها؛ لأن ذلك مغيب عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان، ولا يدري أحد بما يختم له، ولكن يشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة.

❁ ❁ ❁

(١) وكما لا يقطع لأحد من المسلمين بالنار، وإنما نرجو للمحسن ونخشى على المسيء.

المطلب الرابع
[في الإيمان باليوم الآخر، وما يتعلق به من أحوال البرزخ]

وفيه: أربعة عشر سؤالاً:

س١: ما معنى الإيمان باليوم الآخر الذي هو الخامس من أركان الإيمان؟

ج: اعتقاد وجوده، من الموت إلى آخر ما يقع يوم القيامة، بجميع ما اشتمل عليه من سؤال الملكين، ونعيم القبر وعذابه، والجزاء، والبعث، والنشر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، ودخول المؤمنين الجنة، والكافرين النار، ورؤية الله للمؤمنين.

وفي حديث جبريل، برواية البيهقي[1] بلفظ: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالجنة والنار والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره**». قال: فإذا فعلت هذا فأنا مؤمن؟ قال: «**نعم**». قال: صدقت.

س٢: ما هو سؤال الملكين؟ ونعيم القبر وعذابه؟

ج: الملكان: منكر ونكير يسألان الميت في قبره، من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ وقد يكون أكثر.

فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد ﷺ.

(١) شعب الإيمان، ح (١٩ (١/ ٥٣). بنحوه.
وورد بهذا اللفظ عند ابن حبان، ح (١٧٣) (١/ ٣٩٧)، وبنحوه عند أحمد في المسند، (١/ ٣١٩). وأصل الحديث في الصحيحين، كما تقدم تخريجه في أول الكتاب.

وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فيه فقلته، فيعذب[(١)].

وهذه فتنة القبر التي استعاذ منها ﷺ ومن عذابه، وأمر بالاستعاذة منها، كما روى البيهقي عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ، كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «قولوا: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[(٢)]. وفي رواية له عن أبي هريرة: «إذا فرغ أحدكم من صلاته فليدع بأربع، ثم ليدع بما شاء»[(٣)]. وقد استحبه فقهاؤنا في آخر التشهد الأخير.

فيؤمن أهل الدِّين جميعهم: بأن سؤال الملكين في القبر حق، وأن عذابه ونعيمه حق.

س٣: كيف يسأل الميت؟ أو كيف يعذب أو ينعم ونحن نراه لا يتحرك؟

ج: يصير الميت من حين موته إلى عالم آخر، فيه مستقر الأرواح، ويسمى: بالبرزخ؛ لأنه ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[(٤)]. وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة.

---

(١) كما في حديث: البراء بن عازب المشهور، رواه أبو داود في كتاب السنة، باب: في المسألة وعذاب القبر، ح (٤٧٥٣) (٤/ ٢٣٩)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٢٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب: المساجد، ح (٥٩٠) (١/ ٤١٣). من حديث: ابن عباس.

(٣) رواه مسلم في كتاب: المساجد، ح (٥٨٨) (١/ ٤١٢). وروى نحوه في البخاري، كتاب: الجنائز، ح (١٣٧٧) (فتح ١/ ٢٤١).

(٤) سورة المؤمنون، الآية (١٠٠).

ومنه: عذاب القبر ونعيمه، وهما على الأرواح، والأبدان تبع لها(١).

وكيفية السؤال كما وردت، فحال الميت كحال النائم، وكل ما يقع عليه ليس من جنس المعهود في الدنيا، اقتضت حكمة الباري ستر ما يجرى في البرزخ؛ لسعادة من يؤمن بالغيب، وشقاوة من يكفر به، فلا مجال للعقل فيه، مع أنه لا يستحيل في العقل سائر المغيبات، وكيف يستحيل ذلك وقد وجد نظيره في الدنيا؛ وهو النوم.

س٤: هل حكم البرزخ شامل لكل أحد حتى الأنبياء، مع أننا نعتقد حياتهم؟

ج: حكم البرزخ شامل لكل من فارق الدنيا على اختلاف مقاماتهم وأحوالهم. وحياة الأنبياء برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى، وهي في التمثيل أشبه بحال الملائكة، وإلا فمن يعلم تلك العندية التي أخبر عنها تعالى بقوله: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٢).

وحياة الأنبياء أعلى درجة من الشهداء، ولحومهم محرمة على الأرض، كما قال ﷺ: «**إن لحوم الأنبياء محرمة على الأرض**»(٣). وقال: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض**». كما رواه مسلم(٤).

---

(١) انظر: الروح لابن القيم، ص (٦٣، ٧٣)، وشرح الطحاوية، ص (٤٥١).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٦٩).

(٣) رواه أبو داود، ح (١٠٤٧) (١٥٣١)، والنسائي ح (١٣٧٤)، وابن ماجه ح (١٠٨٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٨)، وغيرهم، من حديث: أوس بن أوس، بلفظ: «**إن الله ـ عز وجل ـ حرم على الأرض أجساد الأنبياء**».

(٤) في كتاب: الفضائل، ح (٢٢٧٨) (٤/ ١٧٨٢)، بلفظ: «**أول من ينشق عنه القبر**».

س٥: ما البعث والنشر؟

ج: هما مترادفان بمعنى: إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها.

فيؤمن أهل الدِّين بأن البعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل ـ عليه السلام ـ في الصور، ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾(١).

وقد جاء في القرآن والسنة أمثال كثيرة لأثبات البعث؛ ردًا على الدهريين، فهو من الممكنات، وكذا ما بعده من الحشر والحساب، وغيرهما من أحوال يوم القيامة.

س٦: ما الحشر والحساب؟

ج: الحشر: سوق الناس جميعًا إلى الموقف بعد البعث، بأبدانهم وأرواحهم، حفاة عراة ركبانًا ومشاة على وجوههم، فيقفون في موقف القيامة، حتى يشفع فيهم نبيهم ﷺ، فيحاسبهم الله ـ تبارك وتعالى ـ وتنصب الموازين، وتنشر الدووابن، وتتطاير صحف الأعمال إلى اليمين، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾(٢).

س٧: ما هو الميزان؟

ج: قال علماؤنا كغيرهم: «نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق». قالوا: «وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال»(٣).

---

(١) سورة يس، الآية: (٥١).

(٢) سورة الأنشقاق، الآية: (٧- ١٢).

(٣) شرح الطحاوية (٤٧٢ ــ ٤٧٥).

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «توزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة»(١).

قال العلامة الشيخ مرعى في بهجته: «الصحيح أن المراد بالميزان: الميزان الحقيقي. كذا في شرح عقيدة السفاريني»(٢).

ومن المقرر: أن أحوال البرزخ والآخرة لا تقاس على ما في الدنيا، وإن اتفقت الأسماء، فنؤمن به كما ورد، قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾(٣).

س٨: ما الحكمة في الوزن مع أن الله عالم بكل شيء؟

ج: قال الشيخ مرعى: «الحكمة فيه إظهار العدل، وبيان الفضل، حيث أنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر»(٤).

س٩: ما هو الصراط؟

ج: هو: جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون، يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار، وقد أطال العلماء في وصفه، كما ورد في الآثار، فنؤمن به كما ورد(٥).

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٥٦٣). قال السيوطي - في تدريب الراوى (١/ ١٨١) عن إسناده -: «من أوهى الأسانيد عن ابن عباس».

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٨٨).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: (١٠٢، ١٠٣).

(٤) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٨٨).

(٥) انظر: شرح الطحاوية ص (٤٦٩ - ٤٧٢).

س١٠: ما الحوض؟

ج: هو: حوض النبي ﷺ، الكوثر، ترده أمته المرحومة، كما صح عنه: **«أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا»**(١).

واختلف في كونه قبل الصراط أو بعده، و جمع بعضهم بين القولين: باحتمال أن يقع الشرب قبل الصراط لقوم، وتأخيره بعده لآخرين(٢)؛ بحسب ما عليهم من الذنوب والأوزار، حتى يهذبوا منها على الصراط، فهو ثابت بإجماع أهل الحق(٣).

س١١: ما الشفاعة؟

ج: هي: شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف كلهم شفاعة عامة، وللمذنبين من أهل التوحيد وأهل الكبائر(٤) خاصة. فيخرجون بشفاعته بعد ما احترقوا

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الرقائق، باب: في الحوض ح (٦٢٠٨) (٥/ ٢٤٠٥)، ومسلم في الفضائل، باب: إثبات حوض نبينًا ﷺ، ح (٢٣٠٠) (٤/ ١٧٩٨).

(٢) وذهب بعضهم: إلى أن للنبي ﷺ حوضين. انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، ص(٢٩٧)، دار: إحياء الكتب العربية.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨/ ٥٢٣): «قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث».

وقال السيوطي: «ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيًا، منهم: الخلفاء الراشدون». انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٩٤).

(٤) كما قال ﷺ: **«لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة - إن شاء الله - من مات أمتي لا يشرك بالله شيئًا»**.

رواه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: لكل نبي دعوة، ح (٥٩٤٥) (٥/ ٢٣)، ومسلم في الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة، ح (١٩٩) (١/ ١٨٩).

وصاروا حممًا، فيدخلون الجنة بشفاعته ﷺ.

وهو أول شافع ومشفع، فلسائر الأنبياء والملائكة والمؤمنين شفاعات، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾(1). ولا تنفع الكافرين شفاعة الشافعين.

س١٢: أين الجنة والنار وما هما؟

ج: لم يصرح نص بتعيين مكانهما(2)، بل حيث شاء الله تعالى، وهما مخلوقان لا يفنيان(3).

فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون، والمجرمون ﴿فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾(4).

«ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود ولا موت. ويا أهل النار، خلود ولا موت»(5).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٢٨).

(٢) انظر: حادى الأرواح ص (٤٦-٤٧)، ولوامع الأنوار (٢/ ٢٣٧-٢٣٩).
وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الجنة فوق السماء السابعة؛ استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣-١٥].

(٣) في الأصل: «ينفيان».

(٤) سورة الزخرف، الآية: (٧٤-٧٥).

(٥) جزء من حديث، رواه البخاري في التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾، ح (٤٤٥٣) (٤٤/ ١٧٦٠)، ومسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون، ح (٢٨٤٩) (٤/ ٢١٨).

س١٣: كيف تكون رؤية الله للمؤمنين؟

ج: رؤيته تعالى بلا كيف ولا تحديد[١] في الرؤية والمرئي والرائي في حال بصره، فأحوال الآخرة لا تقاس على ما في الدنيا، وهو سبحانه ليس كمثله شيء، فنؤمن بما أخبر به هو ونبيه ﷺ من رؤيته تعالى، كما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢]. وقال ﷺ: «إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»[٣]. والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي[٤].

س١٤: ماذا تعتقد في أشراط الساعة؟ أي علامات قرب يوم القيامة؟

ج: كل ما صح النقل فيه فيما شاهدناه أو غاب عنا نعتقده، ونعلم أنه صدق وحق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، ومن ذلك أشراط الساعة؛ مثل: ١ـ خروج الدجال، ٢ ـ ونزول عيسى ابن مريم فيقتله، ٣ ـ وخروج يأجوج ومأجوج، ٤ ـ وطلوع الشمس من مغربها، ٥ ـ وخروج الدابة وما أشبه ذلك[٥] كما قاله الموفق

---

(١) شرح الطحاوية ص (٢١٤). وقوله: «بغير إحاطة ولا كيفية»، هذا لكمال عظمته وبهائه.

(٢) سورة القيامة، الآية: (٢٢، ٢٣)

(٣) رواه البخاري في كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، ح(٥٢٩) (١/ ٢٠٣)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ح(١٨٢) (١/ ١٦٤).

(٤) ينظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني، ص (٢٦٤) تحقيق: ناصر الجديع.

(٥) عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، أنه قال: طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذكر الساعة، فقال: «ما تذاكرون؟»، قالوا: نذكر الساعة، فقال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات».
فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف =

ابن قدامة(١).

وعَـدَّ السفاريني أشراط الساعة الكبرى عشرة، منها: هذه الخمسة، والخمسة الباقية: ١ ـ خروج المهدي، ٢ ـ هدم الحبشة الكعبة، ٣ ـ رفع القرآن من الصدور، ٤ ـ خروج الدخان، ٥ ـ خروج النار من عدن. وأطال الكلام عليها في شرحه على الدرة(٢).

❁ ❁ ❁

= بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.
رواه مسلم في كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح (٢٩٠١) (٤/ ٢٢٥).

(١) انظر: لمعة الاعتقاد ص (٢٥-٢٦).

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٧٠- ١٤٩).

المطلب الخامس
[في الإيمـــان]

س١: ما معنى الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، وهو الركن السادس من أركان الإيمان؟

ج: اعتقاد أنه ـ تعالى ـ قدر الخير والشر قبل الخلق، من طاعة وعصيان، ومحبوب ومكروه، وأنه خلق أفعالهم جميعها؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[(١)]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[(٢)]. فهي واقعة بإرادته وتقديره وعلمه وقدرته، قال الإمام أحمد: «من أنكر القدر فقد أنكر القدرة»[(٣)]، وقال الإمام الشافعي: «القدرية إذا سلموا العلم خصموا»[(٤)].

س٢: هل يلزم من كون الله خالقًا لجميع أفعال خلقه أن يكونوا مجبورين، وغير مجدِّين للسعي في طلب الخير ودفع الشر، وغير مستحقين للثواب والعقاب؟

ج: لا يلزم ذلك؛ فإن الله تعالى وهب للإنسان مدارك وقوى، وبين له طرق الخير والشر، أمره بالسعي في طلب الأول، وتجنب الثاني، وجعل العقل قائده، فهو يسعى في مصالحه بإرادته واختياره وقدرته وعقله، فيكسب ما أراده واختاره، والله يجازيه على سعيه وكسبه، وإن كانت قدرته

---

(١) سورة الصافات، الآية: (٩٦).

(٢) سورة القمر، الآية: (٤٩).

(٣) ذكره شيخ الإسلام في: منهاج السنة (٣/ ٢٥٤). وانظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٣).

(٤) ذكره عنه شارح الطحاوية، ص (٣٠٢)، والحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٣٤٧).

تحيط بجميع الكائنات وهي مرجعها، فإذا حالت بين الإنسان وفعله، استمد المعونة من خالقه واستعان به ولم ييأس، ولا يزال يسعى بجد واجتهاد وراء الخير كما أمر به، ويكافح الشر، ويخوض غمار الموت، معتقدًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولو اجتهد الخلق أن ينفعوا بما لم يقضه الله عليه لم يقدروا، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾(١).

ولا يخفي على العاقل أن هذه العقيدة تورث قوة وشجاعة وكياسة، وبها ساد المسلمون في الصدر الأول.

س٣: هل يضاف الشر إلى الله، أو ما يتوهم من إضافته نقص؟

ج: لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الإنفراد، بأن يقال: ياخالق القردة والخنازير، أو يا خالق الشر، ويا مقدِّر الشر، وإن كان هو الخالق لجميع الموجودات، والمقدر للشر(٢)، قال ﷺ: «الخير في يديك، والشر

---

(١) سورة يونس، الآية: (١٠٧).

(٢) ولذلك جاءت إضافة الشر في القرآن على أربعة أنواع:

أ- أن يدخل الشر في العموم، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

ب- أن يضاف إلى السبب كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق].

ج- أن يذكر بحذف فاعله، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

ليس إليك»(١). قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾(٢)، فأضاف المرض إلى نفسه، والشفاء إلى ربه، وإن كان الجميع منه.

وقال الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾(٣)، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ الآية(٤).

س٤: هل يجوز الاحتجاج بالقدر في ارتكاب المناهي وترك الأوامر؟

ج: لا يجوز؛ فقد نهي عنه ﷺ، وصار الاعتذار به معدودًا من الحماقة عند الناس، ولا يرضى به إنسان في أحواله الخصوصية، لما هو راسخ في الطبيعة من اعتقاد الكسب، وترتيب الجزاء عليه دينًا ودنيًا، كما تقدم بيانه.

ولله الحجة البالغة على عباده، بإنزال الكتب وبعث الرسل، قال تعالى:

= د- أن يضاف إلى من وقع عليه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

قاعدة: قال ابن القيم ـ في بدائع الفوائد (٢/ ١٢) ـ: «الطريقة المعهودة في القرآن؛ وهي: أن أفعال الإحسان والرحمة والجود، تضاف إلى الله سبحانه وتعالى، فيذكر فاعلها. وأفعال العدل والجزاء والعقوبة يحذف فاعلها، ويبنى الفعل معها للمفعول؛ أدبًا في الخطاب».

وانظر: النووي في المنثورات، ص (١٧٠).

(١) رواه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل، ح: (٧٧١) (١/ ٥٣٥).

(٢) سورة الشعراء، الآية: (٨٠).

(٣) سورة الكهف، الآية: (٧٩).

(٤) سورة الكهف، الآية: (٨٢).

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(١). وهو تعالى لم يجبر أحدًا على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، ولم يأمر ولم ينه إلا بما يستطاع من الفعل والترك، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ﴾(٢). وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾(٤). فدل على أن للعبد كسبًا يجزى على حسنه بالثواب، وعلى سئيه بالعقاب، وهو راض بقضاء الله وقدره.

قال بعضهم: «وبالضرورة إن لقدرة العبد وإرادته مدخلاً في بعض الأفعال؛ كحركة البطش، دون البعض كحركة الارتعاش».

س٥: هل يجب الرضا بالقضاء والتسليم للقدر؟ وما معنى ذلك؟

ج: معنى الرضا بالقضاء: هو أن لا يعترض على الحكم ولا يتسخطه، ولو أحس بالألم والمكاره.

وحكمه: الاستحباب في المصائب التي تصيب العبد، والوجوب في القضاء الديني الشرعي في الأمر والنهي؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ الآية(٥).

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٦٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٨٦).

(٣) سورة التغابن، الآية: (١٦).

(٤) سورة غافر، الآية: (١٧).

(٥) سورة النساء، الآية: (٦٥).

وعدم الجواز في القضاء بالكفر والمعاصي، فإن الله نهى عن الرضا به وإن قدره، فهو لم يأمر به. قال بعضهم: «القضاء الذي هو صفة الله فالرضى به واجب». ونظمه السفاريني بقوله:

وَلَيسَ وَاجِبٌ عَلَى العبد الرِّضَا ‏ ‏ ‏ ‏ بِكُلِ مُقْضَي. وَلَكِنْ بِالقَضَاءِ[1]

س٦: هل يجوز الاتكال على القدر بترك الأخذ في الأسباب؛ كترك السعي في طلب الرزق؟

ج: لا يجوز؛ فإن الله ربط الأسباب بالمسببات، وأمر بالسعي في طلبها، وتعاطي كل سبب لجلب نفع ودفع ضر، وأوجب العقوبة على ترك الأخذ في الأسباب، وكل من قوي إيمانه قوي تعلقه بها. ولم يهمل شيئًا منها مع الاعتماد على ربه[2]، كما جاء في الحديث: «**اعقل وتوكل**»[3].

وكل من تقاعس عن شيء من الأسباب اتهم بخلل في عقله، وترتب عليه الإثم والعقاب ولوم الناس عليه، وتبكيت الضمير لنفسه.

---

(١) لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٥٧).

(٢) لأنه كلما قوي إيمان العبد كثر تحقيقه للأسباب المنجية من عذاب الله والنافعة له في دنياه وأخراه، وازداد تعلق قلبه بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى، فيجتهد العبد في تحقيق عبودية القلب لله تعالى؛ بحسن التوكل عليه، وتحقيق عبودية الجوارح بإتعابها في العمل بالأسباب الأخروية.

(٣) رواه الترمذي في صفة يوم القيامة، باب: (٥٩)، ح (٢٥١٧) (٤/ ٦٦٨)، من حديث: أنس، وقال: «غريب». ورواه ابن حبان ح (٧٣١) (٢/ ٥٠٠)، من حديث: عمرو بن أمية. وحسن الألباني حديث أنس، كما في صحيح الجامع، ح: (١٠٦٨) (١/ ٢٤٢).

س٧: هل ينفع الدعاء، ويُعَدُّ من الأسباب؟

ج: جاء في حديث ثوبان: «**لا يُرَدُّ القدر إلا بالدعاء**»(١). وفي معناه عن عائشة(٢) وابن عمر، فهو نافع سيما مع الإلحاح فيه، ولكن لا يترك معه تعاطي الأسباب، فاليد تعمل، واللسان يدعو، والقلب يتوكل على ربه(٣).

س٨: هل يجوز الاستثناء في الإيمان بأن يقال: أنا مؤمن إن شاء الله، معلقًا بالمشيئة على وجه التبرك(٤) والجهل بالخاتمة؟

ج: مذهب أهل الحديث والحنابلة جوازه، والتلفظ به، واستحبه بعضهم(٥)، قال ابن عقيل: «لا على الشك(٦) في الحال بل في المآل، أو

---

(١) رواه الترمذي في كتاب: القدر، باب: ما جاء: لا يرد القدر إلا بالدعاء، ح: (٢١٣٩) (٤/ ٤٤٨)، وقال: «حسن غريب». وابن ماجه في القدر، ح: (٩٠) (١/ ٣٥)، وابن حبان ح: (١٧٢٢) (٣/ ١٥٣)، والحاكم في المستدرك ح: (١٨١٤) (١/ ٩٧٠). وحسنه الألباني في الصحيحة ح: (١٥٤).

(٢) بلفظ: قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينفع حذر من قدر، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء ليصادف البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٦): «رواه الطبراني في الأوسط، والبزار بنحوه. وفيه: زكريا بن منظور، وثّقه أحمد بن صالح المصري، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات».
وانظر: تحفة الذاكرين ص (٢٩). وعند البزار نحوه عن أبي هريرة، إلا أن فيه متروك.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١، ٢٢)، وشرح الطحاوية ص (٥٢١،٥٢٠).

(٤) لم أقف على من قال: إنه يستثنى على وجه التبرك!

(٥) قال شارح الطحاوية ص (٣٩٨): «وأما من يجوز الاستثناء وتركه، فهم أسعد بالدليل من الفريقين». يعني: الموجبين والمانعين حسب نيته.

(٦) سئل الإمام أحمد عن الاستثناء في الإيمان؟ فقال: «نعم، على غير معنى الشك؛ مخافة =

قبول بعض الأعمال، ولحوق التقصير، أو كراهية تزكية النفس». انتهى.

وذلك لأن الإيمان يزيد وينقص، فلا يجوز الاستثناء في الإسلام بأن يقول: أنا مسلم إن شاء الله، بل يجزم. وقيل: بالجواز[1]. والأولى سد هذا الباب والوقوف عند الوارد، كما هو دأب السلف.

❁ ❁ ❁

= واحتياطًا للعمل. وقد استثنى ابن مسعود وغيره». السنة للخلال (٣/ ٥٩٣). وانظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٥٠).

(١) انظر في تحرير المسألة وتفصيلها: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٥٦، ٤١٥).
وذكر ابن منده في الإيمان (١/ ٣١١) عن الإمام أحمد: «أقول: مؤمن إن شاء الله. وأقول: مسلم، ولا أستثني».

المطلب السادس
[في الوعد والوعيد]

وفيه: تعداد الكبائر، وفيه: خمسة أسئلة، وست وستون كبيرة:

س١: هل يستحق المؤمن المطيع ثوابًا على عمله، والمؤمن العاصي عقابًا على ذنبه؟

ج: يثيب الله المطيع بفضله، ويعذب العاصي بعدله، فلا تقطع لطائع بجنة ونجاة لشخص معين، ولا لعاص بنار، بل المؤمن بين الرجاء والخوف، والله المالك المطلق لا يسئل عما يفعل، فله العفو عن المذنب وإن لم يتب، وعن الكافر إذا أسلم، كما أن له إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم(١)، وله تعجيل الثواب والعقاب وتأخيرهما.

س٢: هل يتخلف وعد الله المؤمنين الجنة، ووعيده بتعذيب العصاة الموحدين؟

ج: وعد الله حق لا يتخلف شرعًا قطعًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ

---

(١) يعني: من حيث الحق، كما في الحديث: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضيه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم». ولكن الله لا يفعل تفضلاً منه وتكرمًا، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وقال سبحانه: ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠]. وقال سبحانه: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. فله سبحانه الحكمة البالغة، والحجة الباهرة.

وَعْدَهُۥ﴾(١)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾(٢).

أما وعيده للعصاة الموحدين: فيجوز تخلفه بالنسبة للكرم وعفو الكريم الذي يضرب به المثل عند العرب، ولا يلزم من ذلك الكذب في أقواله جل وعلا.

على أن نفوذ الوعيد صادق بواحد من كل صنف من طوائف العصاة الموحدين، على أن العفو يصدق بما بعد العذاب والتعذيب، وقد وعدهم به ونفاه عن غير الموحدين، في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٣).

س٣: من هم عصاة الموحدين، وما حكمهم، وما الواجب عليهم؟

ج: كل من ارتكب كبيرة، أو أصرَّ على صغيرة، سمي عاصيًا وفاسقًا.

وحكم العاصي كسائر المؤمنين، لا يخرج من الإسلام بمعصية، ولكن لا تقبل شهادته(٤)، ولا يصلى خلفه(٥) إلا الحاكم الجائر، فيصلى خلفه

---

(١) سورة الروم، الآية: (٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٩).

(٣) سورة النساء، الآية: (٤٨، ١١٦).

(٤) ليس على إطلاقه، وإنما فيه تفصيل؛ والله تعالى لم يأمر برد خبر فاسق، وإنما أمر بالتبين والتثبت، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦].
انظر تفصيل ذلك: كتاب الطرق الحكمية لابن القيم، ص(٢٥٦-٢٥٧)، طبع بمطبعة المدني، بالقاهرة.

(٥) وإن صلى خلفه لم تبطل صلاته، وصلاته في نفسه صحيحة، قال شيخ الإسلام في =

الجمعة والعيدين.

والواجب على العاصي: التوبة من المعصية. وأركانها ثلاثة: ١ـ الإقلاع عنها. ٢ـ والندم على فعلها. ٣ـ والعزم على أن لا يعود إليها أبدًا(١).

س٤: ما هي الكبيرة؟

ج: ما كان فيه حَدٌّ في الدنيا أو وعيد في الآخرة، زاد بعضهم: «أو جاء فيه وعيد ينفي الإيمان، أو لعن»(٢).

= مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٥٤): «ولكن كره من كره الصلاة خلفه؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب». وانظر: شرح الطحاوية ص (٤٢٢).

(١) ويزاد عليها رابع: وهو التحلل منها إن كانت مظلمة لشخص ما أمكنه ذلك.
وخامسها: الإخلاص لله تعالى؛ لأن الإنسان قد يتوب من أجل الدنيا.

(٢) روى ابن جرير في جامع البيان (٨/ ٢٤٦)، عن ابن عباس قال: (الكبائر: كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنه أو عذاب).

[مبحث: عدد الكبائر]

س٥: كم عدد الكبائر؟

ج: جمعها كثير من العلماء واختلفوا في تعدادها، فمنهم المكثر ومنهم المقل[(١)].

ألف فيها الشيخ ابن حجر المكي كتابه: «الزواجر»، وأجاد فيه وأوصلها إلى: أربعمائة وست وستين كبيرة.

وألف فيها الحافظ الذهبي إلى سبعين كبيرة[(٢)]. ونظمها صاحب: «الإقناع» فأوصلها إلى ست وستين كبيرة. وهي في هذا الجدول المقابل.

وقد ذكر ابن القيم في: «مدارج السالكين» فصلاً في أجناس ما يتاب منه، ولا يستحق العبد اسم التائب حتى يتخلص منها، وقال: «إنها اثنا عشر جنسًا، عليها مدار كل ما حرم الله، وإليها ينتهي العالم بأسرهم، إلا أتباع الرسل صلوات الله عليهم وسلامه»[(٣)].

وقد عَدَّ تلك الأجناس ـ أي: الأمهات الإثنا عشر ـ وشرحها؛ وهي هذه: ١ ـ الكفر، ٢ ـ الشرك، ٣ ـ النفاق، ٤ ـ الفسوق، ٥ ـ العصيان، ٦ ـ الإثم، ٧ ـ العدوان، ٨ ـ الفحشاء، ٩ ـ المنكر، ١٠ ـ البغي، ١١ ـ القول على الله بغير علم، ١٢ ـ اتباع غير سبيل المؤمنين.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٦٥٠ - ٦٥٧)، وشرح الطحاوية ص (٤١٦).

(٢) في كتابه: الكبائر. وقد طبع عدة طبعات.

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٣٥).

س٦١: ما هي الكبائر التي عدَّها صاحب: الإقناع، الشيخ/ موسى الحجاوي الحنبلي في منظومته؟

ج: هي: ست وستون كبيرة، وهذا بيانها:

١- الشرك الأكبر. ٢-قتل النفس

٣- أكل الربا. ٤- السحر.

٥- القذف. ٦ - أكل أموال اليتامى بالباطل.

٧- التولي يوم االزحف في الحرب. ٨- الزنا.

٩- اللواط. ١٠- شرب الخمر

١١- قطع الطريق.

١٢- سرقة مال الغير، وأكل ماله باطلاً بالقول والفعل واليد.

١٣- شهادة الزور. ١٤- عقوق الوالدين.

١٥- الغيبة. ١٦- النميمة.

١٧- اليمين الغموس. ١٨- ترك الصلاة.

١٩- صلاة المحدث تعمدًا. ٢٠- الصلاة بغير الوقت.

٢١- الصلاة إلى غير قبلة. ٢٢- الصلاة بلا قراءة.

٢٣- قنوط الفتى من رحمة الله. ٢٤- إساءة الظن بالله.

٢٥- الأمن من مكر الله. ٢٦- قطيعة الرحم.

٢٧- الكبر والخيلاء.

٢٨- الكذب لرمي الفتنة والافتراء عمدًا على النبي ﷺ.

٢٩- قيادة ديوث. ٣٠- نكاح المحلل.

٣١- هَجْر المؤمن العدل.

٣٢- ترك الحج مع الاستطاعة، وعدم العزم على فعله.

٣٣- منع الزكاة. ٣٤- مخالفة الحق.

٣٥- منع حكم الحاكم. ٣٦- إعطاء الرشوة.

٣٧- الفطر بلا عذر في رمضان ولو يومًا واحدًا.

٣٨- القول بلا علم في الدِّين. ٣٩- سب الصحابة رضوان الله عليهم.

٤٠- الإصرار على العصيان. ٤١- ترك التنزه من البول.

٤٢- إتيان الحائض في فرجها. ٤٣- نشوز المرأة على زوجها بلا عذر.

٤٤- إلحاق المرأة بالزوج من لا يلتحق به.

٤٥- كتمام العلم على المستهدي. ٤٦- تصوير صورة ما فيه روح.

٤٧- اتيان الكاهن. ٤٨- اتيان العراف وتصديقه في قوله.

٤٩- السجود لغير الله. ٥٠- الدعاية إلى بدعة أو ضلالة.

٥١- الغلو في الغنيمة. ٥٢- النياحة على الميت.

٥٣- التطير. ٥٤- استعمال أواني الذهب والفضة.

٥٥- جور الموصي في وصيته لحرمان وارث.

٥٦- إباق العبد. ٥٧- إتيان المرأة في دبرها.

٥٨- بيع الحُرِّ. ٥٩- استحلال البيت الحرام.

٦٠ - اكتساب الربا والشهادة عليه. ٦١- نفاق ذي الوجهين.

٦٢- غش الإمام للرعية. ٦٣- إتيان البهيمة بفعل الفاحشة.

٦٤- إساءة المالك إلى القن. ٦٥- ترك الجمعة.

٦٦- دعوى الانتساب إلى من ليس بأصله.

❁ ❁ ❁

المطلب السابع
[في الركن الثالث من أركان الدِّين: الإحسان]

ومنه: شعب الإيمان، وفيه: تسعة عشر سؤالاً، وتسع وتسعون شعبة:

س١: ما الإحسان؟

ج: هو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا جواب النبي ﷺ على سؤال جبريل عليه السلام[1]؛ ليعلم الناس كما في الإيمان والإسلام. فالإيمان مبدأ، والإسلام وسط، والإحسان كمال، و مجموعها الدِّين الخالص.

س٢: اشرح لي معنى الإحسان بأبسط من هذا؟

ج: الإحسان لفظ عام ومعناه ظاهر، وهو مطلوب من كل مؤمن بكل معانيه في كل شيء، يوجه الإنسان إليه قلبه بعمل الفكر أو الجوارح، فقد كتب الله الإحسان على كل شيء[2]، ونوه بمحبته للمحسنين؛ جزاء الإحسان بمثله وزيادة، فلا يعمل المؤمن عملاً إلا وهو محسن له بمراقبة الله فيه، ويلزمها[3] اتقان العمل وجودته.

س٣: كيف تقول: إنه عام، وقد خص ﷺ بالعبادة في بيانه كما تقدم؟

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٧).

(٢) كما في حديث: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**». رواه مسلم، ح (١٩٥٥) (٣/ ١٥٤٨).

(٣) كذا في الأصل والمخطوط. ولعلها: «ويلزمه».

ج: لم يخلق الله الإنسان إلا لعبادته وحده، بمعنى الخضوع والتذلل له، حبًا في كل حال، وإحسان العبادة الشرعية ـ أي: المطلوبة منه شرعًا ـ الإتيان بها على أكمل الوجوه وأتمها، ورأس إحسانها الإخلاص فيها، وهكذا يطلب منه كل عمل من حركة أو سكون بالإحسان فيه، من طريق الإخلاص ومراقبة الله فيه، وذلك بحسن النيات، فهي تجعل العادات عبادات، وقد علم النبي ﷺ سامع ذلك الحديث، الوصول إلى الإخلاص من طريقين.

س٤: ما هو الطريق الأول الموصل إلى الإخلاص؟

ج: أشار إليه بقوله ﷺ: **«أن تعبد الله كأنك تراه»**، وفي رواية: **«أن تخشى الله كأنك تراه»**[١]. أي: تقدر في نفسك على كل حال، كأنك حاضر بين يدي مولاك بمرأى منه ومسمع، فلا شك أن ذلك أدعى للإخلاص فيما تعمله، وفيما يصدر منك من حركة أو سكون، بحيث لا تترك شيئًا مما تقدر عليه من الخضوع والخشوع، وحسن السمت وحفظ القلب والجوارح، والاجتماع بظاهرك وباطنك، ولا تترك شيئًا من إتقان العمل وتحسينه، فتكون صادقًا في القول والفعل.

س٥: ما هو الطريق الثاني الموصل إلى الإخلاص؟

ج: أشار إليه بقوله ﷺ: **«فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**. أي: إذا لم تقدر على تصوير حضورك بين يدي ربك، فتقدر في نفسك مشاهدته لك، ولكل أحد من خلقه من حركة أو سكون، فهو القائم على كل نفس.

---

(١) هذه اللفظة في صحيح مسلم أيضًا، ح (١٠) (١/ ٤٠).

س٦: اذكر لي مثالاً يتضح به المعنى؟

ج: هذا معلوم بالمقايسة على عوائد الناس الجارية بينهم، فإنك ترى الباعث العظيم من إصلاح الزى الظاهري، بمراسم الأدب أمام الأمراء فمن دونهم، وكذا أمام الصالحين من احترامهم وحيائه منهم، وتحرك القلوب بذكر الله عند رؤية أهل العلم والعمل، ومن يبدو على أطرافهم معنى الخلوص والخشوع، كما جاء في وصفهم: «**الذين إذا رؤوا ذكر الله**»(١).

س٧: فماذا يترتب على الإخلاص والمراقبة؟

ج: من راقب الله لم يتعد حدوده، ولم يقدم على أمر حتى يعرف ما حكم الله فيه، واستحى منه تعالى في السرِّ حياءه من الناس في العلانية، ولم يعمل عملاً إلا على أحسن الوجوه وأتمها، ولو كان من أمور الدنيا؛ لأن الله ورسوله أمر بالإحسان، والنصح فيه، فصار ذلك العمل عبادة بمراقبة الله فيه.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي عن ابن عباس، كما في صحيح الجامع (٢/ ٣٥٦).

وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، قال: «**هم الذين يذكر الله لرؤيتهم**».

رواه أبو نعيم في أخبار أصفهان (١/ ٢٣١)، والواحدي والديلمي وابن مبارك في الزهد، رقم: (٢١٧). ذكر ذلك العلامة الألباني رحمه الله، وقال: «فالحديث حسن؛ لا سيما وله شاهد من حديث: عمر بن الجموح، وسعد ابن أبي وقاص، وأسماء بنت يزيد، عند أبي نعيم في الحلية (١/ ٦)». انظر: السلسلة الصحيحة، ح (١٦٤٧) (٤/ ٢٠٢).

وورد عن ابن مسعود: (إن من الناس مفاتيح لذكر الله، فإذا رؤوا ذُكر الله). رواه الإمام أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٣/ ١٧١).

وهكذا لا يزال المؤمن في عبادة حتى يلقى ربه، معروفًا بين الناس بالصدق، معدودًا عند الله من الصديقين.

س٨: ذكر بعضهم شيء من التصوف[1] في معنى الإحسان، والنفس تشتاق إليه الغريب؟

ج: حاصله: أن المراد من الإحسان، الإخلاص في الأعمال الذي هو سبب قبولها لتحقيق إرادة وجه الله فيها، وعدم الالتفات إلى غيره، ولذلك صار ركنًا من أركان الدين، فالأعمال مبنية عليه، وقبولها راجع إليه، وهو منقسم إلى مقامين:

الأول: مقام المشاهدة؛ وهو: أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدة الله بقلبه، فيتنور القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان، حتى يصير الغيب كالعيان، وهذه هي المراقبة، وهي الإخلاص وزيادة، ويقال لصاحبها: عارف.

---

(١) يطلق بعض الناس التصوف على العبادات الشرعية، المتعلقة بأعمال القلوب وتزكية النفوس، بالإخلاص والمراقبة والزهد في الدنيا، كما هنا.
والصحيح: أن تلك العبادات إذا كانت قائمة على الاتباع للدليل من الكتاب والسنة، منضبطة بضوابط الشريعة، فهي جزء من الشريعة، وليست من التصوف في شيء؛ لأن التصوف منهج بدعي مخالف للكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها.
وهم يقررون هذه المخالفة في مؤلفاتهم؛ ومن ذلك ما ذكره المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ عنهم من التفريق بين الشريعة والحقيقة، في كتابه الممتع: التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق.
ولذا فلا يجوز لنا أن نسمي العبادات الشرعية باسم مبتدع، مخالف في اسمه ومسماه للشريعة المحمدية. والله تعالى أعلم.

والثاني: مقام الإخلاص فقط؛ وهو: أن يعمل على استحضار مشاهدة الله إياه، واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه، فهو مخلص لله تعالى؛ لأن ذلك يمنعه من الالتفات إلى غيره، وإرادته بالعمل يوجب له الخشية والخوف التعظيم.

س٩: هل الإحسان من أعمال القلوب؟

ج: الإحسان عام بمعنى اتقان العمل وجودته، فيدخل في الأعمال الظاهرية والباطنية، ورأس إحسانها الإخلاص فيها، كما تقدم.

والإخلاص من الأعمال القلبية، وقد قال سهل بن عبد الله: «ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب»(١).

س١٠: ما هي الأعمال الباطنية، وماذا لها من المزية؟

ج: هي: أعمال القلوب، وقد أشار إلى مزيتها في قوله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(٢). ومن عرفها علم

---

(١) انظر: مدراج السالكين (٢/ ٩٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم، ح (٢٥٦٤) (٤/ ١٩٨٧)، من حديث: أبي هريرة، بلفظ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم**».
وفي رواية: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».
وفي الاستدلال بهذا الحديث على الأعمال الباطنية فقط نظر؛ لأن الحديث نص على أن النظر إلى القلوب وإلى الأعمال، والأعمال لفظ مطلق يشمل الأعمال الظاهر والأعمال الباطنة، أما الذي لا ينظر الله إليه، فهي الصور والأجساد والأموال، والأعمال الظاهرة ليست داخلة فيها. فليتنبه.

أنها هي روح الأعمال الظاهرية، وأن فرضها آكد من فرض أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحب أعمال الجوارح.

س١١: ما هي أعمال القلوب؟

ج: هي كثيرة؛ ومنها: الإخلاص الذي هو غاية الإحسان، ومنها: المحبة لله والتوكل عليه، والإنابة، والخوف والرجاء، والصبر على أوامره ونواهيه وأقداره، والرضا به وله وفيه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والإخبات إليه والطمأنينة به، والتفكير في آياته ومخلوقاته ونحو ذلك.

والخطر عظيم في أضدادها، فضد الإخلاص الرياء والسمعة والنفاق، وقد فصلها صاحب: إحياء علوم الدين(١).

---

(١) ينصح بالرجوع إلى تهذيبه؛ «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدِّين»، لمحمد جمال الدين القاسمي، أو كتاب: «مختصر منهاج القاصدين»، لابن قدامه، و«المنهاج» لابن الجوزي؛ لأنهم حاولو استخلاص الزبدة المفيدة من إحياء علوم الدِّين، بحيث يخلو من مفاسده ولا يخل بفوائده؛ لأن كتاب الإحياء فيه فوائد مفيدة، لكن فيه مواد مذمومة فاسدة؛ من كلام للفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد. انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٥).

إضافة إلى ما فيه من أحاديث موضوعة، وأخبار مكذوبة، وقصص باطلة عن بعض العلماء والزهاد، وما فيه من إسرائيليات منكرة، وعقائد كلامية، وتصوف غالٍ في بعض الجوانب. ومع أن أصحاب الكتب السابقة الذكر، لم يسلموا بالكلية من هذه المفاسد، إلا أنهم قللوا منها كثيرًا، مما سهل الاستفادة من الجوانب الإيجابية في الكتاب. والله المستعان، ورحمة الله على الجميع.

وأولى منها: الرجوع إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، المتعلقة بأعمال القلوب؛ كالعبودية والتحفة العراقية، وأمراض القلوب وشفائها، وتزكية النفوس، وغيرها. =

س١٢: هل يحبط العمل الرياء؟

ج: إن شارك الرياء العمل من أصله، فالنصوص الصحيحة على بطلانه، وإن كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه خاطر الرياء ودفعه لم يضره بلا خلاف، وإن استرسل معه فخلاف، رجح أحمد أن عمله لا يبطل بذلك، كما قاله ابن رجب.

وقال: «الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض صلاة وصوم، وقد يصدر في نحو صدقة وحج، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط»(١). انتهى.

س١٣: هل تبطل العبادة إذا خالط نيتها شيء غير الرياء؟

ج: قال في شرح الاقناع والمنتهى: «إنه متى نوى مع نية الصوم هضم الطعام، أو مع نية الحج التجارة، أو رؤية البلاد النائية، إن ذلك ينقص الأجر، وهذا مع عدم تمحض النية كلها لذلك، فإن تمخضت لذلك فعبادة باطلة»(٢).

وقال الإمام أحمد: «التاجر والمستأجر والمكارى، أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا

= وكتب ابن القيم؛ مثل: إغاثة اللهفان، والجواب الكافي، ومدارج السالكين. وكذلك مؤلفات ابن رجب، وأمثالهم من المعروفين بصحة المورد وسلامة المنهج. والله الموفق.

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩).

(٢)، انظر بنحوه: شرح منتهى الإرادت (١/ ١٧٥)، والإقناع في فقه الإمام أحمد (١/ ١٠٦).

يخلط به غيره»(١).

س١٤: كيف تقول فيما رُوي عن مجاهد، أنه قال في حج الجمّال وحج الأجير، وحج التاجر هو تام، ولا ينقص من أجورهم شيء؟

ج: قال بعضهم: إنه محمول على أن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب، ففرق بين من يأخذ المال ليحج، وبين من يحج ليأخذ المال.

س١٥: هل ينقص العمل الصالح بثناء الناس إذا فرح به؟

ج: لا ينقص بذلك؛ فقد جاء في حديث أبي ذر عن النبي ﷺ، أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير يحمده الناس عليه؟ فقال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»(٢). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله، الرجل يعمل فيسره، فإذا اطلع عليه أعجبه، فقال: «**له أجران؛ أجر السِّرِّ وأجر العلانية**»(٣).

---

(١) ينظر جامع العلوم والحكم (١/ ٨٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة، باب: إذا أُثني على الصالح، ح (٢٦٤٢) (٤/ ٢٠٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث: أبي هريرة في كتاب: الزهد، باب: (٤٩)، عمل السِّرِّ، ح (٢٣٨٤) (٤/ ٥٩٤)، وقال: «حسن غريب». وابن ماجه في الزهد، باب: الثناء الحسن، ح (٤٢٢٦) (٢/ ١٤١). وإسناده ضعيف.
قال الترمذي في السنن (٤/ ٥٩٤، ٥٩٥): «وقد فسر بعض أهل العلم هذا الحديث، فقال: إذا أطِّلع عليه أعجبه، فإنما معناه: أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير؛ لقول النبي ﷺ: «أنتم شهداء الله في الأرض». فيعجبه ثناء الناس عليه، ولهذا لما يرجو بثناء الناس عليه. فأما إذا أعجبه ليَعلم الناس فيه الخير؛ ليكرم على ذلك ويعظم عليه، فهذا رياء.
وقال بعض أهل العلم: إذا اطُّلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله، فيكون له مثل =

س ١٦: هل يضر العامل التحدث بعمله إذا كان له قصد حسن؟

ج: لا يضره، بل قد يثاب عليه إذا قصد به ترغيب الناس في الإقتداء به، أو التحدث بنعمة الله تعالى شكرًا، أو نحو ذلك، ولهذا ترجم بعض العلماء لأنفسهم، مثل: الجلال السيوطي وغيره.

وليحذر أن يكون من باب تزكية النفس، فقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[1]. وقالت الأدباء: «لا ينبغي أن يمدح الإنسان نفسه أو ما يتعلق به». ولهم فيه أمثال شهيرة، ولكن قال بعضهم: «ينبغي مدح المؤلف كتابه كما يصف الحكيم دواءه لينتفع به».

= أجورهم، فهذا له مذهب أيضًا».

(١) سورة النجم، آية: (٣٢).

مبحث: شعب الإيمان
وهي: تسع وستون شعبة

س١٧: من هو المحسن البالغ نهاية الإحسان؟

ج: هو المؤمن حقًا، وهو الذي كملت فيه شعب الإيمان(١).

وهي بضع وستون ـ أو بضع وسبعون ـ شعبة بالضم، أي: قطعة، والمراد: الخصلة أو الجزء.

س١٨: ما بيانها وتعدادها؟

ج: هو في هذا البرنامج، كما عدَّها الحافظ ابن حجر في الفتح(٢)، وتبعه السيوطي.

قال رحمه الله: «وقد لخصت مما أورده ما أذكره، وهو أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن».

---

(١) قال في هامش الأصل: قوله: «شعب الإيمان»، شبه الإيمان بشجرة ذات أغصان، وشعب: جمع شعبة؛ غصن الشجرة وفرع كل أصل، قال بعضهم: إن بيانها واجب على العلماء، وتعلمها فرض على الجهلاء، وقد أفردها بعضهم بالتأليف؛ منهم: البيهقي له كتاب: «شعب الإيمان»، واختصره القزويني، واختصر منه صاحب كتاب: «غالية المواعظ» ما فيه الكفاية.

وقد استدل في كل شعبة بآية أو حديث كما عمل ابن حبان، وكذا عَدَّها غيرهم، كـ: الحليمي من الشافعية في منهاجه، وكبعض المتأخرين. ولابد من وقوع اختلاف في العدد والتعيين؛ لاندراج بعضها في بعض، وعلى كل فهو عمل مبرور.

قلت: كتاب المنهاج في شعب الإيمان هو الأصل لكتاب البيهقي: شعب الإيمان.

(٢) (١/ ٦٨).

فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة.

١- الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده، بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه[1].

٢- الإيمان بملائكته.

٣- وكتبه.

٤- ورسله.

٥- والقدر خيره وشره.

٦- الإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه: المسألة[2] في القبر والبعث والنشور، والحساب والميزان والصراط، والجنة والنار.

٧- محبة الله.

٨- الحب والبغض فيه.

٩- محبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته.

١٠- الإخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق.

١١- التوبة.

---

(١) وأنه المعبود بحق دون سواه.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: السؤال.

١٢- الخوف.

١٣- الرجاء.

١٤- الشكر.

١٥- الوفاء.

١٦- الصبر.

١٧- الرضا بالقضاء.

١٨- التوكل.

١٩- الرحمة.

٢٠- التواضع، ويدخل فيه: توقير الكبير ورحمة الصغير.

٢١- ترك الكبر والعجب.

٢٢- ترك الحسد.

٢٣- ترك الحقد.

٢٤- ترك الغضب.

وأعمال اللسان، وتشتمل على سبع خصال:

٢٥- التلفظ بالتوحيد.

٢٦- تلاوة القرآن.

٢٧- تعلم العلم.

٢٨- تعليمه.

٢٩- الدعاء.

٣٠- الذكر، ويدخل فيه الاستغفار.

٣١- اجتناب اللغو.

وأعمال البدن، وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، منها ما يختص بالأعيان؛ وهي: خمس عشرة خصلة:

٣٢- التطهير حسًا وحكمًا، ويدخل فيه اجتناب النجاسات.

٣٣- ستر العورة.

٣٤- الصلاة فرضًا ونفلاً.

٣٥- الزكاة كذلك.

٣٦- فك الرقاب.

٣٧- الجود، ويدخل فيه: إطعام الطعام وإكرام الضيف.

٣٨- الصيام فرضًا ونفلاً.

٣٩- الحج.

٤٠- العمرة كذلك.

٤١- الطواف.

٤٢- الاعتكاف.

٤٣- التماس ليلة القدر.

٤٤- الفرار بالدِّين، ويدخل فيه: الهجرة من دار الشرك.

٤٥- الوفاء بالنذر.

٤٦- التحري في الأيمان وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلق بالاتباع؛ وهي: ست خصال:

٤٧- التعفف بالنكاح.

٤٨- القيام بحقوق العيال.

٤٩- بر الوالدين، وفيه: اجتناب العقوق.

٥٠- تربية الأولاد.

٥١- صلة الرحم.

٥٢- طاعة السادة والرفق بالعبيد.

ومنها ما يتعلق بالعامة؛ وهي: سبع عشرة خصلة:

٥٣- القيام بالإمرة مع العدل.

٥٤- متابعة الجماعة.

٥٥- طاعة أولى الأمر.

٥٦- الإصلاح بين الناس، ويدخل فيه: قتال الخوارج والبغاة.

٥٧- المعاونة على البر، ويدخل فيه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥٨- إقامة الحدود.

٥٩- الجهاد، ومنه: المرابطة.

٦٠- أداء الأمانة، ومنه: أداء الخمس.

٦١- القرض مع وفائه.

٦٢- إكرام الجار.

٦٣- حسن المعاملة، وفيه: جمع المال من حله.

٦٤- إنفاق المال في حقه، ومنه: ترك التبذير والإسراف.

٦٥- رد السلام.

٦٦- تشميت العاطس.

٦٧- كف الأذى عن الناس.

٦٨- اجتناب اللهو.

٦٩- إماطة الأذى عن الطريق.

قال الحافظ ابن حجر: «فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسع وسبعين خصلة؛ باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر»[١]. والله أعلم.

س١٩: قد انتهى الكلام على الدِّين، ومداره على الأركان الثلاثة، الإسلام والإيمان والإحسان، فأين ما ذكره الإمام النووي من أمور الدِّين؟

ج: أمور الدِّين أربعة على ما قاله النووي، وذكرها بعضهم تبعًا له،

(١) فتح الباري (١/ ٦٨).

وأفردها بعضهم بتأليف، وهي:

١ - صدق القصد.

٢- وفاء العهد.

٣- اجتناب المنهي عنه.

٤- صحة الاعتقاد.

ونظمها بعضهم في بيت مفرد:

أُمُورُ الدِّينِ صِدْقُ قَصْدٍ وَفَا العَهْدِ وَتَرْكٌ لِمَنْهِي كَذَا صِحَةُ العَقْدِ

وهي في الحقيقة خلاصة شعب الإيمان من مقام الإحسان؛ فإن الشعب تنحصر في صحة الاعتقاد، وحسن المعاشرة، وتهذيب النفس.

الباب الثالث: [في معرفة النبي ﷺ]

وفيه: أربعة مطالب:

المطلب الأول
في أهم ما ينبغي معرفته مما يتعلق بجنابه الشريف

وفيه: سؤالان، وأربعة مباحث:

س١: كيف يصل الإنسان إلى معرفة نبيه ﷺ، وهو مذكور في الشهادة التي يدخل بها في الإسلام؟

ج: من سؤال أهل العلم والنظر في كتب السير والشمائل، وربما خفي على بعض الناس بعض خصائصه وحقوقه، ولم يميزها عن حقوقه تعالى، ولم يعرف خلاصة سيرته، وظهور أمره ﷺ.

س٢: اذكر لنا أهم ما ينبغي معرفته مما يتعلق بجنابه ﷺ؟

ج: نذكر هنا أمورًا مهمة: نسبه، ومولده، ومنشأه، ومبعثه، ودعوته، إلى أن دعاه ربه، في أربعة مباحث:

المبحث الأول: نسبه الشريف

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ابن كلاب بن مرة بن كعب، بن لؤي بن غالب بن فهر، بن مالك بن النضر ابن كنانة، بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن النضر، بن نزار بن معد بن عدنان(١).

إلى هنا اتفق النسابون واختلفوا فيما فوق عدنان، ولا خلاف في أنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهما، كما جاء في صحيح مسلم، عن واثلة بن الأسقع، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريش من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم»**(٢). وفي رواية: **«فأنا خيار من خيار»**(٣).

****

---

(١) جوامع السيرة لابن حزم، ص(٢)، والسيرة النبوية للذهبي ص(١)، والفصول في سيرة الرسول، للحافظ ابن كثير، ص(٨٣).

(٢) رواه مسلم في: كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ ح (٢٢٧٦)(٤/ ١٧٨٢).

(٣) أخرج هذه الرواية الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٥٥)، والأوسط (٦/ ١٩٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٨٣)، وبين ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٣)، أن هذه الزيادة لا تثبت.

المبحث الثاني: مولده ومنشأه

ولد ﷺ في عام الفيل، سنة: (٥٧١ميلادية)[١]، بمكة المشرفة، بالشعب المشهور[٢]، وكفله جده عبد المطلب، ثم عمه أبو طالب.

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور/ أكرم ضياء العمري، ص (٩٥)، ط: السادسة (١٤١٥هـ).

(٢) تحديد المكان الذي ولد فيه النبي ﷺ لا يعرف له أساس صحيح يعتمد عليه فيه، وأول من حدده ابن إسحاق، المتوفى سنة: (١٥٢هـ)، وتبعه بعد ذلك أهل السير؛ كالطبري في التاريخ (١/ ٤٥٣).

وفي إسناده إلى ابن إسحاق عدة علل:

أ- فيه: حميد وهو ابن يعقوب بن كاسب، وهذا منكر الحديث، كما في الكاشف للذهبي، (٣/ ٢٦١).

ب- وفيه: سلمة ـ وهو ابن رجاء ـ التميمي، لينه ابن معين، وقال ابن عدى: «حدث بأحاديث لا يتابع عليها»الكاشف (١/ ٣٨٣).

ج- أما ابن إسحاق فلم يذكر له إسنادًا، ومعروف أنه بينه وبين الحادثة ما لا يقل عن قرن ونصف، بل ساقه بصيغة التمريض،«قيل». وهذا يدل على عدم ثبوته عنده رحمه الله.

ولذا فقد أنكر عدد من العلماء والمؤرخين هذا التحديد، وأوردوا الخلاف في تحديد مكان المولد، هل هو في مكة، أو بالأبواء، أو بعسفان، أو بالردم؟ وإذا كان بمكة هل هو بالشعب، أو المحصب، أو بغيرهما.. الخ. مما ذكروه. مما يزيد مسألة التحديد ضعفًا وإنكارًا.

انظر: بعض ما أشير إليه في سبيل الهدى والرشاد (١/ ٣٧) للصالحي، وهو من أوسع المصادر في السيرة.

وممن أنكر ذلك: العياشي المغربي، المتوفى سنة: (١٠٩١هـ)، في رحلته الشهيرة إلى مكة (١/ ٢٢٥)، فقد قال بعد أن ذكر ما وقع في كتب السيرة من الاختلاف في تحديد مكان مولده ﷺ: «والعجيب أنهم عينوا محلاً من الدار مقدار مضجع، وقالوا له: موضع ولادته ﷺ، ويبعد عندي كل البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف؛ لما تقدم من =

ونشأ على الصدق والأمانة، حتى لقبه الناس: بالأمين. وزوجه عمه خديجة بنت خويلد بحضور بني هاشم ورؤساء مضر، فخطب فيهم (فقال)(١): «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل

= الخلاف في كونه في مكة أو غيرها».

ثم قال رحمه الله: «يبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار، بعد مرور الأزمان والأعصار وانقطاع الآثار، والولادة وقعت في زمن الجاهلية، وليس هناك من يعتني بحفظ الأمكنة، سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك، وبعد مجيء الإسلام فقد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بالتقييد بالأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي؛ لصدق اعتنائهم - رضي الله عنهم - لما هو أهم من حفظ الشريعة، والذب عنها بالسنان واللسان، وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الآثار الواقعة في الإسلام...»الخ.

وأكد ما ذكره العياشي الإمام ابن عبد السلام الدرعي المغربي، في رحلتيه الشهيرتين، انظر ص: (١٣٨)، تلخيص المؤرخ الأديب/ حمد الجاسر رحمه الله.

وهذا ما أكده الجاسر - أيضًا - بقوله: «وهذا الاختلاف في الموضع الذي ولد فيه النبي ﷺ، يحمل على القول بأن الجزم بأن الموضع المعروف عند عامة الناس: باسم المولد، لا يقوم على أساس تاريخي صحيح». من مجلة العرب (٣/ ٤) ص (١٧)، عدد: رمضان وشوال (١٤٠٢هـ).

وعلى فرض ثبوت الموقع الذي ولد فيه النبي ﷺ، فإنه لا يجوز بأي حال من الأحوال، أن يتخذ مكانًا مقدسًا للتعبد والتبرك؛ لعدم فعل النبي ﷺ ذلك، ولا أحد من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا التابعين ولا الأئمة المعتبرين، والخير كل الخير في اتباع من سلف، والشر كل الشر في ابتداع من خلف.

ينظر: البلد الحرام فضائل وأحكام، هامش ص (٨٨، ٩٠).

(١) في هامش الأصل: قوله: «فقال»: هكذا أورد هذه الخطبة أبو الحسين أحمد بن فارس، صاحب: الجمل في اللغة. وفي بعض الروايات أنه ﷺ أصدقها عشرين بكرًا، وأنه أتى خاطبًا مع عمه حمزة، فقال عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى: «هو الفحل لا يقدع =

وضئضئ معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسُوَّاس حرمه، وجعل لنا بيتًا محجوجًا، وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله، لا يوزن به رجل إلا رجح به، وإن كان في المال قلَّ، فإن المال ظل زائل وأمر حائل، و محمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل»(١).

فتزوجها فبقيت عنده قبل الوحي خمس عشرة سنة، وماتت ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر، وقبل موتها مات أبو طالب بثلاثة أيام، وقد نصراه كثيرًا.

****

= أنفه». ولا مانع من حصول ذلك كله. والله أعلم.

(١) ينظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٧٤)، الطبعة الأولى (١٣٨٩)، دار: الوعي بحلب.

المبحث الثالث: مبعثه

كان ﷺ قبل البعثة مشتغلاً بالتجارة، ميالاً للانفراد عن الناس؛ للتعبد في جبل حراء، حتى نزل عليه جبريل فيه، بأول سورة العلق من القرآن: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾(١). وقد ارتاع من رؤية الملك وكيفية الوحي، فجاء إلى خديجة رضي الله عنها، فأخبرها بذلك وبما حصل له من الروع، فقالت له: «والله، ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». وفي رواية: «وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة». وانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل - وكان شيخًا كبيرًا ممن تنصر وكتب من الإنجيل - فقالت له: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فأخبره ﷺ بما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني كنت فيها جذعًا، يا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟!»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. كما في البخاري(٢).

بعثه الله على رأس الأربعين بالرسالة إلى كافة العالمين، بدين الفطرة التي فطر الناس عليها، بعبوديته وتحرير نفوسهم من غيره(٣).

---

(١) سورة العلق، آيات: (١-٥).

(٢) كتاب: بدء الوحي، باب: (٣) ح (٣) الفتح (١/ ٣٠)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: بدء الوحي، ح(١٦٠) (١/ ١٤١).

(٣) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٥١) فما بعدها، والفصول لابن كثير ص (١٥) فما بعدها.

المبحث الرابع: دعوته وهجرته

أقام ﷺ بمكة (١٣) سنة، يدعو الناس ويسير إلى البوادي، ومواسم العرب لدعوة القبائل، ولقي في سبيل الدعوة أذى كبيرًا، حتى اضطرته قريش إلى المهاجرة من مكة المشرفة، حاصروه وأهله في الشعب ثلاث سنين، ثم قرروا في دار الندوة على أن يقتله أنفار من قبائل شتى، فيكون دمه هدرًا بين القبائل، فخرج من الشعب من حيث لا يشعرون، فهاجر إلى المدينة المنورة، وقد سبقت مبايعة الأنصار من الأوس والخزرج له سرًا على نصرته، بحضرة عمه العباس في الموضع القريب من عقبة منى، المعروف بمسجد البيعة، وعليه حجر مكتوب بالكوفي، فلما وصل إليهم نصروا، وبذلوا في سبيل نصرته نفوسهم وأموالهم مع المهاجرين.

أقام بالمدينة عشر سنين وهو يجهز السرايا، وعددها (٣٥) سرية، ويقود الغزوات وهي تسع عشر غزوة، وبعضهم يعدها (٢٧)، حتى فتح مكة المشرفة في السنة الثامنة من الهجرة، فكسر الأصنام التي كانت في الكعبة، وعددها كما قيل: (٣٦٠) صنمًا، لجميع القبائل، وقطع جراثيم الوثنية من قلوبهم ومن عاداتهم، بدعوته وعلو كلمته في تلك المدة، إلى أن حج في السنة العاشرة من الهجرة حجة الوداع، فنزل عليه بعرفة، قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١).

فخطب الناس وقال: «هل بلغت؟»، قالوا: نعم، قال: «اللهم فاشهد»، رافعًا

(١) سورة المائدة، آية: (٣). والحديث أخرجه البخاري في الإيمان، ح(٤٥) (١/ ٢٥)، ومسلم في التفسير، ح (٣٠١٧) (٤/ ٢٣١٢).

بصره إلى السماء مشيرًا بسبابته[١]، فعاد إلى المدينة المنورة وقد أكمل له الدين، وقام بواجب التبليغ والتبيين، فاختار له ما عنده، فألحقه بأنبيائه ورسله، فتوفي يوم الاثنين، ثالث ربيع الأول، من السنة الحادية عشرة من الهجرة[٢].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الحج، باب: الخطبة أيام منى، ح (١٦٥٤) (٢/ ٦٢٠)، ومسلم في الحج، باب: حجة النبي ﷺ، ح (١٢١٨) (٢/ ٨٩٠).

(٢) ينظر: الفصول من سيرة الرسول ﷺ، (٢١٦، ٢٢٠).

المطلب الثاني
[في خصائصه ﷺ]

وفيه: خمسة أسئلة، وثماني خصوصيات:

س١: ما هي خصائصه عليه الصلاة والسلام؟

ج: هي: ما خص الله به نبيه وميزه بها عن غيره، وبعضها من معجزاته، وهي كثيرة، وأفردها العلماء بالتصنيف، وأفردوا لها بابًا في بعض كتب الفقه، وأدخلوا بعضها في كتب العقائد.

س٢: اذكر لنا أهمها؟

ج: نذكر منها ثمانية أشياء:

١ - رسالته إلى كافة الخلق من الإنس والجن بالإجماع، والملائكة [في](١) أحد القولين، قال تعالى: ﴿...لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(٢). وفي حديث مسلم: «**بُعثت إلى الخلق كافة**»(٣).

٢ - كونه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده، ولا ينافي ذلك نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان؛ لأنه يحكم بشريعة نبينا ﷺ الناسخة لجميع الشرائع، والكافلة بحاجات البشر دينًا ودنيا، ولذلك ختمت النبوة.

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) سورة الفرقان، آية: (١).

(٣) في كتاب: المساجد مواضع الصلاة، ح (٥٢٣) (١/ ٣٧١).

٣- أفضليته ﷺ على الخلق حتى الأنبياء، وما ورد من النهي عن التفضيل بينه وبين الأنبياء، فالمراد: ما يؤدى إلى التنقيص(١).

٤- أن أمته أفضل الأمم؛ حيث كانت شهداء عليهم بتبليغ الرسل، ومعصومة من الاجتماع على ضلالة، كما أن أصحابه خير القرون كما جاء في الحديث(٢).

٥- حديثه وما فيه من جوامع الكلم؛ أي: الألفاظ القليلة المفيدة للمعاني الكثيرة، كما في حديث مسلم وغيره: «**أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصارًا**»(٣). وكما في الحديث الآخر: «**أوتيت القرآن ومثله**»(٤). أي: السنة، فلها حكم القرآن في الطاعة والإيمان، خصوصًا المتواتر(٥)، فلا ينطق عن الهوى.

---

(١) ينظر: شرح الطحاوية (١٦٩، ١٧٣).

(٢) في البخاري كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور، ح (٢٥٠٩) (٢/ ٩٣٨)، ومسلم في الفضائل، ح(٢٥٣٣) (٤/ ١٩٦٣).

(٣) الشطر الأول من الحديث: «**أعطيت جوامع الكلم**». في الصحيحين؛ رواه البخاري في الجهاد والسير، باب: قول النبي ﷺ: «**نصرت بالرعب**». ح(٢٨١٥)(٣/ ١٠٨٧). ومسلم في المساجد، ح(٥٢٣)(١/ ٣٧٠).
أما لفظ ما ذكره المصنف: فهو عند الدارقطني ح(٨) (٤/ ١٤٤)، ومصنف عبد الرازق ح (١٠١٦٣) (١٠/ ١١٣) وابن أبي شيبة ح (٣١٧٧٢) (٦/ ٣٢٤). وقد ضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع، ح(١٠٤٨) (١/ ٣٠١)، والضعيفة ح (٢٨٦٤).

(٤) رواه أبو داود في السنة، باب: في لزوم السنة (٤٦٠٦) (٤/ ٢٠٠)، وأحمد في المسند (٤/ ١٣٠)، والبيهقي (٩/ ٣٣٢)، وذكره الألباني في صحيح سنن أبى داود، ح(٤٦٠٤).

(٥) لا وجه لتخصيص المتواتر هنا. بل كل ما ثبت عنه ﷺ فالواجب الطاعة والإيمان.

٦- الشفاعة العظمى في موقف القيامة، وهي المقام المحمود؛ لأنه يحمد فيه الأولون والآخرون، وهذه الشفاعة التي خص بها نبينا ﷺ من بين سائر الأنبياء هي العامة، فإنها هي دعاؤه ﷺ لربه في الفصل بين العباد بالحساب؛ لإراحتهم من هول الموقف، فهو أول شافع، وأول مشفع، وأول مَن يقرع باب الجنة.

أما الشفاعة الخاصة للمذنبين المسلمين وأهل الكبائر منهم، فمما يؤمن بها أهل الدِّين والسنة، ولكنها غير خاصة به ﷺ.

فقد ورد عنه يشفع يوم القيامة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء، كما رواه ابن ماجه والبيهقي، عن عثمان بن عفان[(١)].

وقد جهل بعض الناس؛ فاعتقد أن من اتخذ وليًا أو شفيعًا يشفع له وينفعه عند الله، كما تكون خواص الملوك والولاة تنفع من والاهم، ولم يعلم أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن ارتضى- قوله وعمله من أتباع الرسل، فهو سبحانه المالك للشفاعة، والذي تطلب منه لا من الشافعين. نسأله تعالى أن لا يحرمنا شفاعته ﷺ.

٧- زيارته ﷺ في حياته بالهجرة إليه، لتلقى أمور الدِّين عنه، والقيام

(١) رواه ابن ماجه في الزهد، باب: في ذكر الشفاعة (٤٣١٣) (٢/ ١٤٤٣)، وفيه: عنبسة بن عبدالرحمن، كان يضع الحديث، ولذلك ضعفه العراقي في تخريجه الإحياء (١/ ٢١)، وحكم عليه الألباني بالوضع في الضعيفة (٢١١١)، وقد ورد عند البخاري في التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ح(٧٤٣٩)، الفتح (١٣/ ٤٢٠، ٤٢١)، من حديث: أبي سعيد الخدري في حديث طويل، وفيه: «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون».

بمصالحه، والتوبة على يديه، وطلب الاستغفار منه، أي: دعاؤه للمذنبين بالمغفرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[١].

وكانت الهجرة واجبة قبل الفتح من مكة.

وكذا زيارة قبره الشريف تستحب للرجال والنساء[٢]، كما عدَّ فقهاؤنا ذلك في الخصائص؛ لأنه يكره زيارة النساء[٣] لغير قبره ﷺ.

---

(١) سورة النساء، آية: (٦٤).

(٢) تستحب زيارة قبر النبي ﷺ من غير شدِّ رحل إليها، كأن يكون مقيمًا بالمدينة أو قادمًا لزيارة مسجده ﷺ. أم شدُّ الرحل بقصد زيارة القبر فقط، فالصحيح أنه لا يجوز؛ لقوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد». رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه، منها: مسجد مكة ح (١١٨٩)، الفتح ح (٣/ ٦٣)، ومسلم في الحج، ح (٨٢٧) (٢/ ٩٧٦).

أما زيارة النساء للقبور: فالأصل فيها المنع؛ لقوله ﷺ: «لعن الله زوارات القبور». رواه الترمذي في الصلاة، ح (٣٢٠)(٢/ ١٣٦)، وقال: «حديث حسن». ورواه النسائي في الجنائز، ح (٢٠٤٣)(٤/ ٩٤)، وابن ماجه في الجنائز ح (١٥٤٦)(١/ ٥٠٢)، من حديث: ابن عباس وأبي هريرة، ومن حديث: حسان بن ثابت ح (١٥٧٤). قال في الزوائد: «اسناد حديث: حسان به ثابت صحيح، ورجاله ثقات». وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٤٩٨٥) (٥/ ٢٣).

ولم يرد عن النبي ﷺ ما يدل على جواز زيارة النساء لقبره خاصة؛ لعدم ورود الدليل المخصص، فيبقى الحكم على عمومه. والله اعلم.

مع أن هناك خلافًا بين العلماء في حكم زيارة النساء للقبور، والراجح: المنع كما حقق ذلك العلامة فضيلة الشيخ/ بكر أبو زيد، في رسالته: جزء في زيارة النساء للقبور، طبعة الرشد. والله أعلم.

(٣) ينظر: المغني والشرح الكبير (٢/ ٤٣٠)، ولم يذكر فيه استثناء القبر النبوي.

قال ابن نصر الله: «من لازم استحباب الزيارة استحباب شد الرحل إليها».

وقال بعضهم: إن ذلك غير لازم، والمستحب شد الرحل بنية الصلاة في المسجد، ثم زيارة القبر الشريف بعد تحية المسجد، فالصلاة تضاعف فيه إلى ألف، ولو نذر شد الرَّحل إلى المسجد النبوي وجب عليه وفاء نذره.

س٣: هل يحصل بنية شيئين فضلهما كالصلاة في المسجد والزيارة؟

ج: قال بعض الشافعية: ينوي مع الزيارة التقرب بشد الرحال للمسجد النبوي والصلاة فيه[١]؛ لحثه ﷺ، ففيه تعظيمه ـ أيضًا ـ بامتثال أوامره.

والمراد من حديث: «**لا تعمله حاجة إلا زيارتي...**»[٢]. اجتناب قصد حاجة لم يدع الشارع إليها، فيسن مع ذلك الاعتكاف فيه أيضًا، والتعليم والتعلم، وذكر الله تعالى، وإكثار الصلاة والسلام على النبي ﷺ في طريقه إلى غير ذلك.

---

(١) المشروع الموافق لهدى النبي ﷺ، هو شدُّ الرَّحل بقصد زيارة المسجد النبوي والصلاة فيه، كما هو نص الحديث المتقدم.
أما شدُّ الرحل من أجل زيارة القبر، فهذا لا يجوز؛ لمخالفته النهي النبوي الصحيح.
أما أن يجمع بين النيتين، فالصحيح أنه لا يجوز، وإنما عليه أن ينوي زيارة المسجد النبوي، ثم إذا وصل إلى هناك فله أن ينوي ويزور قبر المصطفى ﷺ.

(٢) نص الحديث المروى: «**من جاءني زائرًا لا تعمله حاجة إلا زيارتي، كان حقًا على أن أكون شفيعًا له يوم القيامة**». رواه الطبراني في الكبير والأوسط، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢): «وفيه: مسلمة بن سالم وهو ضعيف». وقال عنه ابن عبد الهادي في الصارم المنكى ص (٤٠): «ضعيف الإسناد، منكر المتن، لا يصح الاحتجاج به، ولا يتخذ دليلاً لشد الرحال إلى القبر». ثم ليس في الحديث ذكر للقبر، ولا لزيارته بعد موته ﷺ.

وقد ذكر الغزالي في الحث على الاستكثار من النية في جميع الأعمال، وأنه يمكن أن ينوى الداخل للمسجد ثمانية أمور:

١ - أن يعتقد أنه بيت الله، وأن داخله زائر الله.

٢ - نية المرابطة وانتظار الصلاة الأخرى.

٣ - الاعتكاف بمعنى كف السمع والبصر والأعضاء.

٤ - الخلو لجمع الفكر.

٥ - التجرد للذكر وسماعه.

٦ - قصد إفادة علم، وأمر بمعروف أو نهي عن منكر.

٧ - ترك الذنوب حياء من الله، بحسن نيته حتى يظهر عليه أثر ذلك، فيستحيي من رآه أن يقارف ذنبًا.

٨ - استفادة أخ في الله فإنه غنيمة وذخيرة في الدارين.

س٤: ماذا ينبغي للزائر؟

ج: ينبغي: له الاحتياط لدينه بجعل زيارته شرعية، والمحافظة على صلواته في طريقه، فإن الصلاة الواحدة فريضة والزيارة مستحبة، بشرط عدم ضياع فرض أو ارتكاب منكر، أو التعرض لتهلكة أو خطر؛ كالسفر في شدة الحرِّ، فليس للزيارة وقت محدد كالحج.

فقد ورد عنه ﷺ: **«لا تجعلوا قبري عيدًا»**(١). **«ولا تجعلوا قبري وثنًا**

---

(١) رواه أبو داود في المناسك، باب: في زيارة القبور ح (٢٠٢٦)، عون المعبود (٦/ ٣١)، =

يعبد»(١). «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٢).
وكان ذلك من آخر كلامه عليه أفضل الصلاة والسلام.

٨- التوسل به ﷺ في حياته(٣) في حالة الاستسقاء، كما قال فيه أبو طالب:

= وأحمد في المسند (٢/ ٣٦٧)، من حديث: أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». قال في عون المعبود (٦/ ٣١): «والحديث حسن جيد الإسناد، له شواهد كثيرة يرتقى بها إلى درجة الصحة. قاله الشيخ العلامة/ محمد بن عبد الهادي رحمه الله، وقال: والحديث دليل على منع السفر لزيارته ﷺ؛ لأن المقصود منها هو الصلاة والسلام عليه، والدعاء له ﷺ، وهذا يمكن استحصاله من بعد كما يمكن من قرب، وأن من سافر إليه وحضر من ناس آخرين فقد اتخذوا عيدًا، وهو منهي عنه بنص الحديث، فثبت منع شد الرحل لأجل ذلك بإشارة النص، كما ثبت النهي عن جعله عيدًا بدلالة النص، وهاتان الدلالتان معمول بهما عند علماء الأصول». (٦/ ٣٣).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٤٦)، والحميدي (١٠٢٥)، وأبو النعيم في الحلية (٦/ ٢٨٨٣)، (٧/ ٣١٧)، من حديث: أبي هريرة.
ورواه الإمام مالك في الموطأ ح (٨٥) (١/ ١٧٢)، من حديث: عطا بن يسار مرسلاً.
بلفظ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد..».
ورواه عبد الرازق (١/ ٤٠٦)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥)، عن زيد بن أسلم مرسلاً أيضًا.
والحديث صححه البراز وابن عبد البر، كما في تنوير الحوالك (١/ ١٨٦)، وشرح الزرقاني (١/ ٣٥١)، والنهج السديد للفهيد، ص (١١٥).

(٢) رواه البخاري في الجنائز، ح (١٣٣٠) فتح (٣/ ٢٠٠)، ومسلم في المساجد، ح (٥٢٩، ٥٣٠) (١/ ٣٧٦). زاد في رواية عائشة قولها: «فلولا ذاك أُبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا».

(٣) وذاك إنما كان بطلب الدعاء منه ﷺ، وقد فصل ذلك وبينه المصنف رحمه الله في كتابه: =

وَأَبيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ[(١)]

وكما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لما استسقى بالعباس رضي الله عنه: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا»[(٢)].

وقال العباس: «اللهم، إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكانتي من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث». فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس. كما أخرجه الزبير ابن بكار بإسناده، ونقله في الفتح[(٣)].

س٥: فما حكم التوسل بعد مماته ﷺ.

ج: اتفق العلماء من أرباب المذاهب: على أنه ليس واجبًا ولا ركنًا من أركان الدِّين، كما يظنه بعض الجهال، واختلفوا في استحبابه وعدمه، فقال بعض فقهائنا، في باب: الاستسقاء: «أنه يباح التوسل بالأنبياء والصالحين».

قال الأمام أحمد: «إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه».

وقال بعض فقهائنا بالمنع؛ سدًا للذريعة، فقد جَرَّ الجهل أناسًا إلى

= فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال.

(١) في البخاري في الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ح(١٠٠٨) فتح (٢/ ٤٩٤).

(٢) رواه البخاري في الاستسقاء، ح(١٠١٠) الفتح (٢/ ٤٩٤).

(٣) (٢/ ٤٩٧).

الخروج عن حد التوسل، فألحقوا به ما ليس من بابه، وقد منعت الحنفية بعض ألفاظ شهيرة. والله أعلم(١).

❁ ❁ ❁

(١) ينظر كتاب المصنف رحمه الله: «فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال». وينظر مذهب الحنابلة في ذلك: «المبدع لابن مفلح» (٢/ ٢٠٤) ودليل الطالب (٢/ ٥٦) وكشاف القناع (٢/ ٦٩ و٧٣).
وما ذكره عن الإمام أحمد فقد ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في منسكه الذي كتبه للمروزي صاحبه. وقرر أن مسألة التوسل بذات النبي ﷺ عند الإمام أحمد كمسألة الحلف به: ثم ذكر أنه في إحدى الروايتين عنه قد جوز القسم به فلذلك جوز التوسل به، ولكن الرواية الأخرى عنه هي قول جمهور العلماء أنه لا يقسم به: «فلا يقسم على الله به كسائر الملائكة والأنبياء، فإنا لا نعلم أحدًا من السلف والأئمة قال: إنه يقسم به على الله، كما لم يقولوا: إنه يقسم بهم مطلقًا...» مجموع الفتاوى (١/ ١٤٠، ١٤١). وينظر (١/ ٣٤٧) وتلخيص الاستغاثة (٢/ ٤٧٦) وينظر الفروع لابن مفلح (٢/ ١٢٧) والإنصاف للمرداوي (٢/ ٢٥٦) فنقلا توجيه ابن تيمية ووافقاه على المنع. ووجهه بعضهم بالتوسل المشروع. ينظر: منار السبيل (١/ ١٥٤).

المطلب الثالث
[في معجزاته ﷺ التي هي خصائصه]

وهي: تسعة، وفيه: (ثلاثة) أسئلة، وأحد عشر. وجهًا من وجوه إعجاز القرآن.

س١: ما هي معجزاته ﷺ الخاصة به؟

ج: أذكر لكم عشرة أشياء:

الأولى: القرآن العظيم، وهو المعجزة الباقية إلى يوم القيامة، المشتملة على جملة معجزات. فوجوه إعجازه كثيرة، أفردها العلماء بالتأليف، وبحث فيها المفسرون، وأتوا بالعجب العجاب، وعجائبه لا تنقضي.

س٢: اذكر لنا شيئًا من وجوه إعجازه؟

ج: أذكر لكم أحد عشر وجهًا من وجوه إعجازه؛ لتقوية الإيمان:

١- البلاغة الخارقة لعادات العرب، حتى كان في الحد الأعلى ليس من جنس كلامهم، من الشعر والخطب والسجع[١].

٢- ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات مما سيقع، ومما كان في ضمائر القلوب، وعن أمور غيبية ظهرت كما أخبر، ولا يمر عصر إلا ويظهر فيه شيء أخبر أنه سيكون، إذ ما يدرك بالعقل يعلمه من جاء بعد الأول بترقي العلم.

(١) انظر: الجواب الصحيح (٥/ ٤٣٣).

٣- إخباره عن القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع المندثرة، مما لا يكاد يعلم، مع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾(١).

٤- الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته؛ لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والإنذار.

٥- أن قارئه لا يمله ولو أعاده مرارًا، مع أن الطباع جبلت على معاداة المعادات، فيسحر القاري(٢) ببلاغته وحلاوته، ويأخذ بمجامع قلبه من طلاوته.

٦- جمعه لعلوم ومعارف لم تعرفها العرب، ولا أحد من علماء الكتاب وغيرهم؛ من طرق الحجج العقلية ومناهج الحق.

٧- تيسير حفظه لمتعلمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(٣). ولم يعرف في الأمم السابقة حفظ غيره من الكتب مثل حفظه.

٨- كونه كافلاً بحاجات الدين والدنيا، من المصالح والأخلاق والعبادات والمعاملات.

---

(١) سورة العنكبوت، آية: (٤٨).

(٢) يعني: يأخذ بألباب قارئيه؛ لروعته وقوة تأثيره، أخذًا من قوله ﷺ: «إن من البيان لسحرًا». رواه البخاري في: الطب، (٩/ ٥٤٣٤) (٥/ ٢١٧٦)، ومسلم في: الجمعة، ح (٨٦٩) (٢/ ٥٩٤)

(٣) سورة القمر، آية: (١٧).

٩- التذكير بأحوال الأمم الماضية، التي حادت عن طريق الحق والتوحيد، واستسلمت لحكم العادات والتقاليد.

١٠- حفظه من التغيير والتحريف مع تغيُّر الأزمان، وتحزب الأحزاب والعدوان إلى هذا العصر، فصدق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(١).

وعجز العرب جميعهم عن الإتيان بمثله، حتى بسورة واحدة. وقد تحدى مصاقع(٢) الخطباء من قريش، وقرع أسماعهم حتى أزهق نفوسهم، فتآمروا على قتله، وقد صار عجز غيرهم ممن أتى بعدهم من باب أولى، وذلك أعظم برهان على إعجازه، وأنه كلام الخالق الذي أنزله تصديقًا لنبيه ﷺ، وقد أشرقت أنواره على العالم الإسلامي، وامتزجت كلماته بكلامهم، فارتقت فصاحة العرب عما كانت عليه في الجاهلية، وصار حفظ القرآن من أكبر وسائل الانشاء، وأعظم المواد العلمية.

ثانيًا: المعراج: وقد كان قبل الهجرة بسنة، أسري به ﷺ يقظة بالروح والجسد جميعًا إلى المسجد الأقصى، من بعد صلاة العشاء، وعرج به إلى الله من بيت المقدس إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتهى، إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، فكان قاب قوسين أو أدنى، ففرض عليه الله خمسين صلاة، فلما رجع إلى موسى سأله عما فرض عليه وعلى أمته؟ فأخبره، فقال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك.

---

(١) سورة الحجر، آية: (٩).

(٢) المصقع: أي: البليغ الماهر في خطبته. انظر: النهاية، لابن الأثير (٣/ ٤٢).

فرجع إليه فسأله التخفيف، ثم رجع إلى موسى فأعاده، وما زال يراجعه حتى انتهى أمره ـ تعالى ـ إلى الصلوات الخمس، وأصبح نبينا من ليلته تلك بمكة، فصلى الفجر، كما في الحديث الذي في الصحاح(١).

ثالثًا: انشقاق القمر بنص القرآن(٢) والسنة الصحيحة(٣) الصريحة، فقد بلغت الأحاديث به مبلغ التواتر، وأجمع عليه أهل الحق(٤)، وهو مثل: معجزة موسى ــ عليه السلام ــ بانفلاق البحر، غير أن تلك في العالم العلوي.

س٣: كيف يجوز انشقاق الفلك، كانشقاق السموات في المعراج وانشقاق القمر، فإذا قُبِلَ الانشقاق فمحلُّه من باب أولى، ومن المقرر: أن قدرته تعالى لا تتعلق بالمستحيل؟

ج: تتعلق قدرته تعالى بخرق العادة وإن استحالت عادة، فهي غير مستحيلة عقلاً، فانشقاق القمر فيه دلالة على جواز انشقاق الفلك، كما أخبرت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، خلافًا للفلاسفة في زعمهم:

---

(١) من ذلك: ما رواه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ح (٣٣٥) (٣/ ١١٧٢)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: الإسراء بالرسول ﷺ، ح (١٦٢) (١/ ١٤٥).
وانظر: لمزيد من التفصيل شرح الطحاوية (٢٤٥-٢٤٩).

(٢) في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

(٣) كما عند البخاري في مناقب الأنصار، باب: انشقاق القمر، ح (٣٨٦٨) (٧/ ١٨٢)، الفتح (٨/ ٦١٧)، ومسلم في المنافقين، باب: انشقاق القمر، ح (٢٨٠٠) (٤/ ٢١٥٨).

(٤) انظر: فتح الباري (٧/ ١٨٣).

أن الفلك لا يقبل الخرق والالتئام. كما قاله شيخ الإسلام[١]، على أن بعضهم قائل بقبوله، وقد أشرنا ـ فيما سبق ـ إلى أن العقل له حد محدود، وأن الشرع يأتي بما يحتار له العقل لا بما يحيله، وأن حكمته تعالى لا على مثال ما تقتضيه حكمة المخلوقين.

رابعًا: نبع الماء من بين أصابعه؛ بركة من الله حلت في الماء، بوضع أصابعه فيه، فجعل يفور ويخرج من بين أصابعه في غزوة تبوك[٢]، والحديبية، فشرب الجيش وقضى أوطاره. لا أنه يخرج من نفس اللحم والدم كما ظنه بعض الجهال، قاله في الهدى النبوي[٣].

وهذا نظير معجزة موسى ـ عليه السلام ـ في تفجير الماء من الحجر.

ومثله: تكثير الطعام بركة من الله، حتى كفي أناسًا كثيرين، كما وقع له ﷺ مرارًا.

خامسًا: حنين الجذع إليه عند ما ترك الخطبة عليه[٤].

ومثله: تكليم الحجر[٥] والشجر[٦]، كمعجزة سليمان في كلام الطير.

---

(١) الجواب الصحيح (٦/ ١٥٩، ١٨١)، ونقل عنه في: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٩٣، ٢٩٤). وانظر الجواب عليهم ـ أيضًا ـ ورد شبهاتهم، في: فتح الباري (٧/ ١٨٥).

(٢) ينظر: صحيح البخاري في كتاب: الأنبياء (٣٣٧٨) فتح (٦/ ٣٧٨).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٦٦٧).

(٤) كما عند البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الخطبة على المنبر، ح (٨٧٦) (١/ ٣٣١).

(٥) كما عند مسلم في كتاب: الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ، ح (٢٢٧٧) (٤/ ١٧٨٢).

(٦) كما عند البخاري في المناقب، باب: علامات النبوة، ح (٣٣٩١) (٣/ ١٣١٤).

سادسًا: تأييده بملائكة السماء كما في وقعة بدر.

سابعًا: كفاية الله تعالى له أعداءه وعصمته من الناس، كما أخبره تعالى بذلك[(١)].

ثامنًا: إجابة دعائه ﷺ.

تاسعًا: إعلامه بالمغيبات الماضية والمستقبلة.

عاشرًا: دلالة خَلقه وخُلقه على صدقه، فنفس صورته الباهرة وهيئة طلعته الظاهرة، وحسن سمته، تدل على نبوته، وانفراد مزيته كما قال عبد الله بن سلام: (فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب)[(٢)]. وكما قال هرقل في حديث: أبي سفيان: «ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله»[(٣)]. وكما ضرب الله له ﷺ مثلاً في قوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[(٤)]. على ما قاله نفطويه[(٥)]؛ يقول: «يكاد منظره يدل

(١) كما في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧].

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٥١)، والترمذي ح (٢٤٨٧)، وابن ماجه ح(١٣٣٤، ٣٢٥١)، والدرامي (١/ ٣٤٠)، والحاكم (٣/ ١٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، (٢٦٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، ح (٢٧٨٢) (٣/ ١٠٧٤)، ومسلم في الجهاد والسير، ح(١٧٧٣)(٣/ ١٣٩٥).

(٤) سورة النور، آية: (٣٥).

(٥) ذكره عنه شيخ الإسلام في: الجواب الصحيح (٦/ ٥٠٩)، ونقله عنه السفاريني في: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٩٤).

على نبوته وإن لم يتل قرآنًا» كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

لَو لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ ... كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تَأْتِيكَ بِالخَبَرِ(١)

❁ ❁ ❁

(١) المصدر نفسه، وذكره القاضي عياض في: الشفاء (١/ ٢٤٩). والروض الأنف (٢/ ٤٦).

المطلب الرابع
[في حقوقه عليه السلام]

وهي: سبعة، وفيه: أربعة عشر سؤالاً.

س١: قد عرفنا خصائصه فما حقوقه؟

ج: من تحقيق التوحيد، أن تعلم أن الحقوق ثلاثة، حق الله تعالى لا يشاركه فيه مخلوق، وحق لرسوله ﷺ، وحق مشترك بينهما.

س٢: فما حق الله وحده؟

ح: هو كالعبادة والتوكل والخوف والخشية، والتقوى والإنابة والرجاء، والتسبيح والتكبير والتهليل.

س٣: ما الحق المشترك بين الله ورسوله؟

ج: هو كالمحبة والإيمان والتصديق والطاعة.

س٤: فما حق الرسول الخاص به؟

ج: ذكر القاضي عياض وغيره نحو سبعة حقوق[1]، وهي هذه:

١ - وجوب طاعته؛ بالتزام سنته، والتسليم لما جاء به، والرضا لحكمه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية[2].

---

(١) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفي، ص (٢٦٣، ٣١٥)، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ)، دار: الفكر بيروت.

(٢) سورة النساء، آية: (٦٥).

٢- لزوم محبته، كما في الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده[١] والناس أجمعين» رواه النسائي وغيره[٢].

٣- وجوب مناصحته ﷺ، كما في حديث: «الدين النصيحة»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين...»[٣].

والنصيحة: كلمة جامعة لجملة إرادة الخير للمنصوح له.

قال بعض السلف: «النصيحة له ﷺ مؤازرته ونصرته، وحمايته حيًا أو ميتًا، وإحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة»[٤].

٤- توقيره ﷺ ولكل ما يعزى إليه، والأدب معه حيًا وميتًا، ومن ذلك عدم رفع الصوت فوق صوته، وندائه باسمه، أو من وراء الحجرات، فينبغي خفض الصوت عند قبره الشريف[٥].

---

(١) ساقطة من الأصل

(٢) سنن النسائي في (٨/ ١٠٠) واللفظ له. وأصله في البخاري في الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، ح (١٥) الفتح (١/ ٥٨)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة الرسول ﷺ، ح (٤٤) (١/ ٦٧).

(٣) رواه مسلم في الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، ح (٥٥) (١/ ٧٤).

(٤) ينظر: جامع العلوم والحكم، ص (٧٥) ط، القديمة.

(٥) قال الحافظ ابن كثير: «قال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ، كما كان يكره في حياته ﷺ؛ لأنه محترم حيًا وفي قبره دائمًا». تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٠٨).
وفيه: قصة عمر لما هَمَّ بضرب الرجلين من الطائف، الذين رفعا صوتيهما عند القبر. كما في صحيح البخاري، كتاب: الصلاة، باب: رفع الصوت في المسجد، ح: (٤٧٠، ٤٧١).

٥ - مودة أقربائه[١] ﷺ وبرهم؛ لمكانتهم وقرابتهم منه ﷺ، ولو كانت القرابة بعيدة؛ كقبيلة قريش، حتى جنس العرب، كما قال: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٢]. وكما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسند الصديق[٣].

س٥: ما هي علامة محبته ﷺ؟[٤].

ج: متابعته والرضا بما أمر به، وتقديمه على كل حال، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[٥].

س٦: هل نخص أهل البيت بزيادة المحبة؟

ج: من أصول أهل السنة والجماعة: محبة أهل البيت[٦]، فيتولونهم ويحفظون فهم وصية رسول الله ﷺ، حيث قال يوم غدير خُمٍّ: «أذكركم الله في أهل بيتي»[٧] مرتين. وقال ـ للعباس عمه حين اشتكى أن بعض قريش لا

---

(١) في الأصل والمخطوط: «مودته لأقربائه.

(٢) سورة الشورى، آية: (٢٣).

(٣) لعله يعني: حديث مطالبة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ إرثها من أبيها، فقال أبو بكر رضي الله عنه، سمعت النبي ﷺ يقول: «إن النبي لا يورث»، ولكني أعول من كان رسول الله ﷺ يعول، وأنفق على من كان رسول الله ﷺ ينفق عليه. رواه أحمد في المسند (١/ ١٠).

(٤) في الأصل وضع هذا السؤال وجوابه بعد الفقرة الثانية، من حقوق المصطفى عليه الصلاة والسلام، من السؤال الرابع.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٦) انظر: العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام، ص(٤٢، ٤٣).

(٧) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب: فضائل علي رضي الله عنه، ح (٢٤٠٨) (٤/ ١٨٧٣).

يلقونه بوجه طلق -: «والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي»(١). ويدخل في ذلك أزواجه رضي الله عنهن، فيرون تعظيم قدرهن والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن، والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين، وأزواجه في الدنيا والآخرة، خصوصًا خديجة فهي أول من آمن به من النساء، وأم أكثر أولاده، وعائشة الصديقة، ومن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله وكذَّب كتابه(٢). فنتبرأ من طريق الروافض الذين يبغضون الصحابة، ومن طريقة الخوارج الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل(٣).

س٧: من هو المقدم في أهل البيت؟

ج: أهل الكساء؛ وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين جللهم عليه السلام بكساء، عند نزول الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾(٤)

---

(١) ورد هذا الحديث من عدة طرق عند الإمام أحمد، ح (١٧٧٢، ١٧٥٥١)، والترمذي ح (٣٧٥٨)، والحاكم في المستدرك (٦٩٦١)، والطبراني في الكبير ح (١٢٢٨)، وفي فضائل الصحابة ح (١٧٩١). وضعفها الألباني في ضعيف الجامع الصغير، ح (٦١٢٥) (٦/ ٤٦) وتخريج المشكاة.

وورد بسند صحيح عند ابن أبي شيبة، ح (٣٢٢١٣) (٦/ ٣٨٢) بلفظ: «لن يصيبوا خيرًا حتى يحبوكم لله ولقرابتي». وفي فضائل الصحابة، للإمام أحمد، ح (١٧٥٦) (٢/ ٣٨٢)، بلفظ: «لن ينالوا خيرًا حتى...» الحديث.

(٢) ينظر: لمعة الاعتقاد لابن قدامة، ص (٣٣). ونقل الإجماع على ذلك الحافظ ابن كثير وغيره.

(٣) ينظر: العقيدة الواسطية ص (٤٣)

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

الآية. وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي فطهرهم تطهيرًا**»(١). ودعاهم ـ أيضًا ـ عند نزول آية المباهلة، وقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**»(٢).

٦- مودة أصحابه وبرهم، خصوصًا أهل وُدِّه وصداقته وعيبة سره؛ كالخلفاء الراشدين. وعلامة مودتهم: توقيرهم والاقتداء بهم، وذكر محاسنهم وترك الخوض فيما جرى بينهم؛ لحقوق صحبتهم وسبقهم وكثرة أياديهم، كما قال الله في أهل بدر: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(٣). وكما قيل: «**من بر الولد بوالده بعد حياته البر بأهل وده**»(٤). وكما قال تعالى في وصفهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ الآية(٥).

فمن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم لأصحاب رسول الله ﷺ(٦)؛ للآية، ولقوله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده، لو أن**

---

(١) رواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب أهل البيت، ح (٢٤٢٤) (٤/ ١٨٨٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، ح (٢٤٠٤) (١/ ١٨٧١).

(٣) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب: الجاسوس، ح (٢٨٤٥) (٣/ ١٠٩٥)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضائل أهل بدر، ح (٢٤٩٤) (٤/ ١٩٤١).

(٤) ورد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**احفظ ود أبيك، لا تقطعه فيطفيء الله نورك**». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٤٧): «رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن».

(٥) سورة الحشر، آية: (١٠).

(٦) ينظر: العقيدة الواسطية ص (٤٠).

أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»(١).

س٨: ما تقول في التفضيل بينهم؟

ج: من توقيرهم: معرفة حقهم وتمييز مراتبهم، كما قال ﷺ: «نزلوا الناس منازلهم»(٢).

فالسابقون لهم الفضل كما شهد الله به، وأهل السنة يفضلون من أنفق من قبل الفتح ــ وهو صلح الحديبية ــ على من أنفق بعده وقاتل(٣)، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويفاضلون بين الخلفاء الراشدين على حسب ترتيبهم في الخلافة، كما جرى على ذلك السلف، فيسعنا ما وسعهم، وإن لم تكن المسألة من اليقينيات التي تستحق الذكر في الاعتقاد، كما أشار إلى ذلك بعض الأصوليين.

س٩: ما معنى التفضيل والأفضلية بين الخلفاء الراشدين؟

ج: هي: بمعنى عظم النفع في الإسلام، فخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما،

---

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة، باب: قول النبي: «لو كنت متخذًا خليلاً». ح (٣٤٧٠) (٣/ ١٣٤٣)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة، ح(٢٥٤٠) (٤/ ١٩٦٧).

(٢) رواه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: تنزيل الناس منازلهم، (٤٨٤٢) (٤/ ٢٦١)، وأبو يعلي في مسنده ح (٤٨٢٦) (٨/ ٢٤٤٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ح (١٣٤٤).

(٣) عملاً بصريح الآية: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

كانت على قدم الرسالة في جمع الكلمة وتألف الناس وتدبير الحرب، وخلافة عثمان وعلي رضي الله عنهما على قدم النبوة، فليست الأفضلية تفضيل شخص منهم على رفيقه من جميع الوجوه، حتى تعم النسب والشجاعة والعلم ونحو ذلك، ولا بمعنى زيادة الفضل والثواب عند الله، فإنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله(١).

٧- الصلاة والسلام عليه وعلى آله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾(٢) الآية.

وقد جاء في فضلها أحاديث كثيرة، وهي تستحب في مواضع؛ منها: ليلة الجمعة ويومها، وعند ذكر اسمه، وقال بوجوبها عنده جماعة؛ منهم: ابن بطة منا، وتبعه البلباني، ومنهم الحليمي من الشافعية، واللخمي من المالكية، والطحاوي من الحنفية.

وتجب في مواضع؛ فهي: عندنا ركن من أركان الصلاة في التشهد الأخير، وركن في الخطبة يوم الجمعة والعيدين(٣).

---

(١) بل النصوص تدل على تفضيلهم في الفضل والإيمان؛ كحديث وزن الإيمان وغيره، فهذا من الغيب الذي علمه الله نبيه ﷺ.

(٢) سورة الأحزاب، آية: (٥٦).

(٣) ينظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لابن القيم، ص (٣٦٨، ٣٧٢) الطبعة الثانية، (١٤٠٧هـ)، دار: العروبة الكويت.

ونص على ركنيتها في التشهد من الحنابلة أيضًا البهوتي. ينظر: شرح منتهى الإرادات (١/ ٢٠٦).

وهذا دليل على افتراء القبوريين على الحنابلة، وزعمهم أنهم لا يحبون النبي ﷺ ولا يصلون عليه.

س١٠: ما معنى الصلاة؟

ج: الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن غيرهم التضرع والدعاء، هكذا ورده ابن القيم في كتاب: جلاء الأفهام، من خمسة عشر وجهًا، اختار أن صلاة الله عليه ثناؤه[1] عليه، وإرادة إكرامه برفع ذكره ومنزلته وتقريبه، وأن صلاتنا نحن عليه سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به[2].

س١١: ما معنى السلام؟

ج: هو: التحية أو السلامة من النقائص أو الرذائل.

س١٢: من هم الآل في الصلاة المأثورة الإبراهيمية؟

ج: هم: أتباعه على دينه، نص عليه الإمام أحمد، وعليه أكثر الأصحاب. قال في الإقناع: «وآله أتباعه على دينه، والصواب عدم جواز إبداله بأهل»[3]. اهـ.

أي: لأن أهل الرجل أقاربه أو زوجته، وصاحب جلاء الأفهام يميل إلى القول بأن المراد: (بالآل) أهله وأقاربه، كما يقتضيه سياق الآية، وتفسيره له ﷺ في بعض الأحاديث، وهذه هي المزية والخصوصية المفهومة من الآية والسنة[4].

---

(١) وهو ما جاء عن أبي العالية، كما في صحيح البخاري تعليقًا، في سورة الأحزاب (٨/ ٣٩٢).

(٢) جلاء الأفهام ص (١٥٨).

(٣) كشاف القناع (١/ ٣٥٨).

(٤) جلاء الأفهام ص (٢٢٥).

س١٣: من هم آل إبراهيم في الصلاة المأثورة؟

ج: هم: هنا الأنبياء، والمطلوب من الله سبحانه أن يصلي على رسوله ﷺ كما صلَّى على جميع الأنبياء من ذرية إبراهيم، لا إبراهيم وحده، كما هو مصرح به في بعض الألفاظ، من قوله: على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، كما قاله ابن القيم(١).

س١٤: ما هي فوائد الصلاة والسلام عليه؟

ج: هي كثيرة، أنهاها ابن القيم إلى أربعين فائدة(٢).

وهذا بيان جميعها:

١ - امتثال أمر الله سبحانه وتعالى.

٢ - موافقته سبحانه في الصلاة عليه، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله عليه ثناء وتشريف.

٣- موافقة ملائكته فيها.

٤ - حصول عشر صلوات من الله على المصلِّي مرة.

٥ - أنه ترفع له عشر درجات.

٦ - أنه يكتب له عشر حسنات.

٧- أنه يمحى عنه عشر سيئات.

---

(١) المصدر نفسه ص (٢٨٩). وقال: «وأحسن منه أن يقال: محمد هو من آل إبراهيم، بل هو خير آل إبراهيم...». وهو أفضل من أبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

(٢) جلاء الأفهام (٤٤٥، ٤٥٥). وفي بعض ما ذكره نظر؛ لعدم ثبوت الخبر بذلك، والعبادات مبناها على التوقيف. والله أعلم.

٨- أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها، فهي تصعد الدعاء إلى عند رب العالمين، وكان موقوفًا بين السماء والأرض.

٩- إنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له، أو أفرادها، كما في حديث: رويفع(١).

١٠- إنها سبب لغفران الذنوب.

١١- إنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

١٢- إنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة، كما في حديث: ابن مسعود.

١٣- إنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة.

١٤- إنها سبب لقضاء الحوائج.

١٥- إنها سبب لصلاة الله على المصلي، وصلاة ملائكته عليه.

١٦- إنها زكاة للمصلي وطهارة له.

١٧- إنها سبب تبشير العبد بالجنة قبل موته، كما في حديث ذكره الحافظ أبو موسى.

١٨- إنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة، كما في حديث ذكره ذلك الحافظ أيضًا.

---

(١) ولفظه: «من صلى على محمد وقال: اللهم، أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة؛ وجبت له شفاعتي». أخرجه أحمد (٤/ ١٠٨)، وإسماعيل القاضي في: فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم: (٥٣)، وابن أبي عاصم (٥٩-٧٨)، والبزار (٤/ ٤٥-٣١٥٧)، والطبراني في: المعجم الكبير(٥/ ١٣-١٤/ ٤٤٨٠، ٤٤٨١). وضعفه الألباني في الضعيفة برقم: (٥١٤٢)، (١١/ ٢٣٩).

١٩ - إنها سبب لرد النبي ﷺ على المصلي، والمسلِّم عليه.

٢٠ - إنها سبب لتذكر العبد ما نسيه.

٢١ - إنها سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

٢٢ - إنها سبب لنفي الفقر.

٢٣ - إنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ.

٢٤ - نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا ذكرها عند ذكره ﷺ.

٢٥ - إنها ترمي صاحبها على طريق الجنة، وتخطي بتاركها عن طريقها.

٢٦ - إنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه اسم الله ورسوله، ويحمد ويثنى عليه فيه، ويصلى على رسوله ﷺ.

٢٧ - إنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدأ بحمد الله والصلاة عليه.

٢٨ - إنها سبب لوفور نور العبد على الصراط، كما في حديث ذكره أبو موسى وغيره.

٢٩ - إنه يخرج بها العبد عن الجفاء.

٣٠ - إنها سبب لبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه، بين أهل السماء والأرض؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

٣١ - إنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره، وأسباب مصالحه لما تقدم.

٣٢ - إنها سبب لنيل رحمة الله له؛ لأنها من معناها أو من لوازمها.

٣٣ - إنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ، وزيادتها وتضاعفها.

٣٩- عند كل كلام خَيْرٍ ذي بال[١].

٤٠- في أثناء صلاة العيد، كما ذكر جميع ذلك الحافظ ابن القيم.

جمعناه باختصار ليسهل تناوله. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

= ورواته فيهم بعض المقال».

(١) قال السخاوي في: القول البديع، ص (٢٤٦): «أخرجه الديلمي، وسنده ضعيف».

خاتمة الكتاب

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد تم ما أردته من القسم الأول في هذه الورقات، من كتابة: «ما لابد منه في أمور الدِّين»، على طريقة السلف ومذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

راجيًا من الله أن يكون خالصًا لوجهه الكريم، وسببًا للفوز بجنات النعيم، ملتمسًا تأييد أهل الحق والحقائق لما فيه بالتعليم، فقد قال بعضهم: «ينبغي لكل مؤمن أن يصرح بعقيدته على رؤوس الأشهاد، فإن كانت صحيحة شهدوا له بها عند الله تعالى، وإن كانت غير ذلك بينوا له فسادها؛ ليتوب منها». انتهى.

والحق برهان على نفسه، لا يخفى على بصير، ولا يعدم له نصير، والاخلاص ينفذ القول إلى أعماق القلوب، ويمتلك الوجدان بقوة البرهان وحسن البيان، ويتردد صداه في أنحاء النفوس، فيستحيل رجوعها عنه، وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، كما قيل: «الرجوع عن الحق بعد العلم به محال».

وكان الفراغ من كتابة ذلك: يوم السبت المبارك، الموافق: لست وعشرين من شهر رجب الأصم، من عام: ألف وثلاثمائة واثنين وثلاثين، من هجرة سيد المرسلين ﷺ.

خاتمة الطبع للمؤلف

الحمد لله أولاً وأخيرًا، والصلاة والسلام على نبيه وآله.

أما بعد: فقد تمَّ طبع القسم الأول من كتاب: «ما لا بد منه في أمور الدِّين»، في غاية التصحيح والتحسين، بالمقابلة على الأصل الذي بخطي، وإعادة نظري عليه حين وصولي إلى مصر ـ المحروسة، لتمضية شهري الصيف: (الأسد والسنبلة)، مدة التعطيل للدروس عندنا في الحرم المكي.

وسنطبع القسم الثاني مثله مع تعليقات نفيسة على أشياء، وعلى ما يتعلق بالكبائر وشعب الإيمان، إن شاء الله تعالى.

وحرّر هذا عند انتهاء الطبع، في (٢٠) من شهر شوال، من عامنا هذا: ألف وثلاثمائة واثنين وثلاثين، من هجرة سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

مجموعة الرسائل المكية في العقيدة الإسلامية
المجموعة الأولى: مجموعة رسائل الشيخ أبي بكر محمد خوقير رحمه الله (١ / ٢)
الرسالة الثانية

فصل المقال
وإرشاد الضال في توسل الجُهَّال

تأليف العلَّامة
أبي بكر بن محمد عارف خوقير
(ت: ١٣٤٩هـ)

تحقيق وتعليق
د. عبد الله بن عمر الدميجي
جامعة أم القرى، مكة المكرمة

تقديـــم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله صحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فإن لحُرَّاس العقيدة في تآليفهم مناهج متعددة، يلبسون لكل مناسبة لبوسها، ولكل ميدان ما يناسبه، يحدد ذلك الواقع الذي يعيشه الحارس، والحالة التي يريد أن يعالجها، فإذا كان الخلل نتاج جهل وقلة علم بأصول العقيدة وقواعد الملة، فهنا يشرعون في تقريرها بتبسيط مسائلها، وعرض مبادئها، مدعومة بالدليل في أغلب الأحيان، بعيدًا عن الجدل والمناقشة، وتفصيل الجزئيات والمجادلة.

أما إذا كانت المشكلة نتيجة شبهات وأهواء، يُلَبَّس فيها الحق بالباطل ليدحض به الحق، فإن الحالة هذه تحتاج إلى مبضع الجراح؛ للتفتيش عن بيت الداء أولًا، ثم التركيز عليه بالدواء ثانيًا؛ وذلك برد الشبهة وكشف زيفها وتفنيدها، ودحر كيد مثيرها الداعي إليها.

والشيخ/ أبو بكر خوقير رحمه الله، كما رأيناه في الرسالة الأولى، قد قام ببسط «ما لابد منه في الدِّين». بأسلوب سهل وعبارة ميسرة، وتقرير للمسألة من غير جدال أو مناقشة، أو دخول في تفصيل الجزئيات.

إلا أنه في هذه الرسالة ـ وهي الثانية من السلسلة ـ نراه قد غَيَّر أسلوبه، فسلك مسلك الردِّ والمجادلة. وهذا الأسلوب يحدده الموقف.

فالرسالة الأولى: كانت لغرض وضع منهج مبسط لتعليم العقيدة، أما هنا فهو لرد كيد صائل، أراد أن يثير على المسلمين فتنة، بالتلبيس عليهم

بإثارة بعض الشبهات، لتقرير عقيدة القبورية، وإحياء سنة الجاهلية في توسلاتها الشركية؛ فكانت هذه الرسالة كما يقول المصنف رحمه الله تعالى: «نتيجة مناقشة مع أحد علماء الهند، الذي جاء إلى هذه البلاد المباركة»، فناقشه الشيخ في بعض المسائل، ثم أرسل نقولات من أهل العلم المتقدمين. لكن بدلًا من أن يقبل الحق، قام بالرد على هذه الرسالة؛ رغبة في تقرير مشروعية التوسل بالأنبياء والصالحين بعد مماتهم، واجتهد في الاستشهاد ببعض النصوص، التي إما أن تكون صحيحة ولكنها غير دالة على ما يريد، وليست صريحة في الدلالة عليه. أو بنصوص صريحة ولكنها لا تصح عن الشارع، ولا يجوز الاعتماد عليها في التشريع، أو على رؤى وأحلام، أو قصص أعراب مجاهيل!

وهنا يعجب المرء، كيف يرد أهل البدع المحكمات والنصوص القاطعات، ثم يلجؤون إلى رؤى ومنامات، وحكايات واهيات؟! ولكنه الهوى يعمي ويصم. نعوذ بالله من الخذلان.

وقد أحسن الشيخ صنعًا في تفنيد ما ذكره المعترض من شبهات، وتأكيده على ضرورة التأكد من صحة الدليل قبل الاستدلال به، وعلى الرجوع إلى أقوال أهل العلم في الحديث لمعرفة درجته؛ وعلى الاعتماد على النصوص الصحيحة والصريحة في التعبد والاعتقاد، لا على الأهواء والشهوات.

والمصنف - رحمه الله - في هذا الكتاب، قد أكثر النقل من علماء السلف، ورجع إلى كثير من مؤلفاتهم؛ مثل: كتب التفسير بالمأثور، والباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة، واقتضاء الصراط المستقيم والرد على البكري لابن تيمية، وعلى إغاثة اللهفان وإعلام الموقعين لابن القيم،

والصارم المنكي لابن عبد الهادي، وتجريد التوحيد للمقريزي.

ومن الكتب المتأخرة: تطهير الاعتقاد للصنعاني، والدر النضيد للشوكاني، وغيرهما.

وقد قام المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بتأليف هذا الكتاب، لأربع بقين من شعبان، سنة: (١٣٢٤) من الهجرة، وقامت مطبعة مجلة المنار الإسلامية في عصر المؤلف بمصر، بطبعه في تلك السنة.

وقد اعتمدت على هذه النسخة التي طبعت في عصر المؤلف رحمه الله تعالى، ولم أستطع الوقوف على أصلها المخطوط، بعد طول البحث والسؤال، وقمت بعزو الآيات إلى سورها مرقمة، وخرجت الأحاديث، وبينت أقوال العلماء فيها، واجتهدت في توثيق النقول، وتحديد مواطنها من أصولها قدر المستطاع، كما ترجمت لبعض الأعلام، وعلقت على بعض المسائل التي رأيت أنها تحتاج إلى إيضاح وتعليق.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يجزي الشيخ عنا وعن المسلمين خير الجزاء، وأن ينفع بهذا الكتاب عباده المؤمنين، وأن يهدي ضال المسلمين، وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وألا يجعله ملتبسًا علينا فنضل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. عبد الله بن عمر الدميجي

جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نحمدك ونستعينك ونستهديك، ولا نعبد أحدًا غيرك، ولا نرجو سواك، ولا نتوكل إلا عليك، ولا نستعين إلا بك، ولا ندعو سواك، ولا نلجأ إلا إليك، ونصلي ونسلم على من أرسلته بإخلاص العبادة والعبودية[(١)]، والذبِّ عن حماك في الألوهية، وعلى آله وصحبه والتابعين، وتابعيهم وأحزابه، يا مجيب دعاء المضطرين، ويا أمان الخائفين، من رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرك، ومتابعة رسولك، والجهاد في سبيلك.

أما بعد: فقد بلغني ورود رجل من أفاضل الهند إلى ثغر جدة المحروس، فوصلت إلى محله للسلام عليه، حبًّا في العلم وأهله، فحصلت معه مذاكرة في التوسل وما تفرع عنه، من توسع الناس فيه قولًا وفعلًا، فظهر

---

(١) معنى العبادة في اللغة: الخضوع مع الطاعة. وأصل العبودية: الخضوع والتذلل، ومنه يقال: طريق معبد. لسان العرب (٣/ ٢٧٣) مادة: (عبد).
أما في الاصطلاح فتطلق على شيئين:
الأول: التعبد، وهو التذلل لله تعالى محبة وتعظيمًا؛ بفعل أوامره واجتناب منهياته، على الوجه الذي جاءت به رسله.
الثاني: المتعبد به، وهو كما قال شيخ الإسلام: «اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة». العبودية (ص٢٠)، تحقيق: خالد العلمي، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، ندوة الكتاب العربي.
والمعنى المقصود هنا: هو عبودية الاختيار التي يترتب عليها الثواب والعقاب، أما عبودية القهر فهي حاصلة من جميع المخلوقات، كما قال الله عز وجل: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

من هذا الرجل تعصب جاهلي، وقال: «إن آدم توسل بالنبي ﷺ، وأنه ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[1]، أنه قال: «يا رب، بحق محمد اغفر لي»[2].

فكتبنا له عبارات الإمام ابن جرير، والإمام ابن كثير، في تفسير تلك

---

(١) سورة البقرة، آية: (٣٧).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، في أطول مما هنا، عن عمر بن الخطاب يرفعه (٢/ ٦١٥)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد. وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب». وتعقبه الذهبي فقال: «بل موضوع، وعبد الرحمن واه. والحاكم نفسه مما طعن في عبد الرحمن بن زيد، فقال في المدخل إلى الصحيح (١/ ١٥٤): «عبد الرحمن بن زيد أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعه». قلت: وهذا أحدها. وقد ضعفه ابن معين وأحمد والنسائي وغيرهم». ينظر: الميزان (٢/ ٥٦٤).

ورواه البيهقي في الدلائل (٥/ ٤٨٩)، وقال: «تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه، وهو ضعيف».

ورواه الطبراني في الأوسط والصغير، قال الهيثمي: «وفيه: من لم أعرفهم». مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٣).

ورواه الآجري في الشريعة عن أبي الزناد موقوفًا، ح (٩٥٠) (٣/ ١٤١٠). وعن عمر بن الخطاب مرفوعًا أيضًا، ح (٩٥٦) (٣/ ١٤١٥).

وممن ضعف الحديث إضافة إلى من سبق: شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على البكري (ص٦) المختصر، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٣٢٣)، والسيوطي في تخريج أحاديث الشفاء (ص٣٠)، والزرقاني في شرح المواهب (١/ ٧٦)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٧٦)، وغيرهم. ومن المعاصرين: الألباني في الضعيفة، حديث (٢٥) (١/ ٣٨).

الآيـة، ــ وسيأتي نصـها ــ[١]. فأرسـل إلينـا رسـالة بإمضـائه هكـذا: «المفتـي أحمد حسن الجالندري».

وقد أفرغ في هـذه الرسـالة مـا في جعبتـه، وأعـرب عـن وقاحتـه وجهلـه المركب، وما عنده من فاسد التعصب، وبرهن لحنه وتراكيب عباراته على عدم معرفته كلام العرب، وأضاف إلى عجمته وجهله الكذب وسوء الأدب.

يقول فيها: صديقي وخليلي الشيخ/ عبد القادر...[٢]. ثـم يتهكم معيِّر لنا بتعاطي التجارة، كأنه يرى استحالة اجتماعها مع العلم، ألم يعلم بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعاطون مع رسول الله أسباب التجارة والحرفة؟ ولم يمنعهم الصفق في الأسواق من الصلاة مع رسول الله ﷺ والاهتداء بهديه، حتى نَـوَّه الله بشأنهم في القرآن العزيز، بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ﴾ الآية[٣].

وكان من أعظمهم ثروة عبد الرحمن بن عوف، الذي اختاره[٤] فيمن

---

(١) (ص٩) وما بعدها.

(٢) عبد القادر التلمساني، التاجر الفاضل الذي أسهم بماله في نشر كتب الاعتقاد الصحيح، ومنها: كتب الشيخ خوقير رحمه الله تعالى. ومنها: هذه الرسالة. ونص على ذلك المصنف (٢٧) حيث قال: «قال الهندي: ورد كتاب من خليلي وصديقي الشيخ/ عبد القادر التلمساني في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾. فذكر نص الكتاب، والذي يظهر: أن الكتاب كتبه الشيخ أبو بكر، والذي قام بإهدائه وإيصاله، هو الفاضل/ عبد القادر التلمساني.
انظر ترجمته في: علماء نجد خلال ستة قرون، (١/ ١٥٦)

(٣) من سورة النور، آية: (٣٧).

(٤) الذي اختاره عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما في صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قصة البيعة والاتفاق على عثمان. الفتح (٧/ ٥٩).

انتخبه للخلافة والشورى.

وقد اتجر كثير من العلماء والأئمة، وتعاطوا أسباب الحرفة وطلب المعيشة، وقد ذكر بعضهم: «أن الغنى مما يزيد في العقل».

وقد أجمع أهل العلم: على أن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله في قلب من شاء، كما قاله الإمام مالك(١)، وكما في الحديث: «من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين»(٢).

نعم، ينبغي: أن يُعيّر العالم إذا تاجر بعلمه، وجعله شبكة يصطاد به الدنيا، أو يخدم به أغراض الحكام حتى يصل مرتبًا أو لقبًا(٣)، مثل: «خطاب شمس العلماء».

نعم، ينبغي: أن يُعيّر العالم إذا تصدر (للفتيا) وهو ليس أهلًا لها، وتجاسر على القول بما لا يعلم، وأسرع في الجواب ولم يرقب رب الأرباب، فقد قال ﷺ: «أجرأكم على الفتيا أجرأكم على النار»(٤). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (ص٤١)، الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتصام، حديث (٧٣١٢) (١٣/ ٢٩٣)، ومسلم في الإمارة، حديث (١٠٣٧)(٣/ ١٥٢٤)، من حديث معاوية بن أبي سفيان.

(٣) انظر رسالة: تعريب الألقاب العلمية، للشيخ/ بكر أبو زيد.

(٤) أخرجه الدرامي في سننه، في المقدمة (١/ ٥٣)، حديث (١٥٩)، من حديث عبيد الله بن أبي جعفر مرسلًا. والحديث ضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة، حديث (١٨١٤)، وضعيف الجامع(١٤٧).

مَسْـُٔولًا ﴾(١).

وأعظم الناس جرأة على الله وافتراء على رسوله: القصاصون الذين نصبوا أنفسهم للوعظ على جهل؛ مثل هذا الرجل، فليس عندهم من العلم والحياء من الله، ما يمنعهم من انطلاق(٢) ألسنتهم في القول بما يكون، بل يهرفون بما لا يعرفون؛ ليستميلوا العامة ويصرفوا وجوه الناس إليهم، ملبسين عليهم بزي أهل العلم والتصوف، ورأس مالهم الوقاحة بمخض الدعوى وصلافة الوجه.

وقد اتفق فيما مضى، أن جلس الإمام أحمد بن حنبل والإمام يحيى بن معين في حلقة قَصَّاص، وهو يقول: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا يحيى بن معين، وصار الإمامان يلتفت أحدهما إلى الآخر، ويقول كل منهما إلى صاحبه: هل سمعت هذا الحديث هل حدثت به؟! فيقول: لا، فجاءا إلى ذلك القَصَّاص بعد فراغه من الوعظ، فقالا: يا رجل، إننا فلان وفلان، وكلانا لم نسمع بما حدثت، فكيف ترويه عنا؟! فقال: كنت أظن أن لكما عقلًا، إني رويت عن سبعين رجلًا اسمه: أحمد بن حنبل، وسبعين رجلًا اسمه: يحيى بن معين، أتظنا أن ليس في الوجود غيركما؟(٣) فتركاه وانصرفا يتعجبان من وقاحته.

فهم أصل كل بلية في الأحاديث الموضوعة.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٣٦).

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: «إطلاق».

(٣) انظر: مقدمة ابن حبان في المجروحين (١/ ٨٥)، والموضوعات لابن الجوزي (١/ ٤٦). وقد أنكر القصة الذهبي في الميزان (١/ ٤٧).

وقد قيض الله رجالًا في كل زمان ومكان؛ لنصرة دينه بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وكشف حال المدلس العاطل، فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين؛ لما أخذ الله الميثاق على أهل العلم لَيُبيننَّه للناس ولا يكتمونه، وقال ﷺ: «من كتم علمًا ألجمه الله بلجام من نار»(١).

وقال صاحب الوهبانية(٢):

«من الدِّين هتك السّتْر عن كلّ كاذب وعن مُدَّعٍ ما ليس فيه ويشهر»

[فلهذا](٣) وجب علينا الانتداب للرد على هذه الرسالة، فكتبنا هذه العجالة وسميناها: «**فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال**». ونسأله تعالى التوفيق والهداية إلى أقوم الطريق.

---

(١) أخرجه الترمذي في العلم، حديث (٢٦٤٩)(٥/ ٢٩) وقال: «حسن». وأبو داود في العلم، حديث (٣٦٤١) (عون ١٠/ ٩١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «من سئل..».
وأخرجه ابن ماجه في سننه في المقدمة، باب: من سئل عن علم فكتمه، حديث (٢٦١-٢٦٦) (١/ ٩٦-٩٨)، والحاكم في المستدرك، حديث (٣٤٦) (١/ ١٠٢)، وابن حبان في صحيحه، حديث (٩٦) (١/ ٢٩٨)، كما رواه أحمد من حديث عمرو بن العاص بنحوه، في (٢/ ٢٦٣-٣٠٥-٣٤٤-٤٨٥).
والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع، حديث (٦٣٣٩) (٥/ ٣٥١)، وتخريج الترغيب (١/ ٧٣).

(٢) الوهبانية: منظومة في المسائل المتفرقة في مذهب الأحناف، نظمها القاضي/ أمين الدولة، عبدالوهاب ابن أحمد بن وهبان الدمشقي، ولي قضاء حماة، واشتغل بالعربية والقراءات والفقه والأدب، توفي - رحمه الله - سنة: (٧٦٨هـ). ترجمته في: الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٣)، والفوائد البهية (١١٣).

(٣) في الأصل: «فهذا».

مُقَدِّمَة

اعلم: أن مدار التوحيد على منتهى التعظيم القلبي، بأنواع الخضوع الذي هو العبادة والعبودية، كما هو مقتضى معنى (الإله). فإنه هو الذي تألهه القلوب محبة ورجاءً وخوفًا وتوكلًا، ولهذا ورد في الحديث القدسي: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**»(١).

وحماية له وصيانة لحماه، حذر النبي ﷺ من إطرائه(٢) ـ روحي له الفداء ـ وسد ذرائع كثيرة من مظان الشرك، وأنذرنا بأنه أخفى من دبيب

---

(١) عَلَّق المصنف في الهامش بقوله: «أوردنا هذا الحديث للاستشهاد بمعناه الصحيح، وإن لم يصح رواية».
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في جواب من سأله عنه: «هذا مذكور في الإسرائيليات؛ ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ.
ومعنى: «وسعني قلبه» الإيمان بي وبمحبتي ومعرفتي، لا من قال ذات الله تحل في قلب الناس، فهذا من النصارى خصوا ذلك بالمسيح وحده» مجموع الفتاوى (١٨/ ١٢٢، ٣٧٦).
وهذا الخبر ذكره العراقي في تخريجه الإحياء (٣/ ١٣)، وقال: «لم أر له أصلًا».
وكذلك السخاوي في المقاصد الحسنة، حديث: (٩٩٠) (ص٤٣٨)، والعجلوني في كشف الخفا، حديث: (٢٢٥٦) (٢/ ١٩٥)، وملا علي القاري في الإسرار المرفوعة في الأخبار الموضوع، حديث: (٤٢٣) (ص٣٠١)، وقال الشيخ الألباني: «لا أصل له، إنما هو من الإسرائليات». سلسلة الأحاديث الضعيفة، حديث: (٥١٠٣) (١١/ ١٧٦).

(٢) إشارة إلى قوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». رواه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: الأنبياء (٦/ ٣٥٥). من حديث: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

النمل(١).

وقد بايع نفرًا من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا، فكان أحدهم يسقط السوط من يده، فلا يقول: لأحدنا ناولنيه(٢).

ومنع من تعليق الأوتار والتمائم وأمر بقطعها(٣).

وبعث رسول الله ـ كما في السنن وغيرها ـ وقال: **«من تعلق شيئًا وكل إليه»**(٤).

ونهى عن قول الرجل: «ما شاء الله وشئت»، وقال لمن قال له ذلك: **«أجعلتني لله ندًا»**(٥).

---

(١) كما في حديث حذيفة عند أبي يعلى وابن المنذر، قال الهيثمي: «رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبي سليم، وليث مدلس» مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٤). قال الشيخ عبد القادر الأرناؤط: «وجملة: «الشرك فيكم أخفي من دبيب النمل». ثابتة من حديث أبي بكر، ومن حديث ابن عباس عند الحكيم الترمذي وغيره». انظر: تخريجه لأحاديث فتح المجيد (ص٨٣).

(٢) رواه مسلم في الزكاة، باب: كراهية المسألة للناس، ح (١٠٢٣)(٢/ ٧٢١).

(٣) كما في صحيح البخاري، في كتاب: الجهاد، باب: ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل، (٦/ ٩٨)، ومسلم في كتاب: اللباس والزينة، حديث (٢١١٥)، من حديث: أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢١١)، والترمذي في الطب، باب: ما جاء في التعاليق، ح(٢٠٧٢) (٤/ ٣٢٥)، من حديث عبد الله بن عكيم، وإسناده حسن. كما رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢١٤، ٢٨٣، ٣٤٧).

(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢١٨)، والبخاري في الأدب المفرد، ح (٧٨٣)، وابن ماجه في سننه، ح(٢١١٧)، من حديث ابن عباس بإسناده صحيح.

ومنع من التبرك بالأشجار والأحجار، وقال ــ لأبي واقد الليثي وأصحابه من مسلمة الفتح، لما قالوا له: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ـ: «قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قال بنوا اسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة»(١).

ونهى عن الصلاة عند القبور وإن لم يقصدها المصلي، ولعن من فعل ذلك، وأخبر أنهم شرار الخلق عند الله(٢).

ونهى عن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغيره(٣)؛ حسمًا لمادة الشرك وقطعًا لوسائله وسدًّا لذرائعه، وحماية للتوحيد وصيانة لجانبه.

وبيان ذلك: هو أن التعظيم مما يستدرج صاحبه إلى الغلو بطبيعته،

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢١٨)، والترمذي في الفتن، باب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم. (٢١٨٠)(٤/ ٤١٢)، وقال: «حسن صحيح». وهو كما قال. قال الترمذي: «و في الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة». والحديث صححه الألباني في: تخريج المشكاة، (٥٣٣٥).

(٢) كما في صحيح البخاري في الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، (١/ ٤٣٨)، وباب: الصلاة في البيعة (١/ ٤٤٤)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور، ح (٥٢٨)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) إشارة إلى حديث ثابت ابن الضحاك، قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟»، قالوا: لا. قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟»، قالوا: لا، قال: «أوف بنذرك...» الحديث. رواه أبو داود في سننه، في كتاب: الأيمان والنذور، باب: ما يؤمر به من الوفاء بالنذر، (١٣٣١٣)، وصحح إسناده الألباني في: صحيح سنن أبي داود، ح (٢٨٣٤).

ويجري فيه مجرى الدم ويسري في عروقه من حيث لا يدري، والطبع العامي نزَّاع إلى المحسوسات، نافر عن المعقول الذي يعقله العالمون الموصوفون في كل زمان ومكان بالقلة، ولسكونه إلى المثال عدل من أهل الملل إلى التصوير في الكتب والهياكل، كاليهود والنصارى ثم المنانية[(١)] خاصة.

ناهيك شاهدًا على ما قلته: أنك لو أبديت صورة النبي ﷺ أو مكة والكعبة لعامي أو لامرأة، لوجدت من نتيجة الاستبشار فيه دواعي التقبيل، وتعفير الخدين والتمرغ، كأنه شاهد المصوَّر، وقضى بذلك مناسك الحج والعمرة، وهذا هو السبب الباعث على إيجاد الأصنام بأسامي الأشخاص المعظمة، من الأنبياء والعلماء والملائكة، مذكرة أمرهم عند الغيبة والموت، مبقية آثار تعظيمهم في القلوب لدى الفوت، إلى أن طال العهد بعامليها، ودارت القرون والأحقاب عليها، ونسيت أسبابها ودواعيها، وصارت رسمًا وسنة مستعملة. ثم داخلهم أصحاب النواميس من بابها إذ كان ذلك أشد انطباعًا فيهم فأوجبوه عليهم[(٢)].

وهكذا وردت الأخبار فيمن تقدم عهد الطوفان، وفيمن تأخر عنه، حتى قيل: إن كون الناس قبل بعثة الرسل أمة واحدة، هو عبادة الأوثان[(٣)]، هكذا

---

(١) فرقة من النصارى، يقولون: إن أصلين لم يزالا، وهما: النور والظلمة، وكلاهما حي، وغير متناه إلا من الجهة التي لاقى فيها الآخرة.....وهي تنسب إلى ماني بن فاتك.
انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (١١/ ٣٥)، الطبعة الأولى: (١٤٠٣هـ).

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة نوح، ح (٤٩٢٠) (٨/ ٦٦٧).

(٣) والصحيح في ذلك: أنهم كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق، دون الكفر بالله =

ذكره الحكيم البيروني(١) في تاريخ الهند(٢)، ثم ذكر ما كان لأهل التوراة وأهل الهند والروم واليونان.

وقد حكى الله في كتابه شيئًا كثيرًا من أحوال المشركين من العرب وغيرهم، وأنزل ثلثه(٣) في التوحيد.

= والشرك؛ لما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين...».
انظر: تفسير الطبري، الأثر (٤٠٤٨)(٤/ ٢٧٥)، طبعة: أحمد شاكر. والأثر أخرجه ـ أيضًا ـ الحاكم في المستدرك، (٢/ ٥٤٦-٥٤٧)، وقال: «صحيح على شرط البخاري» ووافقه الذهبي.
ويشهد له الحديث القدسي: «**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فجاءتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم...**» الحديث. رواه مسلم في حديث طويل في كتاب: الجنة وصفة نعيم أهلها، (٢٨٦٥) (٤/ ٢١٩٧).

(١) هو: محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، (ت: ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، له كتاب: (الآثار الباقية عن القرون الخالية) و(تاريخ الهند) وغيرهما، الأعلام (٥/ ٣١٤).

(٢) علق المصنف في الهامش فقال: «قال في خطبته: وليس الكتاب كاتب حجاج وجدل، حتى استعمل فيه بإيراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحق، وإنما كتاب حكاية، فأورد كلام الهندي على وجهه، وأضيف إليه مالليونانيين من مثله؛ لتعريف المقاربة بينهم، فإن فلاسفتهم وإن تحروا التحقيق فإنهم يخرجون فيما اتصل بعوامهم، عن رموز نحلهم ومواضعات ناموسهم، ولا أذكر مع كلامهم كلام غيرهم إلا أن يكون للصوفية، أو لَاحد أصناف النصارى؛ لتقارب الأمر بين جميعهم» الحلول والاتحاد. اهـ.

(٣) بل غالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الطلب والقصد.
قال ابن القيم: «بل كل سورة في القرآن، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع =

فعلى المؤمن المنصف أن يمعن نظره فيه، وليتدبر حال الجاهلية، مع مراجعة تفسير الإمام ابن جرير وابن كثير والبغوي، فقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»(١).

ثم لينظر ما جاء في السنة من سَدِّ كل ذريعة، فإذا عرف ذلك تبين له عذر المانعين من التوسل بالأنبياء والصالحين بعد موتهم، سيما إذا رؤي ما يترتب على قول المجوزين له، من فتح باب الفتنة والبدع الجمة، وإدخال ما ليس من التوسل في بابه، من كل طامة مما ينافي التوحيد على خط مستقيم، حتى صار الشرك الصراح يسمى توسلًا، عند كثير من رؤساء الجهال من المشايخ المتصوفين، ومن نحا نحوهم من المدلسين، أو من أخذته العزة بالإثم عن قبول الحق من المكابرين، وكفاه عقوبة ضميره الذي يبكته كل حين. فليت الجهال اقتصروا في التوسل على كل ما يفيد الوساطة، مع توجيه الطلب إلى الله سبحانه وتعالى(٢). ولكنهم نسوا وتوجهوا إلى

= ما يعبد من دونه، من حقوق التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته. فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما إخبار عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد....

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم» مدارج السالكين (٣/ ٤٤٩) وما بعدها. وينظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٤٣) ط: التركي.

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في: منهاج السنة، (٢/ ٣٩٨)، (٤/ ٥٩٠).

(٢) هذا من المصنف ـ رحمه الله ـ من باب التنزل مع الخصم، وإلا فإن الله تعالى لا يحتاج =

الأموات، وطلبوا منهم قضاء الحاجات، وهتفوا بأسمائهم عند الملمات والإشراف على التهلكات، فزادوا في الطنبور[(١)] نغمة على كفار قريش، معتقدين فيهم النفع والضر[(٢)]، مملوءة قلوبهم تعظيمًا وحبًا لهم، وخوفًا ورجاء، ونذروا لهم النذور، وقربوا لهم الذبائح، واضعين الأكف على الأكف خاشعين، ولا يعتبرون بمن وقف معهم في ذلك المقام من الوثنيين المعروفين عندهم من البانيان[(٣)] والمجوس في الهند، فقد صرفوا جملة عبادات لغير الله، مع دعائه الذي هو مخ العبادة، كما في الحديث[(٤)].

= إلى واسطة بينه وبين خلقه، بل لا يرضى سبحانه بذلك، قال عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. أو أنه يعنى التوسل بالنبي ﷺ حال حياته.

(١) الطنبور: آلة من آلات اللهو.

(٢) لأن كفار قريش قالوا كما ذكر الله تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]. أما هؤلاء فاعتقدوا في معبوديهم النفع والضر الذاتي كقولهم: «مدد يا حسين، يا رسول الله أغثني» ونحوها.

(٣) من طوائف الهنود الوثنيين.

(٤) أخرجه الترمذي في الدعوات، ح(٣٣٧١) (٥/ ٤٥٦) بسند ضعيف. قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة». قلت: وابن لهيعة قال فيه الحافظ: «صدوق..... خلط بعد احتراق كتبه». التقريب (١/ ٤٤٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ح (٣٠٠٣).

وورد بلفظ: «الدعاء هو العبادة». بسند صحيح عند الترمذي في سننه، كتاب: التفسير، باب: سورة البقرة، ح(٢٩٦٩)(٥/ ٢١١)، وقال: «حسن صحيح». وابن ماجه في الدعاء، ح (٣٨٢٧)(٢/ ١٢٥٨)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦)، وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح(٢٦٨٥)، وابن ماجه (٣٠٨٦).

ولقد بلغ التعظيم للأموات في قلوب الجهال فوق الغلو، إلى حد نسوا الله فيه، يحلف أحدهم بالله كاذبًا ولا يحلف بالولي الذي يعتقده، خوفًا من العطب، حتى أدى هذا الحال عند بعض المتأخرين من القضاة، تحليف من طلب منه اليمين فوق قبر الولي الذي يعتقده، فيمسكونه المصحف فوق التابوت ويحلفونه به. فيا ليت أولئك القوم يقولون بكراهة[1] الطلب من الميت فيما لا يقدر عليه، بدلًا عن تصريحهم أن ذلك توسل وقربة، وليتهم ينصحون العامة بترك التغالي في ذلك، وليتهم يكتبون رسائل في تقبيح ذلك، أو ليتهم يسكتون ويستحيون ولا يكابرون، ويتركون التأليف في تحسين ذلك والحث عليه، والدفاع عنه والتشويق إليه بمدائح شعرية، وإنشاد مقامات شيوخية، كأنهم يرون أن الدين لا يتم إلا به، وأن تعظيم الأنبياء والصالحين لا يكون إلا بذلك، وكأنهم يرون أن العامة تحتاج إلى زيادة إرشاد إليه وحث عليه، وكأنهم لا يشعرون إلى الآن بما حل بالأمة من جراء ذلك من الانحطاط في النفوس والعقول والدين والدنيا، ألا ما ينظرون إلى ما يكتبه خطباؤنا الأذكياء في المجلات العلمية، كأنهم يضربون في حديد بارد، أو يخاطبون أمواتًا، فإلى الله المشتكى.

ولو ترك بعض أولئك الرؤساء العناد، وتنازلوا قليلًا عن الغلو الذي هم فيه، لوجدوا أمامهم في كتب الفقه عبارات كثيرة تمنع من ذلك:

قال في طوالع الأنوار شرح تنوير الأبصار مع الدُّر المختار، للشيخ/

---

(١) وهذا ـ أيضًا ـ من باب التنزل مع الخصم، وإلا فهذا لا يكفي، بل الواجب بيان أنه من الشرك، لا أنه مكروه أو محرم فقط.

محمد عابد السندي الحنفي(١): «ولا يقول: يا صاحب القبر، يا فلان اقض حاجتي، أو سلها من الله، أو كن لي شفيعًا عند الله، بل يقول: يا من لا يشرك في حكمه أحدًا، اقض لي حاجتي هذه وحيدًا كما خلقتني» اهـ.

وقال في الفتاوى البزازية(٢): «من قال إن أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر»(٣) اهـ.

وقال أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي(٤): «لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم». قال: «وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل: تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع، من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها، وخطاب الموتى للحوائج، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، أو أخذ تربتها تبركًا، وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر، اقتداء بمن عبد اللات والعزى»(٥) اهـ.

---

(١) الشيخ/ محمد عابد السندي الأنصاري، فقيه حنفي، أصله من الهند، تولى قضاء زبيد باليمن، وولاه محمد على باشا رئاسة علماء المدينة، وبقي بها حتى توفي، سنة: (١٢٥٧هـ). الأعلام (٧/ ٤٩).

(٢) من كتب الحنفية، مطبوع بهامش الفتاوى الهندية، بالمطبعة الأميرية الكبرى بمصر، سنة: (١٣١٠هـ)، وهي المسماه بـ: (الجامع الوجيز)، للشيخ حافظ الدين/ محمد بن محمد بن شهاب، المعروف بابن البزار الكردي، توفي سنة: (٨٢٧هـ).

(٣) (٦/ ٣٢٦).

(٤) أبو الوفاء: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، من أئمة الحنابلة، وهو شيخهم في بغداد في وقته، توفي سنة: (٥١٣هـ). شذارت الذهب (٤/ ٣٥).

(٥) نقله عن ابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص٤٨٣)، ط: (١٩٠٥). وهو في إغاثة اللهفان =

قال الإمام الشوكاني في الدر النضيد في التوحيد[١]: «وإذا عرفت هذا فاعلم أن الرزية كل الرزية والبلية كل البلية، أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد، والتشفع بمن له الشفاعة، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص، في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء، من أنهم يقدرون على ما لايقدر عليه إلا الله جل جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالًا، ويصرخون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعًا زائدًا على خضوعهم، عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء، وهذا إن لم يكن شركًا فلا ندرى ما هو الشرك!! وإذا لم يكن كفرًا فليس في الدنيا كفرًا!! وها نحن نقص عليك أدلة في كتاب الله سبحانه وفي سنة رسوله ﷺ، فيها المنع مما هو دون هذا بمراحل، وفي بعضها التصريح بأنه شرك، وهو بالنسبة إلى هذا الذي ذكرناه يسير، فارجع إليه إن شئت».

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي[٢] في كتابه: سيف الله على من كذب على أولياء الله[٣]: «هذا وأنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين،

= لابن القيم، (١/ ٢٨٤)، تحقيق: حسان عبد المنان، طبعة (١٤١٤هـ)، مؤسسة الرسالة، ونسبه الشوكاني لا بن عقيل، في الدر النضيد (ص٧٥). طبعة: دار الندوة الجديدة، بيروت (١٩٩٣م).

(١) (ص٢٢)، تحقيق: محمد علي الأثري، الطبعة الأولى: (١٤١٥هـ)، الشارقة.

(٢) الشيخ/ صنع الله الحلبي الحنفي المكي. انظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية (٤/ ٩٢)، طبع (١٤١٠هـ)، دار: الرفاعي، الرياض.

(٣) (ص٤٣٦-٤٣٧)، منشور في مجلة الحكمة، بتحقيق ودراسة: علي رضا بن عبد الله =

جماعات يدعون إلى أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهم تكشف الملمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات، وقالوا: منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء، وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة، والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور».

وقال: «وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي؛ لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادرة الكتاب العزيز المصدق، ومخالفة لعقائد الأئمة، وما أجمعت عليه هذه الأمة[1]، وفي التنزيل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ﴾ ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[2]».

ثم قال: «فأما قولهم: إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم، فيرده قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[3]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[4]، ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ

= رضا، العدد: (١٧)، شوال (١٤١٩هـ).

وقد نقل عنه ـ بشيء من الاختصار ـ الشيخ/ سليمان بن عبد الله، في تيسير العزيز الحميد (ص١٩٤)، وابن عيسى في: الرد على المستغيثين بغير الله (ص٦٢٩)، ضمن الجامع الفريد، والقنوجي في: الدين الخالص (٢/ ١٩٩-٢٠١).

(١) زيادة من الأصل: كتاب: سيف الله.

(٢) سورة النساء، الآية: (١١٥).

(٣) سورة النمل، الآية: (٦٠).

(٤) سورة الأعراف، الآية: (٥٤).

ﭐلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١). ونحوه من الآيات الدالات على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير، ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه، فالكل تحت ملكه وقهره تصرفًا وملكًا وإحياءً وإماتة وخلقًا، وقد تمدح الرب تعالى بملكه في آيات من كتابه، كقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾(٢)، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾(٣)»(٤). وذكر آيات في هذا المعنى. ثم قال: «فقوله في الآيات كلها: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي: من غيره، فإنه عام يدخل فيه من اعتقده من ولي وشيطان يستمده، فإن من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره»(٥).

إلى أن قال: «إن هذا القول وخيم(٦) وشرك عظيم...»(٧). إلى أن قال: «وأما القول بالتصرف بعد الممات، فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة، قال جل ذكره: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(٨)، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾(٩)

---

(١) سورة الشورى، الآية: (٤٩).

(٢) سورة فاطر، الآية (٣).

(٣) سورة فاطر، الآية (١٣).

(٤) سيف الله على من كذب على أولياء الله (ص٤٤٨)، من المجلة نفسها.

(٥) المصدر السابق (ص٤٤٩).

(٦) في أصله: «إن هذا السفاهة من القول...».

(٧) سيف الله (ص٤٥٠).

(٨) سورة الزمر، الآية: (٣٠)

(٩) سورة الزمر، الآية: (٤٢)

الآية، وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾(١) ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(٢)، وفي الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» الحديث(٣).

وجميع ذلك وما دال على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة، [محفوظة](٤) عن زيادة ونقصان، فدل على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلًا عن غيره، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره، فإنه سبحانه يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إن الأرواح مطلقة متصرفة، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾(٥)»(٦).

قال: «وأما اعتقادهم(٧) أن هذه التصرفات من الكرامات، فهو أعظم(٨) من المغالطة؛ لأن الكرامات شيء من(٩) الله تعالى، يكرم به أولياءه وأهل طاعته، لا قصد(١٠) لهم فيه ولا تحدي ولا قدرة ولا علم، كما في قصة

(١) سورة العنكبوت، الآية: (٥٧).
(٢) سورة المدثر، الآية: (٣٨)
(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الوصية، ح (١٦٣١) (٣/ ١٢٥٥).
(٤) زيادة من الأصل المنقول منه.
(٥) سورة البقرة، الآية: (١٤٠).
(٦) سيف الله (ص١٥٤).
(٧) في الأصل المنقول منه: «المتمادهم»
(٨) كلمة: «أعظم» زيادة عن الأصل المنقول منه.
(٩) في الأصل المنقول منه: «من عند الله».
(١٠) في الأصل المنقول منه: «لا عن قصد».

مريم ابنة عمران[(١)]، وأسيد بن حضير[(٢)] وأبي مسلم الخولاني[(٣)]...».

وقال: «وأما قولهم: فيستغاث به في الشدائد، فهذا أقبح مما قبله وأبدع؛ لمصادرة قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[(٤)]. ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[(٥)]»[(٦)].

وذكر الآيات في هذا المعنى ثم قال: «فإنه جل ذكره كرر[(٧)] أنه الكاشف للضرر لا غيره، وأنه المنفرد بإجابة المضطر، وأنه المستغاث به

---

(١) قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

(٢) وقصته ﷺ: أنه كان يقرأ القرآن، وكان له فرس مربوط وابنه يحيى مضطجع بجواره، فجالت فرسه، فقام فرأى شيئًا كهيئة الظلة، وهم مجموعة الملائكة...، انظر: صحيح البخاري، ح (٣٨٠٥) وح (٤٧٣٠)، ومسلم ح (٧٩٦).

(٣) لما حاوره الأسود العنسي في الشهادة له بالرسالة، فقال: «لا أسمع»، وعن الشهادة للنبي ﷺ بها يقول: «نعم»، فأمر بها فألقي في النار فلم تضره. والقصة في حلية الأولياء لأبى النعيم، (٢/ ١٢٨)، وابن الجوزي في صفة الصفوة، (٤/ ٢٠٨)، وابن تيمية في الفرقان (ص٤١٢)، والذهبي في السير، (٤/ ٧-١٤).

(٤) سورة النمل، الآية: (٦٢).

(٥) سورة الأنعام، الآية: (٦٣).

(٦) سيف الله (ص٤٥٤-٤٥٥).

(٧) في الأصل المنقول منه: «قرر».

لذلك كله، وأنه القادر على دفع الضر، القادر على إيصال الخير، فهو المتفرد بذلك، فإذا تعين هو ـ جل ذكره ـ خرج غيره من ملك ونبي وولي.....»(١).

قال: «والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية، في قتال أو إدراك عدو أو سبع ونحوه؛ كقولهم: يا آل زيد، يا للمسلمين، بحسب الأفعال الظاهرة بالفعل، وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير، أو في الأمور المعنوية من الشدائد؛ كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه، فمن خصائص الله لا يطلب(٢) فيها غيره....»(٣).

قال: «وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم، كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال، وينادونهم ويستنجدون بهم، فهذا من المنكرات»(٤).

فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي، أو أرواح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيرًا؛ فقد وقع في وادي جهل خطير، فهو على شفا جرف من السعير.

«وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات، فحاشا الله أن تكون أولياء(٥) الله تعالى بهذه المثابة. فهذا ظن أهل الأوثان كما أخبر الرحمن:

---

(١) سيف الله (ص٤٥٥).

(٢) في الأصل المنقول منه: «لا يذكر».

(٣) سيف الله (ص٤٥٥).

(٤) سيف الله (ص٤٥٨).

(٥) كذا في الأصل، ولعله: أن يكون أولياء الله... أو: تكون كرامات أولياء الله.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾(١)، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾(٢)، ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ﴾ الآية(٣). فإن ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر، من نبي أو ولي وغيره على وجه الإمداد منهم، شرك(٤) مع الله تعالى، إذ لا قادرعلى الدفع غيره، ولا خير إلا خيره...»(٥).

قال: «وأما ما قالوا: إن منهم أبدالًا ونقباءَ وأوتادًا ونجباءَ، وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعة، والقطب هو الغوث للناس، فهذا من موضوعات إفكهم، كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في سراج المريدين، وابن الجوزي(٦) وابن تيمية(٧)» انتهى باختصار(٨).

---

(١) سورة يونس، الآية: (١٨).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٣).

(٣) سورة يس، الآية: (٤٣).

(٤) في الأصل المنقول منه: «إشراك».

(٥) سيف الله (ص٤٦٣-٤٦٤).

(٦) انظر: الموضوعات له (٣/ ٣٩٧-٤٠١)، طبعة: أضواء السلف. وانظر: اللآلي المصنوعة للسيوطي، (٢/ ٣٣٠)، والمقاصد الحسنة للسخاوي (ص٨-١٠).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٣٣-٤٤٤).

(٨) سيف الله (ص٤٧٧).

وانظر: البحث النفيس للإمام الصنعاني في هذا الموضوع، في رسالته: الإنصاف في حقيقة الأولياء مالهم من المكرمات والألطاف.

قال الهندي: «ورد علي كتاب من خليلي وصديقي، الفاضل الجليل الشيخ/ عبد القادر التلمساني[١]، في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[٢]. جاء بأقوال مستدلًا بها على أن آدم ــ عليه السلام ــ ما توسل في دعائه بسيد الرسل ﷺ، وما كانت الكلمات: «اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي» الخ[٣]».

أقول: هذه صورة الكتاب الذي قدمناه إلى هذا الرجل، بنصه:

بيان ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

في التفسير الكبير للعلامة الفاضل/ محمد بن جرير الطبري:

– «عن ابن زيد تابعه أبو زهير و مجاهد وقتادة [والحسن][٤] ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٥]»[٦].

---

(١) تقدمت ترجمته أول الرسالة: (ص٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٣٧).

(٣) تقدم تخريج هذا الخبر وبيان وضعه في أول الرسالة (ص٨).
وانظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤٩٣-٤٩٩)، تحقيق: الشيخ/ ربيع بن هادى المدخلي. وانظر: التوسل أحكامه وأنواعه، للشيخ/ الألباني (ص١٠٣)، الطبعة الثانية: (١٤٠٠هـ)، الدار السلفية، الكويت.

(٤) في الأصل: «الحسين»، وهو خطأ مطبعي. انظر: جامع البيان (١/ ٥٤٣)، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد شاكر.

(٥) سورة الأعراف، الآية: (٢٣)

(٦) جامع البيان (١/ ٥٤١-٥٤٣)، الآثر (٧٧٤، ٧٧٨).

– ابن عباس: «أي رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي رب ألم تنفخ في من روحك؟ قال: بلى، قال: أي رب ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى، قال: أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى، قال: أرأيت إن أنا تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: [نعم][(١)]»[(٢)].

– وعنه أيضًا: «رب إن أنا تبت وأصلحت؟ قال: إني إذًا راجعك إلى الجنة»[(٣)].

– أبي العالية: «يا رب، أرأيت إن أنا تبت وأصلحت؟ فقال الله: إذًا أرجعك إلى الجنة». فهي من الكلمات.

ومن الكلمات أيضًا: «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»[(٤)].

– أسباط عن السدي: «قال: رب ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى، ونفخت في من روحك؟ قيل له: بلى، قال: وسبقت رحمتك غضبك؟ قيل له: بلى، قال: رب هل كنت كتبت عليَّ هذه؟ قيل له: نعم، قال: رب إن تبت وأصلحت هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قيل له: نعم، قال الله: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[(٥)]»[(٦)].

---

(١) في الأصل: «بلى». وهو خطأ وخلاف المنقول منه. انظر: جامع البيان (١/ ٥٤٢).

(٢) جامع البيان (١/ ٥٤٢)، الأثر (٧٧٥).

(٣) جامع البيان (١/ ٥٤٣)، الأثر (٧٧٧).

(٤) المصدر نفسه (١/ ٥٤٣)، الأثر (٧٧٩).

(٥) سورة طه، الآية: (١٢٢)، وفي الأصل خطأ في الآية.

(٦) جامع البيان (١/ ٥٤٣- ٥٤٤)، الأثر (٧٨٠).

- سفيان عن عبد العزيز بن رُفيع، عن عُبيد بن عُمير، تابعة ابن سنان وفظيع[(١)] وخلافه «قال آدم: يا رب، خطيئتي التي أخطأتها؛ أشيء كتبته عليّ قبل أن تخلقني، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي-؟ قال: بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك، قال: [فكما][(٢)] كتبته علي فاغفره لي».

- عن معاوية: «اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، تب علي إنك أنت التواب الرحيم»[(٣)].

- عن مجاهد: «اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنك خير الراحمين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم»[(٤)].

- وعنه أيضًا قال: «أي رب أتتوب عليَّ إن تبت؟ قال: نعم، فتاب عليه ربه»[(٥)] اهـ بحروفه[(٦)].

---

(١) كذا في الأصل، وليس في المنقول منه. ولعله: ابن سنان عن وكيع كما في الأثر، (٧٨٣)، من جامع البيان (١/ ٥٤٤).

(٢) ساقطة. وهي في الأصل المنقول منه. جامع البيان (١/ ٥٤٤)، الأثر (٧٨١).

(٣) جامع البيان (١/ ٥٤٤-٥٤٥)، الأثر (٧٨٦). وفيه: عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية. وليس عن معاوية. فلعل الصواب: ابن معاوية.

(٤) المصدر نفسه (١/ ٥٤٥)، الأثر (٧٨٨).

(٥) المصدر نفسه (١/ ٥٤٥ -٥٤٦) الأثر (٧٩٠).

(٦) مختصرًا. وقد نقلها مختصرًا - أيضًا - الحافظ ابن كثير في تفسيره، (١/ ١١٦)، طبعة: الشعب.

قال الهندي: «تعجب عجيبًا؛ لأن الشيخ مع كماله، كيف ترك أصول الدين وقواعد الدين المتين، التي عليها مدار الشريعة الغراء والملة البيضاء، وترك الحديث المرفوع في تفسير الكلمات، وجاء بأقوال العلماء المختلفة؟ سنذكر الحديث إن شاء الله تعالى».

أقول: ما أورده عليّ وارد على الإمام ابن جرير الطبري، وينبغي أن يتعجب منه كما تعجب مني، فإنه ترك ذلك الحديث المرفوع، وأني لم أزد على أن نقلت كلام ذلك الإمام، الذي هو التفسير بالمأثور حقيقة عن الصحابة وسلف الأمة وأئمتها، وتركه لذلك الحديث يشعر بعدم اعتباره صالحًا لتفسير هذه الآية، والطعن فيه، وناهيك بمثل هذا الإمام الذي أجمع أهل العلم على أن تفسيره أعظم التفاسير.

قال أبو حامد الإسفرائيني: «لو سافر رجل إلى الصين في تفسير ابن جرير لم يكن كثيرًا»(١).

وقد ترك ذلك الحديث ـ أيضًا ـ الإمام البغوي فلم يعرج عليه في تفسيره(٢)، وكذلك الحافظ ابن كثير(٣)، وغيرهم من أئمة التفسير المحققين، كما يأتي بيان ذلك.

وأنه لا عبرة بنقل من يجمع بين الغيث والسمين، فيكون كحاطب ليل

---

(١) الإتقان للسيوطي، (٢/ ١٩٠)، ومعجم الأدباء للحموي، (١٨ / ٤٢)، والتفسير والمفسرون للذهبي، (١/ ٢١٠).

(٢) معالم التنزيل (١/ ٨٥). تحقيق: النمر وآخرين.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ١١٦)، طبعة الشعب.

أو جارف سيل(١)، فالحجة بما ثبت عن الصحابة، وعن سلف الأمة وأئمتها، فلذلك قدمنا إلى ذلك الكتاب.

وقول الهندي: «وجاء بأقوال العلماء المختلفة».

فيه: تمويه؛ فقد سمعت نص ما كتبناه له من أقوال الصحابة والتابعين، وأئمة التفسير، ولا خلاف بينها إذ يمكن اجتماعها كلها.

ومن القواعد المقررة في مصطلح الحديث: أن قول الصحابي في حكم المرفوع، إذا لم يكن مثله مما يقال من بادي الرأي أو من الإسرائيليات، وستأتي حقيقة ذلك الحديث المرفوع.

فهذا الرجل لم يعلم حكم هذا الحديث من الصحة أو الضعف أو الشذوذ، لأنه لم يعرف إسناده ولم يطلع على ما قيل فيه، ولم يدر أن الحديث الصحيح ما شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به، فإنهم قالوا: إن هذا الحديث الصحيح ما رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة(٢)، وأنه لا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة أو موضوعة، لا تثبت عند أهل العلم والحديث من أئمة التصحيح والترجيح.

قال الهندي: «مثل هذا لا يعمل أحد من علماء الدين غير هذا الشيخ، وما فهم وما درس».

---

(١) وممن أورد هذا الحديث من المفسرين: ابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٢١٦)، طبعة: الدوحة. وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (١/ ١٢٢)، طبع: (١٤٠٩هـ).

(٢) انظر في تعريف هذا الحديث الصحيح: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث (ص٨).

أقول: انظر إلى الجهل كيف يعمل بصاحبه؟! وكيف يطلق لسانه ويقل حياءه.

قال الهندي: «لو نظر في الكتب لوجد أن أقوال العلماء لا تعارض الحديث المرفوع».

أقول: لو عقل هذا الرجل وفهم ما نظر فيه من الكتب وأنصف، لما فاه بتلك الجمل التي دلس فيها، فسيأتي أنه ليس كل حديث مرفوع بحجة، فإن منه الضعيف الذي يقدم عليه قول الصحابي إذا صح، فإنه في حكم المرفوع كما تقدم. وقد علمت أن في قوله: «أقوال العلماء» تدليسًا؛ فإن فيها من أقوال الصحابة. فتأمل.

قال الهندي: «وأيضًا: إن الشيخ ما طالع التفاسير كلها، وكتب الأحاديث جلها، وإلا لم ينكر التوسل المسنون للسر المخزون».

أقول: أنا لم ننكر التوسل الوارد في السنة، بل نقتصر على ما ورد في الأحاديث الصحيحة، ولا نخرج عن طريق السلف الصالح في ذلك وفي جميع ما صح عنه، فنتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والأعمال الصالحة التي لنا وبخيارنا الصالحين من الأحياء، بطلب الدعاء منهم، والتأمين على دعائهم، كما نفعل في الاستسقاء، وكما جرت على ذلك عادة السلف والخلف، كما سيأتي تفصيل ذلك؛ من أنه لا دليل على جواز التوسل بالأنبياء والصالحين بعد مماتهم، وما ذكره المجوِّزون من الأحاديث: إما أن يكون ضعيفًا لا يصلح للاستدلال، أو أنه دليل عليهم لا

لهم، كحديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما[١].

وأما قول الهندي: «السر المخزون» ومثله في آخر الرسالة، فلم تصل إليه أفهامنا القاصرة، ولا رأيناه في الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، وكأنه مما يدرك بالذوق، ولا تفي بحقه العبارات، كما قال الشاعر[٢]:

يَلُوذُونَ عِنْدَ العَجزِ بالذوق لَيتَهُم ... يَذُوقُونَ طَعْمَ الحَقِّ فالحَقُّ كَالشَّهْدِ
نَقُولُ لهَمُ مَا الذَّوقُ قَالُوا مِثالُهُ ... عَزِيزٌ فَلاَ بِالشَّمِ يُدْرَكُ والحَدِّ
فَفَشْرُهمُ بِالكَشْفِ والذوقِ مُشْعِرٌ ... بَأَنَّهُم عَنْ مَطْلَبِ الحَقِّ في بُعْدِ
وَمَنْ يَطْلُبُ الإِنْصَافَ يُدْلِي بِحُجَّةٍ ... وَيرْجِعُ أحْيَانًا وَيَهْدِي وَيَسْتَهدِي

نعم ذكر بعضهم: أن عباد القبور والأنفس المفارقة، يرون أن تعلق قلب الزائر وروحه بروح المزور سبب لنيل مقصوده وتحصيل نصيب مما يفيض على روح ذلك المزور، كما ذكره الفارابي وغيره من عباد الكواكب والأنفس المفارقة.

قال في إغاثة اللهفان: «ومنهم: من يعبد أصنامًا اتخذوها على صورة الكواكب وروحانياتها بزعمهم، بنوا لها هياكل ومتعبدات، لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه، ومتى أردت الوقوف على هذا

---

(١) حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما، رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: الاستسقاء، باب: سؤال الناس عن الدعاء والاستسقاء إذا قحطوا، ح (١٠١٠) (٢/ ٤٩٤)، وفي فضائل الصحابة، ح (٣٥٠٧) (٣/ ١٣٦٠).

(٢) هو الإمام الأمير/ محمد بن إسماعيل الصنعاني، من قصيدة يمدح فيها الإمام المجدد الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. انظر: عنوان المجد (ص٥٣) فما بعدها.

فانظر في كتاب: السر المكتوم في مخاطبة النجوم، المنسوب إلى ابن خطيب الري[1]، تعرف سِرَّ عبادة الأصنام، وكيفية تلك العبادة وشرائطها، وكل هؤلاء مرجعهم إلى عبادة الأصنام، فإنهم لا تستمر لهم طريقة إلا بشخص خاص على شكل خاص، ينظرون إليه ويعكفون عليه، ومن ههنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصنامًا، زعموا أنها على صورتها، فوضع الصنم إنما كان الأصل ليكون نائبًا منابه وقائمًا مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلًا لا ينحت خشبة أو حجرًا بيده، ثم يعتقده أنه إلهه ومعبوده»[2] اهـ.

فمن أمعن النظر في ذلك فهم في الجملة ذلك «السر المخزون» المضنون به على غير أهله.

قال الهندي بعد تقسيمه الحديث إلى مرفوع وموقوف ومقطوع: «والحديث المرفوع حجة على الإطلاق دون الباقي».

أقول: هذا أكبر دليل على جهل هذا الرجل، وأنه من القصاصين الذين يتكلمون بكلمات العلماء، فلا يخفي على من نظر في مصطلح الحديث: بأن حكم الحديث المرفوع يختلف باعتبار المتن والإسناد، فينقسم إلى صحيح

---

(١) ابن خطيب الريّ: هو محمد عمر الحسن التيمي البكري، فخر الدين أبو عبد الله الرازي، من كبار أئمة الأشاعرة، صاحب كتاب: التفسير الكبير، توفي (٦٠٦هـ). وهذا الكتاب قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ٣٤٠): «سحر صريح. فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى». وانظر: الأعلام (٧/ ٢٠٣).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/ ٢٦٦، ٢٦٧)، تحقيق: حسان بن محمد المنان وزميله، طبعة: (١٤١٤هـ).

وحسن وضعيف، كما أنه ينقسم باعتبار الإسناد، إلى متصل ومرسل ومنقطع ومعضل ومعلّق، فليس كل مرفوع حجة ومقبولًا؛ إلا ما قبله الأئمة بعد البحث عن أحوال رواته، نعم قد اتفق المحدِّثون على أن جميع ما في الصحيحين من المتصل المرفوع صحيح بالقطع(١). فتأمل.

قال الهندي: «وأيضًا ثبت عن أهل العلم والدين: أن الإثبات بالذكر لا يدل على نفي غيره، والشيخ ما جاء في دليله ومكتوبه إلا بالقول المحض، خاليًا عن الأدلة الشرعية».

أقول: هذه العبارة ركيكة لا يكاد يفهم معناها، ولكن نحن نترجمها. فمقصوده: أن الإثبات أمر لا يدل على نفي غيره، أي: أنه لا يقبل ما أثبتناها في تفسير الكلمات التي تلقاها آدم عن ربه، عن أئمة التفسير والحديث من الصحابة والتابعين والحفاظ المسندين، ولا يعتبر إثبات ذلك نافيًا لما ظفر به من الحديث المرفوع، في تفسير تلك الكلمات، بتوسل آدم بحق محمد صلوات الله وسلامه عليهما. وقد فاته أن الإثبات إذا كان على وجه الحصر يدل على نفي غيره، وكذا إذا قامت قرينة عليه، وقد قررنا أن ترك أئمة

---

(١) في هذا الإطلاق نظر. قال الإمام النووي في مقدمة شرح صحيح مسلم (١/ ١٧): «قد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلّا فيها بشرطهما، ونزلت عن درجة ما التزماه...». ثم ذكر بعض الذين استدركوا على الشيخين، ثم قال: «وقد أجيب عن ذلك، أو أكثره..». قال الحافظ ابن حجر: «قوله في شرح مسلم: وقد أجيب عن ذلك أو أكثره، هو الصواب فإن منها الجواب عنه غير منتهض كما سيأتي..». هدي الساري (ص٣٤٦). وينظر: نكت ابن حجر (١/ ١٨٣). والنكت على مقدمة ابن الصلاح (١/ ٢٨٧) للزركشي.

التفسير ـ الذين عليهم المعول فيه ـ يشعر بعدم اعتبار ذلك الحديث طعنًا فيه، وهذا الرجل قرر في أول كلامه أن تركنا لذلك الحديث المرفوع إنكار له وتعجب منه، كما سمعته، كل ذلك قرينة المقام، فشَّن علينا الغارة وأقام القيامة، وقال: «مثل هذا لا يعمل أحد من علماء الدين غير هذا الشيخ». فتأمل.

وقال الهندي: «لعل الشيخ يكون في وقت الكتابة في شغل البيع والشراء، ناسيًا عن قواعد العلماء.

يا أيها الشيخ اللبيب، علم التجارة لا يحصل به علم الدِّين، ولو بلغتم سن اليقين، فاستحيوا من الله العظيم، لا تستحيوا من الناس».

أقول: لا يستحيل اجتماع العلم مع التجارة كما تقدم بيانه في صدر هذه العجالة، وكما هو موجود في الناس بكثرة، ولله الحمد.

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ والدُّنيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الكُفْرَ والإِفْلاَسَ بِالرَّجُلِ

وما أحسن الحياء من الله، نسأله التوفيق سبحانه.

وما أحسن النصيحة لو عمل بها الناصح، فخير له أن لو استحيى من الله واشتغل بالتعلم، بدلًا من التعليم والإرشاد على جهل، فلو جاء عندنا ما اشتغلنا بالتجارة، لعلمناه اللسان العربي، وأصلحنا عقيدته، وعلمناه علم الدين.

قال الهندي: «إن شاء الله أنا أبين هذه المسالة ـ يعنى مسألة التوسل ـ بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة، بتوفيق الملك العلام صاحب الجود والإنعام».

أقول: ستعلم منا حقيقة تلك البراهين والحجج، وما وقعت من جهله في لجج.

فَدَعْ عَنْكَ الكِتَابَةَ لسْتَ مِنْهَا ... وَلَو سَوَّدْتَ وَجْهَكَ بِالمِدَادِ

قال الهندي: «والعجب أن الشيخ من أي لفظ مجاهد وقتادة وغيرهما رحمهما الله فهم الحصر؟! وما يدري أن القاعدة تقررت عند الأصوليين: أن الإثبات بالذكر لا يدل على نفي الغير. صدق من قال شعرًا:

مِنْ مَذْهَبِي حُبُّ الدِّيارِ لِأَهْلِهاَ ... وَللنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ»

أقول: هذا مكرر مع ما قبله كما تقدم مع الجواب عليه، وكأنه يترنم بهذا البرهان القاطع؛ إعجابًا به، فتأنق في إيراده، ولكن في غير محله، مع احتياجه على ترجمان يحله، ثم استشهد عليه ببيت لا يلائمه، معجبًا بنفسه، فسبحان ما نح العقول وفاضح الجهول؟!.

قال الهندي: «لعله ما نظر في مدة حياته إلى الآن في تفسير المدارك[(١)]، ولا إلى تفسير البيضاوي[(٢)] وتفسير عزيزي وغيره».

---

(١) مدارك التأويل، لعبد الله بن أحمد محمود، المشهور بالنسفي، كان حنفي المذهب، اختصر تفسير البيضاوي والزمخشري، سار فيه على مذهب التأويل، توفي سنة (٧١٠هـ).

انظر ترجمته: في الدرر الكامنة (٢/ ٣٥٢)، معجم المؤلفين (٢/ ٢٢٨)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير (٢/ ١٣٢٧).

(٢) يسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وهو: لعبد الله بن عمر بن محمد بن علي، اشتهر بالبيضاوي، ألف تفسيره على منهج الخلف المتأولين، لخص فيه عبارة الرازي والزمخشري. =

أقول: نظرنا في تفسير المدارك للنسفي، وفي تفسير البيضاوي، فلم نجد فيها ذلك الحديث المرفوع، وأما تفسير العزيزي فهو بالفارسي وغير كامل، وقد وقفنا على غير هذه التفاسير المتداولة بين الناس بما لم تحط به المطابع. فنسأله سبحانه العلم النافع، ونحمده على توفيقه والهداية إلى اعتقاد السلف الصالح.

قال الهندي: «ها أنا أقول فاستمع بالسمع الشهير، خاليًا عن التعصب، متمسكًا بالقول السديد: إنَّ التوسل بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء العظام ثابت بدلائل شتى».

أقول: اعلم: أن مبنى العبادة على الأمر والإتباع، لا على الهوى والابتداع. والتوسل الذي جاءت به السنة، وتواتر في الأحاديث، هو: التوسل والتوجه إلى الله بالأسماء والصفات، وبالأعمال الصالحات؛ كالأدعية في السنة، كقولهم: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت... »(١).

= انظر ترجمته: في طبقات الشافعية للسبكي، (٨/ ١٧٥)، وطبقات المفسرين للداوودي، (١/ ٢٤٨)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، (٢/ ١٣٧٨).

(١) إشارة إلى حديث أنس قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا، يعني: ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد وتشهد، دعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك... فقال النبي ﷺ لأصحابه: «تدرون بِمَ دعا؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى». =

وكالتوسل بدعاء الأنبياء وشفاعتهم في حياتهم، كتوسل الصحابة بالنبي ﷺ في الاستسقاء(١)، وتوسلهم بالعباس(٢)، وبيزيد بن الأسود(٣)، وتوسل الأعمى بدعاء النبي ﷺ وشفاعته له(٤).

= وهذا من التوسل إلى الله تعالى بتوحيده وأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

والحديث روي عن أنس رضي الله تعالى عنه من أربع طرق، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب: الصلاة، باب: الدعاء، ح (١٤٨١) (عون ٤/ ٣٦٣)، والنسائي في السهو، باب: الدعاء بعد الذكر، ح (١٣٠٠) (٣/ ٥٢)، وأحمد في المسند (٣/ ١٥٨و٢٤٥)، والبخاري في الأدب المفرد، ح (٧٠٥)، وابن حبان في صحيحه، ح (٨٩٣) (٣/ ١٧٥)، وغيرهم.

وإسناده حسن، وقد بسطت القول في تخريجه ودراسة أسانيده، في كتاب: اسم الله الأعظم، جمع ودراسة وتحليل، فليراجعه من شاء، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح (١٣٢٦) (١/ ٢٧٩)، وصحيح سنن ابن ماجه، ح (٣١١٢) (٢/ ٣٢٩).

(١) انظر: صحيح البخاري كتاب: الاستسقاء، باب: رفع الناس أيديهم مع الأمام في الاستسقاء، ح(١٠٣١) الفتح (٢/ ٥١٦)، ومسلم في: الدعاء، باب: في الاستسقاء، ح (٨٩٧) (٢/ ٦١٢).

(٢) تقدم تخرجه (ص٣٥).

(٣) أخرجه اللالكائي في كرامات الأولياء، وأبو زرعة الدمشقي في تاريخ دمشق، (١/ ٦٠٢)، وصحح إسناديهما الحافظ ابن حجر في الإصابة، (٦/ ٦٩٨)، ويعقوب الفسوي في المعرفة والتاريخ، (٢/ ٣٨٠)، والألباني في إرواء الغليل، ح (٦٧٢) (٣/ ١٤٠).

(٤) رواه الترمذي في الدعوات، ح (٣٥٧٨) (٥/ ٥٦٩) وقال: «حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه». ورواه ابن ماجه، باب: ما جاء في صلاة الحاجة، ح (١٣٨٥) (١/ ٤٤١). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح (١١٣٧)(١/ ٢٣١).

وكما ثبت في الصحيحين في قصة الثلاثة الذين آووا إلى الغار فانطبقت عليهم الصخرة، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم[١]. فهذا مما لا نزاع فيه، بل هو من الأمور المشروعة، وهو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[٢].

وأما التوسل بذوات المخلوقين فلا دليل عليه، ولا قاله أحد من الصحابة والتابعين، ولم ينقل عن السلف إلا ما يناقض ذلك، وقد نص غير واحد من العلماء على أن هذا لا يجوز[٣]، ونقل عن بعضهم الجواز، فذكر الحنابلة في باب: الاستسقاء، أنه يباح التوسل بالأنبياء والصالحين[٤] ونقل عنهم الكراهة[٥]،

---

(١) انظر: صحيح البخاري في كتاب الأنبياء، باب: حديث الغار، ح (٣٢٧٨)(٣/ ١٢٧٨)، وفي كتاب: الأدب، باب: إجابة دعاء من بر والديه، ح (٥٦٢٩) (٥/ ٢٢٢٨)، من حديث ابن عمر، ورواه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء، باب: قصة أصحاب الغار، ح (٢٧٤٣) (٤/ ٢٠٩٩).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٣٥).

(٣) ممن نص على منع ذلك: الإمام أبو حنيفة وأبو يوسف والمجد ابن تيمية. انظر: روح المعاني (٦/ ١٢٦).

(٤) انظر: المبدع لابن مفلح (٢/ ٢٠٤)، ودليل الطالب لمرعي الكرمي (ص٥٦)، وكشاف القناع للبيهوتي، (٢/ ٦٩، ٧٣)، والروض المربع (١/ ٣١٧).

(٥) انظر: الفروع لابن مفلح (٢/ ١٢٧، ٢١٤)، والإنصاف للمرداوي (٢/ ٢٥٦)، ووجه شيخ الإسلام ذلك: بأن جعله كمسألة اليمين إذا حلف بالنبي ﷺ، على القول بجواز ذلك على إحدى الروايتين عن الإمام أحمد، ثم قال: «ولكن غير الإمام أحمد قال: إن هذا إقسام على الله به، ولا يقسم على الله بمخلوق. وأحمد في إحدى الروايتين قد جوز القسم به، فلذلك جوز التوسل به، ولكن الرواية الأخرى عنه، هي قول جمهور العلماء: أنه لا يقسم به، فلا يقسم على الله به كسائر الملائكة والأنبياء، فإنا لا نعلم أحدًا من =

وروي عن الإمام أحمد جوازه بالنبي ﷺ[(١)]، وروى عن الإمام مالك الكراهة، كما أفاده الشيخ زروق في قواعد التصوف[(٢)]، وقال العز بن عبد السلام: «لا يجوز التوسل بغير النبي ﷺ»[(٣)].

وقد ذكر الحنفية في متونهم[(٤)] في باب: الحظر والإباحة، أن قول

= السلف والأئمة قال: إنه يقسم به على الله، كما لم يقولوا: إنه يقسم بهم مطلقًا...». مجموع الفتاوى (١/ ١٤٠-١٤١)، وتلخيص الاستغاثة (٢/ ٤٧٦)، وقد نقل في الفروع (٢/ ١٢٧)، وفي الإنصاف (٢/ ٢٥٦)، توجيه شيخ الإسلام ابن تيمية لما جاء عن الأمام أحمد من سؤال الله نبيه، موافقًا على المنع من التوسل بالذوات.

انظر: الشيخ أبو بكر خوقير وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف. رسالة ماجستير مقدمة من الطالب: بدر الدين ناضرين، بقسم العقيدة بجامعة أم القرى، (٢/ ٣٥٦).

(١) ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٨٤).

(٢) قواعد التصوف (ص٤٥)، طبعة: (١٣١٨هـ). وينظر في موقف الإمام مالك من التوسل: كتاب: منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة، لسعود الدعجان (ص٣٢٥) فما بعدها.

(٣) ذكره شيخ الإسلام في قاعدة جليلة (ص٢٨٥). وانظر: إغاثة اللهفان لابن القيم، (١/ ٣١١).

وممن نسب إليهم ذلك: الألوسي في روح المعاني، (٦/ ١٢٥)، وفي الفتاوى المطبوعة للعز ابن عبد السلام (ص١٢٦): «تخصيص القسم بالنبي ﷺ دون غيره من المخلوقين».

(٤) انظر من كتب الأحناف في منع التوسل بذوات المخلوقين: بدائع الصنائع للكاساني، (٥/ ١٢٦)، بداية المبتدى للميرغناني (ص٢٢٤)، والبداية شرح الهداية له، (٤/ ٩٦)، وتحفة القول للرازي (ص٢٣٦، ٢٣٧)، والاختيار في سير تعليل المختار للموصلي، (٢/ ١١٨)، والكافي في شرح الوافي للنسفي (ص٥١٠)، ورمز الحقائق للعيني، (١/ ٢١٤)، والبحر الرائق لزين الدين بن إبراهيم، (٨/ ٢٣٥)، والدر المختار لابن عابدين، =

الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء وبحق البيت والمشعر الحرام، مكروه كراهة تحريم، وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد، وقد عللوا ذلك بقولهم: «لأنه لا حق للمخلوق على الخالق».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في رده على ابن البكري: «وما زلت أبحث وأكشف ما أمكنني من كلام السلف والأئمة والعلماء، وهل جوز أحد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء، أو فعل ذلك أحد منهم؟ فما وجدته، ثم وقفت على فتيا للفقيه أبى محمد بن عبد السلام، أفتى بأنه لا يجوز بغير النبي ﷺ، وأما النبي فجوز التوسل به إن صح الحديث في ذلك.

وذكر القدوري في شرح الكرخي عن أبى حنيفة وأبي يوسف: لا يجوز أن يسأل إلا به»[(١)]. انتهى كلامه.

وذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن أبى الحسين القدوري نحو ذلك، فقال: «قال القدوري: قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف، قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك، أو يقول: بحق خلقك، وهو قول أبي يوسف.

قال أبو يوسف: بمعقد العز من عرشك، هو الله فلا أكره ذلك، وأكره بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام. قال

= (٦/ ٣٩٦). وانظر: الشيخ أبو بكر خوقير وجهوده (١/ ٣٥١).

(١) لم أقف عليه في تلخيص الرد على البكري، تحقيق: د/ عبد الله السهلي، وهو فيما نقله في جلاء العينين منه (ص٥٣٨/٥٣٧)، وفي قاعدة جليلة قريب من هذا (ص٢٨٥)، وفيها إشارة إلى فتوى العز ابن عبد السلام المذكور آنفًا. انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٣١١).

القدوري: «المسألة بحق لا تجوز؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق، فلا تجوز ـ يعني ـ وفاقًا»(١).

وقال البلدجي في شرح المختار: «ويكره أن يدعو الله إلا به، فلا يقول: أسالك بفلان، أو بملائكتك، أو بأنبيائك، أو نحو ذلك؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق»(٢). انتهى.

وذكر العلائي(٣) في شرح التنوير عن التتارخانية عن أبي حنيفة، أنه قال: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به، ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾»(٤).اهـ.

قال الألوسي: «وأنت تعلم أن الأدعية المأثورة عند أهل البيت الطاهرين، وغيرهم من الأئمة، ليس فيها التوسل بالذات المكرمة، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك، فمؤول بتقدير مضاف، أي: بدعاء أو شفاعة نبيك، كما سمعت أو نحو ذلك كما ستسمع إن شاء الله تعالى، ومن ادعى النص فعليه البيان»(٥). اهـ.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣١٠). ويظهر أنه منقول من كلام شيخ الإسلام في قاعدة جليلة (ص٨٢)، وقد نسبه ابن القيم في الإغاثة إلى شيخه رحمه الله تعالى، وقارن هذا النقل بما هو مثبت في كتب الأحناف، مثل: الدر المختار (٢/ ٦٣٠)، والفتاوى الهندية (٥/ ٢٨٠).

(٢) الدر المختار (٦/ ٣٩٦).

(٣) نقلًا عن جلاء العينين (ص٥١٦).

(٤) سورة الأعراف، الآية: (١٨٠).

(٥) روح المعاني (٦/ ١٢٦).

وجنح الشوكاني إلى رأي المجوزين قائلًا: «إن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم، هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلًا إلا بأعماله، فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني، فهو باعتبار ما قام به من العلم»(١). اهـ.

وليته اقتصر على النص - كما هي عادته ﷺ - فإن المقام خطر جدًا، فكم تولد من ذلك من البدع والخروج إلى الإشراك.

وأما قوله: «إنه توسل بأعمالهم الصالحة...» الخ، ففيه نظر؛ فإن نفعها لهم - كما سيأتي بيانه - من أنه لا بد من سبب حاضر ظاهر بين السائل والمسئول به. فتأمل.

قال بعض فضلاء الهند(٢) - بعد سياق كلام الشوكاني -: «وأحوط الأقوال وأصح الأفعال؛ القصر على الوارد إن صح؛ لأن أكثر الخلق لا يعلمون ما يدخل في هذا من الشرك، كيف والشرك أخفى من دبيب النمل،

---

(١) الدر النضيد (ص٢٨). وقد رد على هذا الكلام الشيخ بشير السهسواني من أربعة أوجه. منها:

١- أنا لا نسلِّم أن الفاضل إذا كان فضله بالأعمال كان التوسّل به توسلًا بالأعمال الصالحة.

٢- أن الثابت بحديث الصخرة إنما توسّل شخص بأعمال نفسه لا بأعمال غيره.

٣- أنه لو سُلِّم أن مراد القائل: اللهم إني أتوسل إليك بأبي بكر رضي الله عنه مثلًا؛ هو التوسّل بأعمال أبي بكر رضي الله عنه لا التوسل بذاته؛ فاللفظ محتمل للتوسل بالذات أيضًا، وهذا مما لا شكّ فيه، وقد نهانا الله تعالى عن استعمال لفظ موهم لأمر غير جائز.

ينظر: صيانة الإنسان (ص٢٠٨- ٢٠٩).

(٢) هو الشيخ/ محمد صديق خان القنوجي. انظر: كتاب الدين الخالص، (٢/ ١٣٥).

كما ورد بذلك الحديث»(١) اهـ.

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية: بأن التوسل بمجرد ذوات الأنبياء والصالحين غير مشروع، وأنه سؤال بسبب لا يقتضي حصول المطلوب، بخلاف من كان طالبًا بالسبب المقتضي لحصول المطلوب؛ كالطالب منه سبحانه بدعاء الصالحين وأعمال السائل الصالحة، فلا بد من سبب بين السائل وبينهم، يوجب مقصوده، وذلك بأمرين: إما بطاعته واتباعه لهم، وإما بدعائهم له وشفاعتهم له، فمجرد سؤاله في دعائه من غير طاعته واتباعه لهم، ولا دعاء ولا شفاعة منهم له فلا ينفعه، وإن عظم جاه أحدهم عند الله تعالى من المنازل والدرجات، فإنه أمر يعود نفعه إليهم.

ولزيادة إيضاح هذا المقام، ننقل ما كتبه شيخ الإسلام في كتاب: الاستغاثة في الرد على ابن السبكي(٢)، قال رحمه الله تعالى: «وأما قول القائل: إن المتوسِّل إنما هو سائل الله تعالى، راج له، عالم أن النفع والضرر بيده لا شريك له، وإنما توسل إليه بمن يحبه الله تعالى، لشرف منزلته عنده؛ ليكون أقرب إلى الإجابة وحصول المراد، كطلب الدعاء من الرجل الصالح.

فيقال: توسل العبد إلى الله تعالى بما يحب، لفظ مجمل، فإن أريد بما يحب الله تعالى أن يتوسل به إليه فهذا حق.

---

(١) تقدم تخريجه أول الرسالة (ص١٤).

(٢) كذا. ولعلها سبق قلم وصوابه: البكري؛ خاصة وأن المصنف ينقل عن جلاء العينين للألوسي، وهذا النص في جلاء العينين (ص٥٣١).

[والله تعالى يحب أن يُتَوسَّل إليه بالإيمان والطاعة والعمل الصالح، والصلاة والسلام على نبيه ﷺ، ومحبته وطاعته وموالاته، فهذه ونحوها هي من الأمور التي يحب الله تعالى أن يُتَوسَّل بها إليه.

وإن أريد أن يتوسل إليه بما يحب ذاته، وإن لم يكن هناك ما يحب الله تعالى أن يتوسل به، فهذا باطل عقلًا وشرعًا؛ أما عقلًا: فإنه ليس في كون الشخص المعين، محبوبًا له ما يوجب كون حاجتي تقضى بالتوسل بذاته، إذا لم يكن مني ولا منه سبب تقضى به حاجتي، فإن كان منه دعاء لي أو كان مني إيمان به وطاعة له، فلا ريب أن هذه وسيلة، وأما نفس ذاته المحبوبة لله تعالى فأي وسيلة لي فيها، إذا لم يحصل لي السبب الذي أمرت به فيها، ولهذا لو توسل به من كفر به لم ينفعه، والمؤمن به ينفعه الإيمان به وهو أعظم الوسائل، فتبين أن الوسيلة بين العباد وبين ربهم عز وجل الإيمان بالرسل وطاعتهم.

وقول القائل للرجل: ادع لي، توسل بدعاء الصالحين، وهو من جملة الأسباب النافعة، كشفاعة النبي ﷺ، وأما المشروع فيقال: إن العبادات مبناها الاتباع لا الابتداع، وليس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به الله.

ألا ترى أنه ليس لأحد أن يصلي إلى قبره ﷺ، ويقول: هو أحق بالصلاة إليه من الكعبة، وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام في الصحيح، أنه قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»(١)](٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الجنائز، باب: النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، ح (٩٧٢) (٢/ ٦٦٨)، من حديث: واثلة بن الأسقع.

(٢) ما بين المعكوفتين أورده ابن كثير في تلخيص الاستغاثة (١/ ١٤٦)، وقد أورد هذا =

ومن لم يعتصم بالكتاب والسنة ضل وأضل، وليس في قوة كل أحد أن يفهم أسرار العبادات ومنافعها، ومضار ما ينهى عنه من ذلك، فعليه أن يسلم للشريعة، ويعلم أنها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإذا رأى من العبادات التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع، علم أن ذلك لضرر فيها راجح على نفعها، ومفسدة راجحة على مصلحتها؛ إذ الشارع حكيم لا يهمل الصالح.

فإن قال: أنا إذا توسلت بذاته إنما بعملي المعلق به، وأنه لحبي له وتعظيمي إياه توسلت به، وهذا مما يحبه الله تعالى مني. قيل: حبك وتعظيمك له الذي هو من الإيمان به، وهو يدعوك إلى زيادة الإيمان به وطاعته، وهو الذي يحبه الله تعالى منك، وأما حبك وتعظيمك الذي لا تقصد به إلا قضاء حاجتك الدنيوية، فهذا لا يحبه الله تعالى منك، فإذا كان الداعي لم يؤمن به ولم يطعه، بل سأل الله تعالى به، وتوسل به، وأحبه وعظمه ليقضي حاجته بالتوسل به، لم يكن ذلك مما يحبه الله عز وجل بالضرورة، ولم يأمر الله تعالى بذلك، بل لم يأمر الله تعالى إلا بالإيمان به والطاعة، وهذا إذا حصل كان أعظم الوسائل للعبد عند الله عز وجل، وإن لم

= المقطع د/ عبد الله السلهي، ضمن الموضوعات التي سقطت من أصل كتاب: الاستغاثة في الرد على البكري. ووردت في التلخيص (١/ ١٤٦). وهذا يدل على أن نسخة الألوسي من كتاب: الاستغاثة أتم من النسخ التي اعتمد عليها د/ السلهي في تحقيقه. وقد نقل الألوسي مقطعًا كبيرًا من كتاب الاستغاثة في جلاء العينين (ص٥٣١، ٥٥٥)، لمواضع متفرقة من الكتاب، وبعض ما نقله غير موجود في المطبوع، وبعضه الآخر غير موجود في الاختصار. والله أعلم.

يحصل فلا وسيلة للعبد عند الله تعالى»(١). اهـ.

وقال رحمه الله في بعض فتاويه(٢): «هذا ـ أي: ما قصده النبي صلى الله عليه وآله من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد، وإخلاص الدين لله رب العالمين ـ ما يظهر به الفرق بين سؤال النبي ﷺ والرجل الصالح في حياته، وبين سؤاله بعد موته وفي مغيبه، وذلك أنه في حياته لا يعبده أحد بحضوره، فإذا كان الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحون أحياء لا يتركون أحد يشرك بهم بحضورهم، بل ينهونهم عن ذلك ويعاقبونهم عليه، ولهذا قال المسيح عليه السلام: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٣). وقال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال: «**أجعلتني لله ندًا؟! [بل] ما شاء الله وحده**»(٤). وقال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد**»(٥). ولما قالت الجويرية: وفينا

---

(١) انظر: جلاء العينين (ص٥٣١ – ٥٣٣)، نقلًا عن الاستغاثة.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٨٠-٨١). وانظر بنحوه: المجموع (١/ ١٧٩)، وطبعت هذه الفتاوى مستقلة بعنوان: زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، لابن تيمية، نشر الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرياض، عام: (١٤١٠هـ) (ص٣٢).

(٣) سورة المائدة، الآية: (١١٧).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه ابن ماجه في الكفارات، ح (٢١١٨) (١/ ٦٨٥) والدرامي في الاستئذان، ح (٢٧٠٢) (٢/ ٢٠٥)، وأحمد في المسند (٥/ ٧٢، ٣٩٣). وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه، ح (١٧٢١)(١/ ٣٦٢).

رسول الله يعلم ما في غد، قال: «دعي هذا وقولي: بالذي كنتي تقولين»(١)، وقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا: عبد الله ورسوله»(٢)، ولما صفوا خلفه قيامًا قال: «لا تعظموني كما تعظم الأعاجم بعضهم بعضًا»(٣).

وقال أنس: «لم يكن شيء أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له؛ لما يعلمون من كراهته لذلك»(٤). ولما سجد له معاذ نهاه، وقال: «إنه لا يصلح السجود إلا لله، ولو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ، لأمرت المرآة أن تسجد لزوجها؛ من عظم حقه عليها»(٥). ولما أتى علي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: ضرب الدف في النكاح، ح (٥١٤٧)(فتح ٩/ ٢٠٢).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: قيام الرجل للرجل، ح(٥٢٣٠)(٥/ ٣٩٨)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٥٣، ٢٥٦)، بلفظ: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضًا». وفي إسناده مقال. انظر: الضعيفة ح (٣٤٦). لكن معناه صحيح. وردت فيه أحاديث صريحة وصحيحة.
وفي مسلم ح (٤١٣) (١/ ٣٠٩)، لما اشتكى ﷺ فصلى قاعدًا، وأشار إليهم أن قعدوا، فقعدنا فصلينا بصلاته قعودًا، فلما سلم قال: «إن كان ثم آنفًا لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا...» الحديث.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص١٣٦)، والترمذي في الأدب، ح (٢٧٥٤)(٥/ ٩٠)، وصححه، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٢)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح (٣٥٨) (١/ ٦٩٨).

(٥) أخرجه أبو داود في: النكاح، باب: في حق الزوج على المرأة، ح (٢١٤٠) (١/ ٦٥٠)، والترمذي، ح (١١٥٩)(٣/ ٤٦٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٨١)، والحاكم في =

بالزنادقة الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه الإلهية، أمر بتحريقهم بالنار[١].

فهذا من شأن أنبياء الله وأوليائه، وإنما يقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق. من يريد علوًا في الأرض وفسادًا؛ كفرعون ونحوه، ومشايخ الضلال الذين غرضهم العلو في الأرض والفساد، والفتنة بالأنبياء والصالحين، واتخاذهم أربابًا، والإشراك بهم، مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم، كما أشركوا بالمسيح وعزير، فهذا مما يبين الفرق بين سؤال النبي ﷺ والصالح وحياته وحضوره، وبين سؤاله في مماته ومغيبه، ولم يكن أحد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين، يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء ويسألونهم، ولا يستغيثون بهم، ولا في مغيبهم ولا عند قبورهم، وكذلك العكوف»[٢] اهـ.

فظهر لك ما قررناه وما نقلناه: أن المشروع في التوسل بالأنبياء والصالحين، إنما هو في حياتهم بدعائهم، كما نقول للرجل الصالح: ادع لنا الله، كما حصل استسقاء الصحابة بالنبي ﷺ في حياته[٣]، ثم من بعده بعمه العباس[٤]، ثم بالخيار من الناس في كل زمان ومكان إلى يومنا هذا.

= المستدرك (٢/ ١٨٧)، من حديث: قيس بن سعد. وصححه الألباني كما في صحيح الترمذي، ح (٩٢٦) (١/ ٣٤٠)، والإرواء (٧/ ٥٥-٥٦).

(١) الخبر في صحيح البخاري، كتاب: استتابة المرتدين، ح (٦٩٢٢) (الفتح ١٢/ ٦٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٨٠-٨١).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

وأما الميت فلا يطلب منه دعاء ولا غيره، ولا يتوسل به في دعاء ولا غيره، وستسمع الجواب عن تلك الدلائل الشتى التي ذكرها الهندي دليلًا، ولو سلم أن هناك دليل يشم منه رائحة التوسل بذات المخلوقين، فلا يصار إليه ولا يقاس عليه، ويجاب عنه بأنه على حذف مضاف، أو أنه مؤول، أو يأتي به كما ورد، ويكون من المتشابه، فإن السنة كالقرآن، فيها المتشابه والمحكم، فيرد متشابهها إلى المحكم، فكلام النبي ﷺ لا يتناقض ولا يضرب بعضه بعضًا، ويوافق القرآن ولا يناقضه.

وهذا أصل عظيم تجب مراعاته، ومن أهمله وقع في أمر عظيم وهو لا يدري. وفَقَّهنا الله وإياكم في الدين، وجعلنا من عباده المخلصين، ممن يعرف الرجال بالحق، لا الحق بالرجال، ويميز القائل بالمقال، لا المقال بالقائل.

قال الهندي: «الأول بالقرآن المجيد والفرقان الحميد، فانظر إلى تفسير الدر المنثور للعلامة جلال الدين السيوطي». ثم ذكر الحديث المرفوع(١).

أقول: ثبت الجدار ثم انقش، واعرف الحديث وما قيل فيه وفي حال راويه، فليس كل مرفوع حجة، كما أنه ليس كل مستدير رغيفًا، فلو كان ذلك الحديث صحيحًا لقدمه جميع المفسرين على جميع الأقوال في تفسير تلك الكلمات، ولو كانت للصحابة، ولم يهمل ذكره أئمة التفسير المعول عليهم، ولكنهم رأوه من الإسرائيليات، وأجمعوا على ضعف راويه فتركوه ورموه

---

(١) يعني الذي أورده أول الرسالة، في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

ظهريًّا، فإن الحديث الصحيح عندهم: هو ما رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة، وعلى فرض صحته، فهو خبر آحاد لا يفيد اليقين(١)، بل يفيد الظن عند من صح عنده، ولا تقوم به حجة على من قامت عنده الأدلة على عدم صحته.

ثم الحافظ السيوطي لم يلتزم الصحة في تفسيره الدر المنثور(٢)، وقد اشتهر بالإكثار، وَقلَّما سَلِمَ مِهْذار، حتى قال فيه بعضهم: إنه كحاطب ليل، ربما كانت الأفعى في حطبه. وقد انتقده الحافظ السخاوي في الضوء اللامع(٣)، وذلك لا ينقص من جلالة قدره وفضائله الجمة، فالسعيد من عدت سيئاته وحفظت غلطاته:

مَنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا ... كَفَى المَرءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

---

(١) خبر الآحاد إذا صح واحتفت به القرائن الدالة على ثبوته، فإنه يفيد اليقين. وذهب بعضهم إلى إفادة اليقين مطلقًا. أما كونه لا يفيد اليقين مطلقًا، فهذا قول المعتزلة. ولعل المصنف يعني هذا الحديث بعينه الذي لا يصح عنده، ولا يعني كل خبر آحاد كما يفيد ذلك سياق كلامه. والله أعلم.

(٢) وإنما كان منهجه ـ رحمه الله ـ أن ألف كتاب: ترجمان القرآن، جمع فيه كل ما وقف عليه من تفسير مسند إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، بأسانيد من خرجها، ثم رأى قصور أكثر الهمم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الأسانيد وتطويله، فلخص منه هذا المختصر. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مقتصرًا على متن الأثر، مصدرًا بالعزو والتخريج إلى الكتب التي خرجت تلك الرواية. فكان دوره الجمع للروايات الواردة وعزوها إلى من خرجها دون النظر في أسانيدها والحكم عليها.
انظر: مقدمة الدر المنثور (ص١/ ٩)، دار الفكر.

(٣) (٤/ ٦٥- ٧١)، دار: مكتبة الحياة، بيروت.

وكيف احتج ـ هذا الهندي ـ بهذه الآية التي تحتمل جملة وجوه في تفسيرها، كما ذكرها الجلال السيوطي، أما يعلم أن الدليل إذا طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال[(١)]، فمن أي لفظ من ألفاظ ذلك الحديث فهم الحصر في تفسير تلك الكلمات بها بأنه لا يجوز تفسيرها إلا به؟ حتى يجعلها دليلًا قاطعًا لا احتمال فيه. نقول له ذلك كما قال لنا: «من أي لفظ قتادة و مجاهد فهم الحصر؟!».

قال الهندي: «قال ـ أي: السيوطي[(٢)] ـ في تفسير الكلمات قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه، رفع رأسه فقال: أسألك بحق محمد أن غفرت لي، فأوحى الله إليه: ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرًا ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه: يا آدم، إنه خبر آخر النبيين من ذريتك لولاه ما خلقتك»[(٣)]. هذا حديث حدثه من المحدثين الطبراني[(٤)] والحاكم[(٥)]، وأبو نعيم[(٦)]،

---

(١) انظر: القواعد لابن اللحام، (٢/ ٨٧٦)، دراسة وتحقيق: ناصر عثمان الغامدي، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ)، دار الرشد. وانظر: إرشاد الفحول (ص١١٦)، والمنخول (١٥٠)، والمحصول (٣/ ٣٨٦).

(٢) انظر: الدر المنثور (١/ ١٤٢).

(٣) تقدم تخريجه والحكم عليه (ص٨).

(٤) المعجم الصغير ح (٩٧١) (٢/ ٣٥٥)، تقديم وضبط: كمال الحوت، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).

(٥) في المستدرك (٢/ ٦١٥).

(٦) في الحلية (٨/ ٢٥٣).

والبيهقي»[١].

أقول: الذي في الدر المنثور: خمس الخامس ابن عساكر، يرويه جميعهم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب يرفعه، وليس عندي من كتب هؤلاء الحفاظ إلا معجم الطبراني الصغير، وإسناده فيه هكذا: عن محمد بن أبي داود بن أسلم الصدفي المصري، عن أحمد بن سعيد المدني الفهري، عن عبد الله بن إسماعيل المدني، عن عبد الرحمن بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب، وبعد سياق المتن قال: «لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد، تفرد به أحمد بن سعيد» اهـ. قال البيهقي: «تفرد به عبد الرحمن» اهـ. وقال بعضهم: «صححه الحاكم» اهـ. وفي تصحيحه نظر، فليس كل ما صححه مقبولًا[٢]، قال المدراسي في كشف الأحوال في نقد الرجال: «إن عبد الرحمن بن أسلم ضعيف باتفاق»[٣]. وكذا

(١) في دلائل النبوة (٥/ ٤٨٨، ٤٨٩).

(٢) ولذلك تعقبه الحافظ الذهبي في التلخيص على المستدرك، (٢/ ٦١٥) وقال عقيب تصحيح الحاكم له: «بل موضوع، وعبد الرحمن واه...».
ثم أن الحاكم نفسه قد قطع في رواية عبد الرحمن التي صححها هنا، فقد روى مرة في المستدرك (٣/ ٣٣٢) عن عبد الرحمن نفسه ولم يصحح حديثه، بل قال: «الشيخان لم يحتجا بعبد الرحمن بن زيد». بل صرح هو نفسه بالطعن في عبد الرحمن بن زيد، فقال رَحِمَهُ اللهُ: «روى عن أبيه أحاديث موضوعة، لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه». المدخل إلى الصحيح، (١٥٤)، تحقيق: د/ ربيع المدخلي، الطبعة الأولى: (١٤٠٤هـ)، مؤسسة الرسالة.

(٣) كشف الأحوال (ص٦٦)، لعبد الوهاب بن مولوي محمد غوث المدرسي، (ت: ١٢٨٥هـ)، الطبعة الأولى (١٣٠٣هـ)، المطبعة العلوية.

في تقريب التهذيب[١].

قال العلامة/ أحمد بن ناصر التميمي[٢] في جوابه على رسالة الفاضل اليمني/ محمد بن أحمد الحفظي[٣] سنة (١٢١٧هـ)، ما نصه: «وأما قول القائل: فقد أخرج الحاكم في مستدركه وصححه: أن آدم توسل بالنبي ﷺ، فهو من رواية عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، قال أحمد بن حنبل: ضعيف[٤]. وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء[٥]. وضعفه ابن المديني جدًا[٦]. وقال أبو داود: أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيف[٧]. وقال النسائي: ضعيف[٨]. وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: ذكر رجل لمالك

(١) قال الحافظ ابن حجر في التقريب، (١/ ٤٨٠): «ضعيف من الثامنة».

(٢) أحمد ويقال: حمد بن ناصر بن عثمان العنقري التميمي، تتلمذ على يد الإمام/ محمد بن عبدالوهاب، وبعثه الأمام عبد العزيز بن محمد لمناظرة علماء المسجد الحرام، عام (١٢١١هـ)، وتوفي بمكة عام (١٢٢٥هـ). انظر: علماء نجد خلال ستة قرون، (١/ ٢٣٩)، وعنوان المجد (١/ ١٠٤).

(٣) محمد بن أحمد عبد القادر العجيلي العسيري، برع في النحو وبعض الفنون، وتأثر بدعوة الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب، ودعا إليها في جنوب الجزيرة العربية، توفي سنة: (١٢٣٧هـ).

انظر: نيل الوطر (٢/ ٢٢٥)، ومعجم المؤلفين (٣/ ٧٤).

(٤) في العلل (١/ ٢٦٥).

(٥) انظر: الدرامي في تاريخه، ترجمة (٥٢٧) وقال: «ضعيف». وانظر: العقيلي في الضعفاء، وقال: «ليس بشيء» (٢/ ٣٣١).

(٦) الضعفاء الكبير للعقيلي، (٢/ ٣٣٢).

(٧) ضعفاء العقيلي، (٢/ ٣٣٢). وانظر: تهذيب الكمال (١٧ / ١١٧).

(٨) الضعفاء المتروكين، انظر: الترجمة (٣٦٠).

حديثًا، فقال: من حدثك؟ فذكر إسنادًا له منقطعًا، فقال: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح عليه السلام[١]. وقال أبو زرعة: ضعيف[٢]. وقال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث، كان في نفسه صالحًا، وفي الحديث واهيًا[٣]، وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتى كثر ذلك في روايته، من رفع المراسيل وإسناد الموقوف، فاستحق الترك[٤]. وقال ابن سعد: كان كثير الحديث ضعيفًا جدًا[٥]. وقال ابن خزيمة: ليس هو مما يحتج أهل العلم بحديثه. وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة[٦].وقال ابن الجوزي: أجمعوا على ضعفه[٧].

فهذا الحديث الذي استدل به تفرد به عبد الرحمن بن زيد، وهو كما تسمع»[٨].

وقال الشيخ تقي الدين في رده على ابن البكري: «وأما قول القائل: قد توسل به الأنبياء: آدم وإدريس ونوح وأيوب، كما هو مذكور في كتب

(١) ضعفاء العقيلي (٢/ ٣٣٢). وانظر: تهذيب الكمال (١٧/ ١١٨).
(٢) الجرح والتعديل (٥/ ٢٣٣، ٢٣٤)،
(٣) نفسه. انظر: الترجمة (١١٠٧).
(٤) المجروحين له (٢/ ٥٧).
(٥) الطبقات الكبرى (٥/ ٤١٣).
(٦) المدخل إلى الصحيح (ص١٥٤).
(٧) الموضوعات له (ص٢٣٦). وانظر: الميزان (٢/ ٥٦٤)، وتهذيب التهذيب (٦/ ١٧٨).
(٨) النبذة الشرعية النفسية في الرد على القبوريين، للتميمي (ص١٠٧).

التفسير وغيرها. فيقال: مثل هذه القصص لا يجوز الاحتجاج بها بإجماع المسلمين، فإن الناس لهم في شرع من قبلنا قولان: أحدهما أنه ليس بحجة، الثاني: أنه حجة ما لم يأت شرعنا بخلافه، بشرط أن يثبت ذلك بنقل معلوم، كإخبار النبي ﷺ، فأما الاعتماد على نقل أهل الكتاب، أو نقل من نقل عنهم، فلا يجوز باتفاق المسلمين؛ لأن في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم»(١).

وهذه القصص التي فيها ذكر توسل الأنبياء بذاته، ليس في شيء من كتب الحديث المعتمدة، ولا لها إسناد معروف عن أحد من الصحابة، وإنما تذكر مرسلة كما تذكر الإسرائيليات التي تروى عمن لا يعرف، وقد بسطنا الكلام في غير هذا الموضع(٢) على ما نقل في ذلك عن النبي ﷺ، وتكلمنا عليه وبيَّنا بطلانه، ولو نقل ذلك عن كعب ووهب ومالك بن دينار ونحوهم، ممن ينقل عن أهل الكتاب، لم يجز أن يحتج به؛ لأن الواحد من هؤلاء وإن كان ثقة، فغاية ما عنده [أن ينقل](٣) من كتاب من كتب أهل الكتاب، أو يسمعه من بعضهم، فإنه بينه وبين الأنبياء دهر طويل، والمرسل عن المجهول من أهل الكتاب الذي لا يُعرف علمه وصدقه لا يقبل باتفاق المسلمين، ومراسيل أهل زماننا عن نبينا ﷺ لا تقبل عند العلماء، مع كون

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: التفسير، باب: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، ح (٤٢١٥)، وفي الاعتصام ح (٦٩٢٨)، وفي التوحيد (٧١٠٣)، ورواه أحمد في المسند (٤/ ١٣٦) بهذا اللفظ. من حديث: أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) في المطبوعة: «الموضوع».

(٣) ساقطة من المطبوع.

ديننا محفوظًا محروسًا، فكيف بما يرسل عن آدم وإدريس ونوح وأيوب عليهم السلام، والقرآن قد أخبر بأدعية الأنبياء وتوباتهم واستغفارهم، وليس فيه شيء من هذا، وقد نقل أبو نعيم في الحلية: أن داود عليه السلام قال: يا رب، أسألك بحق آبائي عليك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: يا داود أي حق لآبائك علي![١].

فإن كانت الإسرائيليات حجة، فهذا يدل على أنه لا يسأل بحق الأنبياء، وإن لم تكن حجة، لم يجز الاحتجاج بها بتلك الإسرائيليات»[٢]. انتهى.

فبين ـ رحمه الله ـ أنه لم يصح في هذا شيء عن النبي ﷺ، وأن جميع ما روي في ذلك باطل لا أصل له. اهـ.

وأما: ما رواه ابن حميد من الحكاية المنسوبة إلى مالك ـ رحمه الله ـ مع أبي جعفر المنصور، وفيها أنه سأل مالكًا فقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو أو أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به[٣].

---

(١) رواه البزار من حديث العباس مرفوعًا، (٤/ ١٣٣) ح (١٣٠٧) وأشار إلى ضعفه، وذكره ابن كثير في التفسير، (٤/ ١٨) وضعفه، ورواه أبو نعيم في الحلية، (١٠/ ٩) عن يوسف عليه السلام، وذكره ابن تيمية ـ أيضًا ـ في قاعدة جليلة (ص١٠٣، ٢١٠). والشطر الأول منه: رواه ابن مردوية كما في شرح المواهب للزرقاني، (١/ ٩٧) وقال عنه الألباني: «ضعيف جدًا». انظر: الضعيفة ح (٣٣٥) (١/ ٣٤٢).

(٢) ينظر: النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين، (١٠٧- ١١١)، تحقيق: الشيخ عبد السلام البرجس، نقلًا عن تلخيص الاستغاثة (ص١٥٨-١٦١).

٢) ذكرها القاضي عياض في الشفا (٢/ ٥٩٥)، طبعة: دار الكتاب العربي، بيروت. وهي لا =

فقد رد الحفاظ على ابن حميد هذه الحكاية، وذكروا أن إسناده مظلم منقطع، مشتمل على من يتهم بالكذب، وقالوا: ابن حميد كثير المناكير ولم يسمع من مالك شيئًا، بل روايته عنه منقطعة، ومحمد بن حميد الرازي ـ هذا ـ تكلم فيه غير واحد من الأئمة.

ونسبه بعضهم إلى الكذب. فقال يعقوب بن شيبة السدوسي: «محمد بن حميد الرازي كثير المناكير». وقال [البخاري][(١)]: «حديثه فيه نظر». وقال النسائي: «ليس بثقة»، وقال الجوزجاني: «رديء المذهب غير ثقة». وقال الرازي: «عندي عنه خمسون ألف حديث لا أحدث عنه بحرف». وقال ابن الأزهري: «سمعت إسحاق بن منصور يقول: أشهد ـ على محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار ـ بين يدي الله أنهما كذابان». وتكلم فيه غير هؤلاء من الحفاظ[(٢)] اهـ.

= تصح؛ لعدة علل فيها:

١ -انقطاع إسناده، فإن محمد بن حميد لم يدرك مالكًا.

٢ - ضعف رواتها، فمحمد بن حميد ضعفه أكثر أهل العلم، ومعظم رجال إسناده غير معروفين عند أهل العلم.

٣-اتفاق أصحاب مالك على أنه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول في مسألة في الفقه، فكيف بحكاية ساقطة الإسناد تناقض مذهبه.

٤ -الثابت عن الإمام مالك في هذه المسألة خلاف ما ورد في هذه الحكاية، فقد صح عنه أنه قال: «لا أري أن يقف عند قبور النبي ﷺ يدعو، لكن يسلم ويمضي».

انظر: تعليق د/ عبد الله السهلي على الاستغاثة، (١/ ٤٠٠ – ٤٠٢)، هامش (١). وانظر: منهج الأمام مالك في إثبات العقيدة (ص٣٣٦-٣٣٧)، للدعجان.

(١) ساقطة من الأصل، نقلًا عن الميزان للذهبي، (٣/ ٥٣٠).

(٢) انظر كلام أئمة الجرح والتعديل فيه: في المغني في الضعفاء، للذهبي (٢/ ٥٧٣)، وابن =

قال الهندي: «بهذا علم أن التوسل بالأنبياء محبوب عند الله، يجاب به الدعاء، هو شيء علَّمه الله تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام».

أقول: بما قدمناه عُلم أن ما ذكره لا يحصل به العلم بهذه النتيجة، ولو كان التوسل[1] محبوبًا عند الله، لكان محبوبًا عند رسوله وأصحابه والتابعين وتابعيهم، ولكثر في كلامهم، وكان شائعًا في تلك القرون الفاضلة، ولتوفرت الدواعي على نقله، واستفاض استفاضة لم يحتج معها إلى إيراد حديث معلول شاذ، أو ما في معناه احتمال، وقد سمعت نصوص الحنفية في المنع من إطلاق لفظة: بحق أنبيائك.

وأما قوله ﷺ في حديث الخارج إلى الصلاة: «أسألك بحق السائلين وبحق ممشاي»[2] الخ... فرواه عطية العوفي وفيه وهن، قال الحافظ ابن حجر: «ضعيف الحفظ، مشهور بالتدليس القبيح»[3].

وعلى تقدير ثبوته، فهو من باب التوسل بأسماء الله وصفاته، فإن حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم، وحق المطيعين له أن يثيبهم، وحق الأنبياء

= حبان في المجروحين، (٢/ ٣٠٣)، والميزان (٣/ ٥٣١)، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٣١).

(١) يعني هذه الصورة من صور التوسل.

(٢) أخرجه ابن ماجه في المساجد، ح(٧٧٨)(١/ ٢٥٦)، وأحمد في المسند (٣/ ٢١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة، ح(٨٥) (ص٣٠)، بإسناد ضعيف، ضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة، المطبوع مع سنن ابن ماجه، وقال: «هذا إسناد مسلسل بالضعفاء، وضعفه المنذري وغيره». وانظر: السلسلة الضعيفة للألباني، ح(٢٤) (١/ ٣٤).

(٣) قال في تقريب التهذيب (٢/ ٢٤): «صدوق يخطىء كثيرًا، وكان شيعيًا مدلسًا.....».

أن يقربهم ويتفضل بما يخصهم، فالسؤال له، والطاعة سبب لحصوله إجابته وإثابته، فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب، وذلك من أفعال الله، فالمراد بهذا الحق ما أوجبه الله تعالى على نفسه، كما قال ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، وكما في حديث معاذ: «حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله: أن لا يعذبهم»(٢). ولا يصلح أن يجعل ما في هذا الحديث من باب التوسل بالأعمال، إلا قوله: وأسألك بحق ممشاي؛ لأن الممشى إلى الطاعة امتثالًا [لأمره](٣) عمل طاعة، وهو سبب في حق السائل(٤).

قال الهندي: «وهذا التوسل والاستمداد من آدم كان قبل ولادة نبينا ﷺ،(٥) ألوف السنين كيف لا يجوز بعد الولادة، وبعد ارتحاله عليه الصلاة والسلام من دار الدنيا إلى دار البقاء، ورد في الحديث الصحيح: **«الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم»**(٦)».

---

(١) سورة الروم، الآية: (٤٧).

(٢) رواه البخاري في الجهاد، باب: اسم الفرس والحمار، من حديث: معاذ، ح (٥٦٢٢)، ومسلم في: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، ح (٤٨، ٤٩) (١/ ٥٨).

(٣) في الأصل: «لأمن»، والتصويب من جلاء العينين (ص٥١٧).

(٤) انظر: جلاء العينين (ص٥١٧).

(٥) كذا في الأصل، والصواب: «بألوف السنين». وهي من عجمه الهندي.

(٦) أخرجه أبو يعلي في مسنده، ح (٣٤٢٥) (٦/ ١٤٧)، والبزار كما في مجمع الزوائد، (٨/ ٢١١)، وابن عدي في الكامل، (٢/ ٣٢٧)، وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية، ح (٣٤٢٥) (٣/ ٢٦٩)، قال الهيثمي: «رجال أبى يعلى ثقات». والحديث =

أقول: انظر إلى هذه النتائج المترتبة بعضها على بعض، استنباطًا من ذلك الحديث المرفوع، فلله دَرُّه(١) ما أقدره على إيراد هذه الحجج الساطعة، والبراهين القاطعة، وكيف سوى بين حاله ﷺ في الدنيا وحاله بعد انتقاله عنها، بحديث: «**الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم**». فهل يقول إنهما متساويان في كل شيء؟ أظنه لا يقول ذلك؛ لما يترتب عليه من الأحكام الكثيرة، كما لا يخفى على من له أدنى بصيرة، فإن حياة الأنبياء في قبورهم برزخية فوق الشهداء، لا تقتضي لوازم الحياة الدنيوية من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك، وتلك الصلاة ليست بحكم التكليف، بل بحكم الإكرام لهم، والتشريف من قبيل الأحوال البرزخية، كسؤال الملكين ونعيم الميت وعذابه مما لا يرى، وإن كان الميت مرئيًا فأحوال البرزخ لا تقاس على أحوال الدنيا.

وأما كونه ﷺ مَرَّ ليلة المعراج على موسى فرآه يصلي، فذاك أمر خارق للعادة، وقد تقدم بعض الكلام على حياة الأنبياء في المقدمة، مما قاله الإمام/ صنع الله الحلبي الحنفي(٢).

وقد كثر البحث فيها عند بعض المتأخرين، وهم في غنية عنه، فإنهم يثبتون التصرف للأولياء بعد مماتهم، معتقدين أنهم أقوى حالًا مما كانوا في حياتهم؛ لصفاء أرواحهم وتخليصا من كثافة أجسامهم:

= صححه الألباني في الصحيحة، ح(٦٢١) (٢/ ١٨٧). ولكن هذه حياة برزخية لا تقاس بالحياة الدنيا.

(١) قوله: «لله دَرُّه... إلخ» ذم في صورة المدح للمردود عليه.

(٢) انظر: (٢٢) وما بعدها.

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَو نَادَيتَ حَيًّا وَلَكِنْ لاَ حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

وحيث قد ظهر الفرق للمؤمن المتشرع بين حياته ﷺ الدنيوية، وحياته البرزخية، فإنه يمنع من الطلب منه ﷺ ومن غيره ممن كان في البرزخ؛ لأنه عبادة لا تليق لمن اتصف بالعبودية، ولا يتوسل به ﷺ ولا بغيره؛ اقتداء به وبصحابته بعده، بل يتوسل بالإيمان به وبمحبته ومتابعته.

ثم انظر إلى قول الهندي: «والاستمداد» أي: طلب المدد، وأكثر ما يستعمل هذا اللفظ في جانب المشايخ المعظمين، فيقال استمد منهم، ويقال: «مدد يا شيخ»، وأظنه لم يسر إلى الناس إلا من الهند، فإنهم يقولون للمعاون لرجل من رجال الحكومة «مدد كار»، فيخرج هذا وأمثاله من التوسل إلى الاستمداد، ومن الاستغاثة بالغير إلى الاستغاثة من الغير.

وبالجملة: فإنهم يطلبون من غير الله من الأموات، ويسمون ذلك الطلب توسلًا واستغاثة، وكلامنا الآن في التوسل بالأنبياء والصالحين إلى الله بتوجيه الطلب منه سبحانه وتعالى.

قال الهندي: «والثاني: أخرج الترمذي بسند صحيح، أن عثمان بن حنيف قال: إن رجلًا أعمى جاء بحضرة النبي ﷺ، وشكا ذهاب بصره، قال: ادع الله لي أن يعطني البصارة، قال النبي ﷺ: «لو شئت ادع الله ولو شئت فاصبر، والصبر خير لك». قال الرجل: يا رسول الله، ادع الله، قال النبي: «توضأ وأحسن الوضوء، ثم قل: اللهم أنى أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي، اللهم شفعه فيَّ». وورد في الحديث أنه لما مسح يديه على وجه صار

أبصر من الأول».

أقول: الذي في سنن الترمذي ما نصه: حدثنا محمود بن غيلان، نا عثمان ابن عمر، نا شعبة، عن أبي جعفر، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حنيف، أن رجلًا ضرير البصر- أتى النبي ﷺ، فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «**إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، فهو خير لك**». قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعة فيّ**». هذا حديث صحيح حسن غريب، لا نعرفه من هذا الوجه، من حديث أبي جعفر، وهو غير الخطمي[1] اهـ. وفي نسخة أخرى: «إني توجهت به إلى ربي». وقد رواه

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث عثمان بن حنيف، في الدعاء، باب: دعاء الضعيف، ح (٣٥٧٨)(٥/ ٥٦٩)، وابن ماجه ح (١٣٨٥)(١/ ٤٤١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٣)، والطبراني في الكبير، والنسائي والبيهقي، كما سيأتي.
وقد ضعف بعض أهل العلم هذا الحديث؛ لأن أبا جعفر فيه كلام، وبعضهم ضعف الإسناد؛ لأجل عدم التثبيت، أن أبا جعفر هو الخطمي كما خرج بذلك الترمذي، والخطمي قال عنه الحافظ: «صدوق». انظر: التقريب (٢/ ٨٧). قال الشيخ/ ربيع المدخلي: «وفي النفس من الاختلاف عليه في إسناد هذا الحديث ومتنه، وفي النفس شيء من تفرده بهذا الحديث، فإنه يدور عليه وحده، فليس له متابعات ولا شواهد». انظر: هامش (١) من التعليق على قاعدة جليلة (ص١٨٩). وانظر: هذه مفاهيمنا، للشيخ/ صالح آل الشيخ (ص٣٦). وتعليق د/ عبد الله السهلي على الاستغاثة (١/ ٣٩١).

وأما الشيخ الألباني فقد صححه كما في التوسل (ص٧٥)، وصحيح ابن ماجه ح (١١٣٧) (١/ ٢٣١).

النسائي في اليوم والليلة[(١)] والبيهقي[(٢)] وابن شاهين في دلائلهما، كلهم عن عثمان بن حنيف، وساقوه بقريب من سياق الترمذي، وليست فيه لفظة: «يا محمد»[(٣)]. وقد ساقه الهندي بما سمعتم من التحريف والكذب، شأن القصاصين.

وقد سبقت الإشارة على الجواب عنه، بأنه من باب التوسل بدعاء النبي ﷺ كما في الاستسقاء، فإن قوله: «أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد». على حذف مضاف، أي: بدعائه وشفاعته، كما يقتضيه السياق[(٤)].

قال العلامة المناوي: «سأل الله أولًا أن يأذن لنبيه أن يشفع، ثم أقبل على النبي ﷺ، ملتمسًا شفاعته له، ثم كَرَّ مقبلًا على ربه أن يقبل شفاعته»[(٥)] اهـ.

---

(١) ح (٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥) (ص٢١٤)

(٢) في دلائل النبوة (٦/ ١٦٦).

(٣) هذه اللفظة ثابتة في روايات صحيحة، عند أحمد (٤/ ١٣٨)، وابن ماجه (١/ ٤٤١)، وابن خزيمة (٢/ ٢٢٥)، وهو نداء لا يقصد به الاستغاثة، بل استحضار المنادى، كما نقل ذلك الشيخ خوقير فيما سيأتي بإذن الله.

(٤) قال الشيخ الألباني رحمه الله: «لو صح أن الأعمى إنما توسل بذاته ﷺ، فيكون حكمًا خاصًا به ﷺ، لا يشاركه فيه غيره». التوسل (ص٧٤)، المطبعة السلفية.
ولكن يرده عليه أنه لو كان التوسل بذاته ﷺ، لانطلق عميان الدنيا في طلب رد أبصارهم إليهم، وهم أحرص ما يكونون على ذلك، وقد عمي منهم كثير؛ كالعباس عم النبي ﷺ، وابنه ابن العباس، وعقيل ابن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وغيرهم.
انظر: هذه مفاهيمنا (ص٣٧)، وانظر: الرد على دعوى أن التوسل إنما كان بالذات، تعليق الدكتور/ عبد الله السهلي على الاستغاثة (١/ ٣٩٠-٣٩٤)

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ١٣٤)، الطبعة الثانية: عام (١٣٩١هـ)، دار =

قال في اقتضاء الصراط المستقيم: «فعلم أن التوسل الذي ذكروه هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم، فإن الحي يطلب منه ذلك، والميت لا يطلب منه شيء، لا دعاء ولا غيره، وكذلك حديث الأعمى، فإنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد عليه بصره، فعلمه النبي ﷺ دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه، فهذا يدل على أن النبي شفع فيه، وأمره أن يسأل الله قبول شفاعته، وأن قوله: «أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة». أي: بدعائه وشفاعته، كما قال عمر: «كنا نتوسل إليك بنبينا»، فلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد، ثم قال: «يا محمد، يا رسول الله، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي، لتقضيها. اللهم فشفعه فيَّ». فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه.

وقوله: «يا محمد يا نبي الله». هذا وأمثاله نداء[(١)]، ويطلب به استحضار المنادى [في القلب][(٢)]، فيخاطب المشهود بالقلب، كما يقول المصلي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، والإنسان يفعل مثل هذا كثيرًا، يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب»[(٣)]. انتهى.

وأما ما روي من أن عثمان بن حنيف راوي هذا الحديث، علَّم هذا

= الفكر. ونقله عنه في جلاء العينين (ص٥٢٠).

(١) بعض الروايات لم ترد فيها هذه اللفظة، وورد في بعضها: «إني أتوجه به إلى ربي....». انظر: الرد على القبوريين، تأليف: حمد آل معمر (ص٨٥).

(٢) ساقطة من الأصل، وهي في المنقول منه، (٢/ ٧٨٤).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، (٢/ ٧٨٤)، تحقيق: ناصر العقل.

الدعاء لمن كان له حاجة عند عثمان زمن إمارته بعده ﷺ، وعسر عليه قضاؤها وفعله فقضاها[١]، فذلك رأي من عثمان بن حنيف قصدًا للتبرك بألفاظ النبي ﷺ، من غير قصد استغاثة في الشفاعة، إن صحت تلك الرواية، فإن في سندها مقالًا، بل قال بعضهم: إن إمارات الوضع لائحة عليها.

وقد علمت أن الحديث إذا شذَّ عن قواعد الشرع لا يعمل به، ولو رواه العدل الضابط عن مثله. ومن احتج به على دعاء الميت والغائب فقد خالف نصوص الكتاب والسنة، وعمل الصحابة ومن بعدهم، من أنه ليس فيه دعاء بل هو توسل بنداء الحاضر، والدعاء أخص من النداء، فليس كل نداء دعاء، إذ الدعاء نداء عبادة متضمن للسؤال والطلب من المنادي، لجلب نفع أو دفع ضر، ولو بقرينة المقام؛ كأن يقول من أشرف على هلاك كالغرق مثلًا: يا الله، فهذا دعاء المضطر. فكيف يدعو المضطر غير الله، فيقول: يا فلان في ذلك المقام، والله يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ﴾[٢].

وكيف يحتج العالم بذلك الحديث على جوازه وقد سمعت ما قررناه، وكيف يكابر بأن هذا القائل لا يعتقد النفع والضرر فيمن ناداه، وهو يعتقد بأنه يسمع صوته ولو كان في الشرق والمنادي بالغرب، وأنه يعلم ما نزل به من الشدة وما حل به من الكربة، أفلا يكون نافعًا لمن يعتقد فيه أنه يعلم علم

(١) هذه القصة رواها الطبراني في الصغير، (١/ ١٨٤)، والكبير (٩/ ١٧-١٨)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ١٦٨)، وهي قصة منكرة لا تصح.
انظر: مناقشة أسانيدها وإبطالها في كتاب: هذه مفاهيمنا (ص٣٨) فما بعدها، وتعليق: السهلي على الاستغاثة (١/ ٣٩٣).

(٢) سورة النمل، الآية: (٦٢).

الغيب، ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾[(١)]. ونبينا مع أنه سيد ولد آدم وحيًّا في قبره، لا يعلم الغيب، وهو لا يعلم الغيب في الدنيا فكيفما[(٢)] بعد وفاته، كما هو مبسوط في كتب الفقه، فكيف يقول هذا العالم[(٣)] أن ذلك مجاز إسنادي، وأن قرينته الإسلام وهو لا يمكنه إنكار ما سبق، ثم يقرأ كل يوم في الكتب الفقهية، ويقرر في باب الردة ألفاظًا يكفر الناطق بها بمجرد التلفظ بها من غير اعتبار المجاز، وتلك القرينة التي صارت له قرينة، فهو إما جاهل أو متجاهل بما صرف ذلك القائل: يا فلان، من العبادات الخاصة به تعالى إلى غيره، والحال ما ذكره.

فوالله إن العامي الذكي ليدرك ذلك بفطرته السليمة، لو رجع إليها وخلى بينه وبينها، فقد حكي أن شاميًّا من العوام كان في سفينة لعبت بها الأمواج، وأشرفت على الغرق، فقام الناس يصيحون وينادون من أعماق قلوبهم: يا رفاعي، ياجيلاني، يا بدوي، فرفع ذلك الشامي طرفه إلى السماء، وقال: يا سيدي[(٤)] غرق غرق الناس نسيوك، يا سيدي غرق غرق الناس ما بيعرفوك.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٨٨).

(٢) كذا ولعلها: «فكيف».

(٣) يعني به: أحمد زيني دحلان، وكلامه في كتابه: خلاصة القول في بيان أمراء البيت الحرام (ص٢٥٤- ٢٥٥)، طبعة (١٣٠٥هـ). وفي الرد عليه انظر: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٧، ٢٣٨). وانظر: الدعاء للعروسي (٩١٢- ٩٣٠)، والشيخ أبو بكر خوقير وجهوده (٢/ ٤٤٤).

(٤) جاء عن الأمام مالك وغيره كراهة الدعاء بهذا اللفظ: يا سيدي وقال: «قل كما قالت الأنبياء: يارب يارب...». انظر: العتبية مع البيان والتحصيل (١/ ٤٥٦)، (١٧/ ٤٢٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٠٧) (٢/ ٣٣٣) (٢٢/ ٤٨٣).

وقد قصَّ الله عن كفار قريش بأنهم إذا كانوا في الفلك وهاج عليهم البحر دعوا الله مخلصين، وإذا نجاهم إلى البر أشركوا، على عكس القصة السابقة(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من جوز أن يطلب من المخلوق كما يطلب من الخالق، من كشف الشدائد، فكفره شر من كفر عباد الأصنام؛ فإنهم لا يطلبون منها كما يطلب من الله، كما قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾(٢). فبيَّن سبحانه أنه إذا جاء عذاب الله، أو أتت الساعة، لا يطلبون إلا الله في كشف الشدائد وجلب الفوائد، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾(٣). قال: وقد وقع في كثير من ذلك ما وقع من العامة وغيرهم»(٤) اهـ.

بقي هنا حديث آخر غير حديث الأعمى، يحتج به المغرّرون للجهال على جواز دعاء الميت والغائب، وهو الوارد في أذكار السفر: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فليناد: يا عباد الله، احبسوا فإن لله حاضرًا سيحبسه»(٥).

---

(١) ولذلك ذهب الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: إلى أن مشركي زماننا أشد إشراكًا من قريش؛ لأن قريشًا يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، كما ذكر الله تعالى ذلك في القرآن عنهم. أما مشركو زماننا فهم مشركون في الرخاء والشدة، والعياذ بالله.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: (٤٠، ٤١).

(٣) سورة الإسراء، الآية: (٦٧).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير، ح (١٠٥١)(١٠/ ٢٦٧)، وأبو يعلي في مسنده كما في =

فيجاب عنه: بأنه حديث ضعيف، وذكر بعض العلماء: أنه حديث منكر؛ فإنه من رواية معروف بن حسان، وهو منكر الحديث كما قاله ابن عدي(١).

ومع ذلك فهو لا يدل على دعاء الميت والغائب؛ لأنه قال فيه: أن لله حاضرًا سيحبسه، فالمنادى حاضر حيٌّ وكله الله بهذا الأمر، وهو من عباده الذين لا نعلمهم، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾(٢).

وكل عاقل يتيقن أنه ﷺ لا يأمر بمناداة من لا يسمع، ولا يعين من ناداه، فلا يعارض هذا الحديث الكتاب والسنة، المانعين من صرف الدعاء لغير الله تعالى، ولا يعرف عن أحد من أهل العلم والإيمان ـ الذين لهم لسان صدق في الأمة ـ ولم تأت به شريعة من الشرائع، بل المنقول عن جميع الأنبياء ما يرده ويبطله، كما في الكتاب العزيز.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «ومن أنواعه ــ أي: الشرك ــ طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، فضلًا

= مجمع الزوائد، (١٠/ ١٣٢). قال الهيثمي: «وفيه: معروف بن حسان، وهو ضعيف».
كما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، (١٠/ ٤٢٤)، وفيه عدة علل.
وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، ح (٥١٠) (ص١٤٥)، طبعة (١٤٠٤هـ)، دار: الجيل بيروت.
والحديث ضعفه ــ أيضًا ــ الألباني في سلسلة الضعيفة، ح (٦٥٥) (٢/ ١٠٨)، كما ضعفه صالح آل الشيخ في: هذه مفاهيمنا (ص٥٢).

(١) الكامل في الضعفاء (٦/ ٢٣٢٦). وانظر: لسان الميزان (٦/ ٦١).

(٢) سورة المدثر، الآية: (٣١).

عمن استغاث به أو سأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده»(١) اهـ.

وقد أطلنا الكلام في هذا المقام؛ لأن هذا الهندي وأضرابه يسمون ذلك توسلًا، وينصبون أنفسهم للدفاع عنه تمحلًا، عاملهم الله بعدله كما جنوا على التوحيد وأهله.اهـ.

قال الهندي: «والثالث: روى الدرامي عن أبي الجوزاء، قال: قحط أهل المدينة قحطًا شديدًا، فشكوا إلى عائشة ﵂، قالت: فانظروا قبر النبي ﷺ، فجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا حتى نبت العشب، وسمن الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمى عام الفتق»(٢).

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤٦). وهذا منقول فيما يبدو عن ابن عيسى في الرد على المستغيثين بغير الله (ص٦٢٧)، ضمن الجامع الفريد.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة، باب: ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ بعد موته، ح (٩٣) (١/ ٤٣). والخبر ضعيف جدًا؛ فيه عدة علل:

أ ـ أنه مسلسل بالضعفاء، ففيه: سعيد بن زيد، قال عنه الذهبي في الميزان (٢/ ١٣٨): «ضعيف». وقال النسائي وغيره: «ليس بالقوي».

وفيه: عمرو بن مالك النكري، قال عنه ابن عدي: «منكر الحديث عن الثقات، ويسرق الحديث». الكامل (٥/ ١٥٠).

وفيه: أبو النعمان محمد الفضل، قد اختلط في آخر عمره، وعده الحافظ برهان الدين الحلبي في المختلطين في المقدمة (ص٣٩١). انظر: التوسل للألباني (ص١٤١).

ب- ما روي عن عائشة ﵂ من فتح الكوة في قبره إلى السماء ليس بصحيح، ولا يثبت إسناده، ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة، بل كان =

أقول: نعم ذكره الدارمي في باب: ما أكرم الله نبيه بعد موته. قال في مجمع البحار: كُوَى إلى السماء أي منافذ، جمع كوة بفتح كاف وضمها، قيل: سببه أن السماء لما رأت قبره بكت وسال الوادى من بكائها، لقوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ﴾(١). وقيل: استشفاع بقبره ﷺ. اهـ.

فهذا من مشكل الآثار المتشابهة التي لا يحتج بها، فإن الاستسقاء المأثور جار بالمدينة المنورة من عهده ﷺ إلى هذا العهد، مع أن عائشة كانت في الحجرة ويدخل إليها من الباب، وبعد ذلك بني الحائط الآخر، ولم يذهب أحد من الصحابة إلى القبر النبوي يستسقى عنده ولا به، ولو كان لنقل واستفاض، ولم نحتج إلى حديث واحد فيه ما فيه.

وقد روي عن خالد بن دينار عن أبى العالية ــ كما ذكر محمد بن إسحاق في مغازية من زيادات يونس بن بكير ــ عن أبي خلدة خالد بن دينار، قال: حدثنا أبو العالية، قال: لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف

= بعضه باقيًا على عهد رسول الله ﷺ، بعضه مسقوف وبعضه مكشوف. انظر: تلخيص الاستغاثة (ص٦٨-٦٩).

ج- لا يعرف في تاريخ المسلمين عام يسمى عام: الفتق.

د- أن الإبل لا تتفتق من الشحم، بل إذا زاد قد يقتلها أو يكسر ظهرها، أما التفتق فلا يحصل لها كما هو معلوم لدى أهلها.

انظر: تفصيل هذه العلل وغيرها عند ابن تيمية في الرد على البكري، (١/ ١٤٥)، وكتاب: التوسل للألباني (ص١٢٥)، وكتاب: هذه مفاهيمنا (ص٧٣)، وهامش (١) من التعليق على الاستغاثة، للدكتور/ السهلي (١/ ٤٠٢ – ٤٠٤).

(١) سورة الدخان، الآية: (٢٩).

فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه قراءة مثل ما قرأ القرآن، قال خالد: فقلت لأبى العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه ساوينا القبور كلها مع الأرض، لنعميه على الناس لا ينبشونه، فقلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون، فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له: (دانيال)، فقلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة، قلت: كان تغير منه شيئًا؟ قال: لا، إلا شعرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع(١).

فلو كان الاستسقاء بقبور الأنبياء ثم بمن يليهم جائزًا أو فضيلة، لنصب عليه علمًا أولئك المهاجرون والأنصار، ولم يعموا قبره لئلا يفتتن الناس به، لما اعلموا من استسقائهم به، ولكنهم كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلائف التي خلفت بعدهم، فما زالت الصحابة تسد الذرائع كما في هذه

---

(١) هذه القصة: رواها البيهقي بإسناده في دلائل النبوة، (١/ ٣٨١)، وذكرها الطبري في تاريخه مختصرة، (٤/ ٩٣)، وفي الأحوال لأبي عبيد مختصرة، (٨٧٧)، ص(٣٥٢)، كما ذكرها شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم، (٢/ ٦٨٠)، والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية، (٢/ ٤٠)، وقال: «إسناده صحيح إلى أبى العالية، وإما أن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، فقد ورد فيها الحديث الصحيح، عن أوس بن أوس ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء..**». رواه أبو داود ح (١٠٤٧)، وابن ماجه ح (١٠٨٥) (١/ ٣٤٥)، والنسائي ح (١٣٧٤) (٣/ ٩٣)، والدارمي (١/ ٣٦٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٠)، وغيرهم.

القصة، وكما فعل عمر ﷺ من قطع الشجرة التي بويع تحتها رسول الله[١]، وكذلك التابعون لهم بإحسان درجوا على سبيلهم، فقد كان عندهم من قبور الصحابة عدد كثير في الأمصار، فما منهم من استغاث بها، ولا دعا عندها، ولا استسقى بها ولا استنصر، ولو كان لتوفرت الدواعي على نقله[٢].

وبعد كتابتي لما تقدم رأيت في تتمة منهاج التأسيس، للعلامة محمود شكري الألوسي ما نصه: «بعد ذكر عائشة ﷺ، والجواب: أن يقال لا دليل في الحكاية على ما قصده العراقي، من جواز نداء غير الله تعالى؛ لأنه لا نداء فيها، بل [فيها][٣] أن الله رحم أهل الأرض لما كشفت عن مرقده ﷺ، بحيث يصله القطر من المطر، كما أن من خواص أجسام الأنبياء جميعًا إذا كشفت نزول المطر عليها[٤]، ولا يقضي مثل ذلك نداءهم ودعائهم في الشدائد، وكذلك من خواصها عدم آكل الأرض إياها، ولا يقتضي - أيضًا - دعاءها، ولو جاز استسقاؤه ﷺ في هذه الحالة، لما عدل عمر إلى العباس كما سبق قريبًا.

وهذا كله لو سلمنا صحة مثل هذه الحكاية، وإذا لم تصح فالمنع أظهر

---

(١) ذكرها ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٤٩)، وذكرها الحافظ في الفتح (٧/ ٥١٣) عند شرح الحديث (٤١٦٥): أنه وجد عند ابن سعد بإسناد صحيح، عن نافع عن ابن عمر فذكرها.

كما ذكرها شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم، (٢/ ٧٥٣).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٣ -٢٠٤). وهو في جلاء العينين (ص٥٢٥)

(٣) في الأصل: «فيهم».

(٤) هذه الخاصية تحتاج إلى دليل لإثباتها.

والجواب أحق»(١).

ثم رأيت في اقتضاء الصراط المستقيم ما نصه: «وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات، ودهتهم نوائب غير ذلك، فهلا جاءوا فاستسقوا واستغاثوا عند قبر النبي ﷺ، بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به(٢)، ولم يستسق عند قبر النبي ﷺ.

بل قد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها كشفت عن قبر النبي ﷺ لينزل المطر(٣)، فإنه رحمة تنزل على قبره، ولم تستسق عنده ولا استغاثت هناك، وهذا لما بنيت حجرته على عهد التابعين، بأبي هو وأمي ﷺ، تركوا في أعلاها كوة من السماء، وهي إلى الآن باقية فيها، موضوع عليها شمع، على أطرافه حجارة تمسكه، وكان السقف بارزًا إلى السماء، وبني ذلك لما احترق المسجد والمنبر، سنة: بضع وخمسين وستمائة(٤)، وظهرت النار بأرض الحجاز التي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى(٥)، وجرت بعدها فتنة

---

(١) تتمة منهاج التأسيس (ص٢٥-٢٦)، طبعة بومباي (١٣٠٩هـ).

(٢) تقدم تخريجه (ص٣٥).

(٣) تقدم في (ص٧٣) أن هذه الحكاية لم تصح.

(٤) انظر: تفصيل هذه الحادثة في البداية والنهاية، لابن كثير (١٣ / ١٩٣).

(٥) وهذه من معجزات النبي ﷺ، فقد أخبر عنها - بأبي هو وأمي - قبل وقوعها بمئات السنين، فقد ورد في الحديث المتفق على صحته، أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى**». أخرجه البخاري في الفتن، ح (٧١١٨)(١٣/ ٧٨) من الفتح، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، ح (٢٩٠٢) (٢/ ٢٢٢٨).

وتفصيل هذه الحادثة انظره في: البداية والنهاية أيضًا، (١٣/ ١٨٧-١٩٢).

الترك ببغداد[(١)] وغيرها، ثم عُمر المسجد والسقف كما كان، وأحدث حول الحجرة الحائط الخشب، ثم بعد ذلك بسنين متعددة بنيت القُبة على السقف، وأنكره من كرهه. على أنا قد روينا في مغازي محمد بن إسحاق من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار...»[(٢)] ثم ساق القصة السابقة. فتأمل.

قال المراغي[(٣)]: «وفتح الكوة عند الجدب سُنة أهل المدينة، يفتحون كوة في أسفل الحجرة، وإن كان السقف حائلًا بين القبر الشريف والسماء».

قال السمهودي[(٤)]: «وسنتهم اليوم: فتح الباب المواجه للوجه الشريف» اهـ. أي: والكوة مسدودة[(٥)].

قال الهندي: «والرابع: روى البيهقي وابن أبي شيبة بسند صحيح، عن مالك الدار ـ وكان خازن عمر ـ قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر بن

---

(١) التي أنهت الخلافة العباسية، وسفكت فيها دماء المسلمين على يد الطاغية/ هولاكو التتري، وبتحريض وتعاون من الرافضة، الذين هم دائمًا عونًا لكل عدو للإسلام والمسلمين، كف الله شرَّهم.
انظر: تفصيل هذه الحادثة المؤلمة في: البداية والنهاية، (١٣ / ٢٠٠- ٢٠٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٦٧٨-٦٧٩).

(٣) زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر، المتوفي سنة: (٨١٦هـ)، من كتابه: تحقيق النصرة بتلخيص ما لدار الهجرة (ص١١٥).

(٤) علي بن عبد الله الحسيني، له مصنف في تاريخ المدينة، توفي سنة (٩١٢هـ). انظر: البدر الطالع (١/ ٤٧١).

(٥) وهذان النقلان مذكوران في خلاصة الكلام، لأحمد زيني دحلان (ص٢٤٦- ٢٤٧).

الخطاب ﷺ، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله فقال: ائت عمر، فأقرئه السلام، فأخبره بأنهم يُسْقَون عليك الكيس الكيس، فأتى الرجل عمر بن الخطاب ﷺ فأخبره، فبكى عمر، قال: يا رب، ما آلوا لا ما عجزت عنه»(١).

أقول: في هذه الرؤيا المنامية حجة على هذا الرجل وأمثاله، فإنه ﷺ لم يقل أنا استسقى، بل أمر عمر أن يستسقي بالناس، لكن قال بعضهم: أن الذي رأى هذا المنام بلال بن الحارث(٢)، فأتى به بعض المدلسين في الحديث بدل رجل ناسبًا له إلى البيهقي وابن أبي شيبة، ثم قال: «وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي ﷺ، فإن رؤياه وإن كانت حقًا، لكن لا تثبت بها الأحكام لإمكان اشتباه الكلام على الرائي، وإنما الاستدلال بفعل بلال بن الحارث

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة كما في فتح الباري (٢/ ٤٩٥)، والبيهقي، وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٩١)، بأسانيد ضعيفة فيها: «مالك» وهو مجهول لا يُدرى من هو؟ ثم الراوي عنه ـ وهو أبو صالح ذكوان ـ لا يعرف له سماع من شيخه المجهول، وعند البيهقي عنعنه الأعمش وهو مدلس.
أما ما ذكره الحافظ ابن كثير: فهو من رواية سيف وهو ابن عمر، وقد قال عنه الحافظ في التقريب (١/ ٣٤٤): «ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ، أفحش ابن حبان القول فيه» حيث قال عنه ـ كما في الميزان (٢/ ٢٥٥) ـ: «اتهم بالزندقة». وقال أبو حاتم: «متروك»، وقال ابن عدى: «عامة حديثه منكر».
انظر: تفصيل بطلان هذه الرؤيا والشبهات حولها، كتاب: هذه مفاهيمنا، للشيخ/ صالح آل الشيخ (ص٦٠- ٦٤).

(٢) وهو ما ورد في التصريح به في رواية سيف بن عمر، التي ذكرها الحافظ ابن كثير، (٧/ ٩١). وهو ضعيف كما تقدم.

في اليقظة، فإنه من أصحاب النبي ﷺ، فإتيانه لقبر النبي ﷺ ونداؤه له، وطلبه أن يستسقي لأمته دليل على أن ذلك جائز»(١).

فيا لله العجب كيف انفرد هذا الصحابي بعمله هذا عن سائر الصحابة! ولِمَ لَمْ يتواردوا على قبره ﷺ، ويلتجئوا إليه في جميع ما نزل بهم من المصائب، فعلى هذا البعض إثبات شبه ذلك إلى بلال بن الحارث بالسند الصحيح(٢).

ولئن صح فلنا فيه كلام، أما ما روي عن البيهقي وابن أبي شيبة، فهو فعل رجل مجهول كما ذكره الهندي وغيره، لا يعرف اسمه فضلًا عن حاله، والمدينة في ذلك الزمان يردها أهل الآفاق من العرب والعجم، والحاضرة والبادية، وفعله مخالف لما عليه الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان هنا غير هذا الرجل المجهول لأورده هذا وأمثاله، ممن كلفوا أنفسهم الانتصار للقبوريين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم، فلم يشرع لنا أن نقول: ادع لنا، ولا اسأل لنا ربك. ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد فيه حديث، بل الذي ثبت في الصحيح: أنهم لما أجدبوا زمن عمر رضي الله عنه، استسقى بالعباس، وقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا، وإنا نتوسل إليك

---

(١) انظر: خلاصة الكلام لدحلان (ص٢٤٢).

(٢) والخبر لم يصح كما تقدم، ولو صح فيكون عملًا شاذًا عن شخص مجهول، لم يثبت له صحبه. والله تعالى أعلم.

بعم نبينا، فاسقنا. فيسقون، ولم يجيئوا إلى قبر النبي ﷺ قائلين: يا رسول الله، ادع لنا واستسق لنا، ونحن نشتكي إليك مما أصابنا. ونحو ذلك لم يفعل أحد من الصحابة قط، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان»[1] اهـ.

وقال في اقتضاء الصراط المستقيم ـ في بحث شبه المجوزين قصد القبور للدعاء عندها من بعض المتأخرين، بعد المائة الثانية ـ ما نصه: «فهذه الآثار إذا ضمت إلى ما قدمناه من الآثار، عُلم كيف كان حال السلف في هذا الباب، وأن ما عليه كثير من الخلف في ذلك من المنكرات عندهم، ولا يدخل في هذا الباب ما يروى: أن قومًا سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ، أو قبور غيره من الصالحين، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الآذان من القبر ليالي الحرة، ونحو ذلك. فهذا كله حق ليس مما نحن فيه، والأمر أجل من ذلك وأعظم، وكذلك ـ أيضًا ـ ما يروى أن رجلًا جاء إلى قبر النبي ﷺ، فشكا إليه الجدب عام الرمادة، فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس، فإن هذا ليس من هذا الباب، ومثل هذا يقع كثيرًا لمن هو دون النبي ﷺ، وأعرف من هذا وقائع.

وكذلك سؤال بعضهم للنبي ﷺ، أو لغيره من أمته حاجته فتقضى له، فإن هذا قد وقع كثيرًا، وليس مما نحن فيه، وعليك أن تعلم أن إجابة النبي ﷺ أو غيره لهؤلاء السائلين، ليس هو مما يدل على استحباب السؤال، فإنه هو القائل ﷺ: «**إن أحدكم ليسألني المسألة وأعطيه إياها، فيخرج بها يتأبطها نارًا**». فقالوا: يا رسول الله، فلم تعطهم؟ قال: «**يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى**

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٦).

الله لي البخل»(١). وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من حال لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم، كما أن السائلين له في الحياة كانوا كذلك، وفيهم من أجيب وأمر بالخروج من المدينة، فهذا القدر إذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر، أما أنه يدل على حسن حال السائل فلا. فرق بين هذا وهذا»(٢) انتهى.

قال الهندي: «روى الحافظ أبو سعد السمعاني، عن علي رضي الله عنه، أن أعرابيًا جاء إلى قبر النبي ﷺ بعد وفاته بثلاثة أيام، فبكى بكاءًا شديدًا حتى خرَّ، ثم أخذ تربة من قبر النبي ﷺ فجعله على رأسه، وقال: يا رسول الله، أطعنا ما بلغتنا من كلام الله وحفظناه، وفيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(٣). وقد ظلمت نفسي- وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر: أنه قد غفر لك»(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٦، ٤) عن أبي سعيد الخدري، وعزاه الهندي في الكنز-ح (١٧١٢١) (٦/ ٦٢١)- إلى ابن جرير الطبري، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٨٢) بأطول مما هنا، وذكره شيخ الإسلام في الاقتضاء (ص٦٩٢، ٧٥٨).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٢٨).

(٣) سورة النساء، الآية: (٦٤)

(٤) هذه الحكاية أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة جليلة (ص١٤٩) وقال: «وحكوا حكاية عن العتبي»، كما ذكرها في الاقتضاء (٢/ ٧٥٨) بأطول مما هناك، وقال: «وإنما يعرف هذا في حكاية ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء عن أعرابي».
وممن ذكرها من الفقهاء من غير إسناد: النووي في المجموع (٨/ ٢٧٤)، وابن قدامة في المغني والشرح الكبير (٣/ ٥٨٨)، بقوله: «ويروى عن العتبي». =

أقول: كان ينبغي عليه أن يجعل هذا دليلًا خامسًا مستقلًا، فأخطأ في درجة الدليل الرابع مع ما فيه من تحريف الرواية عما نقله بعضهم، وقد قال الحافظ ابن عبد الهادي: «إن هذا خبر منكر موضوع، وأثر مختلق مصنوع، ولا يصلح الاعتماد عليه، ولا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض»(١). ثم تكلم على بعض رجاله، ثم قرر معنى الآية أحسن تقرير، كما سيأتي.

= كما ذكرها الحافظ ابن كثير عند تفسيره آية النساء، (٦٤) بقوله: «ذكر جماعة منهم: الشيخ/ أبو منصور الصباغ، في كتابه: الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي».

وقال الشيخ/ ربيع بن هادي المدخلي في تحقيقه للقاعدة (ص١٤٩): «هذه الحكاية ذكرها ابن عساكر في تأريخه، وابن الجوزي في: مثير الغرام، وغيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي...» فذكرها نقلًا عن وفاء الوفاء للسمهودي. ثم نقل عن ابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص٢١٢) قوله: «وهذه الحكاية التي ذكرها بعضهم - يعني: السبكي - يرويها عن العتبي بلا إسناد، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب بلا إسناد... وعن الحسن الزعفراني عن الأعرابي. وقد ذكرها البيهقي في كتاب: شعب الإيمان بإسناد مظلم...».

إلى أن قال: «ثم ذكر نحو ما تقدم، وقد وضع لها بعض الكذابين إسنادًا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه». ثم قال: «وفي الجملة: ليست الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما تقوم به الحجة، وإسنادها مظلم، ولفظها مختلف أيضًا، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على مطلوب المعترض، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية، ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم، وبالله التوفيق».

ثم ذكر الشيخ ربيع كلامًا رائعًا مبديًا فيه التعجب من هؤلاء المفتونين، الذين يتركون الاحتجاج بالأحاديث الصحيحة الصريحة في باب الاعتقاد، ثم يتعلقون بما يوافق أهواءهم بروايات المجهولين، ومنامات الأعراب الأجلاف! نسأل الله العافية والسلامة.

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٢٧٦).

وهذه الحكاية يرويها بعضهم عن العتبي بلا إسناد بزيادة بيتين، ويرويها بعضهم عن غيره بألفاظ مختلفة، قال الحافظ المذكور: «وفي الجملة: ليست هذه الحكاية المذكورة مما تقوم بها حجة، وإسنادها مظلم مختلق، ولفظها مختلق أيضًا، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على المطلوب، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية، ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم»(١) اهـ.

قال في اقتضاء الصراط المستقيم ـ بعد ذكر حكاية العتبي، واستحباب طائفة من متأخري الفقهاء مثل ذلك ـ ما نصه: «واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي، ولا سيما في مثل هذا الأمر، بل قضاء الله تعالى حاجة مثل هذا الأعرابي لها أسباب قد بسطت في محلها، وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون مشروعًا مأثورًا، فقد كان عليه السلام يسأل في حياته المسألة فيعطيها، وتكون محرمة في حق السائل، حتى قال: **«أني لأعطي أحدكم العطية فيخرج بها يتأبطها نارًا»**. قالوا: يا رسول الله، فلم تعطيهم؟ قال: **«يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله تعالى لي البخل»**(٢). وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحًا ولا يكون عالمًا أنه منهي عنه، فيثاب على حسن قصده، ويعفى عنه لعدم علمه.

وهذا باب واسع، وعامة العبادات المبتدعة المنهي عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل بها على نوع من الفائدة، وذلك لا يدل على أنها

---

(١) المصدر نفسه (ص٢١٣).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا (ص٨١).

مشروعة، ولو لم تكن مفسدتها أعظم من مصلحتها لما نُهي عنها، ثم الفاعل قد يكون متأولًا أو مخطئًا مجتهدًا أو مقلدًا، فيغفر له خطأه ويثاب على ما يفعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع؛ كالمجتهد المخطيء، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع»(١) اهـ.

أما الآية الشريفة، فقال الحافظ ابن عبد الهادي(٢): «لم يفهم أحد من السلف ولا الخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم، وقد ذَمَّ تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذا ظلم نفسه، وأخبر أنه من المنافقين، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾(٣).

وكذلك هذه الآية إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت، دون حكم رسول الله ﷺ(٤)، فظلم نفسه

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٥٨-٧٥٩).

(٢) هو: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الفقيه الحنبلي المقرئ المحدث، (ت: ٧٤٤ هـ).

(٣) سورة المنافقون، الآية: (٥)

(٤) هذا أحد الأقوال المأثورة في سبب نزولها.

قال ابن الجوزي - في زاد الميسر (٢/ ١٤٥) - عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[النساء: ٦٠]. في سبب نزولها أربعة أقوال، أحدها: أنها نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل إلى كعب بن الأشرف، =

بهذا أعظم ظلم، ثم لم يجيء إلى رسول الله ليستغفر له، فإن المجيء إليه ليستغفر له توبة وتنصل من الذنب.

وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ، أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة، جاء إليه، فقال: يا رسول الله، فعلت كذا وكذا فاستغفر لي. كان هذا فرقًا بينهم وبين المنافقين، فلما استأثر الله عز وجل نبيه ﷺ ونقله من بين أظهرهم إلى دار كرامته، لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره، ويقول: يا رسول الله، فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، ومن يقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت [وافترى على الصحابة والتابعين](١)، وهم خير القرون على الإطلاق.

هذا الواجب الذي ذم الله سبحانه وتعالى من تخلف عنه، وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق، ووفق له من لا توبة له من الناس، ولا يعد في أهل العلم، وكيف أغفل هذا الأمر أئمة الإسلام وهداة الأنام، من أهل الحديث والفقه والتفسير، ومن لهم لسان صدق في الأمة، فلم يدعوا إليه ولم يحضوا عليه ويرشدون إليه، ولم يفعله أحد منهم البته، بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه، وينهى عنه من الغلو والشرك الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية، ولما كان هذا المنقول شجى في حلوق البغاة، وقذًى في عيونهم، وريبة في قلوبهم، قابلوه

= فأبى اليهودي، فأتيا النبي ﷺ فقضى لليهودي، فلما خرجا قال المنافق: ننطلق إلى عمر... فذكر القصة.

وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص١١٩)، ولباب النقول للسيوطي (ص٧٣).

(١) في المنقول منه: «أَفَتَرى عَطَّلَ الصحابة والتابعين...» (ص٢٧٣).

بالتكذيب والطعن في الناقل، ومن استحيى منهم ـ من أهل العلم بالآثار ـ قابله بالتحريف والتبديل، ويأبى الله إلا أن يعلي منار الحق، ويظهر أدلته؛ ليهتدي المسترشد، وتقوم الحجة على المعاند، فيعلي الله بالحق من يشاء، ويضع برده وبطره وغمط أهله من يشاء، ويالله العجب أكان ظلم الأمة لأنفسها ونبيها حي بين أظهرها موجود، وقد دعيت فيه إلى المجيء إليه ليستغفر لها، وذم من تخلف عن هذا المجيء، فلما توفي ﷺ، ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم إلى المجيء إليه ليستغفر له، وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية، تأويل باطل قطعًا، ولو كان حقًا لسبقونا إليه علمًا وعملًا وإرشادًا ونصيحة.

ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف، ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا، وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض(١) المستأخر، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه، وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده، وإنما ننبه عليه بعض التنبيه.

---

(١) يعني: به: السبكي وهو: تقي الدين، أبو الحسن علي بن عبد الكافي، المتوفى سنة: (٧٥٦هـ)، والد تاج الدين، صاحب الطبقات الكبرى، صنف ما يربو على مائة وخمسين مصنفًا في العلوم الشرعية والعربية، أشعري المذهب، كان معاصرًا لشيخ الإسلام، ومن أكثر المنتقدين له، وأشدهم في الوقوع فيه، له كتاب: شفاء السقام في زيارة خير الأنام. وهو الكتاب الذي رد فيه على شيخ الإسلام، ورد عليه ابن عبد الهادي في: الصارم المنكي.
انظر: ترجمته في تذكرة الحفاظ (٤/ ١٥٠٧)، البداية والنهاية (١٤/ ٢٦٤)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير... (٢/ ١٦١٩).

ومما يدل على بطلان تأويله قطعًا: أنه لا يشك مسلم أن من دعي إلى رسول الله ﷺ في حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له، فأعرض عن المجيء وأباه، مع قدرته عليه، كان مذمومًا غاية الذم، مغموصًا بالنفاق، ولا كذلك من دعي إلى قبره ليستغفر له، ومن [سوّى][1] بين الأمرين وبين المدعوين وبين الدعوتين فقد جاهر بالباطل، وقال على الله ورسوله وأمناء دينه غير الحق.

وأما دلالة الآية على خلاف تأويله: فهو سبحانه صدرها بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[2]. وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفروا إذ ظلموا أنفسهم طاعة له، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة، ولم يقل مسلم أن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره، ويسأله أن يستغفر له، ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون، عصوا هذه الطاعة وعطلوها، ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة، وهذا بخلاف قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[3]. فإنه نفي الإيمان عمن لم يحكمه، وتحكيمه هو تحكيم ما جاء به حيًا أو ميتًا، ففي حياته كان هو الحاكم بينهم بالوحي، وبعد

---

(١) قال المصنف في الهامش: «لعله سقط من هنا كلمة: «ساوى» أو كلام بمعناها. قلت: نعم في الأصل المنقول منه: «ومن سوى بين الأمرين.. الخ». (ص٢٧٤) من الصارم.

(٢) سورة النساء، الآية: (٦٤).

(٣) سورة النساء، الآية: (٦٥).

وفاته نوابه وخلفاؤه، يوضح ذلك أنه قال: «**لا تجعلوا قبري عيدًا**»(١). ولو كان لكل مذنب أن يأتي قبره ليستغفر له، لكان القبر أعظم أعياد المذنبين، وهذه مضادة صريحة لدينه وما جاء به»(٢). اهـ.

ثم قال: «وأما قول المعترض: وأما الآية وإن وردت في أقوام معنيين في حال الحياة، فإنها تعم بعموم العلة: فحق، فإنها تعم ما وردت فيه وما كان مثله، فهي عامة في كل من ظلم نفسه وجاءه كذلك، وأما دلالتها على المجيء إليه في قبره فقد عرف بطلانها»(٣).

وقوله(٤): «وكذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين».

فيقال له: من فهم هذا من سلف الأمة وأئمة الإسلام، فاذكر لنا عن رجل واحد من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين، أو الأئمة الأربعة أو غيرهم من الأئمة، وأهل الحديث والتفسير، أنه فهم العموم بالمعنى الذي ذكرته، أو عمل به أو أرشد إليه، فدعواك على العلماء بطريق العموم هذا الفهم دعوى ظاهرة البطلان.

وأما حكاية العتبي التي أشار إليه، فإنها حكاية ذكرها بعض الفقهاء

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود في المناسك، باب: زيارة القبور، ح (٢٠٤٢) من حديث: أبي هريرة بلفظ: «لا تتخذوا»، بدلًا من «لا تجعلوا». وصححه الألباني في صحيح سنن أبى داود، ح (١٧٩٦).

(٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي (٢٧٣-٢٧٤).

(٣) المصدر السابق (٢٧٤).

(٤) أي: السبكي.

والمحدثين، وليست بصحيحة ولا ثابتة إلى العتبي، وقد رويت عن غيره بإسناد مظلم، كما بينا ذلك فيما تقدم، وهي في الجملة لا يثبت بها حكم شرعي، ولا سيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مندوبًا لكان الصحابة والتابعون أعلم به، وأعمل به من غيرهم، وبالله التوفيق»[١] اهـ.

فإن قيل: قد ورد عنه ﷺ: «**حياتي خير لكم؛ تحْدِثُون ويُحْدَث لكم، ووفاتي خير لكم؛ تعرض علي أعمالكم، ما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شر استغفرت لكم**»[٢].

فالجواب: إن حال الوفاة لا تقاس على حال الحياة، وأنه لا يعلم حال البرزخ إلا الله، ولا يزيد على ما شرع لنا، ولم يشرع لنا طلب الاستغفار منه بعد وفاته، ولو كان مشروعًا لبادر إليه الصحابة والتابعون وتابعوهم، ولم ينقل عنهم من ذلك حرف واحد، ومن لا يسعه ما وسعهم، فلا وسع الله عليه.

قال الهندي: «والدليل الخامس: قال الإمام القسطلاني[٣] في كتابه:

---

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٢٧٥-٢٧٦).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٩٤)، والحارث كما في المطالب العالية (٤/ ٢٣)، من حديث: بكر بن عبد الله المزني مرسلًا.
ورواه البزار من حديث: ابن مسعود يرفعه، كما في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤)، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». والحديث قال عنه الألباني: «طرقه كلها ضعيفة، إلا طريق واحدة منها فهي جيدة، ورجالها رجال مسلم». انظر: فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص٣٦-٣٧)، الطبعة الثالثة (١٣٩٧هـ)، المكتب الإسلامي.

(٣) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني المصري أبو العباس شهاب =

المواهب اللدنية: أن التوسل بحضور النبي ﷺ بعد الوفاة في عالم البرزخ، ثابت بطرق كثيرة.

ثم الإمام الممدوح يكتب قصة ويقول: كان لي داء عجز عنه الأطباء الحاذقون، كم سنين مضيت على هذا؟ قال: أقمت به سنين، فاستغثت به ﷺ ليلة الثامن والعشرين، من جمادي الأولى، سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة، بمكة ـ زادها شرفًا، ومنَّ علي بالعود إليها في عاقبة بلا محنة ـ فبينما أنا نائم إذا رجل معه قرطاس يكتب فيه، هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة، بعد الإذن من النبي، ثم استيقظت فلم أجد بي ـ والله ـ شيئًا مما كنت أجده شيئًا؛ ببركة النبي ﷺ»(١).

أقول: نص عبارة المواهب اللدنية هكذا: «وأما التوسل به ﷺ بعد موته في البرزخ، فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستسقاء. وفي كتاب: مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام، للشيخ/ أبي عبد الله النعمان(٢) طرف من ذلك، ولقد كان حصل لي».

ثم ذكر قصته السابقة وغيرها، فانظر كيف حرف عبارة القسطلاني حتى

= الدين، من علماء الحديث، شرح البخاري في كتابه أسماه: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. مولده ووفاته في القاهرة سنة (٩٢٣هـ). انظر: كشف الظنون (٢/ ١٨٩٦)، والأعلام للزركلي (١/ ٢٣٢).

(١) المواهب اللدنية للقسطلاني، (٢/ ٣٩٢-٣٩٣)، طبعة: المطبعة الشرقية (١٣٢٦هـ). وانظر: جلاء العينين (ص٤٩٨).

(٢) محمد بن موسى بن النعمان المراكشي-التلمساني الفاسي المالكي، (ت: ٦٨٣هـ). انظر: كشف الظنون (٢/ ١٧٠٦).

في المعنى، وهل في ذلك دليل قاطع وبرهان ساطع، وهذا مما يحقق أن هذا الرجل من أجهل القصاصين، وقد ذكر في كشف الظنون[(١)]، حكاية عن القسطلاني تدل على تدليسه في النقل.

أما قول القسطلاني: فهو محل النزاع. وأما ما وقع له من الشفاء في المنام، وكذا لغيره، فلا يصلح للاستدلال، فضلًا عن أن يكون دليلًا قطعيًا؛ فليس كل من قضيت حاجته بسبب، يقتضي أن يكون مشروعًا مأمورًا به، كما تقدم بيانه.

وهنا نكتة طيبة؛ وهي: أن الوهم أكبر عامل في الإنسان، وهو عند ظنه بنفسه، فمتى تخيل المريض أن شفاءه يكون في الشيء الفلاني، انصرفت نفسه إليه، وانفتحت مسامه لتلقيه بأدنى مناسبة، وانبعث دمه في جسمه لذلك، وربما كان الوهم قاضيًا على الصحيح، كما هو مشاهد في أيام الوباء.

ثم اعلم: أن كل من تعلق قلبه بشيء وشغف به، أكثر من ذكره، وشخصه في جميع أحواله، ورآه في منامه على حسب استعداد خياله، فينسج الحلم له أشياء عجيبة، كما نرى ممن يغالي في شيخه أو وليه ومعتقده من أهل كل ملة، ينسب إليه كل ما حصل له من خير أصابه، أو فرج من كرب نابه، ويجعل كل ما صادفه من النجاح في أمور كرامة من يعتقده، ويذكر له المرائي الطويلة العريضة دون غيره، كما أنا الطالب المشغوف بكتابه والبحث فيه، لا يرى في نومه إلا تصفح أوراقه، والجدال مع رفاقه، وربما انحل له الأشكال في منامه.

---

(١) (٢/ ١٨٩٧).

قال الرئيس ابن سينا[١] في ترجمته عن نفسه: «ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها، حتى إن كثيرًا من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام» اهـ.

وذلك أن النائم إنما يحلم بالأمور التي مرت عليه يقظة، أو قامت خيالاتها في ذهنه، أو خطرت بفكره، أو الأمور التي اعتاد الخوف منها أو الفرح بها، فالأحلام مرآة أفكار الإنسان، وصور تأثرات عقله، وربما دلت على اعتدال مزاجه أو اعتلاله.

ولسنا ننكر الرؤيا الصالحة، ولكنا نقول: لا ينبني عليها حكم شرعي؛ لأنها قد تشبه على الرائي، أو تكون من تحزين الشيطان، أو مما يحدث به الرجل نفسه، كما في الحديث.

وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب: الفرقان، شيئًا كثيرًا من الأحوال الشيطانية، مما يعترف به أرباب الدين، قال رحمه الله تعالى: «ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق؛ إما حي أو ميت، سواء كان ذلك الحي مسلمًا أو نصرانيًا أو مشركًا، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المغيث، فيظن أنه ذلك الشخص أو هو ملك على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل الأصنام وتكلم المشركين.

ومن هؤلاء من يتصور له شيطان، ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره

---

(١) الحسين بن عبد الله بن سيناء، أبو علي، فيلسوف إسماعيلي، (ت: ٤٢٨هـ). انظر ترجمته في: لسان الميزان (٢/ ٢٩١).

ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه، كما قد يجرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى، وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب...»[(١)]. ثم ذكر أمورًا غريبة.

وقد ذكر الحكيم [البيروني][(٢)] في تاريخ الهند ما نصه: «وتوجد رسالة لأرسطو طاليس في الجواب عن مسائل للبراهمة، أنفذها إليه الاسكندر: أما قولكم: إن من اليونانيين من ذكر أن الأصنام تنطق، وأنهم يقربون لها القرابين، ويدعون فيها الروحانية، فلا علم لنا بشيء منه، ولا يجوز أن نقضي على ما لا علم لنا به، فإنه ترفع عن رتبة الأغبياء والعوام، وإظهار أنه لا يشتغل بذلك» اهـ.

وإنما استرسل القلم في ذلك؛ لاسترسال الناس في هذا الباب، حتى إنه في كل يوم يبدو فيه كتاب، وأظن أن أول من ألف في ذلك صاحب: مصباح الظلام. ذكر في خطبته: أنه لما رأى كثيرًا من العلماء ألفوا كتبًا كثيرة، فيمن استغاث بالله وحصل له الفرج بعد الشدة، قصد أن يذكر ما وقع ممن استغاث بالنبي ﷺ، ولاذ به لما قفل مع الحاج سنة: (٦٣٩هـ). والله أعلم[(٣)].

قال الهندي: «السادس: قد ثبت في كتب الأحاديث بسند صحيح: أن

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٣٢٩)، تحقيق: د/ عبد الرحمن اليحي، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ). نشر دار: طويق الرياض.

(٢) في الأصل: «البيوروني».

(٣) كشف الظنون (٢/ ١٧٠٦).

في زمن سيدنا عمر رضي الله عنه، لما قحط الناس ولم يمطروا، كان عمر ـ رضي الله عنه ـ بحضور الصحابة كلهم، يتوسلون بالعباس عم النبي ﷺ[١]، يدعوا الله بالألفاظ المندرجة في الذيل: اللهم اسقنا بعم نبيك، فيقول الراوي: فيسقوا، حتى لم يدخلوا في المدينة.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغ منزلًا قال النبي ﷺ في فضله: «انطق الله الحق على لسان عمر»[٢].

أقول: نعم أنطق الله الحق على لسان عمر، حتى في هذه المسألة، فحصل به فصل الخطاب عند [أولى الألباب][٣]، فلو كان التوسل به[٤] ﷺ بعد انتقاله من هذه الدار جائزًا، لما عدل عنه الفاروق إلى التوسل بعمه العباس، بحضور الصحابة رضي الله عنهم، وهم في أمر مهم، فعدولهم هذا دليل

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٥).

(٢) ورد هذا الحديث من طرق كثيرة بلفظ: «جعل الحق على قلب عمر ولسانه». عن أبي هريرة وبلال وعائشة وغيرهم، بأسانيد بعضها صحيح.
منها: ما أخرجه أحمد والبزار كما في كشف الأستار، ح (٢٥٠١) (٣/ ١٧٤)، وابن أبى شيبة، ح (١٢٠٣٥) (١٢/ ٢٥)، والطبراني في الأوسط كما في المجمع (٩/ ٦٦)، وعبد الله بن أحمد في: فضائل الصحابة، ح (٣١٥) (١/ ٢٥١)، وابن أبى عاصم في السنة، ح (١٢٥٠) (٢/ ٥٨١)، وابن حبان ح (٦٨٨٩) (١٥/ ٣١٣).
ومنها: الموقوف على علي وغيره من الصحابة، بلفظ: (ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه). رواه الآجري عن علي بإسناد صحيح. انظر تفصيل ذلك في: الشريعة للآجري، ح (١٢٠٤) (٤/ ١٧٤٢).

(٣) في المطبوع: «إلا الباب».

(٤) في المطبوع: «ولى به».

واضح على أن المشروع ما سلكوه، فما أحسن الحجة إذا برزت من فم الخصم، فيكون حاكمًا بها على نفسه.

فإن قال: هذا الحديث يدل على التوسل بالذات، قلنا: نعم، لكن مع الدعاء في الاستسقاء، كما كان في حياته ﷺ، يتوسل أصحابه بدعائه وشفاعته لهم، فيدعو ويدعون معه ويؤمِّنون على دعائه، ثم استسقوا من بعده بعمه العباس، كما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه، أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال لهم: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا، فيسقون(١).

وقد بَيَّن الزبير بن بكار صفة ما دعا به العباس، فأخرج بإسناده: أن العباس لما استسقى به عمر، قال: اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكانتي من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث. فأرخت السماء مثل الجبال، حتى أخصبت الأرض وعاش الناس.... كما في الفتح(٢).

ولهذا قال الفقهاء يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين؛ لأنهم أقرب إلى الإجابة، والأفضل أن يكونوا من أهل بيت النبي ﷺ، وقد توسل معاوية ـ لما قحط أهل الشام ـ بدعاء يزيد بن الأسود الجرشي، التابعي الشهير؛ لما اعتقد فيه الصلاح وقبول الدعوة، قال: اللهم إنا نستشفع إليك بخيارنا: يزيد بن الأسود، يا يزيد، ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه ودعا ودعوا،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فتح الباري (٢/ ٤٩٧).

فسقوا[١].

وما زالت هذه السنة جارية إلى هذا العهد في جميع البلاد الإسلامية، في الاستسقاء، كما أنه لا يزال طلب الناس الدعاء من الخيار ومن بعضهم بعضًا، كما كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يطلبون منه الدعاء في حياته ﷺ، بل قال لعمر لما خرج معتمرًا: **«لا تنسنا ـ يا أخي ـ من دعائك»**[٢].

ومن هذا الباب: استغاثة الناس يوم القيامة بالأنبياء، ينتهون إليه صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، فإنها هي طلبهم من الأنبياء أن يدعوا الله تعالى أن يفصل بين العباد بالحساب؛ حتى يريحهم من هول الموقف[٣].

وحقيقة الشفاعة المأذون فيها: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد، فيغفر لهم عقب دعاء الشافعين، الذين أذن لهم في المشفوع له؛ ليكرمهم على حسب مراتبهم، وينال نبينا ﷺ منه المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في الدعاء، ح (١٤٨٤) (عون ٤/ ٣٦٥)، والترمذي في الدعوات، ح (٣٥٦٣) (٥/ ٥٥٩)، وقال: «حسن صحيح». وابن ماجه في المناسك ح (٢٨٩٤) (٢/ ٩٦٦)، بلفظ: **«يا أخي، أشركنا في شيء من دعائك ولا تنسنا»**.
وأحمد في المسند (١/ ٢٩) و (٢/ ٥٩). وفي إسناده: عاصم بن عبيد الله بن عاصم، وقد تكلم فيه غير واحد. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ح (٦٢٩٢)، وتخريج المشكاة، ح (٢٢٤٨) (٢/ ٦٩٥).

(٣) حديث الشفاعة لأهل الموقف في صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، (١٣/ ٣٩٥-٣٩٧). وكذا في مسلم، كتاب: الإيمان، ح (١٩٣)(١/ ١٨٠).

وأما قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾[(١)]. فقال في الكشاف في تفسيرها: «أي: هو مالكها، فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين: أن يكون المشفوع له مرتضى، وأن يكون الشفيع مأذونًا له»[(٢)] اهـ.

وبالجملة: فقد كان ﷺ يشفع لأمته؛ بدعاء واستسقاء واستغفار في حياته، ويطلب منه أصحابه ذلك، وستطلب منه جميع الأمم ذلك يوم القيامة، ويكون لأمته منه النصيب الأوفر عند حصول الإذن له من الله تبارك وتعالى، كما وعده به، من ذلك: المقام المحمود، فقد امتاز الله تعالى عن ملوك الدنيا في الشفاعة، بأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فهو مالك لها لا تطلب إلا منه سبحانه وتعالى.

قال السويدي[(٣)] ـ كما نقله عنه في جلاء العينين ـ: «[فينبغي لمن أراد أن يدعو بطلب الشفاعة أن يقول: اللهم لا تحرمني شفاعته عليه الصلاة والسلام. اللهم شفعه فيَّ، ونحو ذلك][(٤)].

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٤٤).

(٢) الكشاف (٥/ ٣٠٩)، تحقيق: الشيخ/ عادل عبد الموجود وآخرين، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).

(٣) هو: أبو المعالي، علي أفندي الشافعي، ابن الشيخ/ محمد سعيد، المشهور بالسويدي البغدادي، له عدة مؤلفات؛ منها: العقد الثمين في بيان مسائل الدين، طبع قديمًا عام (١٣٢٥هـ)، في المطبعة الميمنية بمصر، وحُقق رسالة علمية ـ فيما بلغني ـ في جامعة الإمام، وله كتاب: الرد على الأمامية، توفي: (١٢٣٧هـ). انظر ترجمته في: جلاء العينين (ص٥٦).

(٤) مابين المعكوفتين ليس في العقد الثمين، المطبوع عام: (١٣٢٥هـ).

ولو كانت تطلب منه ﷺ الآن، لجاز لنا أن نطلبها ـ أيضًا ـ ممن وردت الشفاعة لهم؛ كالقرآن والملائكة والأفراط ـ وهم: أطفال المؤمنين ـ، والحجر الأسود، إذ قد ورد أنه يشفع لمثل ربيعة ومضر. وبالصالحين، ولجاز لنا أن ندعوهم ونلتجيء إليهم، ونرجوهم بهذه الشفاعة لهم [إذ لا فرق بين الجمع بثبوت أصل الشفاعة لهم](١) والإذن فيها، فنصير إذًا والمشركين الأولين في طريق واحد، ولم نفترق إلا بالأعمال الظاهرة؛ كالصوم والصلاة وقول كلمة التوحيد من غير عمل بما فيها، ومن غير اعتقاد لحقيقتها، ولا يقدم على ذلك من له أدنى مسكة من عقل، أو فكرة فيما صح من النقل»(٢). انتهى.

وقد بين أن جلَّ أحوال المشركين من آلهتهم التوكل عليهم، والالتجاء إليهم بشفاعتهم؛ ظنًا منهم أنها نافعة عنده تعالى، فارجع إليه إن شئت.

قال الهندي: «وأيضًا قال(٣): «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**»(٤). كأنا أمرنا باتباع سنته، وكان من سنته رضي الله عنه الدعاء من الله

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوعة، أكملناه من الأصل المنقول عنه، جلاء العينين (ص٥١٠).

(٢) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص٥١٠)، للشيخ/ نعمان الألوسي، وهو في العقد الثمين (ص١٠٨)، الطبعة الأولى (١٣٢٥هـ).

(٣) يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٤) أخرجه أبو داود في السنة ح (٤٥٨٣) (عون ١٢/ ٣٥٨)، والترمذي في العلم ح (٢٦٧٦) (٥/ ٤٤)، وابن ماجه في المقدمة ح (٤٢) (١/ ١٥)، والدارمي في المقدمة ح (٩٦) (١/ ٤٣)، وأحمد في المسند (٤/ ١٢٦، ١٢٧)، كلهم من حديث العرباض بن سارية، وهو حديث صحيح، صححه الترمذي. وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني، ح (٢٧٣٥).

بتوسل الأولياء، كأنما أمرنا بابتغاء التوسل بالأنبياء عليهم السلام، والأولياء العظام فيه أسرار خفية. يدق فهمها الأذهان الركيكة، إلا من كان له من الله تعالى قلب سليم، وطبع مستقيم».

أقول: انظر إلى هذه العبارات الركيكة، فلعلك تفهم من المقال وجملة الكلام: أن هذه أشبه بمقدمات منطقية، كأنه يقول: سنة عمر في التوسل ثابتة، وقد قال ﷺ: «عليكم بسنتي...» الخ... فسنة عمر مأمور باتباعها كسنته ﷺ.

ونحن نقول كذلك، نعمت السنة ونعم العمل بها، من غير زيادة عليها ولا تصرف فيها، ولا إخراج لها عن محلها، فكل من عمل عملا لم تجر عليه الصحابة فهو مردود على صاحبه، وبئست البدعة تتولد عنها بدع، ويتسع الخرق على الراقع، فانظر ماذا تولد من القول بجواز التوسل بالأنبياء والصالحين بعد مماتهم، وماذا حدث من تشييد القبور وتحسينها من مفاسد، يبكي لها الإسلام، كما قال الشوكاني[(١)].

منها: اعتقاد الجهلة كاعتقاد الكفار والأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقاصد لطلب قضاء الحوائج والمطالب، وسألوا منها مسألة العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، واستغاثوا بها، وبالجملة لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ومع هذا المنكر الشنيع، والكفر الفظيع، لا نجد من يغضب الله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالمًا ولا متعلمًا، ولا

(١) نيل الأوطار (٤/ ١٣١).

أميرًا ولا وزيرًا ولا ملكًا، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه: أن كثيرًا من القبوريين ـ أو أكثرهم ـ إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني، تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق. وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة.

فيا علماء الدِّين، ويا ملوك المسلمين، أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدِّين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البيِّن واجبا؟!:

لَقَدْ أَسْمعت لَو نَاديتَ حَيًّا ... وَلَكِنْ لاَ حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

وَلَو نَارًا نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ ... وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادِ[1]

وانظر إلى قوله[2]: «إن التوسل بالأنبياء والأولياء أسرار خفية، يدق فهمها إلا على صاحب القلب السليم».

فلو كان له قلب سليم لم يتفوه بهذا الكلام السقيم، المشعر بأنه لم يسلم من شائبة الشرك الوخيم، ولم يذق حلاوة الإخلاص لربه العليم، فكل إناء بما فيه ينضح، وقد أشرنا ـ سابقًا ـ إلى شيء من تلك الأسرار الدقيقة عند الأذهان الركيكة. فتأمل، وانظر كيف فاتت هذه الأسرار الصحابة ومن بعدهم، وخص بها هذا الهندي أو غيره ممن حذا حذوه.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي (٤/ ٢٢٢).

(٢) أي: الهندي.

قال الهندي: «يا شيخ، مالكم أن تقعون[١] في المسائل الدينية، عليكم بيان ثمن الرز والأقمشة ما علينا إلا البلاغ، هذا كلام بطريق الإيجاز والاختصار، وما خطر لي الآن بال. والله أعلم بحقيقة الحال».

أقول: من ذا الذي يمنع التاجر في الرز والأقمشة وغيره من طلب العلم والبحث مع أهله، والإرشاد بقدر ما علم حتى يكون عاملًا به، أليس ذلك من واجب العلم، كما قال ﷺ: «من عمل بما علم، ورثه الله علم ما لم يعلم»[٢]. وكيف ينمو العلم مع الإنسان إذا لم يذاكر به ويرشد إليه.

لكن الذي جعل نفسه في عداد الأنبياء فقال: ما علينا إلا البلاغ، وهو يلحن في كلامه، ولا يفصح عن مرامه، وكيف يروي الحديث من لا يعرف علم العربي، فأقل درجات المبلغ أن يكون مقتدرًا على إفهام مخاطبه، عن علم لا عن جهل، وأعلاها أن يكون مؤثرًا عليه، آخذًا بمجامع قلبه، مخاطبًا لوجدانه، مستخدمًا لعقله، مقيمًا له الحجة مع صدق الحال.

أما هذا الهندي فليس عليه البلاغ، بل عليه البلغة بالتعلم، والوقوف عند من يعلم، ولا يزيد عليها مالا يعلم، ولا يحرم العلم على من يطلب العلم ويرغب فيه، ويذاكر أهله ويرشد جاهله، تاجرًا كان أو فقيرًا، سيدًا كان أو

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٥)، عن أنس بن مالك مرفوعًا، وهو ضعيف جدًا. انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعية، للملا علي القاري ح (٤٥٠) (ص٣١٣)، والفوائد المجموعة للشوكاني ح (٢٥٤٢) (٢/ ٢٦٥)، وإتحاف السادة المتقين (١/ ٤٠٣) للزبيدي، وكشف الخفا للعجلوني ح (٢٥٤٢) (٢/ ٢٦٥). وحكم عليه الشيخ الألباني بالوضع. انظر: الضعيفة ح (٤٢٢).

عبدًا. وعلى هذا الهندي: ترك الدعوى؛ فإنها فضيحة وإن كانت صحيحة. قال بعضهم: الدعوى تطفىء نور المعرفة، فالعالم الصادق من يتأدب بآداب العلم، ويقف عند حده، ويكل العلم إلى عالمه، ويقول: رب زدني علما. وكلما انفتح له باب من العلم تصاغر في نفسه.

قال الهندي: «العاقل يكفيه الإشارة، والغافل لا تنفعه النقارة، مصراع من الشعر لن يصلح العطار ما أفسده الدهر.

آخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله الطيبين الطاهرين».

أقول: أتى بهذا المثل: «العاقل تكفيه الإشارة»؛ تمويهًا على السامع، بأن علمه واسع، وأن ما ذكره نقطة من بحر على حسب الإشارة، مع أن هذا يخالف ما أورده في أول الرسالة: بأن فيها البراهين القاطعة، والحجج الساطعة، وهو المطابق لاعتقاده، والواقع في نفس الأمر أن ما ذكره هو غاية مبلغه من العلم في هذا المقام، وهو أعظم ما عند غيره ممن حذا حذوه، ونقل عنهم.

وقد بينا ـ بحمده تعالى ـ الجواب عن تلك الشبه بيانًا شافيًا، وبسطنا القول عما يتعلق بها، فكان وافيًا، يستعين به من طالعه على دفع معظم ما أورده صاحب كتاب: شواهد الحق في الاستغاثة بخير الخلق، لبعض أهل العصر[1]، فإنه لم يكبر حجمه إلا بالنقول المتكررة في معناها، والحكايات

---

(١) من تأليف: يوسف بن إسماعيل النبهاني، المتوفي (١٣٥٠هـ). وهو كتاب سيء في بابه، خطؤه أكثر من صوابه. انظر: الأعلام (٨/ ٢١٨).

المتضمنة للاستغاثة، والأشعار التي فيها، وكان عليه أن يستو في حقها وينقل ما فيها عن الشيخين: ابن تيمية وابن القيم، ثم يرده حرفيًا. فإن كتبهما انتشرت الآن في الآفاق، وأقبل عليها الحذاق. وعسى أن بعض إخواننا[١] يكفينا المؤونة في رَدِّه؛ خدمة للحق والحقيقة وعشاقها. والله الموفق، لا إله سواه.

وأما قول الهندي: «مصراع شعر لن يصلح العطار ما أفسده الدهر».

فلم ندر ماذا قصد به؟! ولا نعيب عليه تكسير الشعر، فإنه لا يعرف النحو، فضلًا عن العروض، ولعله يعني: التجارة.

فليوازن بين كلامنا وكلامه، وليُجب صاحب التجارة إن كان عالمًا ونحن مستعدون لقبوله إن ظهر الحق معه، ومناقشته الحساب إن أخطأ الصواب، فالحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها[٢]، ولسنا نقول له:

إنْ عَادَتْ العَقْرَبُ عُدْنَا لهَا ... وَكَانَتْ النَّعْلُ لهَا حَاضِرَةً[٣]

ولا نقول:

ألاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلُ فَوقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا[٤]

---

(١) لقد حقق الله رجاءه؛ فانبرى للرد عليه العلامة/ محمود شكري الألوسي، في كتابه: غاية الأماني في الرد على النبهاني. فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

(٢) روي مرفوعًا إلى النبي ﷺ ولا يصح، لكن معناه صحيح. انظر: ضعيف سنن الترمذي، ح (٥٠٦).

(٣) انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة (ص١٠٩)، و مجمع الأمثال، للميداني (١/ ١٤٧).

(٤) هو من قول عمرو بن كلثوم. ينظر: خزانة الأدب، للبغدادي (٦/ ٣٩٧).

ولكن نقول: من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها، ونعمل ـ إن شاء الله ـ بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(١). والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) سورة النحل، الآية: (١٢٥).

خاتمة

قد ظهر مما قررناه: أن السنة في التوسل بأسمائه تعالى وصفاته والأعمال الصالحة للداعي المتوسل، وبدعاء الصالحين كما في الاستسقاء، وقد تبين لك عذر المانعين من التوسل بالأنبياء والصالحين بعد الممات، وأنهم لم يقصدوا إلا سد الذريعة، والوقوف عند نصوص الشريعة، وأن القائلين بالتوسل بالذوات، ليس لهم دليل، إلا ما ورد من أن عمر استسقى بالعباس رضي الله عنهما، وأنه من قبيل طلب الدعاء من الأخيار، ومثل ذلك: ما في حديث الأعمى، وحديث الشفاعة، وليس محل النزاع، إنما هو بعد موت الذوات.

وأما قياسهم لها على الأعمال أو حال الحياة، فمردود لوجود الفارق، وهو مظنة الفتنة، والاستدراج في الغلو بالتعظيم، مع أن العبادة بالتوقيف من الشارع لابد من سبب بين السائل والمسئول به، ومجرد ذوات الأنبياء والصالحين ومحبة الله لهم، وحصول الجاه لهم عنده، ليس بها ما يوجب حصول مقصود السائل، كما سبق.

وأما قول الشيخ/ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكي[1]، في فتواه بعد مقدمة: «فمن قال: اللهم إني أتوسل إليك برسلك

---

(١) هو: أبو حفص، عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول [كذا!] الحنفي المكي، ولد بمكة سنة: (١١٨٥هـ)، ثم رحل إلى المدينة وبقي بها تسع سنين، ثم رجع إلى مكة وتقلد فتوى مكة المكرمة على كره، سنة أو أقل، ثم استعفي منها. توفي سنة (١٢٤٧هـ) بمكة، عن عمر يقارب الثلاث وستين سنة. =

وأنبيائك ونحو ذلك، فإنما يريد باجتبائك وارتضائك واصطفائك واختصاصك إياهم بالرسالة والنبوة، ونحو ذلك. وهكذا صفات أفعاله تعالى، فالتوسل بها ليس توسلًا بغيره تعالى، وحينئذ فلا فرق بين النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء، ولا بين كونهم أحياء وأمواتًا» اهـ.

فالجواب عنه من وجهين:

الأول: أنه ليس كل قائل ذلك يعتبر هذا الاعتبار، وأن الكلام على حذف مضاف، بل لابد أن يلاحظ معه بقلبه توسطهم في قضاء حاجته، وأنهم يشفعون له عند ربه ويقربونه إليه، وهذا ما نحاذره، فإن تخصيصهم بالذكر مظنة الفتنة، كمن يخص قبر وليه بالنحر عنده، قائلا: إن هذا صدقة عني أو عن روح هذا الولي. فَلِمَ خص النحر بهذا الموضع؟! ولِمَ خصص هذا الولي دون غيره؟! فإن لسان الحال يقول: «وفي النفس حاجات وفيك فطانة».

الوجه الثاني: أن ذلك إن جاز في التوسل بالأولياء هكذا إجمالًا بغير تعيينهم، فلا يجوز في المعين بدعوى أنه ولي؛ لأنه لا يجوز الحكم على أحد أنه ولي؛ فإنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، كما في تفسير الحافظ ابن كثير(١).

فإذا علمت أن أمر العبادة بالتوقف والاتباع كما سبق، فالوقوف عند

= انظر: المختصر من كتاب نشر النور والزهر، للشيخ/ عبد الله مرداد، أبو الخير. (٢/ ٣٣٠-٣٣١).

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٣٢-٢٣٣) بنحوه.

المأثور والعمل به نور وجلاء لما في الصدور، وفي الأدعية الواردة الكفاية، فما أحسن الوقوف عندها، والدعاء بما لا خلاف فيه أفضل بالإجماع ومن أسباب قبوله.

وكيف نتوسل بالأنبياء والصالحين، ولو نتابعهم فقد خالفناهم بهذا التوسل المبتدع الذي لم يشرع، وكيف ندعي حبهم ولم نتابعهم، والله يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(١). فلم يكن بيننا وبينهم هذا السبب الذي يربطنا بهم، ويسوغ الوسيلة، ومجرد سؤال الله بهم وبجاههم من غير اتباع لما جاء به الرسول لا ينفعنا.

فسؤال الله بأحد من خلقه مكروه كراهة تحريم على الأصح، كما قال به جمهور العلماء؛ لما فيه من الإقسام على الله بخلقه، وهو تعالى لا يقسم عليه بشيء من المخلوقات، سبحانه وتعالى.

وأما ما ثبت في الصحيح عنه ﷺ، أنه قال: «**رب أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره**»(٢). فهذا من باب الحلف بالله سبحانه ليفعلن هذا الأمر، فهذا إقسام عليه تعالى به، ليس إقسامًا عليه بمخلوق، على أن الأمر في التوسل بالأنبياء والصالحين سهل إذا لم يتجاوزه إلى غيره، فإن أصل وضعه هكذا: أتوسل إليك يا الله بجاه الأنبياء أو بحقهم، أو ما أشبه ذلك مع توجيه الطلب إلى الله منه سبحانه، ولكن القول بذلك استدرج الناس إلى الخروج عن هذا الحد، وأدى العكوف حول

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ح (٢٦٢٢) (٤/ ٢٠٢٤). من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

القبور، ودعاء أصحابها لجلب الفوائد وكشف الشدائد، وأخذ تربته تبركًا، وإسراجها وتخليقها وغير ذلك، كما قال اليماني(١):

أَعَادُوا بِهِ مَعْنَى سُوَاعٍ وَمِثْلَهِ ... يَغُوثَ وَوِدٍّ بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ وِدِّ
وَقَدْ هتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ... كَمَا يَهْتِفُ المُضْطَرُّ بِالصَّمَدِ الفَرْدِ
وَكَمْ نَحَرُوا فِي سوحِهَا مِنْ بِحَيرةٍ ... أَهلَّتْ لِغَيرِ الله جَهْلًا عَلَى عَمْدِ
وَكَمْ طَائِفٍ عِنْدَ القُبُورِ مُقَبِّلًا ... وَيَلْتَمِسُ الأَرْكَانَ مِنْهُم بِالأَيْدِ

فترى أحدهم قد اتخذ اسم وليه ذكرًا على لسانه من دون الله، إن قام وإن قعد، وإن عثر، ويزعم بأنه باب حاجته إلى الله، ووسيلته إليه، وهكذا كان عباد الأصنام؛ اتخذوا تماثيل الأنبياء والملائكة وسائل ووسائط، يدعونها ويرجونها لتشفع لهم عند الله في قضاء حوائجهم، وتقربهم منه زلفى، ولم يعتقدوا فيها الضرر ولا كشفه، ولا إمساك الرحمة عنهم.

قال في الإقناع(٢) وشرحه من كتب الحنابلة: «من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم، كفر إجماعًا؛ لأن هذا كفعل عابدي الأصنام القائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾(٣)»(٤). اهـ.

فالطامة الكبرى هو دعاء غير الله الذي يسميه علماء السوء توسلًا

---

(١) هو: محمد بن إسماعيل الصنعاني، والقصيدة في عنوان المجد لابن بشر (ص٥٤).

(٢) للشيخ/ أبي النجا، موسى بن أحمد بن سالم الحجاوي، في الفقه الحنبلي، وشرحه: كشاف القناع، للعلامة/ منصور بن يونس البهوتي.

(٣) سورة الزمر، الآية: (٣).

(٤) كشاف القناع (٦/ ١٦٨)، مطبعة الحكومة (١٣٩٤هـ).

واستغاثة، فإن الدعاء عبادة خاصة به تعالى، لا يجوز صرفه لغيره؛ كالسجود والذبح وغيرهما، ولم يرد في نوع من أنواع الكفر والردة من النصوص، مثل ما ورد في دعاء غير الله؛ بالنهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه، فكم فيه من آيات صريحة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾(١)، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾(٢)، وقال: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ﴾ ﴿﴾(٣)، وقال: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾(٤). ولو لم يكن في القرآن إلا مجرد طلبه من خلقه لكان ذلك كافيًا في كونه عبادة، فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي عن دعاء غيره تعالى.

وقد توعد خلقه على الاستكبار عن الدعاء، كما جعل جزاءه الإجابة لما أمرهم، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٥). والاستكبار هو تركه؛ لأن الدعاء هو اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة، فكان تاركه إنما تركه لأجل أن يستكبر عن العبودية، ولا يتحقق الدعاء إلا إذا كان الداعي معولًا بقلبه على

(١) سورة الزمر، الآية: (٨).

(٢) سورة فاطر، الآية: (١٣).

(٣) سورة الشعراء، الآية: (٢١٣).

(٤) سورة الرعد، الآية: (١٤).

(٥) سورة غافر، الآية: (١٤).

تحصيل مطلوبه، فمن دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله أو جاهه أو أقاربه، أو جده أو أصدقائه أو اجتهاده أو وليه، فهو في الحقيقة ما دعا الله إلا بلسانه، أما بالقلب فهو مُعَوّل على تحصيل ذلك المطلوب على غير الله تعالى.

فهذا العبد ما دعا الله كما قال ذلك بعض المفسرين، فلا شك أن الدعاء من أجَلِّ الطاعات وأعظم العبادات، بجميع معاني العبادة الاصطلاحية واللغوية، فإنها نهاية الخضوع والتذلل.

قال بعضهم: إنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه(١)؛ من دعاء ورجاء وتوكل وصلاة وصوم وزكاة وصلة رحم وبر. وقال الفقهاء: كل ما أمر به شرعًا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي. وفي الترمذي عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء مخ العبادة**»(٢). وللترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدعاء هو العبادة**»(٣). ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٤). وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

---

(١) العبودية لابن تيمية (ص٣٨- ٣٩)، تقديم الأستاذ/ عبد الرحمن الباني، الطبعة الرابعة (١٣٩٧هـ).

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) سورة غافر، الآية: (٦٠).

قال الشارح: «معنى قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»، أي: خالصها؛ لأن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص»(١). انتهى.

فمن صرف هذه العبادة لغير الله؛ بأن دعا ميتًا أو غائبًا طالبًا منه مالا يقدر عليه إلا الله، من قضاء حاجة أو تفريج كربة، فقد أشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته السنية، لما تكلم على حديث الخوارج(٢): «فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه، قد انتسب إلى الإسلام من قد مرق من الدين مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب في هذا الزمان قد يمرق أيضًا؛ وذلك بأمور منها: الغلو الذي ذمه الله(٣)؛ كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي(٤)، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح، يدعوه من دون الله، بل يقول: يا سيدي فلان أغثني، أو أنا في حسبك، فكل هذا شر وضلال، يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده، ولا يجعل معه إله آخر، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى؛ مثل الملائكة والمسيح وعزيز، أو الصالحين أو

---

(١) تحفة الأحوذي (٩/ ٢١٩).

(٢) المسماة الوصية الكبرى؛ رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى اتباع عدي بن مسافر الأموي. مطبوعة بتحقيق الشيخين: محمد بن عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية. والنص هنا منقول ــ فيما يبدو ــ عن ابن عيسى في الرد على المستغيثين بغير الله (ص٦٢٧)، ضمن الجامع الفريد.

(٣) الوصية الكبرى (ص٦١).

(٤) هو: عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكاري، تنسب إليه الطائفة العدوية من الصوفية، (ت: ٥٥٧هـ). انظر: السير (٢٠/ ٣٤٢).

قبورهم، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق أو ترزق، وإنما كانوا يدعونهم ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾(١). فبعث الله الرسل تنهى أن يدعوا من دونه ندًّا، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة»(٢) انتهى.

فعلى هذا من يعتقد فيمن يدعوه النفع، وأنه له قدرة على إجابة المضطر، وإغاثة الملهوف، وقضاء حوائج السائلين، يكون أشركه في الربوبية، وذاك لم يبلغه شرك المشركين من أهل الجاهلية، من الأميين والكتابيين، بل هو قول غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفًا وتدبيرًا. فإلى الله المشتكى من أناس يدخلون في باب التوسل دعاء غير الله، مما يجري على ألسنة العامة، ويدافعون بالمكابرة ويكذبون الوجدان والمحسوس، ويخدعون أنفسهم ويغرورن بخلق الله.

ولم أر من أولئك المدافعين من تنازل إلى القول بتحريم ذلك إلا القليل، منهم: علامة ثغرنا الشيخ/ علي باصبرين(٣) الشافعي الحضرمي، نزيل جدة، قال ـ رحمه الله ـ في كتاب: إرشاد كمل العبيد لخالص التوحيد، ما نصه: «والذي أراه ـ وهو الحق الذي عليه ـ إن شاء الله ـ المعول في المسألة الأولى ـ أن من قال: يارسول الله مثلًا، وهو يعلم أن المدعو ليس له شريك

---

(١) سورة يونس، الآية: (١٨).

(٢) ظاهر صنيع المصنف أن هذه نهاية النقل من الرسالة، والواقع أن ما بعد القوس منقول بالمعنى وليس نصًا. والله أعلم.

(٣) هو الشيخ/ علي بن أحمد بن سعيد بن صابرين الشافعي، أحد علماء جده، عاش في القرن الثالث عشر، له كتاب: إتحاف الناقد بخصوص صحيح الجامع الصغير، ذكره الألباني في مقدمة صحيح الجامع، (١/ ٦). انظر: معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي، لعبد الله المعلمي، ترجمة (١٨٣). وانظر: نظم الدرر (ق ١٩٤).

في الملك، ولا التأثير، ولا التدبير(١)، ولا في إعانة على تحصيل شيء من المنافع ودفع شيء من المضار، ولا تحصل شفاعة عند الله له من الغير، ولا لغيره منه إلا بإذن الله، ولا يملك لنفسه ولا يدفع عنها ـ فضلًا عن غيره ـ موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولا نفعًا ولا ضرًا، ولا عزًا ولا ذلًا، ولا غنى ولا فقرًا، ولا نصرًا ولا قهرًا، مع كونه أن شفاعته وسؤاله الشافع والسائل له عند الله لا يغير شيئًا مما في علم الله(٢)؛ ثبوتًا أو نفيًا، فإن ما سبق في علمه تعالى لا يتغير بدعاء ولا شفاعة داع أو شافع، وإنما فائدة الدعاء والشفاعة حينئذ امتثال الأمر، والتلذذ بخطابه تعالى(٣)، وما شرع الدعاء إلا وقد أعد الإجابة

---

(١) هذا ما يعتقده كفار قريش، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

(٢) هذا لا يمكن؛ فلو لم يعتقد النفع بهذا الدعاء لما دعا به.

(٣) هذا الكلام غير مسلم، بل هو كلام خطير، وهو مما بقي عند باصبرين ـ رحمه الله تعالى ـ من الأشعرية؛ لأنهم يرون أن الأسباب لا تأثير لها في المسببات مطلقًا. وهذا ليس بصحيح، فهم يرون أن النار لا أثر لها في الإحراق، والماء لا أثر له في الإغراق، وهذه مكابرة، لكن لا يكون ذلك إلا بتقدير الله تعالى.

والدعاء هو أحد هذه الأسباب، وهو مفيد ومؤثر ـ بإذن الله تعالى ـ في بعض الأمور دون البعض، ولذلك ورد النهي عن الاعتداء في الدعاء، وكما ورد في صحيح مسلم في كتاب القدر (٢٦٦٣)، من حديث: عبد الله بن مسعود، قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم امتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها النبي ﷺ: «لقد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئًا قبل أجله، ولن يؤخر الله شيئًا عن أجله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب النار وعذاب القبر، كان خيرًا وأفضل».

فالدعاء يكون مشروعًا نافعًا في بعض دون بعض، وكذلك هو، وكذلك لا يجيب الله =

وفق مراده تعالى وعلمه، ولا يرى أن المدعو أرحم أو أرأف، أو أجود أو أكرم، أو أستر أو أسمع من الله تعالى لدعائه، ومثله لا يكفر ولا يشرك الكفر والشرك الجليين المخرجين له من دائرة الإسلام والإيمان، الذين هما حصن من خلود الجحيم؛ لأن مجرد دعاء غيره تعالى لا يوجب الكفر الجلي، وإنما فيه تفصيل يرجع إلى الداعي والمدعو إليه، فإن سلمت عقيدة الداعي ـ كما ذكرنا ـ نظر إلى المدعو إليه، فإن كان مما جرت العادة فيه أن لغير الله فيه ـ بحسب الظاهر ـ دَخْلًا، كأن قال: عطشان يا فلان أسقني، أو عاجز عن الركوب يا فلان احملني على دابتي، أو من أقبل عليه عدوه لأخيه: انصرني على عدوي، أو أغثني، جرت فيه الأحكام الخمسة[(١)]، لا الكفر

= المعتدين في الدعاء، وكان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يكره أن يُدعى له بطول العمر؛ ويقول: هذا أمر قد فرغ منه، أي كما في حديث أم حبيبة. وكذلك لا يشرع الدعاء بتغيير العمر، بخلاف النجاة من عذاب الآخرة، فالدعاء مشروع له نافع فيه. ألا ترى أن الدعاء بتغيير العمر لما تضمن النفع الأخروي شرع، كما في الدعاء عند النسائي من حديث عمار عن النبي ﷺ: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**». وهو حديث صحيح، ويؤيده حديث ثوبان عند الحاكم: «**لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر**»، وحديث: «**الدعاء والقدر يعتلجان بين السماء والأرض**».

وعلى كلٍ: فالدعاء من الأسباب المشروعة، وهو نافع ومؤثر ـ بإذن الله تعالى ـ في بعض الأشياء دون بعض؛ لأن بعض الأقدار مربوطة بأسبابها، فإذا توفرت الأسباب ـ ومنها الدعاء ـ وقع المقدور بإذن الله، وإذا انتفى السبب أو كان هناك ما يمنع تأثيره، لم يؤثر في القدر. والله أعلم.

(١) هذا إذا كان حيًا حاضرًا قادرًا على هذا، بخلاف: اغفر لي ذنوبي ونحوها، فهذا شرك بلا شك، ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

الجلي، وإن كان مما لا دخل فيه لغير الله؛ كـ: يا فلان وفقني، أو اغفر لي ذنوبي، أو أدخلني في غدفتك[١]، أو اشف أبي لئلا يموت، فهذا كله ونحوه كأجرني من الله، أو من عذاب الله، أو أسعدني، مما يحرم التفوُّه به مطلقًا، وهو الشرك الخفي، ولا يخرج عن الدين[٢]، ويزجر ويعزر مرتكبه، هذا مع سلامة عقيدته الباطنة[٣]، وإلا فهو كافر مطلقًا، قال أو لم يقل، لا فرق بين المدعوين أن يكون حاضرًا أو غائبًا، أو حيًا أو ميتًا، رسولًا أو نبيًا، أو غيرهما، ذا روح أو لا، لما في تلك الألفاظ من إيهام غير واقع، إذ لا يطلب ذلك إلا منه، كالحفظ من المكروهات، والشفاء من الأمراض، ودفع الأسقام، والنصرة الدائمة على الأعداء.

وإن كان مما تجري العادة بطلبه من المخلوق، مع سلامة عقيدة الداعي وإمكان حصوله عليه بإذن الله من المدعو[٤]، كـ: يا فلان اشفع لي عند ربي، وأسألك الشفاعة عند ربي مطلقًا، أو في حصول كذا ــ مما يجوز طلب حصوله من [غير][٥] الله عز وجل ـ فلا كفر جلي ولا خفي، نعم هو خلاف الأولى[٦]، والأولى إنما هو: اللهم شفع فيّ فلانًا بفضلك وإحسانك،

(١) أي: كَنَفِكَ.

(٢) بل هو شرك جلي؛ فاعتقاد أن مخلوقًا يملك أن يجير من عذاب الله، فهذا شرك بلا شك.

(٣) العقيدة الباطنة غيب لا يعلمه إلا الله، ونحن مأمورون بالحكم على الناس بما ظهر منهم، أما قلوبهم وعقيدتهم الباطنة فلا يعلمها إلا علام الغيوب.

(٤) أي: بأن يكون حيًا حاضرًا سامعًا قادرًا على إجابة الدعاء.

(٥) ساقطة من الأصل. والمقام يقتضيها.

(٦) بل هو بدعة، وذريعة إلى الشرك، إلا إذا أراد: ادع لي.

المذهب في الأولياء، فإن مرضوا قالوا: هذا من فلان، وإن شفوا قالوا: بركة سيدي فلان، فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم حلفوا بهم من دون الله، ونذروا لهم من دون الله، واستسقوا من دون الله، فان أجرى الله تعالى الوادي، فقالوا: شيء لله يا فلان، وإن قبض عنهم المطر، قالوا: حمقة يا فلان. والله سبحانه القابض الباسط المحي المميت، وكل شيء بيده من ملك وملكوت.

ولو ذهبنا نتكلم في الكتاب والسنة من التحذير عن ذلك، لكان يرى الناس قد هلكوا، ولهذا تراهم أكثر أتباع الدجال. فافهم هذه الجملة». اهـ.

فإن قيل: فما تقول فيما جاء من ذلك في أشعار الخاصة من أهل العلم والأدب والفطنة، ممن تصدى لمحمد ﷺ والصالحين، مما لا يأتي عليه الحصر، ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدة؟

فالجواب: أن ذلك لم يقع من قائله إلا لغفلة وعدم تيقظ، ولا مقصد له إلا تعظيم جانب النبوة والولاية، ولو نبه لتنبه ورجع وأقر بالخطأ، والشعر مبناه على المبالغة التي تخرج صاحبها عن الحد، وإذا كان القائل قد صار تحت أطباق الثرى. فينبغي إرشاد الأحياء إلى ما في ذلك الكلام من الخلل؛ ليحصل به التنبيه والتحذير لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد. ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(٢). كما قال ذلك الإمام الشوكاني في: الدر

---

(١) سورة الزاريات، الآية: (٥٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٨).

النضيد في إخلاص التوحيد(١). وينبغي نشره بلسان الطبع، وكذا كتاب: تطهير الاعتقاد، للسيد/ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وكذا كتاب: تجريد التوحيد، للإمام المقريزي، صاحب: الخطط. وكذا كتاب: سيف الله على من كذب على أولياء الله، لصنع الله الحلبي الحنفي.

وينبغي لفضلاء العصر التفنن في الإرشاد إلى ذلك الموضوع؛ بتأليف الرسائل الكثيرة، ونشرها بين الناس، كما رأينا ذلك من بعض أرباب الهمم العلية، كثر الله أمثالهم.

كما أنه ينبغي لولاة الأمور ــ وفقهم الله ــ بعث الدعاة إلى البادية وأطراف البلاد؛ لنصح العامة وإرشاد الجهلة، وسد الذرائع المفسدة، وقطع عروق البدعة.

ولنختتم هذه العجالة بكلام صديقنا العلامة الشيخ/ محمد طيب المكي(٢) في رسالته في التوحيد، فإنه خلاصة ما كتبناه فيها، قال حرسه الله ووفقه: «الأمر أنه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله، سواء كان ذلك التصرف مترتبًا على تصرف آخر؛ كأن يخلق شيئًا ويخلق بذلك شيئًا آخر، وهذا هو القول بالأسباب، ولكن مع الاعتراف بأن الله قادر على خلقه، مع قطع النظر عن السبب، أخذًا بعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ

---

(١) (ص٢١).

(٢) هو: محمد الطيب بن محمد صالح بن محمد عبد الله العلوي المكي، ولد بمكة ثم انتقل إلى شرق أفريقيا، ثم الهند، وأخذ عن علمائها، توفي ــ رحمه الله ــ سنة: (١٣٣٤هـ). انظر: معجم المؤلفين (١٠/ ١١٠).

﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(١) الآية. وأيضًا: فقد نفى الله معاونة غيره له، حيث قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٢). لا هبة كما تزعمه كفار قريش، حيث يقولون: لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك. ولا ما تزعمه المعتزلة: من أن العبد أعطى قدرة يخلق بها أفعاله. ولا كما تزعمه غلاة المنهمكين في الأولياء، من أن لهم التصرف، وأن الله أعطاهم تصرفًا في العالم، وأنهم يولون ويعزون ويذلون... ولا أصالة ولا قائل به، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾(٣). بخلق شيء من أجزاء العالم.

وفيه: رد ـ أيضًا ـ على المعتزلة؛ إذ العبد لو خلق فعله لكان له في العالم شرك في الجملة.

﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾(٤). رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول، وعلى كل من يرى مثل ذلك الرأي.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾(٥) رد على ذلك الذين يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا منه زلفى، وعلى القائلين: أن الصالحين الذين نذهب إلى قبورهم ونستجير بهم ونستغيث، وإن لم يكونوا ملاكًا ولا

---

(١) سورة النحل، الآية: (٦٠).
(٢) سورة سبأ، الآية: (٢٢).
(٣) سورة سبأ، الآية (٢٢)
(٤) سورة سبأ، الآية: (٢٢).
(٥) سورة سبأ، الآية: (٢٣).

ظهراء ولا شركاء، فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله، فهم شفعاء، فقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾(١). فكيف لنا معرفة من أذن له. فإن نهاية ما ثبت من ذلك: هو شفاعة النبي ﷺ والأنبياء والملائكة والصالحين يوم القيامة، بعد الإذن، وبعد قول الأنبياء: «نفسي نفسي»، ماعدا نبينا ﷺ، ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم، بل الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه، وأيضًا من أخبرنا بأنهم أحباب الله، على أن الاستشفاع ليس ممن تشافهه ويجيبك بأن أشفع لك، ومع ذلك لو قال: أشفع، لا ندري هل تقبل شفاعته أم لا؟ والدعاء مقبول قطعًا؛ إما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة.

على [أن](٢) من القواعد الشرعية: أن من أطاع شيئًا أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه، كما سنقرره.

وأيضًا: من التوحيد الذي يحتاج فيه إلى الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾(٣). ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾(٤). ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾(٥). ﴿فَلَا تَدْعُوا۟

---

(١) سورة سبأ، الآية: (٢٣).

(٢) في الأصل: «أنه».

(٣) سورة النساء، الآية: (٣٦).

(٤) سورة يوسف، الآية: (٤٠).

(٥) سورة الأحقاف، الآية: (٤).

﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[١]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾[٢]. عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: «**يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**» رواه الترمذي وقال: «حسن صحيح»[٣]. ورواه الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك[٤].

فمن دعا غير الله مستعينًا به أو طالبًا منه، كمن قال: يا شيخ فلان أغثني، على سبيل الاستمداد منه، فقد دعا غير الله، وهذا الدعاء منع عنه الشارع، إذ لا يستعان إلا بالله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[٥].

واعلم: أن من أطاع من لم يأمر الله بطاعته، أو من أمر بطاعته من وجه دون وجه، فأطاعه مطلقًا، فإن الله سمى ذلك المطيع عابدًا لذلك المطاع، ومتخذه ربًا، قال الله تعالى: ﴿لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾[٦]. ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ

---

(١) سورة الجن، الآية: (١٨).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٩٤).

(٣) في صفة القيامة، ح(٢٥١٦) (٤/ ٦٦٧)، ورواه أحمد في المسند (١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧)، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح سنن الترمذي، (٢٠٤٣)، والأرناؤط كما في تخريجه لجامع العلوم والحكم، (١/ ٤٥٩، ٤٦٠).

(٤) في تفسير القرآن العظيم، (٧/ ١٠٠). طبعة: دار طيبة. والحافظ ابن كثير ناقل للحديث وليس راويًا.

(٥) سورة الفاتحة، الآية: (٤).

(٦) سورة يس، الآية: (٦٠).

ٱلشَّيْطَٰنَ﴾(١). ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾(٢). ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾(٣). فإذن ليس لأحد أن يعبد غير الله، ولا أن يدعوه، وليس العبادة إلا نهاية الخضوع، والدعاء مخ العبادة.

وأما من قال: أتوسل، أو بحق، فالعلماء منهم: من يحرم ذلك مطلقًا، ومنهم: من يجعله مكروهًا، كما نص عليه في: الهداية(٤).

ومنهم: من يجيز التوسل بالأحياء دون الأموات، كما فعله عمر رضي الله عنه.

ومنهم: من يخصه بالنبي. ومنهم: من يجيزه.

وعلى كل فهو لم يطلبه الشارع منا، وقد وقعت فيه شبهة، فتركه أولى من هذه الحيثية وسدًّا للذرائع؛ لأن الجهلة لا يفرقون بين التوسل والاستشفاع والطلب من المتوسل به، مع أن الاستشفاع لا يكون إلا في يوم مخصوص، والطلب من غير الله لا يجوز، ولو تأملت الأدلة الواردة بالتجويز مع ضعفها، فإنها لا تفيد إلا جوازه بالنبي ﷺ، فهو الوسيلة المقطوع بقربه من الله تعالى، وأما غيره فما يدرينا به، ومن العجب أن يترك التوسل بالنبي ﷺ، ويتوسل بغيره. جعلنا الله وإياكم من المتبعين لا من المبتدعين» انتهى.

وله رسالة مطبوعة في الهند في قول العامة: يا شيخ عبد القادر شيء لله،

---

(١) سورة مريم، الآية: (٤٤).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٣١).

(٣) سورة الفرقان، الآية: (٤٣).

(٤) انظر: البداية شرح الهداية (٤/ ٩٦).

ولكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند، أبحاث شريفة في هذا المقام، لا نقدر على إيرادها في هذه العجالة.

أما أهل مصر نجدٍ فلهم في ذلك المؤلفات الكثيرة، وهم أول من نبه لذلك في القرن الماضي. ولقد قال بعض السادة من أهل حضرموت: «لو لم يقيض الله أولئك القوم[١] لتلك النهضة، لعكف الناس على القبور كافة، ولم يحصل من العلماء إنكار، ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الأفكار».

وأما ما دار بينهم وبين الناس من القتال، فقد كان سببه من منعهم الحج، وتحرش بهم، ووصل إلى ديارهم فجرأهم، حتى حصل ما حصل، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن نظر في كتبهم عرف ما يفتريه الناس في حقهم، وأن مرجعهم في الأحكام والاعتقاد إلى كتب السنة والتفسير، ومذهب الإمام أحمد، وطريقة الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فلهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب، كما يعترف بذلك أولو الألباب، وهذه كتبهما قد نشرها الطبع، فنطقت بالحق وقبلها الطبع، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة، فلينظر فيها، وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما، وليحاكم بينهما بما وصل إليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فإن الزمان قد ارتقى بالإنسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي، فمزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به إلى الحكم بما في الصدر الأول والطبع العربي، ولقد تنازل في المحاكمة

---

(١) يعني بذلك الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب وأتباع دعوته، رحمهم الله تعالى.

من يحاكم بين غير الأقران، والمعاصرين في الزمان.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أعلام الموقعين: «فإذا أظفرت برجل واحد من أولى العلم طالب للدليل محكم له، متبع للحق حيث كان، وأين كان، ومع من كان، زالت الوحشة وحصلت الألفة، ولو خالفك فإنه يخالفك ويعذرك، والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرك، أو يبدعك بلا حجة، وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيرته الذميمة، فلا تغتر بكثرة هذا الضرب، فإن الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم، والواحد من أهل العلم يعدل بملء الأرض منهم.

واعلم: أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم، هو العالم صاحب الحق ـ وإن كان وحده ـ، وإن خالفه أهل الأرض، قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذًا باليمن، فما فارقته حتى واريته بالتراب بالشام، ثم صحبت من بعده أفقه الناس؛ عبد الله ابن مسعود، فسمعته يقول: «عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة». ثم سمعته يومًا من الأيام وهو يقول: «سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة على مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها، فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة». قال: قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري ما تحدثونه؟ قال: «وما ذاك؟»، قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها، ثم تقول لي: صل الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي نافلة، قال: «يا عمرو بن ميمون، قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية! تدري ما الجماعة؟» قلت: لا، قال: «إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك». وفي لفظ آخر: فضرب على فخذي وقال: «ويحك! إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما

وافق طاعة الله تعالى»[(١)].

وقال نعيم بن حماد: «إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن يفسدوا، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ»[(٢)]. ذكرهما البيهقي وغيره.

وقال بعض أئمة الحديث ـ وقد ذكر له السواد الأعظم ـ فقال: أتدري ما السواد العظم؟ هو: محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه[(٣)]. فمسخ المتخلفون الدين، وجعلوا السواد الأعظم والجماعة هم الجمهور، وجعلوهم عيارًا على السنة، وجعل السنة بدعة، والمعروف منكرًا؛ لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار.

وقالوا: من شذ شذ الله به في النار، وما عرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق وإن كان عليه الناس كلهم إلا واحدًا منهم، فهم الشاذون، وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرًا يسيرًا، فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعهم كلهم على الباطل، وأحمد وحده على الحق! فلم يتسع علمه لذلك، فأخذ بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل، فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة، وهي السبيل

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (١/ ١٠٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق، (٤٦/ ٤٠٨، ٤٠٩)، وأحد اسناديه من طريق البيهقي. وهو في المدخل له (ص٢٢).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، (٤٦/ ٤٠٩) من طريق البيهقي.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٣٨)، عن إسحاق بن راهوية، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩٦، ١٩٧).

المهيع لأهل السنة والجماعة، حتى يلقوا ربهم، مضى عليها سلفهم وينتظرها خلفهم. ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[1]»[2] انتهى.

ومثل ذلك في كتب الشافعية، منهم: أبو شامة، قال في كتاب: البدع والحوادث: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به: لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلًا والمخالف كثيرًا؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ»[3]. ثم نقل عن عمرو بن ميمون [عند][4] البيهقي في كتاب: المدخل[5].

ومنهم: الشعراني قال في كتاب: الميزان[6]: «قال سفيان الثوري: المراد بالأسود الأعظم، هو: من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحدًا. وفي رواية

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٢٣).

(٢) نهاية النقل من إعلام الموقعين لابن القيم (٣/ ٣٩٦- ٣٩٨)، طبعة: دار الجيل.

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوداث (ص٩١)، دار: الراية، تحقيق: مشهور حسن.

(٤) في الأصل: «عن».

(٥) (ص٢٢)، طبعة: مكتبة المؤيد (١٤١٢هـ).

(٦) كتاب الميزان للشعراني (١/ ٥٨)، طبع بعنوان: الميزان الكبرى، لعبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشعراني، (ت: ٩٧٣هـ) بمطبعة: مصطفي البابي الحلبي بمصر، عام: (١٣٥٩هـ)، دون قوله: «وفي رواية...». وهذا النقل أورده السهسواني في صيانة الإنسان (ص٣٠٨).
وذكر في كشف الظنون (٢/ ١٩١٨) كتاب الشعراني هذا بعنوان: الميزان الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية. انظر: الشيخ أبو بكر خوقير وجهوده، لبدر الدين ناضرين، (١/ ٤٦٥).

عنه: لو أن فقيهًا واحدًا على رأس الجبل لكان هو الجماعة»[١]. اهـ.

وحسبنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[٢]. أي: قام بما قامت به الأمة. وكان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول: (إن معاذًا كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين)[٣]؛ تشبيهًا بإبراهيم. كما قال الشاعر:

لَيسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ في وَاحِدِ[٤]

فليجتهد طالب الحق أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم، بأصل مأثور عن النبي ﷺ، وإذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس، فليدع بما رواه مسلم في صحيحه[٥]، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام يصلي من الليل: **«اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني ما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»**.

تم تأليف هذا الكتاب: لأربع بقين من شعبان، سنة: (١٣٢٤هـ) من هجرة سيد المرسلين، عليه الصلاة والتسليم، جعله الله خالصًا لوجهه الكريم.

---

(١) شرح الفقه الأكبر، لملا علي قاريء (ص٨).

(٢) سورة النحل، الآية: (١٢٠).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره، (١٤/ ١٢٨، ١٢٩).

(٤) شرح الفقه الأكبر (ص٨).

(٥) في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صحوة الليل وقيامه، ح (٧٧٠) (١/ ٥٣٤).

مجموعة الرسائل المكية في العقيدة الإسلامية
المجموعة الأولى: مجموعة رسائل الشيخ أبي بكر محمد خوقير رحمه الله (١/ ٣)
الرسالة الثالثة

التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق

تأليف العلّامة
أبي بكر بن محمد عارف خوقير
(ت: ١٣٤٩هـ)

تحقيق وتعليق
د. عبد الله بن عمر الدميجي
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

تقديم

الحمد لله الذي شرع لنا دينًا قويمًا، وهدانا صراطًا مستقيمًا، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

والصلاة والسلام على من بعثه الله للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا.

أما بعد: فإن أكبر نعم الله على هذه الأمة، أن اختار لها أفضل رسله، وأنزل إليها أحسن كتبه، وشرع لها أكمل شرائع دينه، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله.

ولم ينتقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى، إلا بعد أن أكمل الله به الدين، وأتم لنا به النعمة، وأقام به الحجة، وأوضح به المحجة، وترك أمته على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]. قال: «أخبر الله نبيه والمؤمنين أنه أكمل لهم الدين، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه فلا يسخطه أبدًا»(١).

---

(١) تفسير ابن جرير (٩ / ٥١٨).

فبعد هذا الكمال والإتمام والرضا، لا يجوز لمسلم بحال أن يبحث عن مصدر آخر غير كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، يستقي منه شرعته، ويأخذ عن مسلكه، وإلا كان داخلًا فيمن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٨].

وعلى منهاج النبوة في العقيدة والسلوك والتعبد، سار خير القرون، بدءً بصحابة رسول الله ﷺ، الذين اصطفاهم الله واختصهم بصحبة نبيه ﷺ، ثم التابعين لهم بإحسان، ومن جاء من بعدهم من أئمة الهدى والدين.

ثم خلف من بعدهم خلف اتبعوا أهواءهم، واتخذوا لهم مشارب أخرى، غير كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، يستقون منها عقيدتهم وسلوكهم وعبادتهم. فكان ذلك داعيًا إلى التمزق والتفرق، وكثرة الطرق والفرق والأحزاب، ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. وهي سنة ربانية لكل من رغب عن الكتاب والسنة، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ومن رحمة الله تعالى بهذه الأمة: أن قيض لها في كل عصر ــ تنحرف فيه عن الجادة ــ من يحفظ عليها أصول دينها؛ بالعمل على نفي تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وممن نحسبه ــ والله حسيبه ــ قد قام بهذه الوظيفة الربانية، العلامة الشيخ/ أبو بكر بن محمد عارف خوقير المكي، المتوفى سنة: (١٣٤٩هـ)، بمكة المكرمة. وقد عاش في فترة كثر فيها الجهل وقلَّ العلم، واندرست

السنة وكثرت البدعة، إلا في بقايا ممن حماهم الله من ذلك.

وقد اختلط الأمر على الناس، وكثرت الطرق وتعددت الأحزاب، ولبِّس على الناس ما نُزِّل إليهم من ربهم.

وفي مثل هذه الحال يهرع الناس إلى العلماء ورثة الأنبياء؛ بحثًا عن الحق والدلالة عليه، فكتبوا للشيخ أسئلة تصور حال المجتمع في ذلك الوقت، وما فيه من المخالفات والانحرافات البدعية، فقام بتأليف هذه الرسالة؛ إجابة على تلك الأسئلة، رغبة في النفع العام، ودعوة لمن زلت قدمه للعودة إلى الطريق القويم، مبينًا الحق بأدلته الشرعية، مؤيدًا ذلك بأقوال الأئمة المرضية، مبينًا حال النبي ﷺ وأصحابه في عبادتهم وسلوكهم، فهم الذين يجب أن يقتدى بهم ويحتذى حذوهم.

وهذه الرسالة ـ التي نقدم لها ـ هي الرسالة الثالثة من هذه السلسلة المباركة من مؤلفات الشيخ رحمه الله، وقد سبقتها رسالتي: (ما لا بد منه في أمور الدين) و(فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال).

وقد تحدث المصنف ـ رحمه الله ـ عن منهجه في هذه الرسالة، فقال: «فكتبت هذه الرسالة ناقلًا فيها من عبارات الطرفين ما تقر به العين، مؤيدًا بنصوص الفقهاء ومن المذاهب الأربعة، والبراهين القاطعة؛ بغية الإيضاح والتفصيل، وكشف ما يسلكه البعض من التلبيس والتضليل. راجيًا أن تحل محل القبول عند ذوي المعقول والمنقول...».

وحريٌّ بمن وقع في شيء من المخالفة نتيجة جهل أو تقليد، أو غير ذلك من الأسباب، أن يبادر إلى مراجعة نفسه وتصحيح مساره، وأن لا يمنعه

التعصب الأعمى عن قبول الحق مهما كان قائله.

والحق ـ ولله الحمد ـ واضح، والسُّنَّة مستبينة، ولا نجاة إلاَّ لمن كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه؛ في العقيدة والعبادة والسلوك. فليراجع كلٌّ منا نفسه، وليزن أعماله وحياته بذلك الميزان، فإن كان على الطريق فليحمد الله وليزدد ثباتًا، أو إن كانت الأخرى فالنجاة النجاة.

والمصنف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الكتاب يظهر عليه الصدق في دعوته، والحرص على هداية أمته، فجاءت عباراته في أسلوب المشفق على المخالف، الذي يسعى للأخذ بيده لإنقاذه من وهدته؛ بأسلوب شيق جذاب.

وقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على نسخة خطية بخط المؤلف رحمه الله تعالى، تم له إكمالها يوم الخميس، الموافق للحادي والعشرين من شهر شعبان، عام (١٣٣٤هـ)، وهي محفوظة في مكتبة جامعة الملك سعود، برقم: (١٥٩٠).

أسأل الله جلّت قدرته أن يجزي المؤلف خير الجزاء، وأن يهدي ضال المسلمين، وأن يردهم إليه ردًّا جميلًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

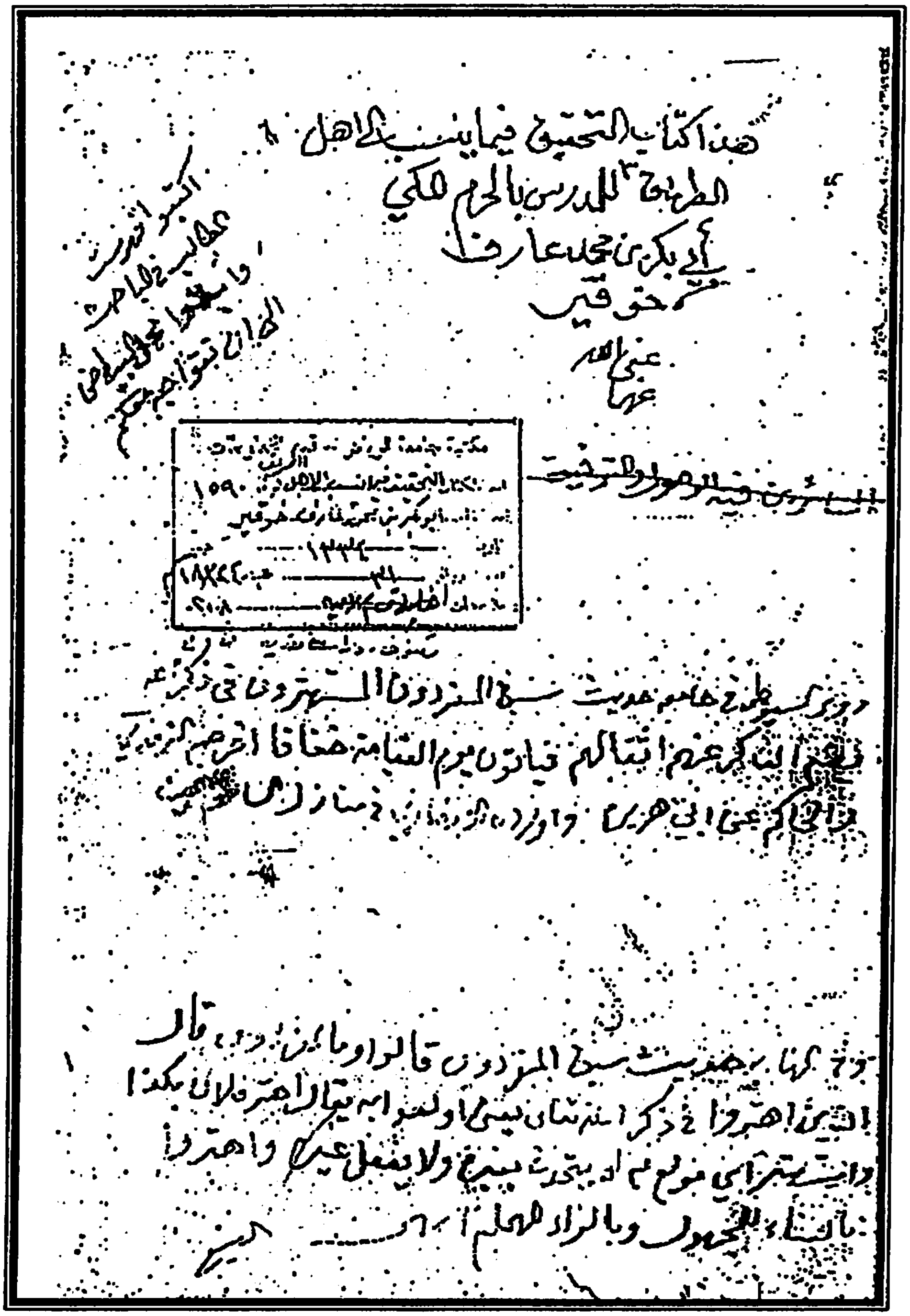
كتبه

د. عبد الله بن عمر الدميجي

جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

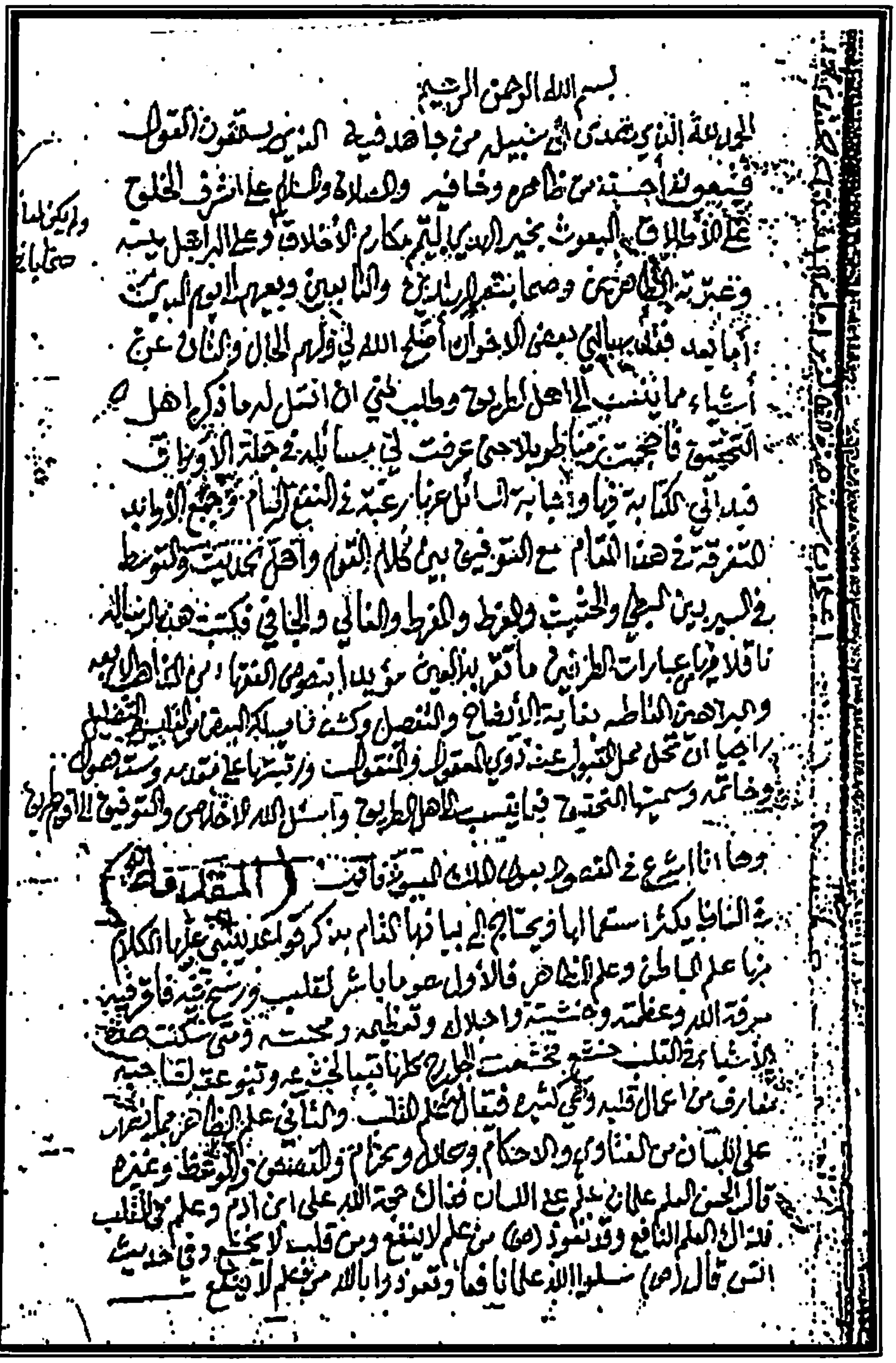
يوم عاشوراء ١٤٢٥هـ

نماذج المخطـوط



هذا كتاب التحقيق فيما ينسب لأهل
الطريق للمدرس بالحرم المكي
أبي بكر بن محمد عارف
خوقير
عفي الله
عنهما

لوحة العنوان من مخطوط جامعة الملك سعود

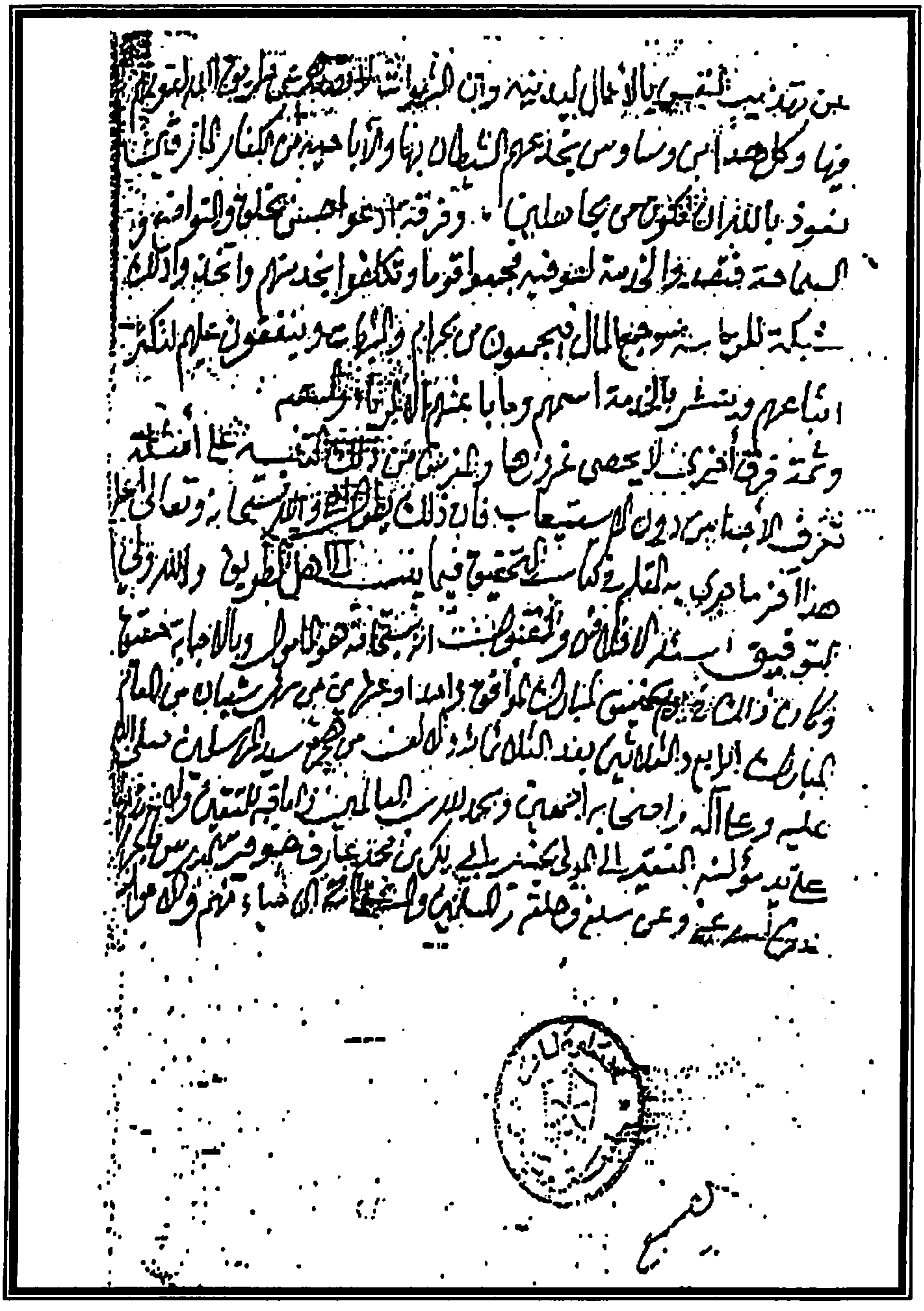


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يهدي إلى سبيله من جاهد فيه الذين يستقون العوائق [illegible] أجنتهم من ظاهره وخافيه والصلاة والسلام على أشرف الخلق على الإطلاق المبعوث بخير الهدي ليتمم مكارم الأخلاق وعلى الراجل بيته وعترته الطاهرين وصحابته المرشدين والتابعين وتبعهم إلى يوم الدين أما بعد فقد سألني بعض الإخوان أصلح الله لي وله الحال والمآل عن أشياء مما ينسب إلى أهل الطريق وطلب مني أن أنقل له ما ذكر أهل التحقيق فأجبت [illegible] عرفت لي مسائله في جملة الأوراق فبدا لي كتابة [illegible] في النفع التام وجمع الفوائد المتفرقة في هذا المقام مع التوفيق بين كلام القوم وأهل الحديث والتوسط في السير بين [illegible] والمفرط والمفرط والغالي والجافي فكتبت هذه الرسالة ناقلا فيها عبارات [illegible] مؤيدا بنصوص العلماء [illegible] وبراهين [illegible] بغاية الإيضاح والتفصيل [illegible] راجيا أن تحل محل القبول عند ذوي المعقول والمنقول ورتبتها على مقدمة وستة فصول وخاتمة وسميتها التحقيق فيما ينسب لأهل الطريق وأسأل الله الإخلاص والتوفيق لأقوم طريق وها أنا أشرع في المقصود بعون الله المعبود فأقول

(المقدمة) في الألفاظ يكثر استعمالها ويحتاج إلى بيانها [illegible] علم الباطن وعلم الظاهر فالأول هو ما باشر القلب [illegible] معرفة الله وعظمته وخشيته وإجلاله وتعظيمه ومحبته ومتى سكنت [illegible] القلب خشع [illegible] الجوارح كلها [illegible] عن [illegible] من أعمال قلبه [illegible] القلب والثاني علم الظاهر [illegible] على اللسان من الفتاوى والأحكام والحلال والحرام والقصص والوعظ وغيره قال الحسن العلم علمان علم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذاك العلم النافع وقد تعوذ (ص) من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع وفي حديث [illegible] قال (ص) سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع

اللوحة الأولى من مخطوط جامعة الملك سعود



من تهذيب النفس بالأعمال البدنية ودون الرياضات [illegible] عن طريق البدع المعوجة
فيها وكل هذا من وساوس يخدعهم الشيطان بها وأرباب هذه من الكفار [illegible]
نعوذ بالله أن نكون من مجالسيهم . وفرقة ادعوا حسن الخلق والتواضع و
السماحة فتصدروا للزعامة [illegible] قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك
شبكة للرئاسة وجمع المال فيجمعون من الحرام والشبهات وينفقون على [illegible]
أتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وما باطنهم إلا الرياء [illegible]
وثمة فرق أخرى لا يحصى عددها والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة
تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول [illegible] والله سبحانه وتعالى أعلم
هذا آخر ما جرى به القلم في كتاب التحقيق فيما ينسب لأهل الطريق والله ولي
التوفيق [illegible] الأفكار والمنقولات [illegible] وبالإجابة حقيق
وكان [illegible] يوم الخميس المبارك [illegible] عشر من شهر شعبان من العام
المبارك الرابع والثلاثين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة سيد المرسلين صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين [illegible]
على يد مؤلفه الفقير إلى مولاه [illegible] بكر بن محمد عارف [illegible]
[illegible]

اللوحة الأخيرة من مخطوط جامعة الملك سعود

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدى إلى سبيله من جاهد فيه، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، من ظاهره وخافيه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق على الإطلاق، المبعوث بخير الهدي؛ ليتمم مكارم الأخلاق، ولم يكن لعَّانًا، ولا صخابًا بالأسواق(١)، وعلى أهل بيته وعترته الطاهرين، وصحابته المهتدين، والتابعين وتابعيهم إلى يوم الدِّين.

أما بعد: فقد سألني بعض الإخوان ـ أصلح الله لي ولهم الحال والشأن ـ عن أشياء مما ينسب إلى أهل الطريق، وطلب مني أن أنقل له ما ذكره أهل التحقيق، فأحجمت زمنًا طويلًا، حتى عرضت لي مسائله في جملة الأوراق، فبدا لي الكتابة فيها وإجابة السائل عنها؛ رغبة في النفع العام، وجمع الأوابد المتفرقة في هذا المقام، مع التوفيق بين كلام القوم وأهل الحديث، والتوسط في السير بين البطيء والحثيث، والمُفْرِط والمُفرِّط والغالي والجافي. فكتبت هذه الرسالة، ناقلًا فيها من عبارات الطرفين ما تقر به العين، مؤيدًا بنصوص الفقهاء من المذاهب الأربعة،

---

(١) اقتباسًا مما ورد من صفة النبي ﷺ في التوراة، كما في حديث البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الفتح، ح (٤٨٣٨) بلفظ: «ليس بفظٍ ولا غليظٍ ولا صخابٍ بالأسواق».

وانظر: المسند (٢/ ١٧٤، ٤٤٨)، وعند الترمذي في: البر والصلة، ح (٢٠١٦) (٤/ ٣٦٩)، بلفظ: «لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا بالأسواق». وعند الدارمي في المقدمة، ح (٦) (١/ ١٤)، بلفظ: «ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخابٍ بالأسواق».

والبراهين القاطعة بغاية الإيضاح والتفصيل، وكشف ما يسلكه البعض من التلبيس والتضليل.

راجيًا أن تحل محل القبول عند ذوي المعقول والمنقول.

ورتبتها على: مقدمة وستة فصول وخاتمة. وسميتها: **التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق**.

وأسأل الله الإخلاص والتوفيق على أقوم طريق. وها أنا أشرع في المقصود بعون الملك المعبود، فأقول:

المقدمــة

في ألفاظ يكثر استعمالها ويحتاج إلى بيانها المقام بذكر قواعد ينبني عليها الكلام

منها: علم الباطن وعلم الظاهر:

فالأول: هو ما باشر القلب ورسخ فيه، فأقر فيه معرفة الله وعظمته وخشيته، وإجلاله وتعظيمه ومحبته، ومتى سكنت هذه الأشياء في القلب خشع، فخشعت الجوارح كلها؛ تبعًا لخشوعه، وتنوعت لصاحبه معارف من أعمال قلبية، وهي كثيرة، فيقال له: علم القلب.

والثاني: علم الظاهر مما يظهر على اللّسان، من الفتاوى والأحكام، والحلال والحرام، والقصص والوعظ، وغيره.

قال الحسن: «العلم علمان: علم على اللسان، فذاك حجة الله على ابن آدم. وعلم في القلب فذاك العلم النافع»(١).

وقد تعوذ ﷺ من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع(٢). وفي حديث: أنس، قال ﷺ: «سلوا الله علمًا نافعًا، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع»(٣). وغير

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، عن الحسن مرسلًا، (١/ ١٩٠-١٩١)، ورواه جابر بن عبد الله مرفوعًا عند الخطيب في تاريخ، (٤/ ٣٤٦) بإسناد حسن، ورواه أبو نعيم والديلمي عن أنس مرفوعًا.ينظر: فيض القدير (٤/ ٣٩).

(٢) رواه مسلم في الذكر ح (٢٧٢٢) (٤/ ٢٠٨٨)، من حديث: زيد بن أرقم.

(٣) رواه ابن ماجه في الدعاء، ح (٣٨٤٣) (٢/ ١٢٦٣)، عن جابر مرفوعًا. قال في الزوائد: =

ذلك، مما يدلّ على أنَّ العلم الذي لا يوجب الخشوع للقلب فهو علم غير نافع.

ولم يُقَسِّم بعض العلماء العلم إلى باطن وظاهر إلاَّ باعتبار التقرير السابق، والمفهوم من الأحاديث من تقسيم العلم إلى نافع وغير نافع.

كتب وهب بن منبه إلى مكحول: «إنَّك امرؤ قد أصبت بما ظهر من علم اللِّسان شرفًا، فاطلب مما بطن من علم الإسلام محبة وزلفى»[١].

وفي رواية أخرى أنه كتب إليه: «إنك قد بلغت بظاهر علمك عند الناس منزلة وشرفًا، فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى. واعلم أنَّ إحدى المنزلتين تمنع الأخرى»[٢]. كما نقله الحافظ ابن رجب[٣].

قال: فأشار وهب بعلم الظاهر إلى علم الفتاوى والأحكام، والحلال والحرام، والقصص والوعظ، وهو ما يظهر على اللِّسان، وهذا العلم يوجب لصاحبه محبة الناس له وتقدمه عندهم، فحذره من الوقوف عند ذلك والركون إليه، والالتفات إلى تعظيم الناس و محبتهم، فإنَّ من وقف مع ذلك فقد انقطع عن الله، وانحجب بنظره إلى الخلق عن الحق.

= «إسناد صحيح، ورجاله ثقات». ورواه الطبراني في الأوسط، كما في مجمع الزوائد، (١٠/ ١٨٢)، وقال: «إسناده حسن». وذكره الألباني في الصحيحه، (٤/ ١٦) ح (١٥١١)، وعزاه لابن أبي شيبة في المصنف، (١٢/ ٦٠٥)، وعبد بن حميد والفاكهي، عن جابر مرفوعًا، وحسن إسناده، ولم أقف عليه عن أنس.

(١) حلية الأولياء (٥/ ١٧٨).

(٢) حلية الأولياء (٤/ ٥٤)، وتاريخ دمشق (٥٣/ ٥٨) بنحوه.

(٣) فضل علم السلف على علم الخلف.

وأشار بالعلم الباطن: إلى العلم الذي يباشر القلوب، فيحدث لها الخشية والإجلال والتعظيم، وأمره أن يطلب بهذا المحبة من الله، والقرب منه والزلفى لديه.

وكان كثير [من السلف](١)؛ كسفيان الثوري وغيره، يُقَسِّمون العلم إلى ثلاثة أقسام.

يقولون: عالم بالله عالم بأمر الله....(٢). يشيرون بذلك إلى من جمع بين هذين العلمين المشار إليهما: الظاهر والباطن، وهؤلاء أشراف العلماء، وهم الممدوحون في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾(٣). وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾(٤).

وقال كثير من السلف: «ليس العلم كثرة الرواية، ولكن العلم الخشية»(٥). وقال بعضهم: «كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلًا»(٦).

---

(١) ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها.

(٢) في مجموع الفتاوى (٧/ ٥٣٩)، ذكره عن أبي حيان التيمي.

(٣) سورة فاطر، الآية: (٢٨).

(٤) سورة الإسراء، الآية: (١٠٧).

(٥) قال الشعبي: «إنما العالم من خشي الله عزَّ وجل». تفسير البغوي (٣/ ٦٢٢)، ذكره أبو شامة في مختصر المؤمل للرد إلى الأمر الأول، (ص٢٠٩)، من مجموعة: من هدي المدرسة السلفية، ونسبه لابن مسعود.

(٦) قاله مسروق، انظر: تفسير البغوي (٣/ ٦٢٢)، والدر المنثور (٧/ ٢٠).

ويقولون: «عالم بالله ليس عالم بأمر الله». وهم أصحاب العلم الظاهر، الذين لا نفاذ لهم في العلم الباطن، وليس لهم خشية ولا خشوع، وهؤلاء مذمومون عند السلف، وكان بعضهم يقول: «هذا هو العالم الفاجر».

وهؤلاء الذين وقفوا مع ظاهر العلم، ولم يصل العلم النافع إلى قلوبهم، ولا شموا له رائحة، غلبت عليهم الغفلة والقسوة والإعراض عن الآخرة، والتنافس في الدنيا ومحبة العلو فيها، والتقدم بين أهلها، وقد منعوا إحسان الظن بمن وصل العلم النافع إلى قلبه، فلا يحبونهم ولا يجالسونهم، وربما ذموهم، وقالوا: «ليسوا بعلماء». وهذا من خداع الشيطان وغرورهم؛ ليحرمهم من العلم النافع، الذي مدحه الله ورسوله وسلف الأمة وأئمتها.

ولهذا المعنى كان علماء الدنيا يبغضون علماء الآخرة، ويسعون في أذاهم جهدهم، كما سعوا في أذى سعيد بن المسيب والحسن ومالك وأحمد، وغيرهم من العلماء الربانيين؛ وذلك لأنَّ علماء الآخرة خلفاء الرسل، وعلماء السوء فيهم شبه من اليهود[1]، وهم أعداء الرسل وقتلة الأنبياء، ومن يأمر بالقسط من الناس حسدًا وعداوةً للمؤمنين، ولشدة محبتهم للدنيا لا يعظمون علمًا ولا دينًا، وإنما يعظمون المال والجاه والتقدم عند الملوك، كما قال بعض الوزراء للحجاج بن أرطاة[2]: إنَّ لك

---

(١) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها؛ وكان السلف كسفيان بن عيينة وغيره، يقولون: «إنَّ من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى».
انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٦٧) تحقيق: ناصر العقل.

(٢) ابن ثور بن هبيرة بن شراحيل بن كعب، أبو أرطاة النخعي الكوفي الفقيه، ولد في حياة أنس بن مالك وغيره من الصحابة، قال العجلي: «كان فقيهًا، أحد مفتي الكوفة، وكان =

دينًا وإنَّ لك علمًا وفقهًا، فقال الحجاج: أفلا تقول: إنَّ لك شرفًا وإنَّ لك لقدرًا، فقال الوزير: والله، إنك لَتُصغِّر ما عظّم الله، وتُعَظِّم ما حقر الله.

❁ ❁ ❁

= فيه تيْه، فكان يقول: أهلكني حب الشرف».
ترجمته في: طبقات ابن سعد (٦/ ٣٥٩)، وتاريخ بغداد (٨/ ٢٣٠، ٢٣٦)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٦٨).

مطلب

مَنْ ذَمَّ العلم الظاهر، وأنَّ الفضل لمن يجمع بينه وبين العلم الباطن

وكثير ممن يدعي العلم الباطن ويتكلم فيه، ويقتصر عليه، يذم العلم الظاهر الذي هو الشرائع والأحكام والحلال والحرام، ويطعن في أهله، ويقولون: هم المحجوبون أصحاب قشور، وهذا يوجب القدح في الشريعة، والأعمال الصالحة التي جاءت بالبحث عنها والاعتناء بها، وربما انحل من التكاليف وادَّعى أنها للعامة، وأما من وصل فلا حاجة له إليها، وأنها حجاب له، وهؤلاء كما قال الجنيد[(١)] وغيره من العارفين: «وصلوا، ولكن إلى سقر»[(٢)]. وهذا من أعظم خداع الشيطان وغروره لهؤلاء، لم يزل يتلاعب بهم حتى أخرجهم عن الإسلام[(٣)].

ومنهم: من يظن أنَّ هذا العلم الباطن لا يُتَلَقَّى من مشكاة النبوة، ولا من الكتاب والسنة، وإنما يُتَلَقَّى من الخواطر والإلهامات والكشوفات، فأساءوا

---

(١) الجنيد بن محمد البغدادي شيخ الصوفية، ولد نيف وعشرين ومائتين، وتوفي سنة: (٢٩٧هـ).

ينظر: حلية الأولياء (١٠/ ٢٢٥)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦-٧٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس، (ص٣٠٠)، عن أبي علي الروذباري، وهو في الرسالة، للقشيري (١/ ١٦٣).

(٣) انظر: شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب، (ص٥٥، ٥٦). وانظر: ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف، د/ عبد الله الغفيلي، (ص٤٥٠، ٤٥١)، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

الظن بالشريعة الكاملة؛ حيث ظنوا أنها لم تأت بهذا العلم النافع؛ الذي يوجب صلاح القلوب وقربها من علام الغيوب، وأوجب لهم ذلك الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ بالكلية، والتكلم فيه بمجرد الآراء والخواطر، فضلوا وأضلوا(١).

فظهر بهذا أنَّ أكمل العلماء وأفضلهم: العلماء بالله، العلماء بأمر الله، الذين جمعوا بين العلمين، وتلقوهما معًا من الوحيين ـ يعني: الكتاب والسنة ـ، وعرضوا كلام الناس في العلمين معًا على ما جاء في الكتاب والسنة، فما وافق قبلوه، وما خالف ردوه، وهؤلاء خلاصة الخلق، وهم أفضل الناس بعد الرسل، وهم خلفاء الرسل حقًا، وهؤلاء كثير في الصحابة؛ كالخلفاء الأربعة، ومعاذ وأبي الدرداء، وسلمان وابن مسعود، وابن عمر وابن عباس، وغيرهم.

وكذلك فيمن بعدهم؛ كالحسن وسعيد بن المسيب، وعطاء وطاووس، ومجاهد وسعيد، وابن جبير والنخعي، ويحيي بن أبي كثير.

وفيمن بعدهم؛ كالثوري والأوزاعي وأحمد، وغيرهم من العلماء الربانيين، وقد سماهم علي بن أبي طالب ﷺ: العلماء الربانيين. يشير إلى أنهم الربانيون الممدوحون في غير موضع من كتاب الله عزَّ وجل، فقال: «الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع»(٢). ثم ذكر كلامًا طويلًا، وصف علماء السوء والعلماء الربانيين، وقد شرحناه في غير هذا الموضع. انتهى.

---

(١) نقلًا عن ابن رجب في شرح حديث أبي الدرداء، (ص٥٦).

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٩، ٨٠). والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٤٥).

مطلب

كلام القاري في [أن] كلام السلف كثير البركة

قال المُلاَّ علي القاري[(١)]: «اعلم: أنَّ نبينا ﷺ، قد أوتي فواتح الكلم وخواتمه[(٢)] ولوامعه، فبعث بالعلوم الكلية، والمعارف الأولية والآخرية على أتم الوجوه، فيما يحتاج إليه السالك في الأمور الدينية والدنيوية والأخروية، ولكن كلما ابتدع شخص بدعة سعوا في جوابها[(٣)]، واضطربوا في بيان خطأها وصوابها، فالعلم نقطة كثرها الجاهلون[(٤)]، ولذلك صار كلام الخلف كثيرًا قليل البركة، بخلاف كلام السلف فإنه كثير البركة[(٥)] والمنفعة، والفضل للمتقدمين لا ما يقوله جهلة المتكلمين: إنَّ طريقة المتقدمين أسلم وطريقتنا أحكم وأعلم.

(١) علي بن سلطان محمد نور الدين، الملا القاري الهروي، فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره، توفي سنة: (١٠١٤ هـ).
ترجمته في: البدر الطالع، للشوكاني (١/ ٤٤٥)، والأعلام، للزركلي (٥/ ١٣).

(٢) روى البخاري في: الجهاد والسير من صحيحه، باب: نصرت بالرعب ح (٢٨١٥) (الفتح ٣/ ١٠٨٧)، ومسلم في المساجد ح (٥٢٣) (١/ ٣٧٠) قوله ﷺ: «وأعطيت جوامع الكلم...».

(٣) اقتباسًا من مقدمة شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، (١/ ١٩) ط: التركي.

(٤) ذكره العجلوني في كشف الخفا، (٢/ ٨٧)، وقال: «ليس بحديث، بل من كلام بعضهم».

(٥) مقدمة شرح الطحاوية (١/ ١٩).

وكما يقوله من لم يقدر قدرهم من المنتسبين إلى الفقه: إنهم لم يتفرغوا للاستنباط، وضبط قواعده وأحكامه؛ اشتغالًا منهم بغيره، والمتأخرون تفرغوا لذلك، فمنهم أفقه بما يتعلق هنالك.

فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعن علومهم وقلة تكلفهم، فتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلاَّ بالتكلف والاشتغال بالأطراف، التي كانت همة القوم مراعاة أصولها ومعاقدها، وضبط قواعدها وشدّ معاقدها، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية والمراتب الغالية، فالمتأخرون في شأن، والقوم في شأن، وهو سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا»(١). انتهى.

❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق (١/ ١٩، ٢٠).

وانظر: الرد على القائلين بوحدة الوجود، للملا علي القاري، (ص٦١، ٦٢)، ط (١٤١٥هـ).

مطلب
في الرد على من قال: إنَّ الفقراء يُسَلَّم لهم حالهم

وقال أيضًا[١]: «وأما قول بعض الجهلة: إنَّ الفقراء يُسَلَّم إليهم حالهم، فكلام باطل، بل الواجب عرض أحوالهم وأفعالهم على الشريعة المحمدية، وعلى الكتاب والسنة النبوية، فما وافقها قُبِلَ، وما خالفها رُدَّ، كما ورد: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»[٢].

فلا طريقة إلاَّ طريقة الرسول ﷺ، ولا شريعة إلاَّ شريعته، ولا حقيقة إلاَّ حقيقته، ولا عقيدة إلاَّ عقيدته، ولا يصل أحد من الخلف بعده إلى الحق، ولا إلى رضوانه وجنته وكرامته، إلاَّ بمتابعة رسوله باطنًا وظاهرًا، ومن لم يكن له مصدقًا فيما أخبر، ملتزمًا لطاعته فيما أمر، من الأمور الباطنة ـ التي في القلوب ـ والأعمال الظاهرة التي على الأبدان، لم يكن مؤمنًا، فضلًا عن أن يكون وليًا، ولو طار في الهواء، وسار في الماء، وأنفق من الغيب، وأخرج المذهب من النقيب، ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل، فإنه لا يكون ـ مع تركه الفعل المأمور وترك المحظور ـ إلاَّ من أهل الأحوال الشيطانية، المبعدة لصاحبها عن الله وبابه، المقربة إلى سخطه وعقابه.

وأما من اعتقد من بعض البله والمولهين، مع تركه لمتابعة الرسول ﷺ

---

(١) أي: الملا علي القاري، في الرد على القائلين بوحدة الوجود، (ص٦١، ٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور، ح (٢٦٩٧) الفتح (٥/ ٣٠١)، ومسلم في: الأقضية ح (١٧١٨) (٣/ ١٣٤٣).

في أقواله وأفعاله وأحواله، أنه من أولياء الله، فهو ضال مبتدع، مخطيء في اعتقاده؛ فإنَّ ذلك الأبله إما أن يكون شيطانًا زنديقًا، أو مزورًا كاذبًا متخبلًا، أو مجنونًا مبذولًا[1].

ولا يقال: يمكن أن يكون هذا متبعًا في الباطن، وإن كان تاركًا للاتباع في الظاهر، فإنَّ هذا خطأ أيضًا، بل الواجب متابعة الرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا.

❁ ❁ ❁

(١) كذا في الأصل، ولعلها: مخذولًا، أو منبوذًا.

مطلب

الطائفة الملامية[١]، والرد على من تعلق بقصة موسى مع الخضر

والطائفة الملامية؛ وهم: الذين يفعلون ما يلامون عليه، ويقولون: نحن متبعون في الباطن، ويقصدون إخفاء أعمالهم، ضالون مبتدعون مخطئون في فعلهم ما يلامون عليه، وهم عكس المرائين، زوَّروا باطلهم بباطل آخر، والصراط المستقيم بين ذلك.

وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة، مبتدعون ضالون، وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله، ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك، ولو عند سماع القرآن، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٢]. وما يحصل لبعضهم عند سماع الأنغام المطربة، من الهذيان والتكلم ببعض اللغات المخالفة للسانه المعروف منه، فذلك شيطان يتكلم على لسانه، كما يتكلم على لسان المصروع، وذلك كله من الأحوال الشيطانية.

وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر- عليهما السلام، في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني، الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق، فهو

---

(١) طائفة من الصوفية، تسمى أيضًا: الحمزاوية والملامتية، فرع طريقة البيرمية في تركيا. انظر حقيقتها في: روضة الطالبين للغزالي، ص(٢٣). وانظر: معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، لإسماعيل العرب، ص(٣٥٧).

(٢) سورة الأنفال، الآية: (٢).

ملحد زنديق؛ فإنَّ موسى ـ عليه السلام ـ لم يكن مبعوثًا إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأمورًا بمتابعته، ولهذا قال له: أنت موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم(١). ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين، بل إلى جميع الكونين(٢)، ولو كان موسى حيًا لما وسعه إلاَّ اتباعه(٣)، وإذا نزل عيسى إلى الأرض إنما يحكم بشريعة محمد ﷺ(٤)، فمن ادَّعى أنه مع محمد كالخضر مع موسى، أو جَوَّزَ ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه.

وأما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات، ويتركون الجمع والجماعات، فهم من الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا. وكل من عدل عن اتباع الكتاب والسنة؛ إن كان عالمًا فهو مغضوب عليه، وإلاَّ فهو ضال، ولهذا شرع الله لنا أن نسأله في كل صلاة، أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من الصديقين

---

(١) كما في صحيح البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى، ح (٣٤٠١)، الفتح (٦/ ٤٣١، ٤٣٢).

(٢) لا نعلم دليلًا يدل على أن محمدًا ﷺ مبعوث إلى الملائكة، وإنما هو مبعوث إلى الثقلين.

(٣) كما في المسند (٤/ ٢٦٥)، والدارمي ح (٤٣٥) (١/ ١٢٦)، ومصنف عبد الرزاق ح (١٩٢١٣) (١٠/ ٣١٣). وحسنه الألباني في الإرواء، ح (١٥٨٩).

(٤) لما في مسلم في كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى حاكمًا بشريعة محمد ﷺ، (١٥٦) (١/ ١٣٧). عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمَّكم منكم؟**». فقلت ـ أي: الراوي لابن أبي ذئب ـ: إنَّ الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع، عن أبي هريرة: «**وإمامكم منكم**». قال ابن أبي ذئب: تدري ما أمَّكم منكم؟ قلت: تخبرني! قال: فأمَّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ.

والشهداء والصالحين، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون**»[(١)].

وقال طائفة من السلف: «من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العُبَّاد ففيه شبه من النصارى»[(٢)].

ولهذا تجد أكثر المنحرفين من أهل الكلام من المعتزلة ونحوهم، فيه شبه من اليهود، حتى إنَّ علماء اليهود يقرؤون كتب شيوخ المعتزلة ويستحسنون طريقتهم، وكذا شيوخ العُبّاد ونحوهم فيه شبه من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد، وسائر أنواع الفساد في الاعتقاد. والله رؤوف بالعباد[(٣)]. انتهى.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الترمذي في حديث طويل، في تفسير القرآن، باب: تفسير سورة الفاتحة، ح (٢٩٥٣) (٥/ ٢٠٢)، وقال: «حسن غريب». ورواه أحمد في المسند (٤/ ٣٧٨).

(٢) تقدم في (ص٢٠)، هامش (١).

(٣) الرد على القائلين بوحدة الوجود، لملاًّ علي القاري، (ص٦٢).

مطلب

الميـزان هـو الشـــرع

فَتَلَخَّص من ذلك: أنَّ الميزان هو الشرع، فعلى المؤمن أن يعلم أنَّ النبيَّ ﷺ لم يترك شيئًا يقرب إلى الجنة إلاَّ وقد حدث به، ولا شيئًا يبعد عن النار إلاَّ وقد حدث به.

قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًا وخطَّ خطوطًا عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذا سبيل الله، وهذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾(١)(٢).

وتبليغه ﷺ في أمر الدِّين عام، ولم يخص أحدًا بخصوصية فيه، ولم يُمَيِّز في شيء منه خاصة على عامة، وما انفرد بروايته بعض الصحابة فليس له خاصة، فقد لازم أصحاب الصفة النبي ﷺ في غالب الأوقات أكثر من غيرهم؛ لفقدهم أسباب التجارة والزراعة وغيرها، وانفرد بعضهم بكثرة الرواية، وكان منهم: أبو هريرة، بلغت روايته في مسند الإمام أحمد مجلدًا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٥٣).

(٢) أخرجه النسائي في التفسير لوحة ٣٣، وأحمد في المسند (١/ ٤٣٥)، وابن جرير في التفسير (٨/ ٨٨)، والدارمي في السنن ح (٢٠٨) (١/ ٦٠)، وابن نصر في السنة ص(٥)، والآجري في الشريعة ح (١١) (١/ ٢٩٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٩)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في ظلال الجنة، (١/ ١٣).

من ست مجلدات(١)، لملازمته ﷺ ودعائه له بالحفظ، ومع ذلك فكان أبو حنيفة لا يقبل روايته؛ لكونه يروي كل ما سمع من غير أن يتأمل في المعنى، ومن غير أن يعرف الناسخ والمنسوخ، كما نقله أبو شامة في كتاب: المؤمل(٢).

وأما قوله: «حفظت عن رسول الله ﷺ وعائين من العلم، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم»(٣). فقد حمله أهل العلم على علم الفتن وما يحدث من بني أمية، فقد مَيَّزَ ﷺ بعض أصحابه بالإسرار إليه عن نحو ذلك، كما امتاز بذلك حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، واشتهر أنه حامل سره ﷺ، خصوصًا فيما يتعلق بالمنافقين، كما امتاز بعضهم بمزيد الفهم وفقاهة النفس، وامتاز بعضهم بمزيد الخشية، كما جاء في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كما في الرياض النضرة: «**ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه**»(٤).

---

(١) يبلغ عددها بالمكرر: أكثر من خمسة آلاف حديث، كما حقق ذلك الأعظمي في كتابه: أبو هريرة في ضوء مروياته، (ص٧٦). وقد نسب إليه ابن حزم في جامع السيرة، (ص٢٧٥)، (٥٣٧٤)، رواية، وتبعه ابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر، (ص١٨٤)، بينما بين الأعظمي أنه ليس له في الكتب الستة من المسند إلاً (١٣٣٦) رواية من غير المكرر. انظر: المصدر السابق.

(٢) ص(٢٣٢)، ضمن مجموع: من هدي المدرسة السلفية، جمع/ عبد الله حجاج.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: حفظ العلم، (١/ ١٩٢، ١٩٣).

(٤) أخرجه أبو داود في الزهد، (ص٥٨)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء، ح (٢٢٨) (٢/ ٢٦٦) وقال: «ذكره في الإحياء». وقال مخرجه العراقي: «لم أجده مرفوعًا». وقال في النوادر: «إنه من قول بكر بن عبد الله المزني». =

وقد تَقَدَّم: أنَّ العلم النافع هو: الخشية، وسمي علم القلب وعلم الباطن، فما جاء في معنى ذلك يحمل عليه، كما في الحديث المسلسل بالصوفية، المندرج في مروياتنا عن سفيان بن عيينة، عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلاَّ العلماء بالله، فإذا نطقوا به، لا ينكره إلاَّ أهل الغرة**

= ثم إن هذا الكلام فيه نظر؛ لأن أبا بكر قد سبقهم ـ ﷺ ـ إضافة إلى ما في قلبه من الإيمان، بالأعمال الصالحة أيضًا، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ لما قال: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**»، قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن اتبع منكم اليوم جنازة؟**»، قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**»، قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**»، قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة**».
ولما ذكر ﷺ الأعمال الصالحة، وكل يدعى من بابها، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة... وذكر الجهاد والصدقة والصيام، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ما على أحد أن يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**». رواهما مسلم في صحيحه في الزكاة، ح (١٠٢٨) و ح (٢/ ٧١١، ٧١٣).
ومنها: مسابقة عمر له ﷺ، وقوله: إني تركت نصف مالي، فأتى أبو بكر بجميع ماله، فقال له ﷺ: «**ما تركت لأهلك؟**». قال: تركت لهما الله ورسوله... ونحوها. وكلها تدل على أنَّ أبا بكر سبق الصحابة بما في قلبه، كما سبقهم ـ أيضًا ـ بإعمال الجوارح في طاعة الله، وهذا يدل على اعتقاد أهل السنة والجماعة بالتلازم بين الظاهر والباطن، ولا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر. فكلما قوي الإيمان في القلب ظهر ذلك على الجوارح، والعكس بالعكس. والله تعالى أعلم.
وقد يحمل على أن معناه: أن الأعمال ليست وحدها هي السبب، بل ما وقر في قلبه رضي الله تعالى عنه.

بالله»(١). أي: المعرضين عن الله بالدنيا.

قال الشاه ولي الله: «وبالإسناد إلى أبي إسحاق الكلاباذي صاحب التعرف، أنه قال في باب علوم الصوفية: روى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلاَّ أهل المعرفة بالله، فإذا نطقوا به، لم ينكره إلاَّ أهل الغرة بالله**».

وعن عبد الواحد بن زيد، قال: سألت الحسن عن علم الباطن ـ أي: الذي هو منسوب إلى الباطن، هو الذي يؤخذ بسره ـ، فقال: سألت حذيفة ابن اليمان عن علم الباطن، فقال: سألت رسول الله ﷺ عن علم الباطن، فقال: سألت جبريل عليه السلام عن علم الباطن، فقال: سألت الله عن علم الباطن، فقال الله عزَّ وجل: «هو سرٌّ من سرِّي، أجعله في قلب عبدي، لا يقف عليه أحد من خلقي»(٢). أي: من العوام»(٣). انتهى.

ثم أورد ـ الشاه ولي الله ـ حديث أبي هريرة مسلسلًا بالصوفية بسند آخر.

---

(١) انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٥٨) ح (١٣٧). والفردوس بمأثور الخطاب ح (٨٠٢) (١/ ٢١٠)، وفيض القدير (٤/ ٣٢٦). وأشار المنذري إلى تضعيفه، وقال الألباني «ضعيف جدًا» الضعيفة رقم: (٨٧٠) (٢/ ٢٦٢)

(٢) ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، (١/ ٧٤)، وقال: «لا يصح عن رسول الله، وعامة رواته مجهولون». وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة، (١/ ٢٨٠) وعزاه: للديلمي، وقال عنه: «قال الحافظ ابن حجر: هذا موضوع، والحسن ما لقي حذيفة أصلًا».

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص(١٠٣)، بتحقيق: محمد النواوي.

فعلـم ممـا سـبق: أنَّ علـم القلـب وعلـم البـاطن وعلـم السّـرِّ المكنـون، راجعة إلى الخشية التي هي العلـم النـافع، وبعضـهم يعـبر عنهـا بـالإخلاص، ويقول: إنَّ أجزاء الشريعة ثلاثة؛ العلم والعمل والإخلاص. ولعله أخذها من الثلاثة التي في حديث الإسلام والإيمان والإحسان، كما سيأتي.

❁ ❁ ❁

مطلب

الشريعة والحقيقة

ومنها: الشريعة والحقيقة، فالأولى[١] هي الائتمار بالتزام العبودية، وقيل: هي الطريقة في الدين. والثانية: هي ما أريد به ما وضع له، أو موافقة ما هو في الواقع ونفس الأمر.

قال بعضهم: هما متلازمتان، لا يتم أحدهما إلاَّ بالآخر، فالشريعة ظاهر الحقيقة، والحقيقة باطن الشريعة.

قال في روح المعاني في تفسير سورة الكهف[٢]: «والذي ينبغي أن يُعلم: أنَّ كلام العارفين المحققين وإن دلَّ على أن لا مخالفة بين الشريعة والطريقة والحقيقة في الحقيقة؛ لكنه يدل ــ أيضًا ــ على أنَّ في الحقيقة كشوفًا وعلومًا غيبية، ولذا تراهم يقولون: علم الحقيقة هو العلم اللدني، وعلم المكاشفة وعلم الموهبة وعلم الأسرار، والعلم المكنون وعلم الوراثة، إلاَّ إنَّ هذا لا يدل على المخالفة، فإنَّ الكشوف والعلوم الغيبية، ثمرة

(١) هذا التقسيم مبني على تقسيم الصوفية للعلم إلى ظاهر وباطن، وقد جعلوا الظاهر دالًا على علم الشريعة، والباطن دالًا على علم الحقيقة. وجوزوا الخروج على الشريعة وأحكامها؛ ادعاءً للحقيقة.

وقد نقل ابن الجوزي ـ تلبيس إبليس، (ص٣٩٤، ٣٩٥) ـ عن الغزالي قوله: «من قال: إنَّ الحقيقة تخالف الشريعة، أو الباطن يخالف الظاهر، فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان».

(٢) (١٦/ ١٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الإخلاص الذي هو الجزء الثالث من أجزاء الشريعة، فهي بالحقيقة مترتبة على الشريعة ونتيجة لها، ومع هذا لا تغير تلك الكشوف والعلوم الغيبية حكمًا شرعيًا، ولا تقيد مطلقًا ولا تطلق مقيدًا، خلافًا لما توهمه بعضهم». اهـ. وفيه كلام نفيس.

قال في العَلَم الشامخ: «واعلم: أنَّ الصوفية يصرحون أنَّ علمهم الذي يسمونه الطريقة والحقيقة والتصوف، ونحو ذلك غير الشريعة، وصنفوا في الجمع بين الشريعة والحقيقة فيها غاية التكلف، والتهافت يظهر لكل فقيه في الدِّين، والله سبحانه يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فالتصوف ليس من مسمى الدِّين؛ لأنَّ الدِّين كمل قبله، أعني: دين الإسلام، ولا هو من النعمة؛ لأنها تمت قبله، وليس التصوف داخلًا في مسمى الإسلام؛ لأنَّ الإسلام تم قبله، وهم معترفون بالغيرية، فحينئذ هو بدعة، وكل بدعة ضلالة، ولم يجيء به النبي ﷺ؛ لأنَّ كل ما جاء به النبي ﷺ داخل في مسمى الشريعة، فالصوفي ليس بمتبع للنبي ﷺ، بل لشيخه المخترع لتلك الوساوس.

وناقض زَرُّوق، فصنف كتابًا في الجمع بين الحقيقة والشريعة...»[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٣).

(٢) العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ، للعلامة/ صالح بن مهدي المقبلي اليمني، (ص٤٧٠، ٤٧١).

إلى أن قال: «فإن قلت: كلامك هذا قد شمل إبراهيم بن الأدهم والجنيد والفضيل وبشر، وأضرابهم ممن لا يرتاب في شأنهم مخذول، كما صرحت ـ أولًا ـ في ذكر المحدثين بأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ونحوهما، وقد كان لك عن هذا مندوحة بالتمثيل بابن كرام وجهم وغلاة المتصوفة، وكذلك من تعلق بالحديث وهو من أهل البدع الواضحة، فأولئك أهل لأن يحذر منهم، وهؤلاء أهل لأن يقتدى بهم ويرغب في اقتفائهم.

قلت: هذا كلام من لا يفهم مساق كلامنا، ولا اهتدى إلى غرضنا، إنما كلامنا خطاب لمن ليس كذلك من خواص الناس، والخاصة لا يحتاج أن تحذرها من أهل البدع الواضحة، وإنما غرضنا التنبيه على مبادئ الشر ليتيقظ لها طالب الخير، وإنما يقبل من أهل الخير، وبَيَّنَّا أنَّ هؤلاء السادة المقبولين لم يسلموا من شر بخلاف، بل المنخلع من غلاة المتأخرين في كل طريقة، قد انتمى إليهم، ولم يخل متشبه من مساغ بينا محله، وذلك صيانة لهم عن فشو ما تسبب عنهم بوجه ما، ولا يحط ذلك من حقهم الذي أكرمهم الله به، فنحن نتولاهم ونقتدي بهم فيما عدى تلك الأشياء التي حدثت بسببهم، قد فرضنا أنها ليست من الشريعة، وإنما تخيلوها خيرًا شبيه القول بالمصالح المرسلة، والخير كل الخير في الاقتصار على توقيف صاحب الشريعة، إنما الشأن أن تصرف قلبك إلى تلك الأشياء التي ذكرناها.

وتَثَبَّتْ فيما هو من السنة فاقتد به، واشكر لهم صنيعهم في حفظها، وما ليس من السنة فاحذر منه واستغفر لهم، وابرأ منه مع توليهم، كما قال النبي ﷺ: «**اللَّهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**»(١). ولم يتبرأ من خالد ولا وضع

(١) رواه البخاري في صحيحه، في المغازي، باب: (٥٨)، ح (٤٣٣٩)، الفتح (٨/ ٥٦).

من قدره، بل قال: «**نعم عبد الله، سيف من سيوف الله**»(١). لكنه كره الخطأ وبالغ في التبرء منه، يعلمنا كيف نفعل في أمثالها؛ لأنَّ الراضي بالشر كفاعله»(٢) انتهى.

ونحن نذكر لك مثالًا في معارضة بعض العارفين للشريعة باسم الحقيقة، بدعوى أنَّ العارف إذا شهد الإرادة سقط عنه الأمر، ولا شكَّ أنَّ هذا من الكفر الذي لا يرضاه أحد، بل ذلك ممتنع في العقل محال في الشرع، كما نقله السفاريني(٣) عن شيخ الإسلام، ونقل عن شرح منازل السائرين ما نصه: «مشهد أصحاب الجبر، وهم الذين يشهدون إنهم مجبورون على أفعالهم، وأنها واقعة بغير قدرتهم واختيارهم، بل لا يشهدون أنها أفعالهم البتة، ويقولون: إنَّ أحدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر، وأنَّ الفاعل فيه غيره، والمحرك سواه، وأنه آلة محضة، وحركاته بمنزلة هبوب الرياح وحركات الأشجار، وهؤلاء إذا أنكرت عليهم أفعالهم، احتجوا بالقدر وحملوا ذنوبهم عليه، وقد يغلون في ذلك حتى يروا أفعالهم كلها طاعات، خيرها وشرها؛ لموافقتها المشيئة والقدر.

ويقولون: كما أنَّ موافقة الأمر طاعة، فموافقة المشيئة طاعة، كما حكى تعالى عن المشركين إخوانهم، أنهم جعلوا مشيئة الله لأفعالهم دليلًا على أمره بها ورضاه بها.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٩٠)، (٥/ ٢٢٩)، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم (١٢٣٧).

(٢) العلم الشامخ (٤٧٢، ٤٧٣).

(٣) لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٠٩).

قال: وهؤلاء شر من القدرية النفاة، وأشد عداوةً لله ومناقضة لكتبه ورسله ودينه، حتى من هؤلاء من يعتذر عن إبليس ـ لعنه الله ـ ويتوجه له، ويقيم عذره بجهده، وينسب ربه إلى ظلمه بلسان الحال والمقال، ويقول: ما ذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالقه، وقد وافق حكمه ومشيئته فيه وإرادته منه، ثم كيف يمكنه السجود، وهو الذي منعه منه وحال بينه وبينه؟! وهل كان في ترك السجود لغير الله إلاَّ محسنًا؟!! ولكن:

إِذَا كَانَ المُحِبُ قَلِيلَ حَظٍ ... فَمَا حَسَنَاتُهُ إِلاَّ ذُنُوب

قال ابن القيم رحمه الله: «وهؤلاء أعداء الله[1] حقًّا، وأولياء إبليس وأحباؤه وإخوانه، وإذا ناح منهم نائح على إبليس، رأيت من البكاء والحنين أمرًا عجيبًا، ورأيت من تظلم الأقدار واتهام الجبار ما يبدو على فلتات ألسنتهم وصفحات وجوههم، وتسمع من أحدهم من التظلم والتوجع ما تسمعه من الخصم المغلوب العاجز عن خصمه، قال: فهؤلاء الذين قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تائيته:

وَيدعى خَصَوم الله يَومَ معَادِهِم ... إِلى النَّارِ طُرًّا فِرْقَة القَدَرِيَّةِ[2]

يعني: الجبرية.

وتقدم أنَّ شيخ الإسلام ـ قدس الله روحه ـ قال: «إنَّ بدعة القدرية النفاة كانت في أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم».

---

(١) ساقطة من الأصل، والتصحيح من النقول منه.

(٢) مدارج السالكين شرح منازل السائرين (١/ ٤٠٤، ٤٠٥).

قال: «وأما بدعة هؤلاء المحتجين بالقدر، فلم يعرف لها إمام، ولم تعرف به طائفة من طوائف المسلمين معروفة».

قال: «وإنما كثر ذلك في المتأخرين، وسموا هذا حقيقة، وجعلوا الحقيقة تعارض الشريعة، ولم يميزوا بين الحقيقة الشرعية التي تتضمن تحقيق أحوال القلوب؛ كالإخلاص والصبر، وبين الحقيقة الكونية القدرية التي نؤمن بها ولا نحتج بها على المعاصي، وفيهم من يقول: إنَّ العارف إذا فنا في شهود توحيد الربوبية، لم يستحسن حسنة ولم يستقبح سيئة، ويقول بعضهم: من شهد الإرادة سقط عنه الأمر والنهي، ويقول بعضهم: إنَّ الخضر ـ عليه السلام ـ إنما سقط عنه التكليف؛ لأنه شهد الإرادة. إلى غير ذلك من كلامهم(١).

والحاصل: أنَّ هذه المقالة من أشنع المقالات، وأفظع البدع المحدثات، والمحتج بقدر الله على معاصي الله تعالى زنديق، وخارج على سواء السبيل، وعادم التحقيق، ومارق من الدِّين ومباين التوفيق، والباري ـ جلَّ شأنه ـ قد أرسل الرسل قاطبة بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وفي الاحتجاج على المعاصي بالقدر، إنكار ما جاءت به الرسل من تعظيم النهي والأمر»(٢). وبالله التوفيق.

---

(١) انظر: مناهج السنة لشيخ الإسلام، (٣/ ٧٦، ٧٨) بنحوه، وانظر: رفع الشبه والغرر عن من يحتج على فعل المعاصي بالقدر، لمرعي بن يوسف الكرمي، (ص٣٥).

(٢) نهاية النقل من لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (١/ ٣٠٩، ٣١١)، من قوله: «كما نقله السفاريني».

مطلب

التصوف والصوفية والمتصوفة

اختلفت عبارات الناس في معنى التصوف والصوفي، وكل واحد عبر بما وقع له، وقد أنهاها بعضهم(١).

ويؤخذ من كتاب: حلية الأولياء لأبي نعيم من كل ترجمة معنى، قال الغزالي: «هو تجريد القلب لله واحتقاره ما سواه، قال: وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح، وقد أوضحه بعضهم بقوله: هو علم يعرف منه أحوال النفس في الخير والشر، وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتها، وتطهيرها من الصفات المذمومة، والرذائل والنجاسات المعنوية، التي ورد الشرع باجتنابها، والإتيان بالصفات المحمودة التي طلب الشرع تحصيلها، وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى والفرار إليه»(٢). اهـ.

وأقول: هو تخلية النفس مما يبعدها عن ربها، وتحليتها بما يقربها إليه(٣)، وربما كان تفخيم الألفاظ والتعبير عنه لتفخيم مقام القائل في عين

---

(١) بياض في الأصل يقارب ثلاث كلمات.

وقد قال القشيري في تعداد تعاريف التصوف: «أنها تربو على الألفين». انظر: الرسالة له (ص٢٧٩)، وانظر: عوارف المعارف، (ص٦٤)، ضمن المجلد الخامس من الأحياء.

(٢) لم أقف عليه في الإحياء.

(٣) والصحيح: أنه طريقة متجددة متغيرة لا تنضبط، مثلها مثل سائر البدع والأهواء، فالهوى لا ضابط له، والبدع قد يكون في بدايتها لها مقاصد شرعية، ولكنها ليست على طريقة شرعية، ولذلك سميت بدعة، ثم بعد ذلك تلحقها الزيادة والنقصان. وهناك التصوف =

السامع.

والصوفية: الطائفة من أهل السلوك، واحدها: صوفي.

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني(١) في الفتح الرباني: «الصوفي: مَنْ صفا باطنه وظاهره بمتابعة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فكلما ازداد صفاءه خرج من بحر وجوده، ويترك إرادته واختياره ومشيئته من صفاء قلبه»(٢). انتهى.

قال شيخ الإسلام: «إنَّ هذا التعبير عن الزهد بالصوفي، حدث في أثناء المائة الثانية؛ لأنَّ لباس الصوف كان يكثر في الزهاد، ومن قال: إنه نسبة إلى

= النظري، وهناك التصوف العملي المسلكي، وهناك صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسوم...

وما ذكره المصنف من تعريف، هو أقرب ما يكون إلى تعريف التوحيد والعبادة، وهو شهادة: ألا إله إلاَّ الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وهذا هو أصل الدين وغايته، وليس هو التصوف المراد تعريفه.

ومن أهل العلم من أطلقه على الزهاد، وعلى من اعتنى بتزكية النفس وأعمال القلوب. ولكن الأولى الالتزام بالألفاظ الشرعية، والبعد عن الألفاظ التي صارت علمًا على منهج بدعي معروف.

(١) هو: الشيخ/ عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست الجيلاني، ولد سنة: (٤٧١هـ). ألف فيه أكثر من ٣٥ كتابًا خاصًا بترجمته، والناس فيه بين مبالغ في الغلو فيه، وبين مبالغ في النيل منه، وتوسط أهل السنة فيه. توفي سنة: (٥٦١هـ). انظر: دراسة الأخ/ فهد السفياني لكتابه قسم الاعتقاد، من: الغنية، (ص٣٦) فما بعدها. وكتاب الشيخ/ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، للدكتور/ سعيد بن مسفر القحطاني.

(٢) المجلس التاسع والخمسون (ص٢٠٧) ط (١٩٧٩م)، مكتبة ومطبعة/ مصطفى البابي الحلبي. وانظر: تعريف الجيلاني له في: الغنية، (٢/ ٥٥٨).

الصفة التي ينسب إليها كثير من الصحابة، ويقال فيهم: أهل الصفة، أو نسبة إلى الصفا، أو الصف الأول، أو صوفة بن مروان بن أد بن طابخة، أو صوفة القفا، فهي أقوال ضعيفة»(١). انتهى. أي: لعدم قياس الاشتقاق في النسبة على الصفا أو الصف أو الصفة، ولكن إلى الصوف كما قرره.

وقال القشيري: «فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، واستظهر أنه كاللقب»(٢).

وأما المتصوفة: فواحدها متصوف، وهو من يتوصل إلى ذلك بالانتماء والانتساب، لا بمعنى المتحقق بذلك الصفاء المفهوم من لفظ الصوفي بغلبة الاستعمال فيه، حتى قيل:

وَلَيسَ يشْهرُ بِالصُّوفي فِي غَيرِ فتى ... صَافي فَصُوفِي حَتَى سُمَي الصُّوفِيُ(٣)

قال القشيري: «وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس

---

(١) انظر قريبًا منه: مجموع الفتاوى، (١٠/ ٣٦٩)، (١١/ ٦)، (١١/ ٢٩)، (١١/ ١٩٥).

(٢) انظر: الرسالة (٢/ ٢١٧)، تحقيق/ عبد الحليم محمود.

(٣) البيت لأبي الفتح البستي؛ علي بن محمد، الكاتب الشاعر المشهور، (ت: ٤٠٠هـ) في بخارى.

انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، (٣/ ٣٧٦).

وقد أورد هذه الأبيات البيروني في تحقيق: ما للهند من مقولة، (ص٣٨)، قال أبو الفتح البستي:

تَنَازَع النَّاسُ في الصُّوفي واخْتَلَفُوا ... قَدمًا وَظَنُّوه مُشْتقًا من الصُّوفِي
وَلَسْتُ أَنْحَلُ هَذا الاسْم غَيْرَ فَتى ... صَافي فَصُوفِي حَتَى سُمِّي الصُّوفِي

وذكره ـ أيضًا ـ أحمد زروق في قواعد التصوف، (ص٦).

الاشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب، فأما قول من قال: إنه من الصوف، وتصوف إذا لبس الصوف، كما يقال: تقمص إذا لبس القميص، ذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، ومن قال: إنهم منسوبون إلى صُفة مسجد رسول الله ﷺ، فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي، ومن قال: إنه من الصفاء، فاشتقاق الصوف من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة، وقول من قال: إنه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى، فالمعنى صحيح، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف»(١) اهـ.

أما هذا العلم فتدور رحاه على تآليف مشهورة، هي ألصق به وأمس بقواعده، خلافًا لبعضها مما يرجع إلى علم الأخلاق، وهي: أعني المشهورة.

كتاب التعرف للكلاباذي(٢). والرسالة للقشيري(٣). والعوارف للسهروردي(٤). ومنازل السائرين للإمام الأنصاري، وهو شيخ الإسلام، أبو

---

(١) الرسالة (٢/ ٢١٧)، تحقيق/ عبد الحليم محمود.

(٢) أبو بكر، محمد الكلاباذي، المتوفى سنة: (٣٨٠هـ)، وكتابه: التعرف لمذهب أهل التصوف، طبع عام: (١٤٠٠هـ)، بدار الكتب العلمية ببيروت، وقبلها عام: (١٣٥٢هـ)، بمطبعة: السعادة بالقاهرة.

(٣) ألفها: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المولود عام: (٣٧٦هـ)، المتوفى سنة: (٤٦٥هـ)، موجهة إلى أهل التصوف؛ يبين لهم حقيقته وأهم أعلامه.

(٤) عوارف المعارف، لأبي حفص عمر بن محمد السهروردي، (ت: ٦٣٢هـ). طبع بدار: المعارف بمصر، بتحقيق/ عبد الحليم محمود، ومحمد بن الشريف، كما طبع في المجلد الخامس ملحقًا بإحياء علوم الدِّين الغزالي، الرسالة الثالثة، تبدأ من (ص٤٢).

إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، الفقيه الحنبلي المفسر الصوفي، المتوفى سنة: (٤٨١هـ)[١]. وهو أحسن ما صنف في هذا الفن، باعتراف القوم، واعتنائهم بوضع شروح عليه.

وضعه في خمسين صحيفة، بكلمات لطيفة في اللَّفظ، خفيفة في الحفظ، ورتبه على مائة مقام، مقسومة على عشرة أقسام[٢]، وجعلها أصولًا وأساسًا لتلك المقامات التي أشار إليها أبو بكر الكناني: «إنَّ بين الحق والعبد ألف مقام من النور والظلمة». فإنها تشير إلى تمامها، وتدل على موافقتها، وقال: «وعندي أنَّ العبد لا يصح له مقام يرتفع عنه، ثم يشرف عليه فيصححه».

وقال فيه: «وجميع هذه المقامات، يجمعها رتب ثلاث، الرتبة الأولى: أخذ القاصد في السير، والثانية: دخوله في الغربة، والرتبة الثالثة: حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد في طريق الفناء»[٣].

وقد شرحه جماعة، منهم: أحمد بن إبراهيم الواسطي، المتوفى سنة: (٧١١هـ). وشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم، المتوفى سنة: (٧٥١هـ)، وسمى شرحه: مدارج السالكين، وهو شرح مبسوط في مجلدين، وعلق عليه أبو طاهر محمد بن أحمد الغيثي، المتوفى سنة: (٧٤٧هـ)[٤].

---

(١) ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥١٣)، وذيل طبقات الحنابلة (١/ ٦٤).

(٢) منازل السائرين، (ص٥).

(٣) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة، (٢/ ١٨٢٨)، وانظر: منازل السائرين ص(٧).

(٤) المصدر نفسه، وهناك شروح كثيرة لهذا الكتاب، منها:

أ- شرح: عبد المعطي اللخمي (ت: ٦٣٨هـ)، يقع في جزء في (٢٣٠) صفحة. =

وينبغي وضع شرح لطيف عليه في قدر حجمه؛ لئلا يخرج عن أصل وضعه، وهو أنه ألفه(١) حين سأله جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق، بأن يرتبها لهم ترتيبًا، يشير إلى تواليها، ويدل على الفروع التي تليها، واختصره ليكون ألطف في اللفظ، وأخف للحفظ. وأسأله تعالى التوفيق لذلك.

وقد أورد الأنصاري في منازله في معنى الرتبة الأولى، حديثًا بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيروا، سبق المفردون**». قيل: يا رسول الله، وما المفردون؟ قال: «**المهترون الذين يهترون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافًا**». وهو حديث حسن، وأخرجه مسلم، ورواه أهل الشام عن أبي أمامة مرفوعًا، ورواه الفريابي عن أبي الدرداء موقوفًا، كما ذكره الأنصاري، وأخرجه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة، كما ذكره السيوطي في جامعه(٢).

= ب- وشرح: كمال الدين الكاشاني، توفي سنة: (٧٣٠هـ)، وهو مطبوع في مجلد، ويقع في (٣٣٩) صفحة، من منشورات دار المجتبى ببيروت لبنان، (١٤١٥هـ).

ج - شرح: محمود الفركاوي، (ت: ٧٩٥هـ)، وهو في (١٥٣) صفحة، من مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية.

د - شرح: محمود الدكزيني، (ت: ٧٤٣هـ).

هـ - شرح: شمس الدين الطوسي، (ت: ٨٩١هـ).

و- شرح: محمد أبو الفيض الحسيني (معاصر)، يقع في (٣٥٦) صفحة، من مطبوعات: دار نهضة مصر، (١٩٨٥م).

(١) يعني: الهروي صاحب المنازل.

(٢) هذا الحديث بهذا السياق ليس في صحيح مسلم.

وفي النهاية: «حديث: «سبق المفردون». قالوا: وما المفردون؟ قال: «الذين اهتروا في ذكر الله تعالى». يعني: أولوا به، يقال: اهتر فلان بكذا، أو استهر، أي: مولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره، وأُهْتِرُو بالبناء للمجهول وبالراء المهملة»[1]. انتهى.

ورواية الترمذي والحاكم بلفظ: «سبق المفردون، المتهترون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافًا».

وأورد الأنصاري في معنى الدخول في الغربة بسنده: حديث علي عن

= أما ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب: الذكر والدعاء، باب: الحث على ذكر الله تعالى، ح (٢٦٧٧) (٤/ ٢٠٦٢)، فحديث أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له: جمدان، فقال: «سيروا، هذا جمدان، سبق المفرِّدون». قالوا: وما المفردون يارسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات».
ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤١١) بنحوه.
وأما ما ذكره المصنف فقد رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٢٣)، والحاكم في مستدركه (١/ ٤٩٥، ٤٩٦)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في الصحيحة، ح (١٣١٧).
ورواه الترمذي في الدعوات ح (٣٥٩٦) (٥/ ٥٧٧)، وقال: «حسن غريب». والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣١٣، ٣١٤)، لكن في إسناد الترمذي والبيهقي عمر بن راشد، قال عنه النسائي: «ليس بثقة». وقال أحمد: «حديثه ضعيف ليس بمستقيم». ولذلك عدَّه الألباني في الضعيفة ح (٢٠١٦)، وقال: «منكر جدًا بهذا التمام».
ورواه الطبراني عن أبي الدرداء كما في مجمع الزوائد، (١٠/ ٧٥) قال الهيثمي: «وفيه: شيخ عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف». وانظر: صحيح الجامع الصغير، ح (١٩٢٥- ٣٥٤٩)، (٣/ ٢١٤)، والضعيفة ح (٣٢٤٠) (٣/ ٢١٣).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٥/ ٢٤٢).

رسول الله ﷺ، قال: «طلب الحق غربة»(١). وقال: «هذا حديث غريب، ما كتبناه غالبًا إلاَّ من رواية علاَّن».

وأورد في معنى الحصول على المشاهدة، بسنده حديث: جبريل في الإحسان. وقال: «وهذا حديث صحيح غريب»، أخرجه مسلم في الصحيح(٢)، وفي هذا الحديث: إشارة لمذاهب هذه الطائفة.

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه ابن عساكر في: التاريخ (٥/ ١٦١/ ١، ٢)، في ترجمة: حمزة بن محمد بن عبد الله الجعفري الطوسي الصوفي. قال الألباني ـ في الضعيفة (٢/ ٢٤٩ـ) برقم: (٨٥٦) ـ: «وهذا إسناد مظلم مسلسل بالصوفية، وغالبهم غير معروفين، ومنهم: حمزة هذا». وقد حكم عليه الأنصاري بالغرابة.

(٢) في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ح (١/ ٣٦).

مطلب
الطريق والطريقة

ومنها: الطريق أو الطريقة، كلاهما عبارة عن السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى، من قطع المنازل والترقي في المقامات، وللسيد محمد مرتضى الزبيدي[(١)] الشهير، رسالة سماها: أبواب السعادة وسلاسل السيادة، ذكر فيها ما ينيف على مائة طريقة، وفصلها على حروف الهجاء، وبين أصولها وفروعها، وما تشعب منها.

وذكر الحبيب عبد الرحمن بن بلفقيه علوي، في: رفع الأستار عن مفتاح الأسرار، الطرائق المشهورة، وعدها إحدى وعشرين طريقة، إلى أن قال: «وليست الطريق إلى الله منحصرة في تلك الطرائق، بل طرق الله على عدد أنفاس الخلائق، فكم فتح الله على عبده في ذكر، وكم قربة في تذكر وفكر، وكم جَذبه إليه في جَذبة وهيبة، فأغنته عن المسالك في كل أمر، فحق العبد أن لا يزال معرضًا عن غير الله، متعرضًا في كل حين لنفحات الله، ومن صحَّ اجتهاده وتحقق على الحق اعتماده، فقد نجح مراده ووضح رشاده، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[(٢)].

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين، ولد بالهند (١١٤٥هـ)، ونشأ في زبيد باليمن، ورحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، وتوفي سنة: (١٢٠٥هـ). ترجمته في: الأعلام (٧/ ٧٠).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: (٦٩).

فليوزع أوقاته ويضبط أنفاسه، ويعمر العمر بالطاعة والعلوم، فيكون التفقه في دين الله همه، وعلوم القرآن والسنة ديدنه ورسمه، والتصوف سره في سريرته وكتمه، ومن حضره الموت عرف قيمة عمره، لو طلب أن يؤخر يومًا لتدارك أمره؛ لبذل الوفاء من يسره وعسره». اهـ.

واعلم: أنَّ أكثر الطرق المتداولة في البلاد الإسلامية، تنتمي إلى إمامها: الجنيد، وقد صار مقبولًا عند أهل الرابعة؛ لأنه تجنَّب طريق أهل الحلول والاتحاد والبدع، وتقيَّد بظاهر الشرع.

فقد قال: «الطريق إلى الله مسدود على خلقه، إلاَّ على المقتفين آثار رسول الله ﷺ»[1].

وقال: «... من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر»[2].

وطريقه دائر على التعليم والتفويض والتبري من النفس، ولذلك قال صاحب جمع الجوامع: «ونعتقد أنَّ طريق الشيخ/ الجنيد، طريق مقوم، ومما لا يضر جهله وتنفع معرفته، فهو قد لازم خاله السري[3]، وصحب

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي، (٢/ ٤١٨)، ومفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، (ص٧١) ط: الجامعة الإسلامية.

(٢) حلية الأولياء (١٠/ ٢٥٥)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٧)، ومفتح الجنة، (ص٧١).

(٣) أبو الحسن، سريّ بن المفلس السقطي، كان زاهدًا عابدًا، توفي سنة: (٢٥١هـ). سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٥).

الحارث المحاسبي[(١)]، وقد كانوا في عصر مأهول بالعلماء وأئمة الحديث فيهم؛ مثل: أحمد بن حنبل وابن راهوية وأبو زرعة، وقد نقموا على الحارث المحاسبي بعض تصوفه وكتبه؛ لشدة شغفهم بالحديث، وتصلبهم على عدم الخوض إلاَّ بما ورد، والوقوف عند الهدي النبوي، وحال الصحابة رضي الله عنهم. ثم حدثت في العصر الذي بعده طبقة توسعت في الكلام، وهكذا في العصر الذي بعده، وهلم جرًا حتى تشعبت الطرق.

وهي منقسمة قسمين في العمل، الذي هو شعارها في مجتمعاتها، ومنه ما هو ذكر جهري، ومنه ما هو ذكر سري في الحلقة بحضرة الأستاذ.

فأهل القسم الأول: كالطريقة الشاذلية.

قال في القاموس[(٢)] ما نصه: «شادل بلدة بالمغرب، أو هي بالذال، منها: السيد أبو الحسن الشاذلي، من صوفية الإسكندرية[(٣)]، وفيهم يقول أبو العباس بن عطاء:

تَمَسَّكْ بِحُبِّ الشَّاذِلِيَّةِ [تَلْقَ] مَا ... تَرُومُ وَحَقِّقْ ذَاكَ مِنْهُم وَحَصِّلِ
لاَ تَعْدُوَنَّ عِينَاكَ عَنْهُم فَإِنَّمَا ... هُم شُمُوسُ هُدَى فِي أَعْيُنِ المتَأَمِلِ

---

(١) أبو عبد الله، الحارث بن أسد البغدادي، كان زاهدًا عابدًا، له تصانيف، ورد عن الإمام أحمد أنه أثنى عليه من وجه، وحذر منه من وجه. توفي سنة: (٢٤٣هـ). سير أعلام النبلاء (١٢/ ١١٠).

(٢) القاموس المحيط، مادة: «ش د ل»، (ص١٣١٦).

(٣) شيخ الطريقة الشاذلية، كانت له أوراد وأدعية كثيرة، تعرف باسم الأحزاب، توفي سنة: (٦٥٦هـ). سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٢٣)، شذرات الذهب (٥/ ٢٧٨).

ورد إلى هذا الديار الحجازية من شيوخها، السيد/ أحمد بن إدريس، فأخذ عنه الأستاذ السيد/ محمد السنوسي، والسيد/ محمد الميرغني، والشيخ/ إبراهيم الرشيدي، فقام كل واحد منهم بطريقة تعزى إليه ليس عند الأولى، من الأذكار الجهرية ما تجتمع عليه، إلاَّ قراءة جماعتها القرآن بصوت واحد، كالذي يسمى: بالجوق.

والثانية: شعارها في مجتمعاتها أوراد وقصائد.

والثالثة: أحدث أهل الصعيد من أتباعها الرقص والغناء، المسمى بالذكر، كما هو معروف لكل أحد.

وأما أهل القسم الثاني: أهل الذكر السرِّي، فهم أهل الطريقة النقشبندية(١)، وقد أحدث بعضهم فيها الذكر المعروف بالرقص والغناء، واتصل إلى أرض جاوى فَرَدَّ عليهم بعضهم سنة: (١٣٠١هـ)، لكن تقوى حزب البعض المحدث بجانب الحكومة، واستحصل فتوى تتضمن حكاية الأقوال عن الرقص والغناء، ومنها: الإباحة بشرط أمرين؛ حصول التواجد، وألا يكون الرقص بالتثني والتكسر، وأوهم احتمال دخول رقصهم في المباح، ورتب عليه عدم الإنكار، وعدم إطلاق التكفير على فاعله، بالنقل عمن حكى الإجماع في التحريم؛ كالطرطوشي وغيره مما سيأتي ذكره، كما نقله جميع المؤلفين في مثل هذا المقام [.....](٢) من المؤاخذة، لذلك توقف بعض النقاد عن الموافقة.

---

(١) منسوبة إلى: خواجه بهاء الدين النقشبندي، الذي ذكرت له حكايات وأحوال عجيبة، توفي سنة: (٧٩١هـ). انتشرت في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية.

(٢) مقدار خمس كلمات، غير ظاهرة.

الأسئلة المؤلف لها هذه الرسالة

وهذه صورة ما سُئلت فيه من بعض الإخوان المشار إليه في الخطبة:

١- هل ما يذكره أهل الطرق المعروفة في زماننا، من أسانيد طرقهم عن الإمام علي كرم الله وجهه(١)، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل عن الله تعالى، معتبر عند أهل الحديث أم لا؟

٢- هل الاجتماع في المساجد والبيوت للذكر المعروف في زماننا، برفع الأصوات والتمايل والرقص والتصفيق، جائز بلا كراهة أم لا؟

٣- هل الأحاديث التي استدل بها أهل الطرق على جواز الاجتماع للذكر، منها: قوله ﷺ: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**»، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «**حلق الذكر**». هل هي صحيحة أو لا؟

٤- هل نسبة ذلك إلى أهل الصُّفّة الذين كانوا في مسجد النبي ﷺ صحيحة، أم لا، وما وظيفة أهل الصُّفّة، وما وجه تسميتهم بهذا الاسم؟

---

(١) الأولى الترضي عن علي رضي الله تعالى عنه، وعن بقية الصحابة رضي الله عن الجميع، وهذا ظاهر القرآن: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. وغيرها من الآيات، وهو ما سار عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم، أما تخصيص علي رضي الله عنه بالتكريم أو بالسلام، فهذه غزت الكتّاب وبعض العلماء من الشيعة والرافضة، فلذا ينبغي عدم مجاراتهم في ذلك التخصيص. والله أعلم.

٥- هل ورد الذكر بالاسم المفرد، كلفظ الجلالة المفرد، أو (هو)، اسم ضمير، أو (حق)، أو (قيوم)، وهل يجوز إخراج الاسم الجلي من الصدر كما هو مشاهد؟

٦- هل الذين يعطون الدراهم لجمع الناس على الذكر الموصوف، أو مناقب الأولياء؛ كمناقب الجيلاني وغيره، مع اجتماع المردان وغير ذلك من المنكرات، مثابون على ما أنفقوه من الدراهم، وهل يُعَدُّ ذلك صدقة وفعل خير أم لا؟

الفصل الأول

في إسناد الخرقة والتلقين، وطريق الصوفية وطريق المحدثين

قال السائل: هل ما يذكره أهل الطرق المعروفة في زماننا، من أسانيد طرقهم عن الإمام علي كرم الله وجهه، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل عن الله تعالى، معتبر عند أهل الحديث؟

أقول: أكثر الأسانيد التي يوردها القوم من رجالهم، وقد أدرجها بعض أهل الإثبات باسم: المسلسل بالصوفية، ولبس الخرقة والتلقين، تبركًا بذكر الصالحين ومتابعة بعضهم، ونظرًا منهم إلى أنه لا يترتب عليها إلاَّ إظهار شعار الفقر، والتلقين ومرجعه إلى الذكر بلا إله إلاَّ الله.

كما ذكر حديثه في: ريحان القلوب، الشيخ/ يوسف الكوراني، بسند ساقه إلى الحسن البصري، عن علي رضي الله عنه، أنه سأل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، دلني على أقرب الطرق إلى الله، وأسهلها على عباده، وأفضلها عند الله تعالى؟ فقال: **«يا علي، عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات»**. فقال علي: هكذا فضيلة الذكر، وكل الناس ذاكرون، فقال ﷺ: **«يا علي، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله»**، فقال النبي ﷺ: **«لا إله إلاَّ الله»**، ثلاث مرات، مغمضًا عينيه رافعًا صوته، وعلي يسمع، ثم قال علي رضي الله عنه: لا إله إلاَّ الله ثلاث مرات، مغمضًا عينيه رافعًا صوته، والنبي ﷺ يسمع، ثم لقن علي الحسن، وهو لقن حبيبًا العجمي[1]، وهلم جرًا، إلى

(١) حبيب بن عيسى العجمي، أبو محمد البصري، صحب الحسن، ذكره ابن حبان في =

آخر السند الذي أورده الشيخ فالح الظاهري(١)، عن شيخه الأستاذ السيد/ محمد السنوسي(٢)، في لبس الخرقة بطريق الشاذلية، وقال: ألبسني طاقيته تناولها من رأسه ووضعها على رأسي. اهـ.

وقد أخذ عن حبيبٍ داودُ الطائي، وعنه السري السقطي، وعنه الجنيد، وجميع طرق الخرق تنتهي إليه كما ذكروه.

فالقوم قد حكوا عن أنفسهم بسند رجالهم، لخاصتهم من غير التزام طريقة المحدثين، وأسانيدهم المعروفة في كتب الرجال، كما لا يخفى على أحد، ولم يخرج حديث التلقين المذكور أحد من المحدثين، حتى السيد/ محمد مرتضى الزبيدي على سعة اطلاعه، ذكره عن الكوراني، ولم يعرف له مخرجًا.

فهذا الجواب يكفي السائل عن ذلك، وربما رغب في نقل كلام أهل الحديث، في رواية الحسن البصري عن الإمام علي، وهذا مما شاع وذاع وملأ الأسماع والبقاع، حتى ألف فيه بعضهم.

ومن آخر المحدثين العلامة القاضي/ محمد بن علي الشوكاني، قال

= الثقات (٦/ ١٨٠). وقال الذهبي - في الميزان (٧/ ١٩٣) -: «لم يجرح». وقال الحافظ - في التقريب (١/ ١٥٠) -: «ثقة عابد من السادسة».

(١) فالح بن محمد الظاهري، شيخ المصنف، كانت وفاته بالمدينة عام: (١٣٢٨هـ). انظر: رسالة أبوبكر خوقير وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف، للأخ/ بدر الدين ناظرين، (ص٦٦). وانظر: الأعلام (٧/ ٣٢٦)، وأعلام المكيين (٦٤٨).

(٢) محمد بن علي السنوسي، قدم مكة، وكانت له حلقة بالمسجد الحرام، كانت وفاته سنة: (١٢٧٦هـ). انظر: أعلام المكيين (ص٥٤١، ٥٤٢).

في كتابه: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: «حديث: أنَّ النبيَّ ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية، باطل لا أصل له.

قال ابن حجر: لم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف، أنَّ النبيَّ ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحدًا من الصحابة، ولا أمر أحدًا من أصحابه أن يفعل ذلك، وكلُّ ما يروى في ذلك صريحًا فهو باطل.

وقال: من المُفْتَرَى أنَّ عليًا ألبس الخرقة الحسن البصري؟! فإنَّ أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعًا، فضلًا عن أن يلبسه الخرقة.

وقد صرح بمثل ما ذكره جماعة من الحفاظ؛ كالدمياطي والذهبي وابن حبان، والعلائي والعراقي وابن ناصر»[1] اهـ.

وقال الملاَّ علي القاري في: الموضوعات، في حرف اللام: «لبس الخرقة الصوفية، وكون الحسن البصري لبسها من علي، أطبق المحدثون على أنه لا أصل له»[2] اهـ.

وقال في آخرها: «وما يذكره بعضهم: من أنَّ الحسن البصري لبس الخرقة من علي باطل، مع أنَّ الحسن لم يسمع من علي، ولم يرد في خبر ضعيف أنه ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية، ولا أمر لأحد من أصحابه، ولا أمر أحدًا منهم بفعلها، وكلّ ما يروى في ذلك صريحًا باطل، ذكر ذلك الأئمة المتأخرون من المحدثين.

---

(١) (ص٢٥٣)، ح (١٠٦)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي.

(٢) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، (ص١٤٤).

نعم لبسها وألبسها جمع منهم؛ تشبهًا بالقوم وتبركًا بطريقتهم، إذ وروده لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كميل بن زياد، وهو صحب عليًا رضي الله عنه اتفاقًا، وفي بعض الطرق اتصالها بأويس القرني، وهو قد اجتمع بعمر وعلي رضي الله عنهما، وكذا ما اشتهر بينهم: من أنَّ النبيَّ ﷺ أوصى عمر وعليًا بخرقته لأويس، وأنهما سلماها إليه، وأنها وصلت إليهم مع أويس، وهلم جرًا... فلا أصل له أيضًا»[١]. اهـ.

وقال الحافظ السخاوي في: المقاصد الحسنة ما نصه: «حديث خرقة الصوفية، وكون الحسن البصري لبسها من يد علي بن أبي طالب، قال ابن دحية وابن الصلاح: إنه باطل، وكذا قال شيخنا»[٢].

وذكر ما نقله الشوكاني عنه[٣]، ثم قال: «ولم ينفرد شيخنا بهذا، بل سبقه إليه جماعة ممن لبسها وألبسها؛ كالدمياطي والذهبي والهكاري، وابن حبان والعلائي والمعلاطي، والعراقي وابن الملقن والأنباسي، والبرهان الحلبي وابن ناصر الدين»[٤].

ثم قال بعد ذلك: «وإنكاري لحديثها مع إلباسي إياها لجماعة من أعيان الصوفية؛ امتثالًا لإلزامهم لي ذلك، حتى تجاه الكعبة المشرفة؛ تبركًا بذكر الصالحين، واقتفاء بمن أثبته من الحفاظ المعتمدين»[٥].

---

(١) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، (ص١٦٨، ١٦٩).

(٢) يعني: الحافظ ابن حجر.

(٣) أي: عن ابن حجر. كما تقدم في الصفحة السابقة.

(٤) المقاصد الحسنة، (ص٣٢١) ح(٨٥٢).

(٥) المصدر السابق.

وقال الإمام شمس الدين ابن الجزري[١]، بعد سوق سند لبس الخرقة من طريق الحسن البصري عن علي: «كذا وصلت إلينا خرقة الصوف من طريق القوم، وأهل الحديث لا يعرفون للحسن البصري سماعًا من علي[٢] رضي الله عنه»، كما نقله عنه السيوطي، ولكنه ألف رسالة سماها: اتحاف الفرقة بوصل الخرقة. أثبت فيها معاصرة الحسن للإمام علي ورؤيته له، وعمره نحو أربع عشرة سنة، وروايته عنه من طريق الترمذي والنسائي، والإمام أحمد والحاكم والضياء المقدسي، وأبي نعيم والدارقطني وأبي يعلى والطحاوي، ونقل بعضهم عن الذهبي: أنَّ الحسن البصري روى عن عثمان وعلي وعمران بن الحصين، ومعقل بن يسار وأبي بكرة وأبي موسى الأشعري، وابن عباس وعمرو بن تغلب، وجندب وعبد الله بن عمر. ولم يذكر روايته عن حذيفة بن اليمان، فهو يدل على ضعف ما رواه الكلاباذي من الحديث السابق.

وتلخص من ذلك: أنَّ أكثر المحدثين جار على إنكار سماع الحسن من الإمام علي، ومن قال بسماع الحسن منه لا يقول بلباس الخرقة والتلقين، إلاَّ إذا صحَّ السند إليه[٣]، ولا يلزم من ثبوت السماع الذي هو أمر عام، ثبوت

---

(١) شمس الدين أبو القاسم، الحسين بن أبي الغنائم التغلبي الجزري، مسند الشام، وولي القضاء بها، وتوفي في سنة: (٦٢٦هـ). سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٨٣).

(٢) قال المزي ـ في تهذيب الكمال (٦/ ٩٧) ـ: «رأى علي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، وعائشة، ولم يصح له سماع من أحد منهم». وقال همام بن يحيى عن قتادة: «والله ما حدثنا الحسن عن بدري مشافهة». المصدر نفسه (٦/ ١٢٢).

(٣) قال شيخ الإسلام ـ في منهاج السنة (٨/ ٤٤) ـ في كلامه على إسناد الخرقة: «وفيها: أنَّ =

الخاص بهيئة اللبس وكيفية التلقين، وإذا حكم على السند بالاتصال والرفع، فالظاهر أنه لا يخرج عن الحكم عليه بالضعف؛ لأنَّ الحافظ ابن حجر ذكر في: تقريب التهذيب، في ترجمة الحسن ما نصه: «ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرًا ويدلس»[١]. اهـ.

وقال العراقي: «مراسيل الحسن البصري عند المحدثين شبه الريح».

وقد ذم التدليس أكثر العلماء، وهو مكروه جدًا، ومن عُرِفَ به فهو مجروح عند جماعة، لا تقبل روايته مطلقًا، وبعضهم فَصَّل في ذلك[٢]، كما يعلم من مصطلح الحديث.

فلا مفرَّ من الحكم عليه بالضعف على سبيل التنازل في سماع الحسن من الإمام علي، وقد ذُكر أنه لا يجوز العمل بالضعيف إلاَّ بثلاثة شروط:

الأول: أن لا يشتد ضعفه.

= الحسن صحب عليًا، وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة؛ فإنهم متفقون على أنَّ الحسن لم يجتمع بعلي، وإنما أخذ عن أصحاب علي... والحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وقتل عثمان وهو بالمدينة، كانت أمه أمة لأم سلمة، فلما قتل عثمان حمل إلى البصرة، وكان علي بالكوفة، والحسن في وقته صبي من الصبيان لا يعرف ولا له ذكر».
وقد توسع شيخ الإسلام في منهاج السنة (٨/ ٤٧)، في نقد إسناد الخرقة، وقال: «وقد كتبت أسانيد الخرقة؛ لأنه كان لنا فيها أسانيد، فبينتها ليعرف الحق من الباطل».

(١) (٢/ ١٦٥). وتكملة النص: «قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم، فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا... يعني: قومه الذين حدَّثوا وخطبوا بالبصرة...».

(٢) عدَّه الحافظ ابن حجر من الطبقة الثانية من المدلسين، وهم من احتمل الأئمة تدليسه، وأخرجوا له في الصحيح؛ لإمامته وقلة تدليسه في جنب ما روى. انظر: تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، (ص٥٦).

الثاني: أن يندرج تحت أصل عام.

الثالث: أن لا تعتقد سنيته.

ولك أن تقول: إنَّ أصل اللبس وارد، فقد ألبس النبي ﷺ عليًا وابن عوف العمامة، وأرخى للأول طرفها وللثاني طرفيها، وألبس عباسًا وولده كساء ودعا لهم، كما هو معروف عند المحدثين من طرق تؤيد الرواية عن الحسن البصري، من غير التزام الهيئة المعروفة والاجتماع لها، فذلك راجع إلى استحسان الشيوخ، قاصدين بالخرقة ربط الصحبة بأولياء الله وإظهار شعار الفقر، وقد نقلنا لك إلباس الأستاذ/ السنوسي طاقيته لتلميذه الشيخ/ فالح المدني.

ولك أن تقول: إنَّ حديث التلقين السابق له شاهد؛ وهو يؤيده ما رواه البزار والطبراني والإمام أحمد والحاكم، عن يعلى بن شداد بن أوس، وعبادة حاضر فصدقه، وقال: بايعنا رسول الله ﷺ فقال: «**فيكم غريب؟**». يعني: أهل الكتاب، فقلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب، فقال: «**ارفعوا أيديكم فقولوا: لا إله إلاَّ الله**»، فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال: «**اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد**»، ثم قال: «**أبشروا فإنَّ الله قد غفر لكم**»[(١)].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٩)، والبزار في مسنده (٧/ ١٥٦)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ١٥٨).

قال الهيثمي ـ في مجمع الزوائد (١٠/ ٨١) ـ عن إسناد أحمد: «فيه: راشد بن داود، وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات». وقال الحافظ ـ في التقريب (ص٢٠٤) ط. عوامه ـ عن راشد: «صدوق له أوهام».

قال البزار: «وهذا لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد، ولم يوجد في رواية بعضهم: بايعنا رسول الله ﷺ. هكذا نقله بعض أهل الطريق». وقال: «وهذا الحديث أصل لتلقين مشايخ الطريقة الذكر لجماعة من المريدين، وفي التحفظ عن الأجنبي عن طريقتهم فيما يخصهم، وكان السبب في عدم شهرة اللبس والتلقين عند أوائل أهل الحديث؛ أنَّ هذا أمر خاص لخواص من أهل سلوك طريق العزيمة الذين يميلون إلى ستر أحوالهم وأعمالهم، وليس كرواية الأحاديث ونقل الأحكام الشرعية المطهرة، المراد بها العموم حتى يشتهر»(١).

وقد تقدم في المقدمة: أنَّ أمر الدِّين لا خصوصية فيه لأحد، واستحضار عظمة الله بالمراقبة، وتدبّر معنى كلمة الإخلاص، هو المقصود من التلفظ بها، مما يتأكد على كل ذاكر حضور قلبه عند الذكر، وتصور معنى ما ينطق به، وليس له من الثواب إلاَّ بمقدار ما عقل منه، ولا خصوصية فيه لخاصة على عامة، ولا تكتم فيه، ولو كان خاصًا بخواص الصدر الأول لتوفر النقل بينهم بذلك، ولم يكن شعار الفرقة من الخواص دون أخرى، مع أنَّ سائر مشايخ الطريق يقبلون من أراد الدخول فيها، ولو من العامة، فضلًا عن الخاصة.

نعم إنَّ بعضهم يستصعب تسليك أهل العلم الظاهر، ويقول: إن العلم حجاب. وقد تقدم الرد على من يقول ذلك، إلا إن أراد الصعوبة من جهة رؤيا العالم لنفسه، وامتيازه به على غيره إلى درجة لا تنبغي.

---

(١) لم أقف عليه.

وقد صار شعار أهل الطريق إلباس الخرقة والتلقين(١)، مع اختلاف في الكيفية، وبعضهم يضيف المبايعة تشبهًا بالمبايعات النبوية(٢)، ويفرضون أنها خلافة باطنية، وليتهم وقفوا عند الحد الشرعي الذي وقف عنده سلفهم؛ الجنيد ونافح عنه، فارتفع صيته بإعلانه متابعة الكتاب والسنة، والمحدثون يسلكون الطريقة العمرية في حسم الأمور البدعية بالتمسك بالسنة، فقد يتولد من البدعة الواحدة ألوف؛ انظر: إلى أبي حفص أمير المؤمنين عمر، لما سمع الرجل يقول: «لبيك يا ذا المعارج»(٣) علاه بالدرة.

قال الإمام الشوكاني: «لست أحب لمن أراد القرب إلى الله، والفوز بما لديه، والظفر بما عنده، أن يتسبب إلى ذلك بسبب خارج عنهما؛ من رياضة أو مجاهدة أو خلوة أو مراقبة، أو يأخذ عن شيخ من شيوخ الطريقة الصوفية

---

(١) قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (٨/ ٤٧): «وقد عُقِل بالنقل المتواتر: أنَّ الصحابة لم يكونوا يُلبسون مريديهم خرقة، ولا يقصون شعورهم ولا التابعون».

(٢) هذه من البيعات البدعية، أما البيعة في الإسلام فهي معروفة؛ منها: ما يكون على الإسلام. ومنها: ما يكون على الجهاد والنصرة والمنعة. ومنها: ما يكون على السمع والطاعة للإمام. ومنها: ما يكون على الهجرة. وليس فيها مبايعة التلميذ لشيخه.
انظر: تفصيل ذلك وأدلته: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، (ص٢٠٠) فما بعدها.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٠٤)، وأحمد في مسنده (١/ ١٧١)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ٤٥)، وأبو يعلى (٢/ ٧٧)، والبزار (٤/ ٧٧)، والدارقطني في العلل (٤/ ٣٨٥): أنَّ سعدًا سمع رجلًا يقول: لبيك ذا المعارج، فقال: إنه لذو المعارج، ولكنا كنا مع النبي ﷺ لا نقول ذلك.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٢٣): «رجاله رجال الصحيح، إلاَّ أن عبد الله لم يسمع من سعد بن أبي وقاص».

شيئًا من الاصطلاحات الموصلة عندهم، بل يطلب علم الكتاب والسنة، ويأخذهما عن العلماء المتقنين المؤثرين لهما على غيرهما، المتجنبين لعلم الرأي وما يوصل إليه، النافرين عن التقليد وما يحمل عليه، فإنه إذا فعل ذلك سلك مسلك النبوة، وظفر بهدي الصحابة، وسلم من البدعة كائنة ما كانت، فعند ذلك يُحمد مسراه، ويُشكر مسعاه، ويفوز بخير أولاه وأخراه...»[١].

وقال فيه ـ في الكلام على الطائفة المدعوة بالمتصوفة ـ: «فقد كان أول هذا الأمر يطلق هذا الاسم على من بلغ في الزهد والعبادة، إلى أعلى مبلغ، ومشى على هدي الشريعة المطهرة، وأعرض عن الدنيا وصَدَّ عن زينتها، ولم يغتر ببهجتها، ثم حدث أقوام جعلوا هذا الأمر طريقًا إلى الدنيا، ومدرجًا إلى التلاعب بأحكام الشرع، ومسلكًا إلى أبواب اللهو والخلاعة، ثم جعلوا لهم شيخًا يعلمهم كيفية السلوك، فمنهم من يكون مقصده صالحًا وطريقته حسنة، فيلقن أتباعه كلمات تباعدهم من الدنيا وتقربهم من الآخرة، وينقلهم من رتبة إلى[٢] رتبة، على أعراف يتعارفونها، ولكنه لا يخلو غالب ذلك من مخالفة للشرع، وخروج عن كثير من آدابه. والخير كل الخير في الكتاب والسنة، فما أخرج عن ذلك فلا خير فيه، وإن جاءنا أزهد الناس في الدنيا أرغبهم في الآخرة، وأتقاهم لله وأخشاهم له في الظاهر، فإنه لا زهد لمن لم يمش على الهدي النبوي، ولا تقوى ولا خشية لمن لم يسلك الصراط السوي؛ فإنَّ الأمور لا تكون طاعات بكثرة التعب فيها وإيقاعها على

---

(١) انظر: آداب الطلب للشوكاني (ص١٧٢). وفي الأصل يظهر أنها مضروب عليها، لكن الكلام مستقيم، ولا أرى حاجة للضرب عليها. والله أعلم.

(٢) في الأصل: «على».

أبلغ الوجوه، بل الطاعة ما وافق السنة.

واعتبر بالخوارج، فإنه قد وصفهم النبي ﷺ بما وصف، من تلك العبادات والمجاهدات، التي لا تبلغ عبادتنا ولا مجاهدتنا إلى شيء منها، فقال ﷺ: «إنها لا تجاوز تراقيهم». وقال ﷺ: «إنهم يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية»[١]. وقال ﷺ: «إنهم كلاب النار»[٢]. فكانت تلك الطاعات الصورية من الصلاة والصوم والتهجد والقيام، هي نفس المعاصي الموجبات للنار، وهكذا كل من رام الطاعة على غير الوجه المسنون، فإنه ربما يلحق بالخوارج؛ بجامع وقوع ما أطاعوا الله تعالى به على غير ما شرعه لهم.

وإني لأخشى أن يكون من هذا القبيل، ما يقع من كثير من المتصوفة، من فرارهم عن زينة الدنيا مع ما يلازمونه من وظائف التخشع والانكسار، والتلهف والتأسف والصراخ تارة، والهدوء أخرى، والرياضات والمجاهدات، وملازمة أذكار لم ترد في الشرع، على صفات لم يأذن بها الله عز وجل، مع ملازمة تلك الثياب الخشنة الدرنة، وغير ذلك من الخرافات التي لو كان فيها أدنى خير، لكان رسول الله ﷺ وأصحابه الذين هم خير القرون، أولى بها.

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، في كتاب: الأدب ح(٦١٦٣) (١٠/ ٥٥٢)، ومسلم في الزكاة ح (١٠٦٤) (٢/ ٧٤٤). وأحمد في المسند (٣/ ٦٥) وغيرهم.
وللتوسع في التخريج، انظر: تخريج كتاب: الشريعة للآجري، ح (٣٩) (١/ ٣٣٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف، ح (١٨٦٦٣) (١٠/ ١٥٢)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٥٣)، والترمذي في التفسير ح (٣٠٠٠) (٥/ ٢٢٦)، وقال: «حديث حسن». وابن ماجه (١٧٦) (١/ ٦٢)، من حديث: أبي غالب أنه سمع أبا أمامة به، وإسناده حسن.
انظر: تخريج الشريعة، ح (٥٨) (١/ ٣٦٤)، وح (٦١) (١/ ٣٧٠).
وله شاهد من حديث: سعيد بن جهمان، وآخر من حديث: ابن أبي أوفى.

ولا أنكر أنَّ في هذه الطائفة من قد بلغ في تهذيب نفسه، وغسلها من الطواغيت الباطنة، والأصنام المستورة عن الناس؛ كالحسد والكبر والعجب والرياء، ومحبة الثناء والشرف والمال والجاه، مبلغًا عظيمًا، وارتقى مرتقى جسيمًا، ولكني أكره أن يتداوى بغير الكتاب والسنة، وأن يتطبب بغير الطب الذي اختاره الله تعالى لعباده، فإنَّ في القوارع القرآنية والزواجر المصطفوية، ما يغسل كل قذر، و[يدحض][(١)] كل درن، ويدفع كل شبهة، فأنا أحب لكل عليل في الدين، أن يتداوى بهذا الدواء، فيعكف على تلاوة كتاب الله متدبرًا له متفهمًا لمعانيه، باحثًا عن مشكلاته، سائلًا عن معضلاته، ويستكثر من مطالعة السيرة النبوية، ويتدبر ما كان ﷺ يفعله في ليله ونهاره، ويتفكر في أخلاقه وشمائله وهديه وسمته، وما كان عليه أصحابه، وكيف كان هديهم في عباداتهم ومعاملاتهم، فإنه إذا تداوى بهذا الدواء، ولاحظته العناية الربانية، وجذبته الهداية الإلهية، فاز بكل خير، مع ما له من الأجر الكثير، والثواب الكبير في مباشرة هذه الأسباب.

وإذا حال بينه وبين الانتفاع بهذه الأمور حائل، ومنعه من الظفر بما يترتب عليها مانع، فقد نال بتلك الأسباب التي باشرها أجرًا عظيمًا؛ لأنه طلب الخير من معدنه، ورام نيل الرشد من موطنه، فكان له في ذلك الاشتغال من الأجر لطلبه علم الشرع.

فانظر كم بين هذين الأمرين من طول المسافة، فإنَّ طالب الرشد بغير أسبابه الشرعية، لا يأمن على نفسه بعد الوصول إلى مطلوبه، من أن يكون صنعه كصنع الخوارج في خسرانهم بما ظنوه ربحًا، ووقوعهم في الظلمة

---

(١) في الأصل: «يرحض».

وقد كانوا يظنون أنهم يلاقون صبحًا؛ لأنهم خالفوا الطريقة التي أرشد الله عباده إليها، وأمرهم بسلوكها.

وإذا كان هذا الأمر مجوزًا في طلبه الخير، من غير طريق الشرع، لصلحاء الصوفية الذين لا رغبة لهم في غير تهذيب أخلاقهم، على وجه يوجب زهدهم فيما ترغب النفوس إليه، وتتهالك الطبايع البشرية عليه، فما ظنك بمن كان من متصوفة الفلاسفة، الذين يدورون بمرقعاتهم وأبدانهم القشفة، وثيابهم الخشنة، ووجوههم المصفرة، حول ما يقوله الفلاسفة من تلك المقالات، التي هي ضد للشرع وخلاف له، وينهقون عند إدراك شيء من تلك المعارف الشيطانية، نهيقًا منكرًا، ويسمون ذلكم حالًا، وهو عند التحقيق حال حائل، وخيال مائل عن سبيل المؤمنين.

وللرد على هؤلاء جمعت الرسالة التي سميتها: الصوارم الحداد[1]، وهي من المجموعات التي جمعتها في أيام الحداثة وأوائل الشباب.

وبعد هذا كله، فلست أجهل أنَّ في رجال هذه الطائفة المسماة بالصوفية، من جمع الله له بين الملازمة لهذه الشريعة المطهرة، والمشي على الطريقة المحمدية والصراط الإسلامي، مع كونه قد صار من تصفية باطنه، من كدورات الكبر والعجب والحسد والرياء ونحوها، بمحل يتقاصر عنه غيره، ويعجز عنه سواه، ولكني في هذا المصنف ــ أي: أدب الطالب ــ بسبب

---

(١) لم أجده مذكورًا في مؤلفاته (ص٣٦)، في مقدمة كتاب: الفتح الرباني له، للباحث/ محمد صبحي بن حسن حلاق، فلعله قد فاته، خاصة وأنه قد نص على اسمه، وذكر أنه ألفه في أيام الحداثة وأوائل الشباب.

الإرشاد إلى العمل بالكتاب والسنة، والتنفير عما عداهما كائنًا ما كان، فلست أحب لمن أراد القرب إلى الله، والفوز بما لديه، والظفر بما عنده، أن ينتسب إلى ذلك بسبب خارج عنهما، من رياضة أو مجاهدة أو خلوة أو مراقبة، أو يأخذ عن شيخ من شيوخ الطريقة الصوفية شيئًا من الاصطلاحات الموصلة عندهم، بل يطلب علم الكتاب والسنة ويأخذهما عن العلماء المتقنين لهما، المؤثر لهما على غيرهما، المتجنبين لعلم الرأي وما يوصل إليه، النافرين عن التقليد وما يحمل عليه، فإنه إذا فعل ذلك سلك مسلك النبوة، وظفر بهدي الصحابة، وسلم من البدع كائنة ما كان، فعند ذلك يُحمد مسراه ويُشكر مسعاه، ويُفوز بخير أولاه وأخراه[١]. وإلى هنا انتهى الكتاب. اهـ.

فهذه طريقة أهل الحديث، وقد توسط العلامة ابن القيم، فشرح كتاب: منازل السائرين للأنصاري، الشهير بين أهل الفقه والحديث والتصوف، فسلك في شرحه مدارج السالكين ما أخذ بقلوب السامعين، وكل من نظر فيه يحكم بأنه تصوف الكتاب والسنة، وهو تحت الطبع ولله الحمد[٢].

وألَّف الحافظ ابن الجوزي كتابًا على طراز الإحياء للغزالي[٣]، واختصره الموفق ابن قدامة، وسماه: منهاج القاصدين[٤]، وهو نفيس إلى الغاية.

---

(١) أدب الطالب للشوكاني، (١٧٢، ١٧٥). نشر مركز: الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء (١٩٧٩م).

(٢) وقد طبع ــ ولله الحمد ــ بتحقيق الشيخ/ محمد حامد فقي، ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات.

(٣) وسماه: منهاج القاصدين، اختصره من الإحياء.

(٤) المشهور في اسمه: مختصر منهاج القاصدين، وقد طبع عدة طبعات.

الفصل الثاني

في حكم الذكر المعروف بالرقص وغيره عند الصوفية والمذاهب الأربعة

قال السائل: هل الاجتماع في المساجد والبيوت، للذكر المعروف في زماننا برفع الأصوات والتمايل والرقص والتصفيق، جائز بلا كراهة في الشرع؟

صفة مجلس رسول الله ﷺ:

أقول: قبل ذكر نصوص المذاهب الأربعة، أذكر لكم صفة مجلس رسول الله ﷺ، وأستشهد بكلام القوم، فقد كان مجلسه ﷺ مع أصحابه، كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، وكان يتخولهم بالمواعظ(١) والتعليم على مقتضى عادتهم، وكان يأمر بعضهم بقراءة شيء من القرآن أحيانًا، يأمر

---

(١) كما في صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: (١١) و (١٢). وفي مسلم في صحيحه، في كتاب: صفات المنافقين، باب: الاقتصاد في الموعظة، ح (٢٨٢١) (٤/ ٢١٧٢، ٢١٧٣).

وفيه: أنَّ عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ كان يذكرهم كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، إنا نحب حديثك ونشتهيه، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم، فقال: ما يمنعني أن أحدثكم إلاَّ كراهية أن أملكم، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام؛ كراهية السآمة علينا. اهـ لفظ مسلم، وأخرجه الترمذي في الأدب (٧٢)، وأحمد في المسند (١/ ٣٧٧).

تارةً أبا موسى الأشعري(١)، وتارةً عبد الله بن مسعود(٢)، وروي عنه أنه خرج على أهل الصُّفَّة، وفيهم واحد يقرأ، والباقي يستمعون فجلس معهم(٣). وكذا كان أصحابه إذا اجتمعوا أمروا واحدًا منهم يقرأ والباقي يستمعون، وكان عمر يقول لأبي موسى: ذكرنا ربنا(٤) فيقرأ وهم يستمعون، فهذا السماع الذي كان يشهده ﷺ مع أصحابه، ويستدعيه منهم، وله آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية، ما يطول شرحها ووصفها، وله في الجسد آثار محمودة؛ من خشوع القلوب، ودموع العين، واقشعرار الجلد، كما هو مذكور في القرآن(٥).

---

(١) كما في الصحيحين، من حديث: أبي موسى، أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة». البخاري (٩/ ٨١)، ومسلم ح (٧٩٣). وظاهره أنه لم يأمره بالقراءة ليستمع إليه، ولكنه ﷺ سمعه يقرأ في الليل ـ وقد يكون في صلاة ـ فاستمع له النبي ﷺ من غير علم أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) كما في صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: من أحب أن يستمع القرآن من غيره، (٩/ ٨١)، من حديث: عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآن»، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «فإني أحب أن أسمعه من غيري».

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٩٦)، وأبو داود في الشهادات، باب: في القصص، ح (٣٦٦٦) (٣/ ٣٢٣)، وأبو يعلى ح (١١٥١) (٢/ ٣٨٢). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ح (٤٠) (١/ ٨).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، ح (٤١٧٩) (٢/ ٤٨٦)، والدارمي في السنن، ح (٣٤٩٣،٣٤٩٦) (٢/ ٥٦٤)، وابن حبان في صحيحه، ح (٧١٩٦) (١٦/ ١٦٨)، بإسناد منقطع.

(٥) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]. وانظر: مختصر الفتاوى المصرية، (ص٥٩٢).

وهذه الصفات موجودة في الصحابة، ووجدت بعدهم آثار ثلاثة؛ من الاضطرابات والصراخ والإغماء والموت في التابعين.

قال الإمام السهروردي في العوارف: «وكثيرًا ما يغلط الناس في هذا، كلما احتج عليهم بالسلف الماضين يحتج بالمتأخرين، وكان السلف أقرب إلى عهد رسول الله، وهديهم أشبه بهدي رسول الله، وكثير من المتأخرين يتسمح عند قراءة القرآن بأشياء من غير غلبة

قال عبد الله بن عروة بن الزبير: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قريء عليهم القرآن؟

قالت: كانوا كما وصفهم الله؛ تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم. قال: قلت: إنَّ ناسًا اليوم إذا قريء عليهم القرآن خرَّ أحدهم مغشيًا عليه؟! قالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»(١).

وروي أنَّ عبد الله بن عمر، مرَّ برجل من أهل العراق يتساقط، فقال ابن عمر: «إنا نخشى الله وما نسقط. إنَّ الشيطان يدخل في جوف أحدهم، ما هكذا كان يصنع أصحاب الرسول ﷺ!». وكذا رواه ابن أبي شيبة، والبغوي في معالم التنزيل(٢).

---

(١) عوارف المعارف، (ص١١٩)، ضمن المجلد الخامس ملحق الإحياء.
وأثر عبد الله ابن الزبير رواه سعد بن منصور في سننه، (٢/ ٣٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان، ح: (٢٠٦٢) (٢/ ٣٦٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٢٢)، لابن مردويه، وابن أبي حاتم، وابن عساكر. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٣)، والقرطبي في الجامع (١٥/ ٢٤٩).

(٢) (٤/ ١٣). وذكره في البحر المحيط (٧/ ٤٢٣)، والقرطبي (١٥/ ٢٤٩).

وقال في العوارف: ـ وذكر عن ابن سيرين الذين يُصْرَعون إذا قرئ القرآن، قال ـ: «بيننا وبينهم أن يقعد واحد منهم على ظهر بيت باسطًا رجليه، ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق»(١). انتهى.

ولم ينقل عنه ﷺ ولا عن أصحابه ولا عن التابعين، مثل اجتماع أهل زماننا، على ما يسمونه من الذكر بالرقص والتصفيق، وإنشاد الشعر بالغناء، مع تغيير الصوت ورفعه، ولم يحدث إلاَّ بعد القرون الفاضلة، وقد أنكره العلماء قاطبة من أرباب المذاهب الأربعة وغيرهم، والعقلاء كافة؛ لأنَّ نسبته إلى الدِّين مما يحط مقامه في قلوب أعدائه، فيكون أضحوكة بينهم، وسببًا لازدرائه.

ولم يبحه أحد إلاَّ من اشترط فيه أمرين:

الأول: أن يكون بلاتواجد.

والثاني: أن يكون الرقص بلا تكسر ولا تثني، فمن غلب عليه التواجد ولم يملك نفسه، فلا كلام لنا فيه؛ لأنَّ حاله لا يعد من الرقص الذي هو بحركات موزونة بالتكسر والتثني.

قال بعضهم: «أصحاب الأحوال والمواجيد مغلوبون في كل حال، قد خرجوا عن اختيارهم، وهم في ذلك الحال غير مخاطبين بالأحكام الشرعية، فلا اعتراض عليهم، وعلامة غلبة الحال وطفح البال، عدم التزام إيقاعات الموسيقى».

---

(١) عوارف المعارف، (ص١١٥)، ضمن المجلد الخامس ملحق إحياء علوم الدين.

وقـال الإمـام السـهروردي: «ولا يتحـرك إلاَّ إذا كانـت حركتـه كحركـة المرتعش، الذي لا يجد سبيلًا إلا الإمساك، وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة، ويكون حركته بمثابة النَّفَس الذي يتنفس، يدعوه إلى النفس داعية الطبع قهرًا.

وقال السري: شرط الواجد في زعقته، أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف، لا يشعر فيه بوجع.

وقد يقع هذا في بعض الواجدين نادرًا، وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة، ولكن زعقاته تخرج كالتنفس بنوع إرادة ممزوجة بالاضطرار، بهذا الضبط من رعاية الحركات ورد الزعقات، إلى تمزيق الثياب آكد، فإنَّ ذلك يكون إتلاف المال وإنفاق المحال»[١] اهـ.

وذكر العز ابن عبد السلام: «أنَّ الفرق بين التواجد في ذكر الله وبين الرقص في الغناء، ظاهر لكل مسلم، فإنَّ الباعث على التواجد هو الشوق إلى الله، والمحبة في جماله وجلاله، والباعث على الرقص في الغناء، إنما هو الشهوات النفسانية، والأغراض الشيطانية في الفسق والفجور»[٢] اهـ.

قال في العوارف: «إنه لا يليق الرقص بالشيوخ ومن يقتدى به؛ لما فيه من مشابهة اللَّهو»[٣].

وقال الغزالي في الإحياء في الرقص: «وذلك يكون لفرح أو شوق،

---

(١) عوارف المعارف، (ص١١٥)، ضمن المجلد الخامس ملحق الإحياء.

(٢) فتاوى العز ابن عبد السلام، (ص٣١٨، ٣٢٥)، الطبعة: الأولى، (١٤١٦هـ).

(٣) العوارف (٢/ ١٤)، تحقيق/ عبد الحليم محمود.

فحكمه حكم مهيجه، إن كان فرحه محمودًا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود، وإن كان مباحًا فهو مباح، وإن كان مذمومًا فهو مذموم.

نعم: لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة؛ لأنه في الأكثر يكون عن لهو ولعب، وما له صورة اللَّهو واللعب في أعين الناس، ينبغي أن يجتنبه المقتدى به؛ لئلا يصغر في أعين الناس، فيترك الاقتداء به»[(١)].

وجميع ما ذكره القوم في ذلك، يدور على أمر التواجد الذي هو الضالة المنشودة عندهم، وبعضهم يأمر بالتواجد تكلفًا بضرب من الاختيار؛ قياسًا على التباكي.

لكن قال أبو عمرو ابن نجيد[(٢)]: «كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل»[(٣)]. ويروى مثله عن سهل بن عبد الله التستري[(٤)].

وانظر في كتاب: مدارج السالكين، في باب: التواجد[(٥)]، وباب: السماع[(٦)]، فلا يطابقه ما نراه من الرقص والغناء وما يضاف إليه في زماننا؛ لأنه مما تمجه الطباع، وقد تفعله السوقة في الأسواق ونحوها بعيدًا عن الخشوع والخشية، وقد تكلف من انتصر لهم بأدلة الإباحة، التي يستدل بها

---

(١) إحياء علوم الدين، (ص٧٧٨)، طبعة: دار: ابن حزم، الطبعة الأولى: (١٤٢٦هـ).

(٢) إسماعيل بن نجد السلمي، من كبار الصوفية، توفي سنة: (١٣٦٥هـ).
ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٦)، وطبقات الشافعية (٣/ ٢٢٢).

(٣) انظر: منهاج السنة (٥/ ٣٣١).

(٤) انظر: الاستقامة لشيخ الإسلام، (٢/ ١٤١).

(٥) (٣/ ٦٧).

(٦) (١/ ٤٨١).

القوم بشروطها، فبينهما بون واسع وفرق شاسع على ما قرره، حتى إننا نرضى فيه بتحكيم البسطاء وأجلاف البوادي، ولا نحتاج إلى رد أدلتهم بما لا يرد من شكيمتهم، ولا يكسر من حدتهم، ولا نقص من وقاحتهم، في دعوى أنها طاعة وقربة.

وكيف يتقرب إلى الله بما لم يشرعه من تلك الهيئة المركبة، مما اشتملت عليه من الرقص والتمايل والغناء والتصفيق، وتغيير الصوت ورفعه، وتغيير الحروف عن وضعها، بزيادة وتحريف في ألفاظ الذكر، من لفظ: الجلالة، وكلمة الإخلاص وغيرها.

وها نحن ننقل نصوص المذاهب الأربعة في ذلك:

مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان

قال الإمام محمود العيني في شرح: تحفة الملوك، ما نصه: «ويجب منع الصوفية الذين يدعون الوجد والمحبة عن رفع الصوت، وتمزيق الثياب عند سماع الغناء؛ لأنَّ ذلك ـ أي: رفع الصوت وتمزيق الثياب ـ حرام عند سماع القرآن، فكيف عند الغناء الذي هو حرام، خصوصًا في هذا الزمان الذي اشتهر فيه الفسق، وظهرت فيه أنواع البدع، واشتهرت به طائفة تحلَّوْا بحلية العلماء، وتزيَّوه بزي الصلحاء، والحال أنَّ قلوبهم ملأ من الشهوات والأهواء الفاسدة، وهم في الحقيقة ذئاب، نعوذ بالله من شرهم.

فالعجب منهم أنهم يدعون محبة لله ويخالفون سنة رسوله؛ لأنهم يصفقون بأيديهم ويطربون وينعرون ويصعقون، وكل ذلك جهل منهم، فمن ادَّعى محبة الله وخالف سنة رسوله، فهو كذاب، وكتاب الله يكذبه، ولا شكَّ في أنهم لا يعرفون ما الله، ولا يدرون ما محبة الله.

وهم قد يتصورون في أنفسهم الخبيثة، صورة معشوقة وخيالًا فاسدًا، فيظهرون بذلك وجدًا عظيمًا وبكاءً جسيمًا، وحركات مختلفة وبعبعة عظيمة، والأزباد تنزل من أفواههم، حتى إنَّ الجهال والحمقى من العامة يعتقدونهم ويلازمونهم، وينسبون أنفسهم إليهم، ويتركون شريعة الله وسنة رسوله، فما هم إلاَّ في الدعاوى الفاسدة والأقوال الكاسدة. أعاذنا الله وإياكم من شر هذه الطائفة، ومن شر الجنَّة والناس»(١) اهـ.

---

(١) تحفة الملوك، لمحمد بن أبي بكر بن عبد المحسن الرازي، (ت: ٢٧٧هـ) ط، دار =

وقال في جواهر الفقه[١]: «السماع والقول والرقص الذي يفعله المتصوفة في زماننا، حرام لا يجوز القصد والجلوس إليه».

وقال في التتارخانية: «سئل الحلواني: عمن سَمَّوا أنفسهم بالصوفية، فاختصوا بنوع لبس، واشتغلوا باللَّهو والرقص، وادَّعوا لأنفسهم منزلة؟ فقال: افتروا على الله كذبًا».

وذكر في الذخيرة: «أنه كبيرة، ومن أباحه من المشايخ فذلك للذي صارت حركاته كحركات المرتعش، وأنه ليس في الشرع رخصة، كذا في مطالب المؤمنين»[٢].

وذكر العلامة ابن عابدين بعد كلام: «عرفنا من هذا أنَّ التغني المحرم ما كان في اللفظ ما لا يحل؛ كصفة الذكور والمرأة المعينة الحية، ووصف الخمر المهيج إليها، والهجاء لمسلم».

إلى أن قال في التتارخانية: «إن كان السماع سماع القرآن والموعظة يجوز، وإن كان سماع غناء فهو حرام بإجماع العلماء، ومن أباحه من الصوفية فلمن تخلَّى عن اللَّهو وتحلَّى بالتقوى، واحتاج إلى ذلك احتياج

= البشير، (١٤١٧هـ) (ص٣٥). وشرح التحفة للعيني المسمى: منحة السلوك والديباج، توجد منه نسختان مخطوطتان في جامعة الملك سعود، برقم: (٧٦٨٢) ورقم: (٣٤٦٤).

انظر: الشيخ أبو بكر خوقير وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف، رسالة جامعية (٢/ ٥٤١)، للأخ الباحث/ بدر الدين ناضرين.

(١) لطاهر بن سلام بن قائم الأنصاري.

(٢) حاشية ابن عابدين (٦/ ٣٤٩)، وانظر: شرح فتح القدير (٧/ ٤١٠).

المريض إلى الدواء، وله شرائط ستة: أن لا يكون فيهم أمرد، وأن تكون جماعتهم من جنسهم، وأن تكون نية القوال الإخلاص لا أخذ الأجر والطعام، وأن لا يجتمعوا لأجل طعام أو فتوح، وأن لا يقوموا إلاَّ مغلوبين، وأن لا يظهروا وجدًا إلاَّ صادقين»(١).

ونقل الإمام البركوي(٢) في الطريقة المحمدية، كلامًا غليظًا طويلًا في ذلك، إلى أن قال: «قلت: من له إنصاف وديانة واستقامة طبع، إذا رأى رقص صوفية زماننا في المساجد، والدعوات بالألحان والنغمات، مختلطًا بهم المرد وأهل الأهواء من جهال العوام والمبتدعة الطغام، لا يعرفون الطهارة والقرآن والحلال والحرام، بل لا يعرفون الإيمان والإسلام، لهم زعيق وزئير، ونهاق يشبه نهاق الحمير، يبدلون كلام الله تعالى، ويغيرون ذكر الله تعالى، ثم يتلفظون بألفاظ مهملة، وهذيانات كريهة، مثل: هاي وهوي وهي وها، يقول لا محالة أنَّ هؤلاء اتَّخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، وإن لم يكن له ممارسة بالفقه وعلم تفصيلي بحالهم.

فالويل للقضاة والحكام وسائر من يقدر على الدفع والإهدام، حيث

---

(١) حاشية ابن عابدين (٦/ ٣٤٩)، وانظر: شرح فتح القدير (٧/ ٤١٠).

(٢) يعرف بالبِرْكِويّ، بكسر الباء والكاف. والبرْكلي أو البيركلي، نسبة إلى «بِركي»، غرب تركيا، قريبة من أزمير حاليًا. والبركوي أشهر. ويعني به محمد بن بير علي، محي الدين، عالم بالعربية نحوًا وصرفًا، له اشتغال بالفرائض ومعرفة بالتجويد، تركي الأصل والمنشأ، له جهود في الرد على المبتدعة، ولد سنة: (٩٢٩هـ)، وتوفي سنة: (٩٨١هـ). ينظر: الفوائد البهية، (ص٥٥٨)، حدائق الحقائق (١/ ١٧٩)، الأعلام، للزركلي (٦/ ٦١)، ورسالة: الإمام البركوي وجهوده في مقاومة البدع في تركيا، للباحث سالم وهبي، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى.

يعرفون هذا ويشاهدونه ولا ينكرون ولا يغيرون، مع قدرتهم عليهم، بل يخافون منهم ويلتمسون الدعاء»[1] اهـ.

وقال في عدة أرباب الفتاوى: «ورقص الصوفية حرام، وكافر مستحله، ولا تقبل شهادة من حضر مجالس هذا النوع».

كذا في مجمع الفتاوى، ثم ذكر كلام الطرطوشي، وذكر قصيدة في التشنيع عليهم، خصوصًا في حذفهم حرف الهاء من لفظ: الجلالة، حالة ذكرهم:

أَخْلَوْا مِنْ اسْمِ اللهِ حَرْفَ الهَاءِ فَلَحَدُوا فِي أَعْظَمِ الأَسْمَاءِ

❁ ❁ ❁

---

(١) الطريقة المحمدية للبركلي، (ص١٨٤)، ط: المصطفى البابي الحلبي، الثانية (١٣٧٩هـ) القاهرة.

وله ـ رحمه الله تعالى ـ كلام طويل ونقولات نفيسة في نقدهم، في كتابه: دافعة المبتدعين وكاشفه بطلان الملحدين، دراسة وتحقيق الشيخ/ سلطان العرابي، رسالة ماجستير بقسم العقيدة، بجامعة أم القرى، عام: (١٤٢٥هـ).

مذهب الإمام الشافعي

نقل الإمام الدميري صورة الفتيا المتضمنة للحكم في ذلك، عن المذاهب الأربعة، عن الإمام: أبي بكر الطرطوشي، لما سئل: ما يقول سيدنا الفقيه في جماعة يجتمعون ويكثرون من ذكر الله تعالى، وذكر محمد عليه الصلاة والسلام، ثم إنهم يضربون بالقضيب على شيء من الطبل، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد، حتى يقع مغشيًا عليه، فهل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا يرحمكم الله تعالى.

أجاب رَحِمَهُ اللهُ ـ كما نقله القرطبي والجمل أيضًا ـ: «يرحمك الله، مذهب الصوفية أنَّ هذا بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلاَّ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلًا جسدًا له خوار، فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل.

وأما الطبل فأول من اتخذه الزنادقة؛ ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه، كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار.

فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم عن الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، أو يعينهم على باطلهم، وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وابن حنبل، وغيرهم

من أئمة المسلمين»[١] انتهى.

قال مفتي الشافعية بمكة، الشيخ/ محمد صالح ريس[٢] بعد نقله ذلك: «قال الشيخ ابن حجر بعد نقله ذلك: فتأمله واحفظه، فإنه الحق وغيره الباطل، الذي غايته القطعية والآثام».

ونقل المفتي المذكور، عن ابن عبد السلام قوله في قواعده: «الرقص والتصفيق خفة ورعونة، مشابهة لرعونة الإناث، لا يفعله إلاَّ أرعن أو متصنع جاهل.

ويدل على جهالة فاعله: أنَّ الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة، ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء، ولا معتبر من أتباعهم، وإنما يفعله الجهلة السفهاء، الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء»[٣] إلى آخره.

وقال ابن حجر المكي في الزواجر: «سئل العز ابن عبد السلام عن استماع الإنشاد في المحبة والرقص؟ فقال: «بدعة لا يتعاطها إلا ناقص العقل، فلا يصح إلاَّ للنساء»[٤] اهـ.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٣٧). وانظر: كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، لأحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: الشيخ/ عبد الله الطريقي، ط الأولى: (١٤١١هـ)، الرياض.

(٢) أحمد صالح بن إبراهيم بن محمد الريس، محدث مفسر، كان بارعًا في الأصول والفروع، توفي بمكة سنة: (١٢٤٠هـ). ينظر: أعلام المكيين (ص٤٦١).

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ١٨٦)، ط: دار المعارف ببيروت.

(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر، (٢/ ٢٠٩)، ط (١٤٠٨هـ).

وقال الحليمي في المنهاج: «الرقص الذي فيه تكسر وتثني يشبه أفعال المخنثين؛ حرام على الرجال والنساء»(١) اهـ.

وقد نقل القاضي أبو الطيب الطبري الشافعي(٢)، في كتابه: ذم السماع(٣)، فتيا قاضي القضاة: أبي بكر محمد بن المظفر الشامي الشافعي(٤)، الذي كان يقال عنه: «لو رفع مذهب الشافعي من الأرض لأملاه من صدره». وهذه صورة فتياه بحروفها:

قال: «لا يجوز الضرب بالقضيب ولا الغناء بسماعه، ومن أضاف هذا إلى الشافعي فقد كذب عليه، وقد نص الشافعي في كتاب: أدب القضاء، أنَّ الرَّجل إذا لازم على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته(٥)، وقال الله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾(٦). قال ابن عباس: معناه: تغنون، بلغة حِمْيَر(٧). وقال الله عزَّ وجل: ﴿ وَمِنَ

(١) انظر: كلام الحليمي في المنهاج (٣/ ٩٦)، بغير هذا اللفظ.

(٢) أبو الطيب: طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري الشافعي القاضي، كان فقيهًا دينًا ورعًا، توفي سنة: (٤٥٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٦٨)، طبقات الشافعية (٢/ ٢٢٦).

(٣) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، برقم: (١٥٨٨)، ومنه: مصورة في جامعة الملك سعود، رقم: (ف٣٩٦/ ٦). انظر: أبو بكر خوقير وجهوده...، لبدر الدين ناضرين (ص٥٤٦).

(٤) أبو بكر: محمد بن المظفر بن بكران الشامي الحموي الشافعي، كان قاضيًا زاهدًا ورعًا، توفي سنة: (٤٨٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٨٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٠٢).

(٥) في كتاب الأم (٦/ ٢١٤).

(٦) سورة النجم، الآية: (٥٩، ٦١).

(٧) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٦٨) من قول عكرمة.

ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾(١). جاء في التفسير: إنه الغناء والاستماع إليه، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ الله كره صوتين أحمقين فاجرين؛ صوت عند نعمة، وصوت عند مصيبة**»(٢). يريد بذلك: الغناء والنوح.

وقال ابن مسعود: «الغناء خِطْبَة الزنا». وقال مكحول: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت السيل البقل»(٣). والله أعلم.

وهذا جواب محمد بن المظفر الشامي الشافعي، ثم كتب بعده موافقة على فتياه جماعة من أعيان فقهاء بغداد، من الشافعية والحنفية والحنبلية في ذلك الزمان، وهو عصر الأربعمائة كما نقله ابن رجب، وقال في آخره: «وبلغني أن هذه الطائفة تضيف إلى السماع النظر في وجه الأمرد، وربما زينته بالحلي والمصبغات من الثياب، وتزعم أنها تقصد به الازدياد في الإيمان بالنظر والاعتبار، والاستدلال بالصنعة على الصانع، وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم...»(٤). ثم أطال الكلام في الرد عليهم. وسيأتي زيادة نقل عنه في مسألة الغناء.

---

(١) سورة لقمان، الآية: (٦).

(٢) ورد هذا الحديث من طرق كثيرة بألفاظ متقاربة، منها:
ما رواه الترمذي ح (١٠٠٥) (٣/ ٣١٩)، وقال: «حديث حسن».
ومنها: ما أخرجه البزار (١/ ٣٧٧)، والحاكم (٤/ ٤٠)، والبيهقي (٤/ ٦٩). قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٧٧): «رجاله ثقات».

(٣) رواه البيهقي عن ابن مسعود موقوفًا.

(٤) نزهة الأسماع لابن رجب، (ص٨٤، ٩١).

مذهب الإمام مالك رضي الله عنه

سمعت صورة فتيا الإمام أبي بكر الطرطوشي[١]، وهو من أكابر المالكية[٢]، وقال ابن حمدون في حاشيته شرح ميارة الصغير على ابن عاشر، ما نصه: «وأما الرقص والتصفيق وهَزُّ الرأس والتحرك، فقال زروق في شرح المباحث الأصلية: إن كان بغلبة فالمغلوب معذور، وإن كان بغير غلبة وهو للإيهام فهو حرام؛ لما دخله من الرياء والتصنع والتظاهر بما ليس له حقيقة عنده، وإن كان مع بيان الحال بحيث يعلم الحاضرون أنه غير مغلوب، وإنما أراد راحة نفسه وهزها ونحوه، فهو إلى الباطل أقرب، وليس من الحق في شيء» اهـ.

كما نقل ذلك مفتي المالكية بمكة في عصره، في رسالته المسماة: رفع البدع والفساد عن حديقة الذكر والأوراد، ونقل فيها عن الشيخ محمود الحجازي في رسالته: التفصيل الواضح في الرد على تغيير أهل الطريق الفاضح، ما نصه: «كلمة التوحيد يجب في ذكرها أن تكون مجودة صحيحة، بإجماع من الفقهاء والسادة الصوفية، والمخالف مبتدع ارتكب بدعة وزورًا؛

---

(١) هو: محمد بن الوليد بن محمد بن خلف، المعروف بالطرطوشي، من كبار أئمة المالكية الذين نفع الله بعلومهم، ولهم جهود مباركة في محاربة البدع والخرافات، توفي سنة: (٥٢٠هـ). له رسالة بعنوان: «تحريم السماع». طبعت بتحقيق/ عبد المجيد تركي، عام: ١٤١٦هـ، دار الغرب الإسلامي.
انظر: ترجمة الديباج المذهب (ص٢٧٦)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٩٠).

(٢) تقدمت الفتيا (ص٨٢).

لأنَّ القرآن جاء بها على نظام خاص، تعليمًا للأمة كيف ينطقون بها، والنبي ﷺ ذكرها كثيرًا ولقنها لأصحابه، ولم يثبت أنه ذكرها ملحونة أصلًا، فالاتباع لما كان عليه النبي وأصحابه والسلف الصالح، خير من الابتداع، لا سيما في هذه الكلمة المشرفة، وإليك نصوص السادة المقتدى بهم.

قال الأمير في كتابه: نتائج الفكر في آداب الذكر، ما نصه: «وليحذر مما يقع لبعضهم من تفخيم أداة النفي، وربما مال بألفها إلى جهة الشفتين فتصير كالواو، أو لجهة اللسان وما فوقه فتصير كالياء، أو يبدل همزة (إله) ياء، أو يشبع الهمزة فيتولد منها ياء، أو يثبت ألفها، فإنه لحن، بل يجب حذف الألف الأخيرة لالتقاء الساكنين، وهؤلاء الجهلة يثبتونها ويمدونها ويتغنون في مدها، وبعضهم يمد هاء (إله) ويولد من إشباعها ألفًا، بل سمعت بعضهم يمد همزة (الله) فتصير كالاستفهام، وكل ذلك مخالف لما نطق به رسول الله ﷺ وأمر به». اهـ.

وقد رد ذلك المفتي على جُلِّ خرافات المحرِّفين لكلمة التوحيد، بالمدّ والتمطيط، وحقهم عندي الصفع بدل الرَّد، فوالله إنَّ الخوض في ذلك مما تمجّه النفس، وينفر عنه قلب المؤمن.

وأما الغناء بصنعته المختارة، لما رَقَّ من غزل الشعر الملحَّن، بالتلحينات الأنيقة المقطعة، بالنغمات التي تهيج النفوس وتطربها، كما تفعل الكؤوس، فنقل فيه عن القرطبي برسالته: كشف القناع عن أحكام السماع[1]، أنه محرَّم في مذهب مالك، قال أبو إسحاق الطباع: سألت مالكًا

---

(١) (ص٤٩) تحقيق الشيخ/ عبد الله بن محمد الطريقي.

عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء؟ فقال: إنما يفعله عندنا الفساق. وقال: إن اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب. وهو مذهب سائر أهل المدينة في الغناء، إلاَّ إبراهيم بن سعد وحده، فإنه كان لا يرى بأسًا بذلك»[١]. اهـ.

❁ ❁ ❁

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٥٥). وانظر: مجموعة الرسائل المنيرية (ص١٨٥) لابن تيمية، وكف الرعاع، للهيتمي المطبوع مع الزواجر، (١/ ٣٠).

مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه

قال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل[(١)]: «قد نصَّ القرآن على النهي عن الرقص، فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[(٢)]. وذَمَّ المختال حيث قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[(٣)]. والرقص أشد المرح والبطر»[(٤)].

وقد شنَّع في مقال آخر، على من يرقص من أهل زمانه، قال ما معناه: «هل رأيتم عاقلًا يرقص؟! وإن التواجد الذي يجدونه من تأثير الغناء، ولهم ليالي يسمونها: المحيا، إن هي إلاَّ إحياء لأهوائهم».

وقال شيخ الإسلام تقي الدين: «وأما الرقص: فلم يأمر الله عزَّ وجل به ولا رسوله ولا أحد من الأئمة، بل قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[(٥)]، والرقص شيء من هذا، وقال تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟

---

(١) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، شيخ الحنابلة في عصره، له كتاب: «الفنون» في أكثر من أربعمائة مجلد، طبع منه مجلدات، توفي سنة: (٥١٣هـ). انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٢٥٩)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣).

(٢) سورة لقمان، الآية: (١٨).

(٣) سورة لقمان، الآية: (١٨).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٦٣).

(٥) سورة لقمان، الآية: (١٨).

(٦) سورة لقمان، الآية: (١٩).

سَلَـٰمًا﴾(١). أي: بسكينة ووقار.

وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود، بل الزفن(٢) والرقص في الطريق لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا أحد من سلف الأمة، بل أمروا في الصلاة بالسكينة والوقار.

ولو ورد على الإنسان حال يغلب فيها، حتى يخرج إلى حالة خارجة عن الشرع، وكان ذلك الحال بسبب مشروع؛ كسماع القرآن الكريم ونحوه، لَسُلِّم إليه ذلك كما تقدَّم، فأما الذي إذا تكلف من الأسباب ما لم يؤمر به، مع علمه بأنه يوقعه فيما لا يصلح له، فهو بمنزلة من شرب الخمر مع علمه أنها تسكره، وإذا قال: ورد علي حال وأنا سكران، قيل له: إذا كان السبب محظورًا لم يكن صاحبه معذورًا.

فهذه الأحوال الفاسدة من كان فيها صادقًا فهو مبتدع ضال، من جنس خفر التتر وأعوان الظلمة، من ذوي الأحوال الفاسدة الذين ضاهوا عبادة النصارى والمشركين ببعض ما لهم من الأحوال. ومن كان كاذبًا فهو منافق ضال»(٣). انتهى.

وقال: «ومن أنشد الأشعار الخماريات التي تشوِّق إلى شرب الخمر، وعشق الصور على الوجه الذي يقتضي ذلك، فهو آثم عاص، وإن جعلها مثلًا

---

(١) سورة الفرقان، الآية: (٦٣).

(٢) أصل الزفن: اللعب والدفع، ومنه حديث: عائشة: قدم وفد الحبشة فجعلوا يزفنون ويلعبون، أي: يرقصون. النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢/ ٣٠٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٩٩، ٦٠١).

مضروبًا يشوق بها النفوس إلى الحب المطلق والغرام المرسل، الذي لا يميز بين محبة الله ورسوله وعباده المؤمنين وأعمال البر، وبين محبة الشيطان وحزبه، فإنَّ هذه الأشعار إذا اتخذت مما يصلح به القلوب، وينجذب به المحبوب، ويشوق بها إلى المرغوب، واعتقد العبد ذلك وأدمن عليه، أورث القلوب من الغي والضلال والنفاق، ما يعرفه أهل المواجيد وأرباب الأذواق، فإنَّ الأذواق والمواجيد تنقسم إلى إيمانية وشيطانية، فالطرق النبوية الشرعية المحمدية، تعطي الأذواق الإيمانية والمواجيد العرفانية، والطرق البدعية الشيطانية والأشعار الخمارية، تعطي أذواقًا جاهلية ومواجيد شيطانية»(١).

وله حملة شديدة على إنشاد أشعار أهل الحلول والاتحاد؛ أمثال: ابن الفارض وابن عربي والتلمساني، والشتري وابن اسرائيل وعلي الحريري.

وقد ألَّف العلامة ابن رجب رسالة تسمى: نزهة الأسماع في مسألة السماع(٢)؛ لأنه سئل عنها، فقسَّمَ الكلام فيه على قسمين؛ قال:

«القسم الأول: أن يقع على وجه اللعب و اللَّهو، فأكثر العلماء على تحريم ذلك، أعني سماع الغناء، وسماع آلات الملاهي كلها، وكل منهما محرم بانفراده، وقد حكى أبو بكر الآجري وغيره إجماع العلماء على ذلك(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٠٠).

(٢) حققه فضيلة الشيخ/ عبد الله الطريقي، وطبع عام ١٤١٣هـ، في مطابع شركة الصفحات الذهبية المحدودة.

(٣) انظر كلام الآجري في كتابه: تحريم النرد والشطرنج والملاهي، (ص٩٥)، تحقيق/ محمد سعيد إدريس.

والمراد بالغناء المحرم: ما كان من الشعر الرقيق، الذي فيه تشبيب بالنساء ونحوه، مما توصف فيه محاسن، من تهيج الطباع بسماع وصف محاسنه، فهذا هو الغناء المنهي عنه، وبذلك فسره الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الأئمة، فهذا الشعر إذا لحن وأخرج بتلحينه على وجه يزعج القلوب، ويخرجها عن الاعتدال، ويحرك الهوى الكامن المجبول في طبائع البشر، فهو الغناء المنهي عنه، فإن أنشد هذا الشعر على وجه التلحين، فإن كان محرِّكًا للهوى بنفسه فهو محرم أيضًا؛ لتحريكه الهوى وإن لم يُسمَّ غناء».

وأطال إلى أن ذكر الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم، فقال: «وقد روي ما يوهم الرخصة عن بعضهم وليس بمخالف لهذا، فإن الرخصة إنما وردت عنهم، في إنشاد أشعار الأعراب على طريق الحدا ونحوه، مما لا محذور فيه، وذكر منه ما يشبه الحدا، ويسمى بالنصْب».

إلى أن قال: «فتبين بهذه الروايات أن ترخص الصحابة إنما كان في إنشاد شعر الجاهلية، وفيه من الحكم وغيرها على طريق الحدا ونحوه مما لا يهيج الطباع على الهوى، ولهذا يفعلونه في مسجد المدينة، ولم يكن في شيء من ذلك غزل، ولا تشبيب بالنساء ولا وصف محاسنهن، ولا وصف خمر ونحوه مما حرمه الله.

وقال ابن جريج: سألنا عطاء عن الغناء بالشعر؟ فقال: لا أرى به بأسًا ما لم يكن فحشًا.

وهذا يشير إلى ما ذكرناه، وعلى مثل ذلك يحمل ما روي عن عروة بن الزبير وغيره من التابعين من الرخصة. وقال إسحاق بن منصور: قلت

لأحمد: ما تكره من الشعر؟ قال: الهجاء والشعر الرقيق الذي يشبب بالنساء».

إلى أن قال: «القسم الثاني: أن يقع استماع الغناء بآلات اللهو، أو بدونها على وجه التقرب إلى الله تعالى، وتحريك القلوب إلى محبته والأنس به، والشوق إلى لقائه، وهذا هو الذي يدعيه كثير من أهل السلوك، ومن يتشبه بهم ممن ليس منهم، وإنما يستتر بهم، ويتوصل بذلك إلى بلوغ غرض نفسه من نيل لذّته، فهذا المتشبه بهم مخادع ملبِّس، وفساد حاله أظهر من أن يخفى على أحد.

وأما الصادقون في دعواهم ذلك ـ وقليل ما هم ـ فإنهم ملبوس عليهم، حيث تقرَّبوا إلى الله بما لم يشرعه الله، واتخذوا دينًا لم يأذن فيه، فلهم نصيب ممن قال الله فيه: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[1]. والمكاء: الصفير. والتصدية: التصفيق باليد، كذا قاله غير واحد من السلف[2].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[3]. فإنه إنما يتقرب إلى الله بما يُشْرَع التقرب به إليه على لسان رسوله، فأما ما نهي عنه فالتقرب به إليه مضادة لله في أمره.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: (٣٥).
(٢) انظر: بعض هذه الأقوال في زاد المسير (٣/ ٢٤٠).
(٣) سورة الشورى، الآية: (٢١).

قال القاضي أبو الطيب الطبري في كتابه في السماع: «اعتقاد هذه الطائفة مخالف لإجماع المسلمين؛ فإنه ليس فيهم من جعل السماع دينًا وطاعةً، ولا أرى إعلانه في المساجد والجوامع، وحيث كان من البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة، وكان مذهب هذه الطائفة مخالف لما اجتمعت عليه العلماء. ونعوذ بالله من سوء الفتن»(١) انتهى.

«ولا ريب أنَّ التقرُّب إلى الله بسماع الغناء الملحَّن، لا سيما مع آلات اللهو مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام، بل ومن سائر شرائع المسلمين، أنه: ليس مما يتقرب به إلى الله، ولا مما تزكى به النفوس وتطهر به، فإنَّ الله تعالى شرع على ألسنة الرسل كل ما تزكو به النفوس، وتطهر من أدناسها وأوضارها، ولم يشرع على لسان أحد من الرسل، في ملة من الملل شيئًا من ذلك، وإنما يأمر بتزكية النفوس بذلك، من لا يتقيد بمتابعة الرسل من أتباع الفلاسفة، كما يأمرون بعشق الصور.

وذلك كله مما تحيا به النفوس الأمارة بالسوء؛ لما لها فيه من الحظ، ويقوى به الهوى، وتموت به القلوب المتصلة بعلام الغيوب، وتبعد به عنه، فغلط هؤلاء واشتبه عليهم حظوظ النفس وشهواتها، بأقوات القلوب الطاهرة والأرواح الزكية، المعلقة بالمحل الأعلى، واشتبه الأمر في ذلك ـ أيضًا ـ على طوائف من المسلمين ممن ينتسب إلى السلوك، ولكن هذا مما حدث في الإسلام بعد انقراض القرون الفاضلة.

---

(١) هذه النقول من كتاب: نزهة الأسماع، لابن رجب، ص(٣٤) فما بعدها، من صفحات متفرقة.

وكان قد حدث قبل ذلك حدثان:

أحدهما: قراءة القرآن بالألحان بأصوات الغناء، وأوزانه وإيقاعاته على طريقة أصحاب الموسيقى، فرخَّص فيه بعض المتقدمين، إذا قصد الاستعانة على إيصال معاني القرآن إلى القلوب؛ للتحزين والتشويق والتخويف والترقيق. وأنكر ذلك أكثر العلماء، ومنهم من حكاه إجماعًا ولم يثبت فيه نزاعًا؛ منهم: أبو عبيدة وغيره من الأئمة(١).

وفي الحقيقة هذه الألحان المبتدعة المطربة، تهيج الطباع وتلهي عن تدبُّر ما يحصل له الاستماع، حتى يصير الالتذاذ بمجرد سماع النغمات الموزونة والأصوات المطربة، وذلك يمنع المقصود من معاني القرآن، وإنما وردت السنة بتحسين الصوت بالقرآن لا بقراءته بالألحان، وبينهما بون بعيد. وقد بسطنا القول في ذلك في كتاب: بيان الاستغناء بالقرآن في تحصيل العلم والإيمان.

الحدث الثاني: سماع القصائد الرقيقة المتضمنة للزهد والتخويف والتشويق، فكان كثيرًا من أهل السلوك والعبادة يستمعون ذلك، وربما أنشدوها بنوع من الألحان؛ استجلابًا لترقيق القلوب بها، ثم صار منهم من يضرب مع إنشادها مع جلد ونحوه، بقضيب ونحوه، وكانوا يسمون ذلك التغبير(٢).

---

(١) انظر تفصيل هذه المسألة والكلام عليها، في: زاد المعاد لابن القيم، (١/ ٤٨٤، ٤٩٣). وبدع القراء للشيخ/ بكر أبو زيد. ومطلب القراءة بالألحان من رسالة: السماع عند الصوفية، للشيخ/ عبد الرحمن القرشي، رسالة ماجستير بقسم العقيدة، (ص٣٦٠) فما بعدها.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢٤٨)، نقلًا عن أبي الطيب الطبري.

وصحَّ عن الشافعي من رواية الحسن بن عبد العزيز الحروري، ويونس بن عبد الأعلى، أنه قال: تركت بالعراق شيئًا يسمونه التغبير، وضعته الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن(١).

وكرهه الإمام أحمد، وقال: هو بدعة و محدث، قيل له: إنه يرقق القلب؟ قال: بدعة(٢).

ومن أصحابنا من حكى عنه رواية أخرى في الرخصة في سماع القصائد المجردة، وهي اختيار أبي بكر الخلال، وصاحبه أبي بكر عبد العزيز، وجماعة من التميميين، وهؤلاء يحكى عنهم الرخصة أيضًا، وإنما أرادوا سماع هذه القصائد الزهدية المرققة، لم يرخصوا في أكثر من ذلك.

وذكروا أنَّ الإمام أحمد سمع في منزل ابنه صالح، من وراء الباب منشدًا، ينشد أبياتًا من هذه الزهديات، ولم ينكر ذلك(٣)، لكنه لم يكن مع إنشادها تغبير، ولا ضرب بقضيب ولا غيره.

قال في اللسان: «المُغبِّريه: قوم يغبِّرون بذكر الله تعالى بدعاء وتضرع». قال الأزهري: «وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله تغبيرًا، كأنهم إذا تناشدوا بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا، فسموا مغبرة لهذا المعنى». مادة: «غبر» (٥/ ٥).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠/ ٢١٢)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٩١). وذكر ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٢٢٩)، تواتره عن الشافعي.

(٢) انظر: تلبيس إبليس (ص٢٢٨)، والفروع (٥/ ٢٣٧)، والإنصاف (٨/ ٣٤٣)، وكشاف القناع (٥/ ١٨٣).

(٣) انظر: تلبيس إبليس (ص٢٢٨)، وفيه، فقال له صالح: يا أبت، أليس تنكر هذا؟ فقال: إنما قيل لي إنهم يستعملون المنكر فكرهته، أما هذا فإني لا أكرهه.

وفي تحريم الضرب بالقضيب وكراهيته وجهان لأصحابنا، فإنه لا يطرب كما يطرب بسماع آلات الملاهي»(١) انتهى.

وأما ما ذكره المناوي في طبقات الأولياء، في ترجمة: الإمام أحمد: أنه قيل له: إنَّ قومًا إذا سمعوا الذكر يقومون فيرقصون؟ فقال: دعهم يفرحون بربهم. فلم يحدث في ذلك الزمن من هذا الرقص. فتأمل.

وقد ذكر الحافظ الذهبي في الميزان، في ترجمة: الحارث المحاسبي، حكاية عن الإمام في تسمعه على كلامه في وعظه وهيامه، ثم ردها بقوله: «وهذه حكاية صحيحة السند، منكرة لا تقع على قلبي، استبعد وقوع هذا من مثل أحمد»(٢) اهـ.

---

(١) نزهة الأسماع لابن رجب، (ص٨٧).

(٢) قال في الميزان (١/ ٤٣٠): «وقال الحاكم: سمعت أحمد بن إسحاق الضبعي، سمعت إسماعيل بن إسحاق السراج، يقول: قال لي أحمد بن حنبل: بلغني أن الحارث هذا يكثر الكَوْن [كذا في الأصل: ولعلها المكوث] عندك، فلو أحضرته منزلك وأجلستني في مكان أسمع كلامه، ففعلت، وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا، وصلوا العتمة ثم قعدوا بين يدي الحارث، وهم سكوت إلى نصف الليل، ثم ابتدأ رجل منهم وأصعد الحارث، فأخذ في الكلام، وكأن على رؤوسهم الطير، فمنهم من يبكي، ومنهم من يخر، ومنهم من يزعق، وهو في كلامه، فصعدت الغرفة، فوجدت أحمد قد بكى حتى غشي عليه...».

إلى أن قال: «فلما تفرقوا قال لي أحمد: ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا. وعلى هذا فلا أرى لك صحبتهم».

ثم قال الذهبي: «وأما المحاسبي فهو صدوق في نفسه، وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه، مات سنة: (٢٤٣هـ)».

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: «اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين:

أحدهما: أن يلهي القلب عن التفكر في عظمة الله تعالى، والقيام بخدمته.

والثاني: أن يميله إلى اللذات العاجلة، ويدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية، ومعظمها النكاح، وليس تمام لذته إلا في المتجددات، ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل، فلذلك يحث على الزنا، فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح، والزنا أكبر لذات النفس»(١) اهـ.

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني في الغنية: وسماع القول بالقضيب والرقص: «مكروه، ثم يكفي في كراهته، أن فيه: من ثوران الطبائع وهو هيجان الشهوة، والميل إلى النسوة، وأباطيل النفوس ورعوناتها، والطرب والسخف والدناءة. والاشتغال بذكر الله أطيب وأسلم لمن آمن بالله واليوم الآخر»(٢) اهـ.

وأما تغيير الصوت إلى حد الصخب ورفعه فوق الحاجة، المؤدي إلى بشاعته، فذلكم تغيير لخلق الله، بما يمجه الطبع ويستقبحه العقل، وقد ضرب الله له مثلًا في كتابه بقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾(٣). تنفيرًا عن تغييره، وتعليلًا للأمر بخفضه.

---

(١) تلبيس إبليس، (ص٢١٣).

(٢) لم أقف على هذا النص فيه. وكلام الجيلاني في الغنية في أدابهم في السماع (٢/ ٥٩٠).

(٣) سورة لقمان، الآية: (١٩).

قال ابن زيد: «ولو كان في رفع الصوت خير ما جعله الله للحمير»[١].

وقال ﷺ ـ لمن رفع صوته بالذكر بالتكبير والتهليل ـ: «اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا»[٢]. وقوله: «اربعوا»، بمعنى: أشفقوا وارفقوا.

وأوصى الله في الإنجيل عيسى عليه السلام: «مُرْ عبادي إذا دعوني يخفضوا أصواتهم؛ فإني أسمع وأعلم ما في قلوبهم».

قال شيخ الإسلام في الصراط المستقيم: «وكان المسلمون على عهد نبيهم وبعده، لا يعرفون وقت الحرب إلا بالسكينة وذكر الله سبحانه.

قال قيس بن عبادة[٣]، وكان من كبار التابعين: كانوا يستحبون خفض الصوت عند الذكر، وعند القتال، وعند الجنائز[٤].

وكذا سائر الآثار تقضي أنهم كانت عليهم السكينة في هذه المواطن، مع امتلاء القلوب بذكر الله وإجلاله وإكرامه، كما أنَّ حالهم في الصلاة كذلك. وكان رفع الصوت في هذه المواطن الثلاثة، من عادة أهل الكتاب

---

(١) انظر: زاد المسير (٦/ ١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد، باب: ما يكره من رفع الصوت بالتكبير، ح (٢٩٩٣)، الفتح (٦/ ١٣٥).

(٣) قيس بن ساعدة الضبعي البصري، أبو عبد الله. قال ابن حجر في التقريب (٢/ ١٢٩): «ثقة من الثانية، مات بعد الثمانين، قد وهم من عدّه من الصحابة».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٢٧٤)، وعبد الرزاق (٤/ ٤٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٧٤).

والأعاجم»[١] انتهى.

وأما تحريف الكلم بتغيير ألفاظ الذكر، لفظ الجلالة، أو كلمة الإخلاص، بزيادة المد والتمطيط، بحيث يتولد منه حروف أو ألفاظ لا معنى لها، أو نقص حرف، كالهاء من لفظ الجلالة، وذلك حرام، ولا يخفى أنَّ كلمة التوحيد بعض آية.

قال في شرح الإقناع: «فإن حصل معها ـ أي: الألحان ـ تغيير نظم القرآن، وجعل الحركات حروفًا؛ حرم ذلك»[٢]. قال: «وقال القاضي عياض: قد أجمع المسلمون على أنَّ القرآن المتلو في جميع الأقطار، المكتوب في المصحف، الذي بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان، من أول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. إلى آخر: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. كلام الله، ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصدًا لذلك، أو بَدَّله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفًا آخر مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، وأجمع عليه أنه ليس بقرآن، عامدًا لكل هذا؛ فهو كافر، واقتصر عليه النووي في التبيان»[٣] اهـ.

❁ ❁ ❁

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣١٥).

(٢) كشف القناع (١/ ٥٠٧).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٥٠٨).

مطلب
تحريم الرقص على وجه العبادة عند النصارى

تقدم في فتيا الإمام أبي بكر الطرطوشي، قوله: «وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلًا جسدًا له خوار، فقاموا يرقصون ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل»[١] اهـ.

قال بعضهم: «وقد كان الرقص من العادات المقدسة المحترمة، حتى عند رؤساء الدين المسيحي»[٢].

حتى قام بعض الفلاسفة والملوك في المنع منه، وذمه والنهي عنه، فإن شيشرون الخطيب الروماني قال: «لا يرقص أحدكم إلا إذا كان فاقد العقل ضائع الشعور».

وأفادت تواريخ الكنائس، أنه ما استقر الرقص متبعًا في الكنائس مدة، حتى اشتبهت في أمره الحكومات، خصوصًا حينما كان يقام أثناء الليل؛ لأنه سول للقسوس شرب الخمر وارتكاب المحارم وسط المعابد، فصدرت أوامر أئمة الكنيسة بإبطاله، وأقر على هذا المشروع مجمع سنة: (٦٩٢م)، فلم تأت تلك الأوامر ولا قرارات هذا المجمع بفائدة من الفوائد، بل استمر

---

(١) تحريم السماع للطرطوشي، (ص٢٦٩) نحوه.

(٢) انظر كلام شيخ الإسلام في أن النصارى يفعلون مثل هذا السماع في كنائسهم، على وجه العبادة والطاعة، في: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٣١).

الرقص قائمًا على قدم وساق في قلب الكنائس، وأفنية مدافن الأموات، إلى زمن البابا: غريفورس الثالث، الذي تمكن من إلغائه ظاهرًا، وإن كانت أوامره في غاية التشديد والتهديد والوعيد. اهـ. فتأمل.

الفصل الثالث

في الكلام على الأحاديث التي يحتج بها أهل الطرق على ذكرهم المركب من الهيئة السابقة

قال السائل: هل الأحاديث التي استدل بها أهل الطرق، على جواز الاجتماع للذكر، منها:

الحديث الأول: قوله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «حِلَقُ الذكر». هل هي صحيحة أو لا؟

أقول: هذا الحديث صحيح[1]، أخرجه الإمام أحمد في مسنده،

---

(١) ورد الحديث من عدّة طرق، كلها لا تسلم من مقال، فقد أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، ح (٣٥١٠) (٥/ ٥٣٢)، وقال: «حسن غريب». وأحمد في المسند (٣/ ١٥٠)، والبيهقي في الشعب ح (٥٣٠) (١/ ٣٩٨)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢١٤٧)، من طريق محمد بن ثابت البناني عن أبيه عن أنس، وفيه: محمد بن ثابت ضعيف، قال ابن معين: «ليس بشيء». انظر: التقريب (٢/ ١٤٨)، والكامل (٦/ ٢١٤٧).
وروي من طريق أخرى: عن أنس عند أبي نعيم في الحلية (٦/ ٢٦٨)، وفيه: ضعيفان كما في السلسلة الضعيفة (١١٥٠).
وروي نحوه عن أبي هريرة في الترمذي، ح (٣٥٠٩) (٥/ ٥٣٢)، وقال: «حسن غريب». وفيه: حميد بن أبي سويد المكي، قال في التقريب (١/ ٢٠٢): «مجهول».
وروي نحوه عن ابن عمر في الحلية لأبي نعيم، (٦/ ٣٥٤)، وفيه: مجهول.
وروي نحوه في المستدرك (١/ ٤٩٤)، عن جابر، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي وقال: «فيه عمر: ضعيف». ويعني به: عمر مولى غفره، قال فيه الحافظ في التقريب (٢/ ٥٩): «ضعيف، وكان كثير الإرسال». =

والترمذي والبيهقي في الشعب، عن أنس بن مالك عنه ﷺ، وكان ابن مسعود إذا ذكر هذا الكلام يقول: «أما إني لا أعني حِلَقَ القُصَّاص ولكن حِلَقَ الفقه»(١). وروي عن أنس معناه أيضًا. وقال عطاء الخرساني: «مجالس الذكر مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم، وتنكح وتطلق وتحج، وأشباه هذا»(٢).

وقال يحيى بن أبي كثير: «درس الفقه صلاة». وكان أبو السوار العدوي في حلقة يتذاكرون العلم، ومعهم فتى شاب، فقال لهم: قولوا: سبحان الله، والحمد لله، فغضب أبو سوار وقال: ويحك! في أي شيء كنا إذًا! والمراد: مِنْ هذا أن مجالس الذكر لا يختص بالمجالس التي يذكر فيها اسم الله بالتسبيح والتكبير والتحميد ونحوه، بل يشمل ما فيه أمر الله ونهيه، حلاله وحرامه، وما يحبه ويرضاه، فإنه كان هذا الذكر؛ لأن معرفة الحلال والحرام واجبة في الجملة على كل مسلم، بحسب ما يتعلق به من ذلك. وأما ذكر الله باللسان فإن أكثره يكون تطوعًا، وقد يكون واجبًا؛ كالذكر في الصلاة

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٧)، عن هذه الطريق: «رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وفيه: عمر مولى غفره، وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح».
والحديث ضعفه الألباني في الضعيفة (١١٥٠) (٦٢٠٥)، وضعيف الجامع ح (٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١) (١/ ٢٣٥)، وذكره في الصحيحه ح (٢٥٦٢) محسنًا له بشواهده التي ذكرها رحمه الله.

(١) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه، (١/ ٩٦)، بتحقيق: عادل العزازي، طبعة: دار ابن الجوزي.

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه، (١/ ٩٤).

المكتوبة، كما قاله ابن رجب.

ويشهد له قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(١)]. وقد ورد ذلك الحديث عن ابن عباس في رواية الطبراني بلفظ: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**»، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «**مجالس العلم**»[(٢)]. فهي تفسر رواية: «**حلق الذكر**».

فلم تكن حلقة للذكر باللسان على عهد النبي ﷺ، ولا صحابته من بعده، ولو كان لاستفاض به النقل. ولو قيل: إن الاجتماع ما زال موجودًا في لفظ الذكر، فنقول: لا بأس بالذكر إذا لم يخرج عن الحد الشرعي، حتى إذا كان باجتماع إذا لم يتخذ عادة كأنه سُنَّة.

قال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم: «عليك أن تعلم أنه إذا استحب تطوع مطلق في وقت معيَّن، وجوز التطوع في جماعة يلزم من ذلك تسويغ جماعة راتبة غير مشروعة، ففرق بين البابين؛ وذلك أن الاجتماع لصلاة التطوع أو استماع قرآن أو ذكر الله ونحو ذلك، إذا كان يفعل أحيانًا فهذا حسن. قد صحَّ عن النبي ﷺ، أنه صلى التطوع في جماعة أحيانًا[(٣)]، وخرج على الصحابة وفيهم من يقرأ وهم يستمعون، وقد ورد في القوم

(١) سورة النحل، الآية: (٤٣).

(٢) أخرجها الطبراني في الكبير، ح (١١١٥٨) (١١/ ٥٥)، وضعفها الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير، ح (٨٠٠) (١/ ٢٣٥).

(٣) كما في الصحيحين عند البخاري، في كتاب: الأذان، باب: (٧٧) ح (٧٢٧)، ومسلم في: المساجد، باب: جواز الجماعة نافلة، ح (٦٥٨، ٦٥٩) (١/ ٤٥٧)، من حديث: أنس رضي الله عنه، في صلاته مع النبي ﷺ واليتيم وأم سُلَيْم.

الذين يجلسون يتدارسون كتاب الله، وفي القوم الذين يذكرون الله من الآثار ما هو معروف، مثل قوله ﷺ: «ما جلس قوم يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلاَّ غشيتهم الرَّحمة، ونزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[(١)]. وورد ـ أيضًا ـ في الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هَلِمُّوا إلى حاجتكم[(٢)]. الحديث.

فأما اتخاذ اجتماع راتب يتكرر بتكرر الأسابيع والشهور والأعوام، غير الاجتماعات المشروعة، فإن ذلك يضاهي الاجتماعات للصلوات الخمس وللجمعة والعيدين والحج، وذلك هو المبتدع المحدث، ففرق بين ما يتخذ سنة وعبادة، فإنَّ ذلك يضاهي المشروع، وهذا الفرق هو المنصوص عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة»[(٣)] اهـ.

الحديث الثاني: وهو ما رواه الإمام أحمد في مسنده، في قصة ابنة حمزة لما تنازع في تربيتها علي وجعفر وزيد، فقال النبي ﷺ لعلي: «**أنت مني وأنا منك**». فحَجَل علي، وقال لجعفر: «**أشبهت خَلْقي وخُلُقي**». فحَجَل وراء حَجْل علي، وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**». فحَجَل وراء

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح (٢٦٩٩) (٤/ ٢٠٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب: فضل ذكر الله، ح (٦٤٠٨)، الفتح (١١/ ٢٠٨)، ومسلم بنحوه ح (٢٦٨٩) (٤/ ٢٠٦٩). من حديث: أبي هريرة.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٢٩، ٦٣٠).

حَجْل جعفر، ثم قال ﷺ: «**هي لجعفر؛ لأنَّ خالتها تحته والخالة كالأم**»(١).

أقول: إن الحَجْل هو: أن يرفع رجلًا ويقفز على الأخرى من الفرح(٢)، وهذا اللفظ لم يورده البخاري ومسلم، وزيادة مثله لا تعتبر إلا إذا نقلت عن الثقات، كما تقرر في علم الحديث. وفي إحدى طرق هذا الحديث: مكي بن عبد الله الرعيني، قال الذهبي في الميزان: «مكي بن عبد الله الرعيني عن سفيان بن عيينة، له مناكير»(٣). وقال العقيلي: «حديثه غير محفوظ»(٤).

ولم يوجد لفظ: «الحَجْل»، إلا في رواية هاني بن هاني، وفيها عنعنة وليس فيها تصريح السماع من الراوي، قال ابن حجر في التقريب: «هاني بن هاني الكوفي من المستورين»(٥) اهـ.

ولما أورده البيهقي قال: «هاني بن هاني ليس بالمعروف جدًا. وفي هذا إن صحّ: دلالة على جواز الحجل، وهو أن يرفع رجلًا ويقفز على الأخرى من الفرح، فالرقص الذي يكون على مثله في الجواز»(٦) اهـ، هكذا نقله بعضهم.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ١٠٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٢٦)، بإسناد ضعيف. وأصل الحديث بدون رواية: «الحجل»، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الصلح، باب: كيف يكتب هذا ما صالح، ح (٢٥٥٢) (٢/ ٩٦٠).

(٢) انظر: الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، (١/ ٢٦١).

(٣) (٤/ ١٧٩).

(٤) الضعفاء الكبير (٤/ ٢٥٧). ثم ساق حديث الحجل.

(٥) التقريب (٢/ ٣١٥).

(٦) السنن الكبرى (١٠/ ٢٢٦).

قال الملاَّ علي القاري في شرح آداب المريدين: «قال بعض المحققين: ما أبعد من استدل على إباحة الرقص المعروف، بالنقص[١] بهذا الحديث، وذلك لأن المراد بالحجل هاهنا: غاية الفرح ونهاية المرح، بحيث لم يقدر صاحبه أن يضبط نفسه عن السكون في مقامه، والثبات في حال قعوده؛ بالميل إلى قيامه. ولعلهم كانوا قائمين، أو في ما حوله هائمين، فليس فعلهم كمدعي زماننا، ولله در القائل:

لَمْ يَشْرَعِ المُصطَفَى الهَادِي لِأُمَّتِهِ فِعْلَ المُكَاءِ وَلاَ رَقْصًا وَلاَ تَصْفِيقًا

وتكلم المناوي في صحة هذا الحديث، وجعله تشبهًا بأفعال المخنثين، والتشبه بأفعالهم حرام بالنصوص الشرعية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ، لعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، قال: وأخرجوهم من بيوتكم، رواه أبو داود في سننه[٢] اهـ.

الحديث الثالث: وهو ما ذكره صاحب العوارف، عن الحافظ طاهر المقدسي[٣]، بسنده إلى أنس قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل عليه جبريل،

---

(١) كذا. ولعله يعني. النقز. وهو القفز.

(٢) في الأدب، باب: الحكم في المخنثين، ح (٤٩٠٩)، عون المعبود (١٢/ ٢٧٧)، وهو في البخاري بنفس اللفظ، كتاب: اللباس، باب: إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، ح (٥٨٨٦)، الفتح (١٠/ ٣٣٣)، والترمذي في الأدب، باب: (٣٤) ح (٢٧٨٤) (٥/ ١٠٥، ١٠٦)، والدارمي في الاستئذان، باب: (٢١) ح (٢٦٥٢) (٢/ ١٩٢)، بدون أخرجوهن، وأحمد في المسند (١/ ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٧).

(٣) أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي، فقيه شافعي، أصابته لوثة الصوفية، ألف كتابًا =

فقال: يا رسول الله، إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمائة عام، ففرح رسول الله ﷺ فقال: «**أفيكم من ينشدنا؟**»، فقال بدوي: نعم، أنا يا رسول الله، فقال: «**هات**». فأنشد البدوي شعرًا:

قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الهَوىَ كَبِدِي فَلا طَبِيب لهَا وَلاَ رَاقِي
إِلاّ الحَبِيبُ الذِّي قَدْ شُغِفْتُ بِه فعنده رُقيتِي وَتِريَاقِي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداءه عن منكبيه، فلما فرغوا آوى كل واحد إلى مكانه، قال معاوية بن أبي سفيان: ما أحسن لعبكم يا رسول الله! فقال: «**مه يا معاوية! ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب**». ثم قسم رداءه ﷺ من حاضرهم بأربعمائة قطعة.

قال صاحب العوارف: «وهذا الحديث أوردناه مسندًا كما سمعناه ووجدناه»، وقال: «قد تكلم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئًا نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم، واجتماعهم وهيأتهم غير هذا، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم، وتمزيقهم الخرق وقسمتها أن لو صحَّ»(١). انتهى.

= سماه: صفة التصوف، يقول عنه ابن الجوزي: «يضحك منه من رآه، ويعجب من استشهاداته بالأحاديث التي لا تناسب». قلت: وهذا واحد منها، توفي سنة: (٥٠٧هـ). سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٦١).

(١) عوارف المعارف الملحق بإحياء علوم الدين، (٥/ ١٢١)، وقال بعده: «ويخالج سرِّي أنه غير صحيح، أي: الحديث المذكور أعلاه، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه، وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلب قبوله. والله أعلم بذلك».

أقول: قد تقرر في علم الأصول، أنه: إذا انفرد واحد من بين جَمٍّ غفير في أمر مشاهد، بروايته دونهم مع توفير الدواعي قطع بكذبه، كما في شرح مسلّم الثبوت، لعبد العلي وغيره. وكيف يكون في المجلس أربعمائة صحابي، ولا يرويه إلا واحد، من طريق رجل من الوضاعين؟!

قال ابن الجوزي: «تفرد عمار بن إسحاق بخبر موضوع». اهـ.

وقد عَدَّه صاحب تنزيه الشريعة[١] في فهرست الوضاعين في حرف العين، وقد ذكره القاري في موضوعاته[٢] ونقل كلام الذهبي[٣]، والسخاوي[٤].

قال ابن تيمية: «ما اشتهر أن أبا محذورة أنشد بيتين بين يديه ﷺ، وأنه تواجد حتى وقعت البردة الشريفة عن كتفيه، فقاسمها فقراء الصفة، وجعلوها رقعًا في ثيابهم: كذب باتفاق أهل العلم بالحديث، وما روي في ذلك موضوع»[٥]. اهـ.

قال السيوطي: «أخرجه الديلمي من حديث أنس»، وقال: «تفرد به أبو

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الموضوعة، (٢/ ٢٣٣) الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ)، دار: الكتب العلمية بيروت.

(٢) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، (ص٢٨٠).

(٣) في ميزان الاعتدال (٥/ ١٩٨).

(٤) في المقاصد الحسنة، (ص٣٣٣) ح (٨٥٦).

(٥) أحاديث القصاص (ص٧٦)، طبع عام: (١٣٩٢هـ). وقد حكم شيخ الإسلام على هذا الخبر في عدة مواضع من كتبه بالوضع، منها: الاستقامة (١/ ٢٩٦)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٥٨، ١٦٨، ٥٦٣)، وغيرها.

بكر عمار بن إسحاق». وقال الذهبي في الميزان(١): «كأنه واضعه» اهـ.

وقال العلامة/ رحمةُ الله السندي، في: تنزيه الشريعة، في مختصر كتاب العراقي، المسمى: معرفة الأحاديث الموضوعة، ما نصه: «رواه الحافظ ابن طاهر وهو باطل، قال الحافظ أبو موسى المديني: قد عاب غير واحد من أهل العلم ابن طاهر بإيراد هذا الحديث في كتابه.

وكتب شيخ الإسلام أبو الفرج عبد الرحمن بن [أبي](٢) عمر المقدسي، وقد سئل عن هذا الحديث بما ملخصه: إن الواقف عليه يظهر له أنه موضوع؛ لركاكة ألفاظه ومباينته ومخالفته، لما صح من النهي عن إضاعة المال، ونفرة القلوب منه.

وكتب الإمام(٣) النووي وقد سئل عنه: باطل لا تحل روايته ولا نسبته إلى النبي ﷺ، ويعزر من رواه عالمًا تعزيرًا بليغًا، ولا يغتر بكونه في عوارف المعارف وغيره، مع أن صاحب العوارف قال: يخالج سرِّي أنه غير صحيح، وتأبى القلوب قبوله»(٤).

وقال الذهبي ـ وهو من أئمة الحديث وكبار الحفاظ ـ في الميزان(٥)،

(١) (٥/ ١٩٨).

(٢) زيادة من التنزيه (٢/ ٢٣٣).

(٣) في التنزيه: شيخ الإسلام.

(٤) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني، (٢/ ٢٣٣). وكلام صاحب العوارف تقدمت الإشارة إليه في هامش الصفحة السابقة.

(٥) الميزان (٥/ ١٩٨)

وابن حجر في اللسان[(١)]: «عمار بن إسحاق عن سعيد بن عامر الضبعي، كأنه واضع حديث هذه الخرافة التي فيها قال: لسعت حية الهوى كبدي، فإنَّ الباقين ثقات». اهـ.

وقال ابن طاهر في فوائده: «رجال إسناده من سعيد بن عامر إلى أنس ثقات، ولفظ الحديث في دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء صحيح، والزيادة التي تفرد بها أبو بكر عمار بن إسحاق» انتهى.

وروى أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري، في كتاب: العلم: «أبشروا - يا معشر صعاليك المهاجرين - بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك خمسمائة عام»[(٢)] انتهى.

---

(١) لسان الميزان (٤/ ٢٧٠)، (٣/ ١٣، ٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، في العلم، باب: في القصص ح (٣٦٤٩)، العون (١٠/ ١٠١)، وأحمد في المسند (٣/ ٦٣، ٩٦). من حديث طويل، وفي إسناده: المعلى بن زياد فيه مقال.

وأخرج الترمذي في الشهادات، باب: ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، ح (٢٣٥٤) (٤/ ٥٧٨)، وابن ماجه في الزهد، ح (٤١٢٢) (٢/ ١٣٨٠)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٤٣)، وابن حبان في صحيحه، ح (٦٧٦) (٢/ ٤٥١)، من حديث: أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح (٧٩٣٢) (٦/ ٣٣٨).

كما أخرجه ابن ماجه في الزهد، ح (٤١٢٤)، (٢/ ١٣٨١)، من حديث: ابن عمر، كلاهما بلفظ: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام**».

وورد في صحيح مسلم في كتاب: الزهد، ح ٢٩٨٩ (٤/ ٢٢٨٥)، وعند أحمد في المسند (٢/ ١٦٩)، من حديث: عبد الله بن عمرو بن العاص: «**إن الفقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا**».

الحديث الرابع: المتفق عليه في الصحيحين[١]، من حديث عائشة، لما دخل عليها وعندها جاريتان يتغنيان وتدفَّان، فانتهرهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقال: مزمور الشيطان عند رسول الله ﷺ؟! فقال رسول الله ﷺ: **«دعهما؛ فإنها أيام عيد»**.

أقول: لم ينكر ﷺ قول أبي بكر، وإنما علل بكونه في يوم عيد، فدل على أنه يباح في أيام السرور؛ كأيام العيد وأيام الأفراح كالأعراس وقدوم الغياب، ما لا يباح في غيرها من اللهو، وإنما كانت دفوفهم نحو الغرابيل، وغناهم بإنشاد أشعار الجاهلية في أيام حروبهم، وما أشبه ذلك، فمن قاس على ذلك أشعار الغزل من الدفوف المصلصلة فقد أخطأ غاية الخطأ، وقاس مع ظهور الفرق بين الفرع والأصل، فإن علة المنع تهييج الطباع إلى الهوى، وليس في أشعار الجاهلية وغناء الركبان، ومنه حديث عائشة في غناء نساء الأنصار:

أَتَينَاكُم أَتينَاكُم فَحَيُّونَا نُحَيِّيكُم[٢]

الحديث الخامس: ما روى كثير من المحدثين في لعب الحبشة في مسجد رسول الله ﷺ بين يديه.

---

(١) رواه البخاري في العيدين، باب: إذا فاته العيد يصلي ركعتين، ح (٩٨٧)، الفتح (٢/ ٤٧٤)، ومسلم في صلاة العيدين، ح (٨٩٢) (٣/ ٦٠٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٧٧)، وابن ماجه في النكاح، ح (١٩٠٠) (١/ ٦١٢)، والبيهقي في الكبرى، (٧/ ٢٩٠)، قال في زوائد البوصيري على هامش ابن ماجه: «اسناده مختلف فيه». وأصل الحديث من غير البيتين في البخاري ح (٥١٦٢) (٩/ ٢٢٥).

أقول: إن هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، في باب: الدرق والحراب[١]، وأظهر عمر إنكار ذلك أمامه ﷺ؛ إجلالًا وصيانة لمجلسه عن اللهو.

قال النووي: «وفي الحديث: أن مواضع الصالحين تنزه عن اللهو وإن لم يكن فيه إثم، وأن التابع للكبير إذا رأى بحضرته ما لا يليق بها ينكره، ولا يكون نحوه إلا إجلالًا للكبير من أن يتولى ذلك بنفسه، وصيانة لمجلسه، وإنما سكت ﷺ عنهن؛ لأنه مباح لهن، وكان هذا من رأفته ﷺ وحلمه»[٢].

وقال ابن بطال: «وفائدة هذا الحديث: إباحة النظر إلى اللهو إذا كان فيه تدريب للجوارح على تقليب السلاح، لتخفف الأيدي بها في الحرب»[٣].

وقال القسطلاني في شرح البخاري: «والحبشة يلعبون في المسجد بالدرق والحراب، واستدل به على جواز اللعب بالسلاح على طريق التدرب للحرب والتنشيط له»[٤].

قال الزين ابن المنير: «وإنما سمي: لعبًا، وإن كان أصله التدرب على الحرب، وهو من الجد لما فيه من شبه اللعب»[٥].

---

(١) في كتاب: الجهاد ح (٢٩٠٦) الفتح (٦/ ٩٤)، ومسلم في صلاة العيدين، ح (٨٩٢) (٢/ ٦٠٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٨٣). ونحوه في فتح الباري (٢/ ٤٤٣).

(٣) شرح صحيح البخاري، (٢/ ٥٤٨).

(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (٢/ ٢٠٥)، طبعة: دار: إحياء التراث العربي.

(٥) انظر: فتح الباري (٢/ ٤٤٣).

وقال في الفتح: «وقال الشيخ المحب الطبري: فيه: تنبيه على أنه يغتفر لهم ما لا يغتفر لغيرهم؛ لأنَّ الأصل في المساجد تنزيهها عن اللعب، فيقتصر على ماورد فيه النص»(١).

وقال بعضهم: «إن الذي فعلته الحبش يرجع إلى الحرب، فهو أمر راجع إلى أمر دين» اهـ.

وعلى كل حال لا يصلح دليلًا لتلك الهيئة، المركَّبَة من الرقص والغناء والتصفيق وغيره، على زعم تسميته: عبادةً وذكرًا(٢)، وإن كان في لعبهم إنشاد أبيات للعرب، في وصف الشجاعة والحروب ومكارم الأخلاق والشيم، فأين ذلك من الغناء بالشعر، في ذكر القدود والثغور والنهود والخصور، ووصف فواتر العيون وسوادها، وسواد الشعور، و محاسن الشباب وحمرة الخدود؟! وذكر الوصل والصد، والتجني، الهجران والعتاب، والاستعطاف والاشتياق، والقلق وما أشبه ذلك مما هو أفسد للقلب من سكر الخمر؟! وأي نسبة لسكر يوم ونحوه، إلى سكرة العشق

---

(١) فتح الباري (٢/ ٤٤٤).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/ ٤٤٢): «استدل جماعة من الصوفية بحديث الباب على إباحة الغناء، وسماعه بآلة أو بغير آلة، ويكفي في رد ذلك، تصريح عائشة في الحديث الذي في الباب بعده بقولها: (وليستا بمغنيتين). قال: وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك، فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه... قال: وانتهى التواقح بقوم منهم، إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال، وأن ذلك يثمر سني الأحوال، وهذا على التحقيق من آثار الزندقة...» اهـ.

وانظر كلام الشاطبي في: الموافقات (٣/ ٧٢، ٧٣)، في إبطال استدلالهم بهذا الحديث، على جواز الرقص في المساجد.

التي لا يستفيق صاحبها إلا في عسكر الهالكين أسيرًا قتيلًا حزينًا.

وقد نظم ذلك العلامة ابن المقري بقوله:

قَالُوا رَقَصْنَا كَمَا الأَحْبُوشُ قَدْ رَقَصُوا ... بِمَسْجِدِ المُصْطَفَى قُلْنَا بِلاَ كَذِبِ
الحَبَشُ مَا رَقَصُوا لَكِنَّهُم لَعِبُوا ... مِنْ آَلَةِ الحَرْبِ وَالرَّايَاتِ واليَلْبِ[٢]
أَتَسْتَدِلُ بِمَا[١] قَامَ الحُبُوشُ بِهِ ... عِنْدَ النَّبِي فَلَمْ يُنْكِرْ وَلَمْ يَعِبِ
عَلَى جَوازِ الذِّي قَدْ سَدَّ مَسْمَعَهُ ... عَنْهُ وَوَلَى سَرِيعًا غَيْرَ مُنْقَلِبِ
مَا قَالَ رَبُكُم ضجُّوا وَارْقُصُوا أَبَدًا ... بَلْ قَالَ صَلُّوا وَصُومُوا واحْذَرُوا غَضَبِي

الحديث السادس: الجاري على الألسنة: «اذكروا الله حتى يقولوا إنكم مجانين»[٣].

أقول: إنَّ هذا مما يجري على أَلْسِنَة العامة، ويظهر عليه الوضع؛ لظهور اللحن فيه، ولم يذكره في الجامع الصغير، ولكن أخرج عن الطبراني، عن ابن عباس، بلفظ: «اذكروا الله حتى يقول المنافقون: إنكم تراءون». وضعفه الهيثمي[٤].

---

(١) في الأصل: «بمن».

(٢) اليلب: الدروع والتروس. كما في اللسان (١/ ٨٠٦).

(٣) ورد هذا اللفظ من كلام أبي مسلم الخولاني، كما في الحلية (٢/ ١٢٤)، وورد مرفوعًا من طريق أبي سعيد الخدري، بلفظ: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون». وفي رواية: «حتى يقال: إنه مجنون». رواه أحمد في المسند (٣/ ٧١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٧)، وأبو يعلى (٢/ ٥٢١)، والبيهقي وابن حبان ـ كما في كشف الخفا ومزيل الألباس ـ (١/ ١٨٧)، وقد ضعفه البيهقي والألباني كما في السلسلة الضعيفة، ح (٥١٦، ٥١٧).

(٤) في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٦)، وقال: «رواه الطبراني، وفيه: الحسن بن أبي جعفر =

ومعناه: الأمر بملازمة الذكر، وعدم المبالاة برمي أهل النفاق لكم بالرياء، فلا يكون خوف الرياء عذرًا في ترك الذكر، إذا كان آمنًا على نفسه فيه في حال الجهر والانقطاع إليه، وهذا لا يلزم منه مخالفة الحد الشرعي وارتكاب الأمر البدعي، فلا يكون حجة له.

الحديث السابع: ما رواه الحافظ أبو نعيم بسنده، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه وصف أصحاب النبي ﷺ يومًا، فقال: «كانوا إذا ذكروا الله تعالى، مادوا كما تميد الشجر في اليوم الشديد الريح، وجرت دموعهم على ثيابهم»(١).

أقول: هذا أثر لا يعلم حال سنده، ومثله مما توفر الدواعي على نقله لو صحَّ، ولا يحتاج في إثباته إلى مجهول، وأبو نعيم قد ينقل الموضوع فضلًا عن الضعيف؛ كمسند الفردوس، على أنه لا يثبت المدعى من الرقص والغناء والتصفيق الذي هو موضوع الكلام، وغاية ما يؤخذ من هذا الأثر جواز الميلان بنحو الرعدة والنهرة والقشعريرة، من غلبة الخشوع والخشية، بحيث لا يملك نفسه، فلا يجوز التصنع والتكلف، وقد كره العلماء الاهتزاز حال القراءة.

قال ابن حجر(٢)...

= الجفري وهو ضعيف». وقال عن إسناد حديث أبي سعيد المذكور أعلاه: «فيه دراج، وقد ضعفه جماعة، وضعفه غير واحد، وبقية رجال أحد إسنادي أحمد ثقات».

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٦)، باسناد فيه رجل مبهم. وأخرجه ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل، ح (٢٠٥)، (ص٢٧١). قال محققه: «اسناده ضعيف جدًا». وأخرجه من طريق ابن أبي الدنيا ابن عساكر في تاريخ دمشق، (٤٢/ ٤٩٢).

(٢) بياض في الأصل قدر ثلاثة أسطر تقريبًا.

الفصل الرابع

في الكلام على أهل الصفة

قال السائل: هل نسبة ذلك إلى أهل الصفة الذين كانوا في مسجد النبي ﷺ، صحيحة أم لا، وما وظيفة أهل الصفة؟ وما وجه تسميتهم بهذا الاسم؟

أقول: لم يرد في حديث صحيح ولا ضعيف ولا أثر ما يدل على اجتماع أهل الصفة أو بعضهم على شيء من الذكر مطلقًا، فضلًا عن مثل تلك الهيئة المركَّبة من بدع كثيرة، ولكن روي أنه ﷺ خرج عليهم وفيهم واحد يقرأ والباقي يستمعون، فجلس معهم(١).

ويحاول الصوفية في جعل أنَّ هؤلاء سلفهم، ويشبهون جماعتهم في التكايا بهم، كما حاول بعضهم أن الصوفي نسبة إلى الصفة، وغلطه واضح بالنسبة إلى اللسان العربي(٢)، ويزعمون أنه ﷺ خصهم بعلوم باطنية، وقد تقدم في المقدمة ما يشفي ويكفي(٣).

أما وجه تسميتهم بهذا الاسم: فقد كانت الصُفَّة موضعًا مظللًا في مؤخر المسجد(٤)، قبل الزيادة فيه، يعرف الآن بالقرب من باب جبريل.

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٧٢)، وإسناده ضعيف.

(٢) لأن النسبة إليه: صفي وليس صوفيًا، انظر: الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٣٦٩).

(٣) ينظر: (ص١٧، ٣٦) من المقدمة.

(٤) الصُفَّة: هي المكان المظلل الذي كان في مؤخرة مسجد رسول الله ﷺ، وكان مخصصًا للفقراء ممن يأتي من الأعراب أو غيرهم، وكان عامة أهلها من المهاجرين الذين لا =

قال الذهبي: «إن القبلة قبل أن تحول كانت في شمالي المسجد، فلما حولت القبلة بقي حائط القبلة الأعلى مكان أهل الصفة»(١). اهـ.

وذلك الموضع مُعدّ لنزول الغرباء فيه، ممن لا مأوى له ولا أهل، من فقراء المهاجرين، يبيتون فيه ويأوون إليه، وإذا جاءت النبي ﷺ صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فكانوا أضياف الإسلام، سماهم النبي ﷺ أصحاب الصُفّة. وروي أن الناس أصابتهم في ثمارهم عاهة من العاهات في زمن رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«ما على أحدكم لو بعث بقنو من نخلة للمساكين»**. فبعث ذلك الناس، واستعمل رسول الله ﷺ على الأقناء معاذ بن جبل، فكان يمدّ حبلًا بين جذعين، ويعلق عليها الأقناء، فرفع الله تلك العاهة، فصارت سُنّة، كما في وفاء الوفا(٢).

وأما عددهم: فقد كان يقلّ تارة ويكثر تارة، وقد سرد أسماءهم أبو نعيم في الحلية، فزادوا على المائة(٣).

= مأوى لهم بالمدينة. وكلمة: «صُفَّة» تطلق ـ أيضًا ـ على المكان المسقوف من مسجد وغيره. ينظر: لسان العرب، مادة«ص ف ف». (٧/ ٣٦٤)، والسيرة النبوية الصحيحة، للعمري (١/ ٢٥٨).

(١) انظر: خلاصة الوفا بأخبار المصطفى، للسمهودي، (٢/ ٧٠)، تحقيق: محمد الأمين الجكني.

(٢) انظر نحوه في: خلاصة الوفا بأخبار المصطفى، للسمهودي، (٢/ ٧٠).

(٣) حلية الأولياء (١/ ٣٤٧) فما بعدها. وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١١/ ٤١): «قيل كانوا نحو أربعمائة من الصحابة، وقيل أكثر من ذلك. وقد جمع أسمائهم أبو عبد الرحمن السلمي، في كتاب: تاريخ أهل الصُفَّة».

وقال السيد محمد مرتضى الزبيدي: «قد سبق لي في ضبط أسمائهم، تأليف صغير سميته: تحفة أهل الزلفة بأهل الصُّفَّة، أوصلت فيه إلى اثنين وتسعين اسمًا»(١) اهـ.

وأما وظيفتهم: فلم تعرف بأمر خاص سوى الفقر وملازمة المسجد، وكثرة الاجتماع به ﷺ، وقد كان يجالسهم ويأنس بهم.

وأسند يحيي عن فضالة بن عبيد قال: كنا نصلي مع رسول الله فيخر قوم من قامتهم من الخصاصة، حتى يقول الأعرابي: مجانين! وهم أهل الصُّفَّة، فإذا صلى رسول الله ﷺ أتاهم، فوقف عليهم فقال: **«لو تعلمون ما لكم عند الله، لأحببتم أن تزدادوا فقرًا وحاجةً»**(٢).

ولم تعلم لهم خصوصية بوظيفة أو مزية على أحد من الصحابة، إلاَّ من كان معروفًا بالعلم أو العقل منهم أو من غيرهم، فهو الذي يدور اسمه كثيرًا بينهم، أما العلم فظاهر، وأما العقل فلقوله ﷺ ـ كما رواه ابن الجوزي ـ: **«لا تعجبوا بإسلام امريء، حتى تعرفوا عقدة عقله»**(٣).

ولحديث ابن عباس ـ كما رواه أيضًا بسنده ـ أنه دخل على عائشة فقال: يا

---

(١) تاج العروس، (٢٤/ ٢٦)، مادة: (ص ف ف).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، ح (٢٣٦٨) (٤/ ٥٨٣)، وأحمد في المسند (٦/ ١٧، ١٩)، وابن حبان في صحيحه ح (٢٥٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٧).
قال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في الصحيحة، ح (٢١٦٩).

(٣) في مسند الشهاب (٢/ ٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤/ ١٥٦)، وتاريخ بغداد (١٣/ ٧٩)، والكامل في الضعفاء (١/ ٣٢٨).

أم المؤمنين، أرأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده، وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده، أيهما أحب إليك؟ قالت: سألت رسول الله ﷺ كما سألتني عنه، فقال: «أحسنهم عقلًا!» قلت: يا رسول الله، أسألك عن عبادتهما؟ فقال: «**يا عائشة، إنما يسألان عن عقولهما، فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة**»(١).

ولا تفاضل بين الصحابة إلاَّ بالسبق إلى الإسلام أو الهجرة، بالنظر إلى الأحكام الظاهرة، وأما عند الله فبالإخلاص الذي هو ثمرة العلم والعمل، فهذه أجزاء الشريعة الثلاثة، كما ورد: الإيمان والإسلام والإحسان، نعم للإخلاص ثمرة لصاحبه بإشراق المعارف والعلوم عليه، كما تقدم.

قال شيخ الإسلام ـ بعد نقل ما رواه محمد بن طاهر في إنشاد البيتين: قد لسعت... ـ: «هو حديث مكذوب باتفاق أهل العلم بهذا الشأن، وأظهر منه كذبًا حديث آخر: يذكرون فيه أنه لما بشر الفقراء بسبقهم للأغنياء إلى الجنة تواجدوا، وخرقوا أثوابهم، وأن جبريل نزل من السماء فقال: يا محمد؟ إن ربك يطلب نصيبه من هذه الخروق، فأخذ منه خرقة فعلقها بالعرش، وأن ذلك هو زيق الفقراء. وهذا وأمثاله إنما يرويه من هو أجهل الناس بحال النبي ﷺ وأصحابه، ومن بعدهم بمعرفة الإيمان والإسلام.

وهو شبيه برواية من روى: أن الصفة قاتلوا مع الكفار لما انكسر المسلمون يوم حنين أو غير يوم حنين، وأنهم قالوا: نحن مع الله، من كان معه كنا معه.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٧٦)، وقال: «لا يصح». ورواه البغدادي في تاريخ بغداد (٨/ ٣٦٠).

ومن روى: أنَّ صبيحة المعراج وجد أهل الصفة يتحدثون بشيء كان الله أمر نبيه أن يكتمه، فقال لهم: من أين لكم هذا؟! فقالوا: الله علمنا إياه، فقال: يا رب، ألم تأمرني ألا أفشيه؟! ولكن أنا أعلمتهم به. ونحو هذه الأحاديث التي يرويها طوائف منتسبون إلى الدين، مع فرط جهلهم بدين الإسلام، ويبنون عليها من النفاق والبدع ما يناسبها»[١]. اهـ.

وأما قول أبي هريرة ﵁: «حفظت من رسول الله وعائين من العلم، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم»[٢]. فيحمل على علم الفتن، وما يحدث من بني أمية، وذم النبي ﷺ لأناس معينين منهم، ولا شك أن بث ذلك في تلك الأعصار يجر إلى القتل، كما قال شراح الحديث، قال ابن بطال: حملته الصوفية على أنفسهم، وفي المقدمة ما يكفي.

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٦٣، ٥٦٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص٣٢).

الفصل الخامس

في الذكر بالاسم المفرد والذكر القلبي أو الصدري

قال السائل: هل ورد الذكر بالاسم المفرد، وإخراج الذكر من الصدر، أو (هو) اسم ضمير، أو حق أو قيوم؟ وهل يجوز إخراج الاسم من الصدر كما هو مشاهد؟

أقول: قال في تطهير الاعتقاد: «أما المتسمون بالمجاذيب، الذين يلوكون لفظ: الجلالة بأفواههم، ويقولونها بألستهم ويخرجونها عن لفظها العربي، فهم من أجناد إبليس، ومن أعظم حمر الكون الذين ألبستهم حلل التلبيس، فأما أن إطلاق لفظ الجلالة مفرد عن إخبار عنها، بقولهم: الله الله، ليس بكلام ولا توحيد، وإنما يلعب بهذا اللفظ الشريف؛ بإخراجه عن لفظه العربي، ثم إخلائه عن معنى من المعاني، ولو رجلًا عظيمًا يسمى زيدًا، وصار جماعة يقولون: زيد زيد، لعُدَّ ذلك استهزاءً واهانةً وسخريةً، سيما إذا زادوا إلى ذلك تحريف اللفظ، ثم انظر هل أتى في لفظة في الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها؟! أو الذي في الكتاب والسنة هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل.

وهذه أذكار رسول الله ﷺ،وأدعية آله وأصحابه خالية من هذا النهيق، الذي اعتاده من هو من هدي رسول الله ﷺ في مكان سحيق، ثم قد يضيفون إلى الجلالة أسماء جماعة من الموتى، مثل: ابن علوان، وأحمد بن الحسين، وعبد القادر والعيدروس، بل قد انتهى الحال إلى أنهم يعدون من أهل القبور من أهل الظلم والجراءة؛ كعلي ردمان، وعلي الأحمر وأشباههما.

ولقد صان الله تعالى رسول الله ﷺ، وأهل الكساء وأعيان الصحابة من إدخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة الضلال، فيجمعون أنواعًا من الجهل والشرك»(١) اهـ.

وقد وقفت قديمًا على فتوى للعز ابن عبد السلام: أنَّ الاسم المفرد ليس بذكر؛ لخلوِّه عن الفائدة، إلاَّ إذا لوحظ أنه خبر لمبتدأ محذوف، هكذا في محفوظي.

وربما احتج الصوفية بالحديث الذي يرويه بعضهم، كما تقدم عن الحسن البصري عن الإمام علي، وفيه: فقال ﷺ: «**يا علي، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله**»(٢).

ومثل ما يرويه المحدثون: «لا تقوم الساعة حتى لا يبقى من يقول: الله»(٣). فهذا معناه كما يشرح الحديث بعضه بعضًا: لا تقوم الساعة إلاَّ على لكع بن لكع. فلا حجة فيه على مشروعية الذكر بالاسم المفرد، ولو ورد الذكر به لاستفاض النقل وتواتر بالفعل تواترًا، كالصلاة وغيرها من الأذكار،

---

(١) تطهير الاعتقاد، (ص٥٨٦)، ضمن الجامع الفريد.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: ذهاب الإيمان آخر الزمان، ح (١٤٨) (١/ ١٣١).

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: «لا إله إلا الله»؛ لأنه لا فرق بين هذا الحديث والذي قبله، والمصنف ساقه مساق التفسير والاحتجاج به، وهذا الحديث الذي فيه: «لا يبقى من يقول: لا إله إلا الله». أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٦٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٩٤). من حديث: أنس، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وهو حديث حسن.

ولم نحتج إلى الاستدلال عليه بمثل هذا، وقد نقل إلينا هديه ﷺ وحال صحابته بطريق التواتر، وحسبنا طريقهم، فما أحسن السنة، وما أقبح البدعة.

فانظر كيف تتولد عنها البدع، وكيف يتسع الخرق على الراقع، فكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف(١).

فإن قلت: إنَّ الذكر بالاسم المفرد عند الصوفية، متضمن الفائدة التامة، بما يلاحظه الذاكر ويتصوره عند النطق به؛ لأنهم قرروا أن يقول الذاكر: الله الله بالمد والسكون، وقطع الخواطر القلبية مستغرقًا في عظمة المذكور، ملاحظًا بالأحرف الأربعة معنى الأولية والآخرية والبطون والظهور، أي: فكأن الذاكر قال: الله الأول الآخر، الله الباطن الظاهر(٢).

---

(١) يضاف إلى ذلك: هل الاقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه؟ أم بشرار الخلق الذين ورد وصفهم بذلك، في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عند مسلم في الإمارة ح (١٩٢٤) (٣/ ١٥٢٤): «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق». وهؤلاء لا يعرفون من الإسلام إلا كلمة التوحيد أو لفظ الجلالة، فهل يعقل أن يترك الاقتداء بالنبي ﷺ، ويقتدى بمن هذه صفته، وهذا مبلغ علمه؟! ومن اقتدى بشرار الخلق فهو مثلهم. نسأل الله العافية والسلامة.

(٢) في هامش الأصل: نقل الشيخ/ فالح الظاهري المدني السنوسي (ت: ١٣٢٨هـ) في ثبته عن والده قال: سمعته مرة بعد تهجده يفسر قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. فقال: «هو الأول بالذات في الأزل، والآخر بالنسبة، من باب: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]. الظاهر لقلوب أصفيائه بمحو الصفات النفسانية، وإثبات الصفات الإلهية السنية، والباطن لقلوب المؤمنين من باب ما ورد: «حجابه النور، ولو برز منه مقدار أنملة، لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره من جميع خلقه»» اهـ.

قال المحقق العربي ابن أحمد في جواهر القرطاس: «إنه لا أسرع بالمواهب اللدنية والفتوحات الربانية، من ذكر الاسم: الله، مصورًا أحرفه الأربعة تصويرًا خياليًا بين عينيه، ويستمر هكذا مصورًا ذكر الله إلى أن ينقطع نفسه الأول، وكذا في النفس الثاني وهلم جرا». اهـ.

قلت: لو سلمنا أن ذاك ذكر بتلك الملاحظة والتصور فهو غير مأثور! والمأثور أفضل بالإجماع، وملاحظة الذاكر لمعاني ما يذكر به، وتصور ما يلفظ به، من شرط الذكر وتمام الأجر، فليس له فيه من الثواب إلا بقدر ما يحضر فيه قلبه، وانظر فيما روي من ضرب عمر رضي الله عنه بالدِّرَّة الرجل الذي سمعه يقول: لبيك يا ذا المعارج[1]، مع أنه ذِكْرٌ صحيح المعنى ولكنه بدعة، وقصده ـ رضي الله عنه ـ المحافظة على المأثور وحسم البدعة.

قال المقبلي اليماني ـ في العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ ـ: «ونحن في وقتنا هذا لما اضمحلت العلوم في كل فن، وصار الناس عكوفًا على رسوم مخصوصة، من لم يقف عندها كان مدعيًا، صار الواجب في الصوفية العكوف في الرباطات والبناءات التي وضعوها على المقابر، المسماة: بالمشاهد على السماع المقرون بكلمات، يُقْرَن بها اللهو الذي أقر أهله أنه أخذ من الجواري والسوقة، إنما تفرق بينهما بتسميتهم هذا ذكرًا وذاك لهوًا، وبأن ذلك يرجع بالدان وهذا بلفظة: يا هو، والله الله، يقلبونها كتقليب الدان على الألحان.

فانظر أين بلغت الخسة، وربما يكون ذلك في بيوت فضلائهم، أو

(١) تقدم تخريجه (ص٦٥).

بيوت الغرباء وسائر الاجتماعات، بل وأفضل أماكن الذكر المساجد، حتى المسجد الحرام، كما قال إسماعيل المقري:

أَصْبَحَتْ مَسَاجِدُنَا لِلَّهْوِ وَاللَّعِبِ   بِرَغْمِ سُنَّةِ خَيرِ العُجْمِ والعَرَبِ

وهي أبيات طويلة.

وكذلك من الفرق قولهم: لهم المعنى ولنا المغنى، فيا لها كلمات طارت في آذان المخذولين، ووافقت دسيسه بطالة في أفئدة المفتونين.

ومما شاع اليوم، هؤلاء الذين يقولون: الله الله، يكررونها محرفة إلى أن يصير تكلمه بها نوعًا من النهيق، وذلك عندهم علامة الإخلاص، وقد يصير إلى حالة من أحوال سكرهم، الذي يعتذرون به إذا نسبت إليهم الأمور الشنيعة، وإنما يعتذر لهم من بقي فيه مسكة من المحبة لهم، وأما هم فإنما يفتخرون بالمبالغة بخلع العذار، ولقد منَّ الله علينا في اليمن بحسم هذه المادة، بسبب الإمام القائم فيها»[(١)] انتهى.

وأما الذكر الصدري الذي قال عنه السائل: هل يجوز إخراج الاسم من الصدر كما هو مشاهد؟ أي: من سماع صوت خارج من الصدر بأحرف غير مفهومة، كأصوات بعض الحيوانات، مثل: هوهة ونبيح، فهذا لا يسمى ذكرًا في الشرع، ولا شك أنه من البدع، ومما يمجه الطبع، وهو الذي عدَّه كثير من العلماء من قبيل النهيق والبعبعة.

وأما الذكر: فحكمه حكم القراءة، لا يُعدُّ ذكرًا إلا ما سمعته أذن الذاكر،

(١) العلم الشامخ، (ص٤٦٦، ٤٦٧).

مع الإمكان بلفظ عربي صحيح، والثواب عليه بقدر خلوصه وحضور القلب فيه، وما سواه بدعة، يعاقب فاعله، وللحاكم تأديبه.

وأما الذكر القلبي: فذاك في الطريقة النقشبندية(١)، إما بتصور منهم الاسم المفرد، أو كلمة الإخلاص، ذاكرًا بلسان الخيال، منتقلًا من اللسان إلى القلب ثم إلى الروح، إلى آخر ما قرروه مما يطول شرحه من حصر النفس وغيره، فلا يدخل في باب ذكر اللسان وما يتعلق به من الأحكام، ولكن يدخل في التفكر في عظمة الله وعجائب قدرته، لو لم يدخلوا شرط إحضار صورة الشيخ الذي تلقى منه الذكر قبالة قلبه، ويسمونه الرابطة، وغير ذلك مما لسنا بصدده.

قال الشيخ/ حسن العدوي(٢): «وأما الذكر القلبي فلم أر نصًا فيه، فيما اطلعت عليه من كتب الحفاظ المعتبرين، فمن حفظ ذلك شيئًا فالعهدة فيه عليه» اهـ.

---

(١) انظر تفصيل ذلك وطريقته، وما فيه من مشقة وإجهاد، ما أنزل الله به من سلطان: كتاب: ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع، للأخ الباحث/ عبد الرحمن محمود خليفة، (ص٣٢٨) فما بعدها. وللشيخ عبد الرحمن دمشقية رسالة عن النقشبندية، ذكر فيها طريقة الذكر القلبي.

(٢) لعله: حسن العدوي الحمزاوي، فقيه مالكي، من قرية: «عدوة» بمصر، تعلم ودرس بالأزهر، له عدة كتب، منها: النور الساري من فيض صحيح البخاري، خمسة مجلدات مطبوع. توفي بالقاهرة، سنة: (١٣٠٣هـ). انظر: الأعلام (٢/ ١٩٩).

الفصل السادس

فيما ينفق لجمع الناس على هذا الذكر وما يشتمل عليه

قال السائل: هل الذين يعطون الدراهم لجمع الناس على الذكر الموصوف، أو مناقب الأولياء؛ كمناقب الجيلاني وغيره، مع اجتماع المردان وغير ذلك من المنكرات، مثابون على ما أنفقوه من الدراهم؟ وهل يُعَدُّ ذلك صدقة وفعل خير أم لا؟

أقول: جميع ما ينفق لجمع الناس ذلك الاجتماع على الذكر الموصوف، بتركيبه من البدع السابقة، والصرف لما يلزم لذلك الاحتفال من السرج والطعام والشراب، من قبيل ما ينفق في سبيل اللهو وحظ النفس، ويدخل في قوله ﷺ: «من سنَّ سنة سيئة فعليه إثمها، وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة»(١). وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(٢).

ولا يكون جهل المنفق عذرًا وقد أمكنه التعلم أو السؤال، فلا يجوز لأحد أن يقدم على شيء حتى يعلم ما حكم الله فيه، لكن قال شيخ الإسلام: «قد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحًا ولا يكون عالمًا أنه منهي عنه، فيثاب على حسن قصده، ويعفى عنه لعدم علمه»(٣) اهـ.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة، ح (١٠١٧) (٢/ ٧٠٤).

(٢) سورة الكهف، الآية: (١٠٤).

(٣) انظر معناه في: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٠٩).

على أنه لا يخفى على أغبياء الجهال ما يفعل من المنكرات، والتداعي إلى النظر في وجوه الغلمان، واشتهار المتصوفة بذلك من قديم الزمان.

قال القاضي أبو الطيب الطبري: «وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه من سماع الغناء، والنظر إلى وجوه الملاح، بعد تناول الألوان الطيبة والمآكل الشهية، فإذا شبعت منها نفوسهم، طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص، والاستمتاع بالنظر إلى وجوه المرد، ولو نظروا فيما ذكر من التقلل إلى الغذاء، وما فيه من المجاهدة دون الشهوات، لأخذوه بقدر، ولم يحنوا إلى سماع ونظر»(١) اهـ.

ولا يخفى أنَّ النظر إلى الأمرد بشهوة حرام عند جميع العلماء كافة(٢)، وعند الإمام النووي حرام مطلقًا، بشهوة أو بغير شهوة(٣).

ومثل ذلك ما يعطيه المستمعون للمنشد المغني؛ ليجيد في اختيار الأشعار المطربة المرقصة، فليس للمعطي إلا ما نواه، فهو في سبيل اللهو والشهوة، والصدقة ما كان في غير مقابل، والأولى بها المتقي، فلا يأكل طعامك إلا تقي(٤).

---

(١) نقله عنه القرطبي في تفسيره (٧/ ٣٣٣)، وهو في تلبيس إبليس، ص(٢٦٨).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢١/ ٢٤٣)، فتح الباري (٩/ ٣٣٧)، الإنصاف (٨/ ٢٨)، البحر الرائق (١/ ٢٨٤).

(٣) ينظر: المجموع (٤/ ٥١٥)، وروضة الطالبين (٧/ ٢٤، ٢٥).

(٤) جزء من حديث رواه أبو داود، في كتاب: الأدب ح (٤٨٣٢)، (٤/ ٢٥٩)، والترمذي في الزهد، ح (٢٣٩٥) (٤/ ٦٠٠)، وقال: «حديث حسن». وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ح (٧٣٤١).

مطلب
الاجتماع إلى مناقب الأولياء

ومثل ذلك: ما ينفق لجمع الناس لمناقب الجيلاني، أو الولي الفلاني، من أرباب المقامات المشهورة عند الناس ليلة الحول، أي: في الشهر الذي توفي في مثله من كل عام؛ احتفالًا بشأنه والتماسًا لمدده، يقال: عندنا ليلة الحول، وعند أهل الهند: عرس الشيخ فلان، أي: ليلة زواجه تشبيهًا. والجميع بمعنى العيد، بل يقال في بعض البلدان: عيد السيد فلان، وربما استمر أيامًا كالأفراح، وينفق لذلك عند ضريحه ـ غالبًا ـ من أنواع السرج والأطعمة مبالغ طائلة، وتزدحم العامة في تلك المواسم القائمة، ويفعل عندها الذكر الموصوف، وتدق الطبول والزمور، وما أشبه ذلك.

قال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل في الفنون: «أبرأ إلى الله من جموع أهل وقتنا في المساجد والمشاهد، ليالي يسمونها أحياء، وما هي إلا إحياء لأهوائهم» اهـ.

ولا يخفى ما يحصل عند تلك المشاهد من المنكرات الكثيرة، كما قال السائل: حتى على العوام، ولكنهم يبرحون كالبهائم السائمة، بحكم العادة التي تجعل المنكر دينًا معروفًا، من قساوة القلوب وعدم التذكير والإرشاد، طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، حتى سدت الآذان عن سماع الحق، وإنكار المنكر والأمر بالمعروف، ولم يبالوا بأمر الدين.

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَو نَادَيْتَ حَيًا ... وَلكِنْ لاَ حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

فسرت عدم المبالاة بالدِّين إلى الخاصة والحكام، فصارت تخشى صولة العامة، وتميل إلى جذب خاطرها إليه، بعدم الوقوف أمامها في تلك العادات التي يرأسها بعض الشيوخ من القبوريين، وكل ذلك من ضعف الدين وانطماس البصيرة، وإشراب القلوب تلك البدع المألوفة.

وفي حديث حذيفة في مسلم: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكتت به نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصيرا على قلبين: قلب أبيض مثل الصفا، فلا يضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًا(١) كالكوز مُجَخِّيًا(٢) لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب هواه»**(٣).

ومما لا يخفى على أحد: أن الدين النصيحة، ورأسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعلى من وقف على الحكم الشرعي في تلك البدع والمنكرات، أن ينكرها بيده أو بلسانه أو بقلبه، وهو أضعف الإيمان، على ما

---

(١) قال في آخر الحديث: قال أبو خالد الراوي: فقلت لسعيد: يا أبا مالك، ما أسود مربادًا؟ قال: شدة البياض في سواد. اهـ.
وذهب بعضهم إلى أنه فيه تصحيفًا، صوابه: شبه البياض؛ لأن الربدة إنما هي شيء من بياض يسير مخالط السواد. انظر: هامش مسلم (١/ ١٣٠).

(٢) أي: مائلًا. والمُجَخِّي: المائل عن الاستقامة والاعتدال، فشبه القلب الذي لا يعي خيرًا بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء؛ لأن الكوز إذا مال انصب ما فيه. لسان العرب، مادة: [جخا]، (١٤/ ١٣٣).

(٣) رواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: أن الإسلام بدأ غريبًا... ح (١٤٤) (١/ ١٢٨).

ورد في الحديث[١].

وعليه: أن يتجنب حضورها أو المرور في طريقها، كما يتجنب أعياد الأديان المخالفة، فقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب: اقتضاء الصراط المستقيم: أن أصل إحداث المسلمين لهذه الأعياد لها أصل منهم، إما من اليهود أو النصارى، أو المجوس عبدة الأوثان والنار، ولذا يكثرون في بعضها النيران. وذكر أشياء طويلة مفصلة مفيدة[٢]، لكن يدل أن هذا شيء قد يختلف كثيرًا بحسب البلدان والأزمان.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر من الإيمان. من حديث: طارق بن شهاب، ح (٤٩) (١/ ٦٩).

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥١٥)، فما بعدها.

الخاتمــة

اعلم: أنه قد ظهر من جملة ما سبق، أنَّ ذكر أهل الطرق المعروف مشتمل على أنواع من البدع، وإذا تأملتها وجدتها تصل إلى عشرة، وكل واحدة منها يكفي في المنع، وربما زادت:

الأول: الاجتماع على تلك الصورة باسم عبادة ذات بدع، أو بدع تسمى عبادة وذكرًا.

الثاني: كونه بالمسجد أو المقبرة أو السوق؛ أما كونه بالمسجد فلأن فيه تشويشًا على المصلين، ولا يخلو المسجد من متعبد، وقد ذكر الفقهاء كراهة رفع الصوت بالقراءة فيه لذلك، وهذا بقطع النظر عما اشتمل عليه هذا الاجتماع من البدع.

وأما المقبرة فالمناسب لها خفض الصوت عندها، والاعتبار بأصحابها، وعدم إيذائهم بالبدع المحدثة، وقد جرت عادتهم عمله بقرب مشهد من المشاهد الشهيرة؛ لالتماس المدد من صاحبه، فإن نفوس العامة تنزع إلى الظواهر فتفتن بما فيها من الزخرفة، وتخرج في اعتقادها إلى الغلو، فتسمع بأذنك منهم الطلب الصريح من الموتى.

قال الشوكاني: «ومما أحكيه لك: أنه يبلغني ــ وأنا في الطلب للعلم والاشتغال به ــ ما يصنعه أهل القطر التهامي، من الاجتماع لزيارة جماعة من المعتقدين لدينهم، وما يحدث منهم عند ذلك، من النهيق الذي لا يعود صاحبه إلى الإسلام سالمًا، مع عدم إنكار من بتلك الديار من العلماء»(١).

---

(١) ينظر: أدب الطلب، (ص٢٥٨، ٢٥٩).

إلى آخر ما قال.

وأما كونه بالسوق؛ فلأن فيه امتهانًا لذكر اسم الله تعالى كما لا يخفى، ولو كان محفوفًا بالبدع.

الثالث: الرقص بالتكسر والتثني والتمايل، أي: بالحركات الموزونة، وأما التواجد فلا يكون كذلك، وهذا مجمع على تحريمه كما حكاه بعضهم، وبنى عليه الحكم بالردة لمستحله، كما في الطريقة المحمدية[1]، ومجمع الفتاوى الوهبانية:

وَمَنْ يَسْتَحِلِ الرَّقْصَ قَالُوا بِكُفْرِهِ ... وَلاَ سِيَمَا بِالدُّفِ يَلْهُو وَيَزْمُرُ

الرابع: التصفيق باليد، فهو من سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[2]. وتقدم أن المكاء مثل الصفير، والتصدية هي: التصفيق بالأيدي[3].

الخامس: الغناء وهو محرم أو مكروه، إذا كان بالشعر الغزل، المتضمن لذكر أوصاف النساء أو المردان، أو ما يتعلق بأحوال العشق ونحوه، مما يهيج الهوى الكامن في النفوس، وأعظمه كراهة ما اشتمل على كلام أهل الحلول والاتحاد، وخصوصًا إذا كان المغني أمردًا.

قال ابن القيم: «وأما سماعه من المرأة الأجنبية أو الأمرد، فمن أعظم

---

(١) للبركوي، تقدم (ص ٨).

(٢) سورة الأنفال، الآية: (٣٥).

(٣) (ص٩٣).

المحرمات وأشدها فسادًا للدين»[١]. وأعظم من ذلك إذا كان بآلة لهو، كما يفعله بعضهم، فهي وإن كان سماعها حرامًا، ولكن كونه باسم عبادة فهو أشد حرمة.

السادس: رفع الصوت وتغييره بالنبيح والزعيق والنهيق، وما يبدو من التدليس والتلبيس.

السابع: تحريف الكلم بتغيير ألفاظ الذكر: لفظ الجلالة أو كلمة الإخلاص، بزيادة المد والتمطيط، بحيث يتولد منه حروف أو ألفاظ لا معنى لها، أو نقص حرف؛ كالهاء من لفظ: الجلالة، وذلك حرام باتفاق القراء وأهل التجويد وكذا الفقهاء. ولا تصح الصلاة بمثله، مع الحرمة والإثم في فعله، وعلى الحاكم تأديب فاعله، فإن كلمة الإخلاص بعض آية.

الثامن: إحضار المردان للنظر إليهم، واستلفات أنظار العامة إلى الحضور معهم.

التاسع: الإسراف فيما ينفق فيه من السرج والأطعمة وغيرها؛ كأجرة المغني، وكونها وسيلة إلى إيجاد هذه البدع وما يترتب عليها، وما يتولد عنها، فالوسائل لها حكم المقاصد.

العاشر: نداء الأموات وطلب المدد منهم، وقضاء الحاجات، والتوجه إليهم في الطلب من أعماق قلوبهم بأعلى صوتهم، مما يحرك البعيد والقريب على جهة الاستنجاد، فلا خلاف في تحريمه وفظاعته، وأنه من أكبر الكبائر. عياذًا بالله من ذلك الجهل والغرور، وما أوقع فيه الجمهور من الشرور.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٣٠)، ط: الفقي.

قال بعضهم:

لَيْسَ التَّصَوُّفُ لُبْسَ الصُّوفِ تُرَقِّعُهُ ... وَلاَ غِنَاءكَ إِنْ غَنَّى المُغَنُّونَا
وَلاَ صِيَاح وَلاَ رَقْص وَلاَ طَرَب ... وَلاَ اخْتِبَاط كَأَنْ قَدْ صِرْتَ مجْنُونَا
بَلْ التَّصَوُّفُ أَنْ تصْفُو بِلاَ كَدَرٍ ... وَأَنْ تَتْبع الحَقَّ والقُرْآنَ والدِّينَا
وَأَنْ تُرَىَ خَاشِعًا لله مُكْتَئِبًا ... عَلَى ذُنُوبِكَ طُول الدَّهْرِ مَحْزُونَا

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان(١): «هذا السماع الشيطاني المضاد للسماع الرحماني، له في الشرع بضعة عشر اسمًا: اللهو واللغو والباطل، والزور والمكاء والتصدية، ورقية الزنا وقرآن الشيطان ومنبت النفاق في القلب، والصوت الأحمق والصوت الفاجر وصوت الشيطان، ومزمور الشيطان والسلمود».

ثم شرح كل واحد منها وبيَّنه بيانًا شافيًا، وقد أتى بقصيدة طويلة مفيدة(٢)، وأتى بأبيات عديدة منها:

تُلِيَ الكِتَابُ فَأَطْرَقُوا لاَ خِيفَةً ... لَكِنَّهُ إِطْرَاق سَاهٍ لاَ هِي
وَأَتَى الغِنَاءُ فَكَالذُّبَابِ تَرَاقَصُوا ... وَالله مَا رَقَصُوا مِنَ أَجْلِ الله
دفٌ وَمزْمَارٌ وَنَغْمَةُ شَادِ ... فَمَتَى شهدت عِبَادَة بِمَلاَهِي

(١) (١/ ٢٣٧) ط: الفقي.

(٢) مطلعها:

ذهب الرجال وحال دون مجالهم ... زُمَرٌ من الأوباش والأنذال

وتقع في (١٣٠) بيتًا. انظر: الإغاثة (١/ ٢٣١، ٢٣٧). والأبيات المذكورة ليست منها، وليست في الإغاثة، وإن كانت للمصنف رحمه الله.

ثَقُـلَ الكِتَـابُ عَلَـيهِمْ لمَـا رَأَوا ... تَقْيِيـــدَه بِــــأَوَامِرِ وَنَـــوَاهِي
سَـمِعُوا لَـهُ رَعْـدًا وَبَرْقًـا إِذْ حَـوَى ... زَجْـرًا وَتَــخْوِيفًا بِفِعْـل منَـاهِي
وَرَأوه أَعْظَـمَ قَـاطِعٍ للـنَّفْسِ عَـنْ ... شَـهَوَاتِهَا يَـا وَيحَهَـا المتَنَـاهِي
وَأَتَـى السَّـمَاعُ مُوَافِقًـا أَغْرَاضَـهَا ... فَلأَجَـلِ ذَاكَ عُـدَّ العَظِـيمُ الجَـاه
أَيـنَ المُسَـاعِدُ لِلهَـوَى مِـنْ قَـاطِعٍ ... أَسْـبَابه عِنْـدَ الجَهُـولِ السَّـاهِي
إِن لمْ يَكُـنْ خمـر الجُسُـومِ فَإِنَّـهُ ... خمْـرُ العُقُـولِ مَاثِـلُ وَمُضَـاهِي
فَـانْظُرْ إِلى النَّشْـوَانِ عَنْـدَ شَرَابِـهِ ... وَانْظُـر إِلى النَّشْـوَانِ عِنْـد مَلاَهِـي
وَانْظُـــر إِلى تمَزِيـــقِ ذَا أثْوابـــه ... مِـنْ بَعْـدِ تمَزِيـقِ الفُـؤادِ اللاَهِـي
فَاحْكُـم فـأي الخَمْـرَتَين أَحَقُّ بِالتَـ ... ـــحْرِيمِ وَالتَــأْثِيمِ عِنْــدَ الله
وَعَلَـيهِم خَـفَّ الغِنَـا لمـا رَأوا ... اطْلاَقَــه فِي اللَّهْــوِ دُونَ مَنَـاهي
يَــا فِرْقَــة مَــا ضَرَّ دِيــنُ محُمَـدٍ ... وَجَنَــوا عَليــه وَمِلَّــة إلاَ هِــي؟

وقال بعض الفضلاء ـ كما في الفتاوى عند أرباب الفتوى ـ:

وَالــرَّقْصُ وَالصُّرَــاخُ والتَّصْـفِيقُ ... أَبَـــدًا بَـــذِكْرِ الله لاَ يَلِيــــقُ
وَإِنَّـــمَا المَطْلُـــوبُ فِي الأذْكَــارِ ... الــذِّكرِ بِالخُشُــوعِ وَالوَقَــارِ
فَوَاجِـــبٌ تَنْزِيـــه ذِكــرِ الله ... عَــلى اللَّبِيــبِ الــذَّاكِرِ الأَوَّاهِ
عِـنْ كُـلِ مَـا تَفْعَـل أَهْـلُ البِـدَعِ ... وَيَقْتَـدِي بِفِعْـل أَرْبَـابِ الـوَرَعِ
فَقَـــدْ رَأَينَـــا فِـــرْقَتَين ذَكَـــرُوا ... تَبَـــدَّعُوا وَرُبَـــمَا قَـــدْ كَفَـــرُوا

وقال:

أَخْلَـوا مِـنْ اسْـمِ الله حَـرْفَ الهَـاءِ ... فَلَحَـــدُوا فِي أَعْظَـــمِ الأَسْــمَاءِ

لَقَــدْ أَتَــوُا واللهِ شَـيْـئًا إِدًّا ... تَخِــرُّ مِنْــهُ الشَّــامِخَاتُ هــدًّا
قَــدْ غَـيَّرُوا اسـمَ اللهِ جَـلَّ وَعَـلاَ ... وَزَعَمُـوا نَيْـلَ المَرَاتِـبِ العُـلاَ
فَـــالقَومُ إِذاَ زَاغُــوا أَزَاغَ اللهُ ... قُلُــوبَهُم فَانْسَــلَخُوا وتَــاهُوا
وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ عَنْ خَيرِ البَشَرِ ... لَـنْ يَخْـرُجَ الـدَّجَالُ يَعْنِـي الأَكْـبَرَا
حَتَــى تَقُــومَ قَبْلَــهُ دَجَاجَلَــةُ ... كُــلُ يَلُــوذُ بِطَرِيــقٍ مَائِلَــةٍ
مَـنْ لَمْ يَلُـذْ بِـالمَنْهَجِ المُحَمَـدِي ... بَــاءَ بِسَــخْطِ اللهِ طُــولَ الأَبَــدِ

ولما بيَّن الإمام الغزالي أصناف المغترين، بين غرور المتصوفة، فقال ـ كما في مختصر الإحياء ـ: «وهم فرق كثيرة، ففرقة منهم: اغتروا بالزي والهيئة والمنطق، فيجلسون على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب؛ كالمتفكر، وفي تنفس الصعداء، وفي خفض الصوت في الحديث، ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب، وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجليلة، وكل ذلك من أوائل منازل التصوف، مع أنهم لم يحوموا قط حولها، ولم يسوموا أنفسهم شيئًا منها.

وفرقة ادَّعت علم المعرفة ومشاهدة الحق، و مجاوزة المقامات والأحوال، والملازمة في عين الشهود، والوصول إلى القرب، ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ؛ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات، فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين، فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء، بعين الازدراء فضلًا عن العوام، حتى إن الفلاح ليترك فلاحته، والحائك يترك حياكته، ويلازمهم ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة، فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي، ويخبر

عن سرِّ الأسرار، ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء، ويقول: إنهم من الله محجوبون، ويدعي لنفسه الوصول إلى الحق، وأنه من المقربين، وهو عند الله من المنافقين، وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين، لم يُحْكِمْ قط علمًا، ولم يهذب خلقًا، ولم يرتب عملًا، ولم يراقب قلبًا سوى اتباع الهوى، وتلقف الهذيان وحفظه.

وفرقة وقعت في الإباحة وطووا بساط الشرع، ورفضوا الأحكام، وسووا بين الحلال والحرام، فبعضهم يقول: إن الله مستغنٍ عن عملي فَلِمَ أتعب نفسي؟! وبعضهم يقول: الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب، وقلوبنا والهة بحب الله، وواصلة إلى معرفة الله، وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا، وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية، فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب! ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام، واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية، وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها. وكل هذا من وساوس يخدعهم الشيطان بها، والإباحة من الكفار المارقين. نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين.

وفرقة ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة، فتصدوا لخدمة الصوفية، فجمعوا قومًا وتكفلوا بخدمتهم، واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال، فيجمعون من الحرام والشبهات، وينفقون عليهم؛ لتكثر اتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم، وما باعثهم إلا الرياء والسمعة.

وثمة فروق أخرى لا يحصى غرورها. والغرض من ذلك التنبيه على

أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول»[(١)].

والله سبحانه وتعالى أعلم.

هذا آخر ما جرى به القلم، في كتاب: التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق، والله ولي التوفيق. أسأله الإخلاص والقبول، إنه سبحانه هو المأمول وبالإجابة حقيق.

وكان ذلك في يوم الخميس المبارك، الموافق واحدًا وعشرين من شهر شعبان من العام المبارك، الرابع والثلاثين بعد الثلاثمائة والألف، من هجرة سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

على يد مؤلفه الفقير إلى المولى الخبير: أبي بكر بن محمد عارف خوقير، المدرس بالحرم المكي، عفا الله عنه وعن سلفه وخلفه، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

(١) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة (٣١٢-٣١٤). بلفظه، وانظر أصله في: الإحياء (٣/ ٤٠٤-٤٠٧).

مجموعة الرسائل المكية في العقيدة الإسلامية
المجموعة الأولى : مجموعة رسائل الشيخ أبي بكر محمد خوقير رحمه الله (١/ ٤)

الرسالة الرابعة

تحرير الكلام في صفة الكلام

تأليف العلّامة

أبي بكر بن محمد عارف خوقير

(ت: ١٣٤٩هـ)

تحقيق وتعليق

د. عبد الله بن عمر الدميجي

جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن العِلْم بأسماء الله وصفاته هو أجلُّ العلوم وأشرفها وأعظمها؛ لأنه العلم المعرِّف بالله سبحانه وتعالى، وتوحيد الأسماء والصفات هو أساس الهداية والإيمان، وأصل الدين الذي يقوم عليه، والميزان الذي يعرف به العبد ما يجب إثباته لله تعالى، وما يجب تنزيه الباري عنه، وما لا يليق به.

وصفة الكلام لله تعالى هي من أعظم الصفات وآكدها، وتعطيلها يؤدي إلى تعطيل التوحيد والرسالة بأكملها؛ فإن الرسل إنما بعثوا ليبلغوا كلام الله، إذا انتفت عن الله حقيقة الكلام انتفت عنه حقيقة الربوبية والرسالة والنبوة، والرب تبارك وتعالى إنما يخلق بقوله وكلامه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]. فإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفت حقيقة الخلق والإيجاد والتشريع؛ ولذلك فإن مجيء النصوص الدالة على ظهور معانيها، وتعدد أنواعها واختلاف مراتبها، أظهر من كل ظاهر، وأوضح من كل

(١) سورة يس، الآية: (٨٢).

واضح، فقد جاءت الدلالة عليها في أكثر من ثلاثة آلاف موضع في نصوص الشريعة، كما حرر ذلك ابن القيم رحمه الله، وهذا ما لم يكن لأي صفة غيرها.

ومع هذا البيان الشرعي الذي ليس بعده بيان؛ فقد وجهت لهذه الصفة سهام التحريف والتأويل والتعطيل، منذ ظهور الجهمية، وحتى يومنا هذا، وليس بخاف علينا محنة الإمام أحمد، وما لاقاه وغيره من العلماء في سبيل إثباتها وبيان حقيقتها.

وقد ابتلي العلامة/ أبو بكر خوقير رحمه الله، بإثارة بعض الشبهات الخطيرة حول هذه المسألة، فأرْسلت إليه في صورة سؤال، فاستعان بالله تعالى وانبرى للإجابة عليها.

وشبهات السائل ترد على تقرير المتكلمين، من أشاعرة وماتريدية، لصفة الكلام لله تعالى، ولو وقف هذا السائل على حقيقة مذهب السلف لزالت عنه هذه الشبهات.

ومن خلال دراسة هذه الرسالة، يظهر أن المصنف ـ رحمه الله ـ قد تعب في تفنيد هذه الشبهات والرد عليها. وقد كتب هذه الرسالة عِدَّة مرات، وفي كل مرة يزيد عليها وينقص، ويحذف منها ويضيف.

وقد كنت عند بداية التحقيق، قد اعتمدت على نسخة مكتبة الحرم، التي تحمل رقم: (١٢٩٨)، لأنها بخط المصنف، وأنه قد قابلها على الأصل الآخر الذي عنده، ويبدو أن الأولى كانت نسخة مكتبة جامعة الملك سعود، المسجلة برقم: (١٥٩٧).

فقمت بتحقيق هذه النسخة والتعليق عليها، وقد أرهقتني جدًّا؛ لأنها

تحمل كثيرًا من التناقض، وتوحي بأن الصورة لم تكن واضحة في ذهن الشيخ رحمه الله تعالى؛ لأنه كان يكتب نقولات متناقضة، وقد أتي ـ رحمه الله تعالى ـ من قبل اعتماده على بعض الحنابلة الذين تأثروا بقول السالمية، وقرروا بعض الأقوال غير الصحيحة، التي ناقشهم فيها علماء السلف؛ مثل: ابن قدامة المقدسي والسفاريني رحمهما الله تعالى.

إضافة إلى نقله من كتب البيهقي والتفتازاني وغيرهما. وهذه الكتب تقرر الصفة من منطلقات كلامية، إضافة إلى كثرة نقله من كتب شيخ الإسلام، التي تناقض ما تقرر عند المذكورين أعلاه.

ثم لما وقفت على نسخة مكتبة نصيف، المودعة في جامعة الملك عبدالعزيز، برقم: (٢٨٧١)، وجدت أنها تختلف جذريًا عن سابقتها، وفي نهايتها يقول رحمه الله في آخر لوحة: «حرره خادم الحنابلة بمكة المشرفة، في جمادى الثانية، سنة: (١٣٣٧هـ)، ثم أعاد النظر في أول هذا العام سنة: (١٣٤٨هـ)، فأضاف إليه زيادات فيها إيضاحات مع تقديم وتأخير وتصدير، وكان ذلك في (٩) محرم الحرام، سنة: (١٣٤٨هـ)، بقلم صاحبه/ أبي بكر بن محمد خوقير، عفا الله عنه وعن سائر الأسلاف».

وبعد المقارنة بين النسختين وجدتها تختلف جذريًا عن سابقتها، وأنه قد حذف كثيرًا مما كان في السابقة، والتي كانت تحمل مخالفات لحقيقة معتقد أهل السنة والجماعة في الكلام؛ لذلك اضطررت أن أجعل هذه الأخيرة هي الأصل، وأن أعتمد عليها وحدها في التحقيق، وأن ألغي عملي السابق برمته؛ لأن المصنف قد تراجع عنه، وهذه النسخة تعتبر ناسخة لما قبلها، خاصة وأن المصنف لم يعش ـ رحمه الله ـ بعد تعديلها إلا قرابة سنة

واحدة، فهي في آخر عمره.

وقد استدرك كثيرًا من تلك المؤخذات كما أسلفت، وزاد فيها كثيرًا من النقول عن شيخ الإسلام، وحذف كثيرًا من النقول المتأثرة بعلم الكلام، وإن كان بقي هناك بعض الملحوظات التي أشرنا إليها في التعليق على الرسالة.

وقد اعتمد المصنف ـ رحمه الله ـ في الإجابة على هذه الشبه المثارة، على عدة كتب ذات مشارب مختلفة؛ فاعتمد كثيرًا على التسعينية، والمسألة المصرية، وشرح حديث النزول لابن تيمية، والنونية لابن القيم، وعلى الأسماء والصفات والاعتقاد للبيهقي، وعلى البرهان لابن قدامة، وعلى شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري، وفتح الباري، وشرح العقيدة الطحاوية، وشرح الدرة المضية للسفاريني، وغيرها.

وهذه الرسالة من أكثر كتب المصنف تعقيدًا، وأضعفها تحريرًا، وقد حاولت التعليق على ما يحتاج إلى تعليق، مع تحرير النص وتخريج النصوص، وتوثيق النقول قدر المستطاع.

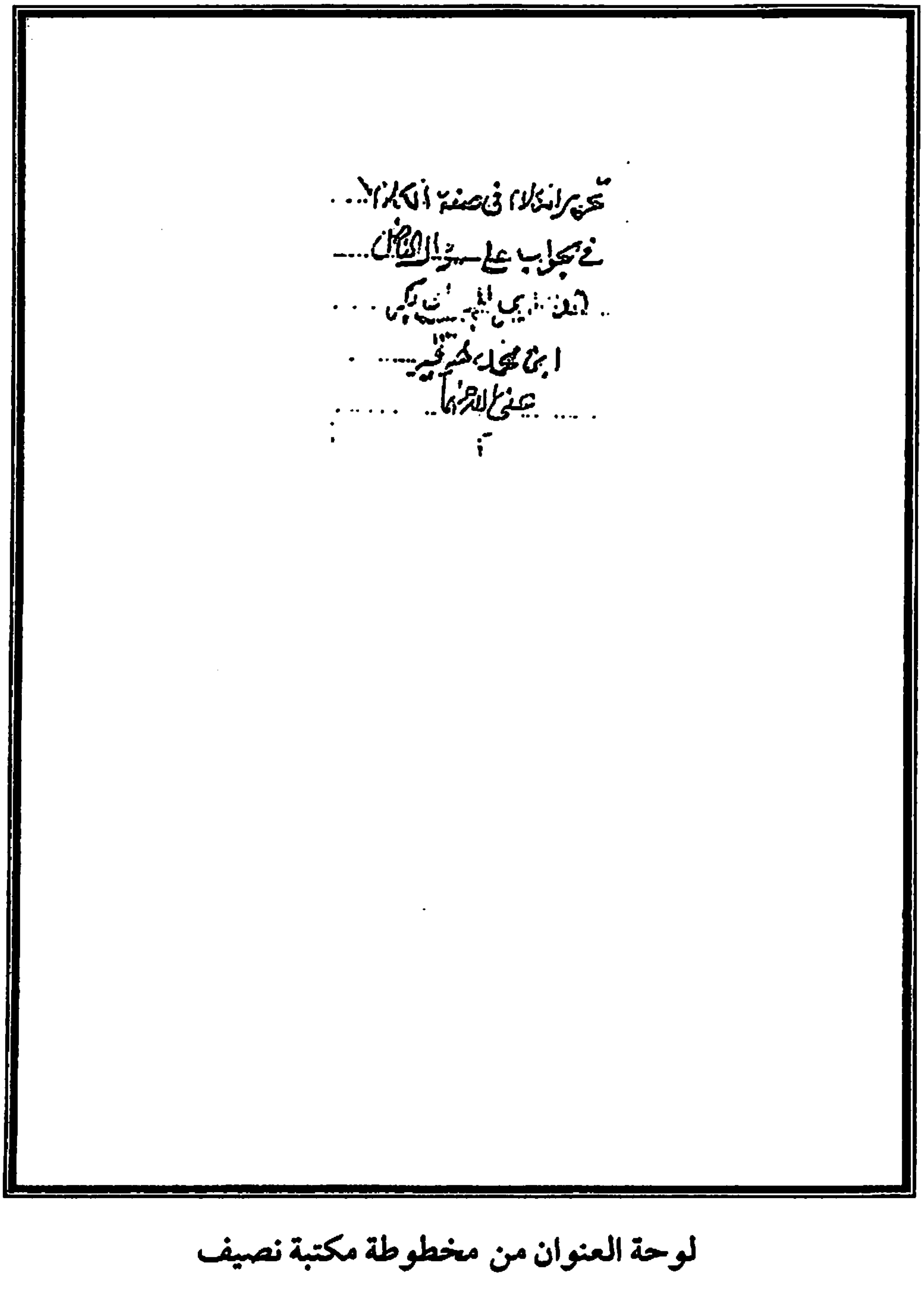
أسأل المولى ـ عز وجل ـ أن يجزي الشيخ عنا خير الجزاء، وأن يرفع درجته في المهديين، وأن يجعلنا وإياه من ورثة جنة النعيم، وأن يجمعنا به في جنات النعيم، وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. عبد الله بن عمر الدميجي

جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

صــور المخطوطات


تحرير الكلام في صفة الكلام
في الجواب على سؤال الفاضل
[illegible]
[illegible]
عفى الله عنهما

لوحة العنوان من مخطوطة مكتبة نصيف

بسم الله الرحمن الرحيم

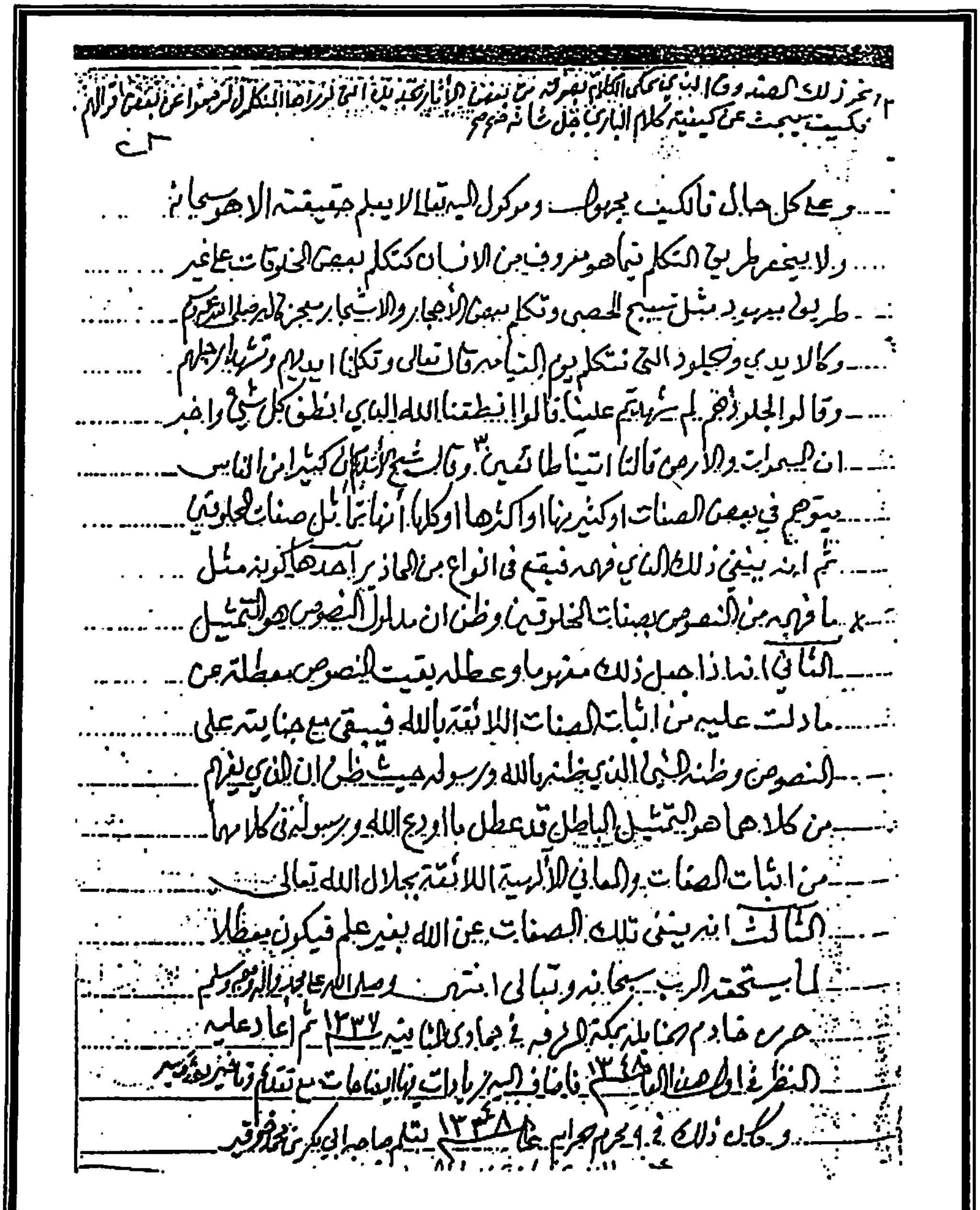
الحمد لله الهادي إلى صراط مستقيم الذي أعرب عن صفة الكلام والتكلم والعلم
والسلام على رسوله الذي بخلق العظيم أنزل عليه القرآن الحكيم المتضمن الوعد بدار النعيم
وعلى الآل والأصحاب والتابعين على النهج القويم.

أما بعد فقد رأيت في المنام كأن المصحف بين يدي أنظر فيه ثم عرض علي هذا
السؤال فلجأت إلى الله ذي الجلال داعيا بما ينبغي أن يقال في حل الإشكال
(يا معلم إبراهيم علمني. اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض
عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما
اختلف فيه من الحق إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)
ثم نظرت في كتب حنابلة السائرين على طريقة السلف فمن الله علي بتحرير
الكلام في صفة الكلام جوابا على هذا السؤال بعد إمعان النظر في إيراده وإيراده
وهذا صورة السؤال بحروفه وبعدها الجواب والله المستعان

سؤال استفهام

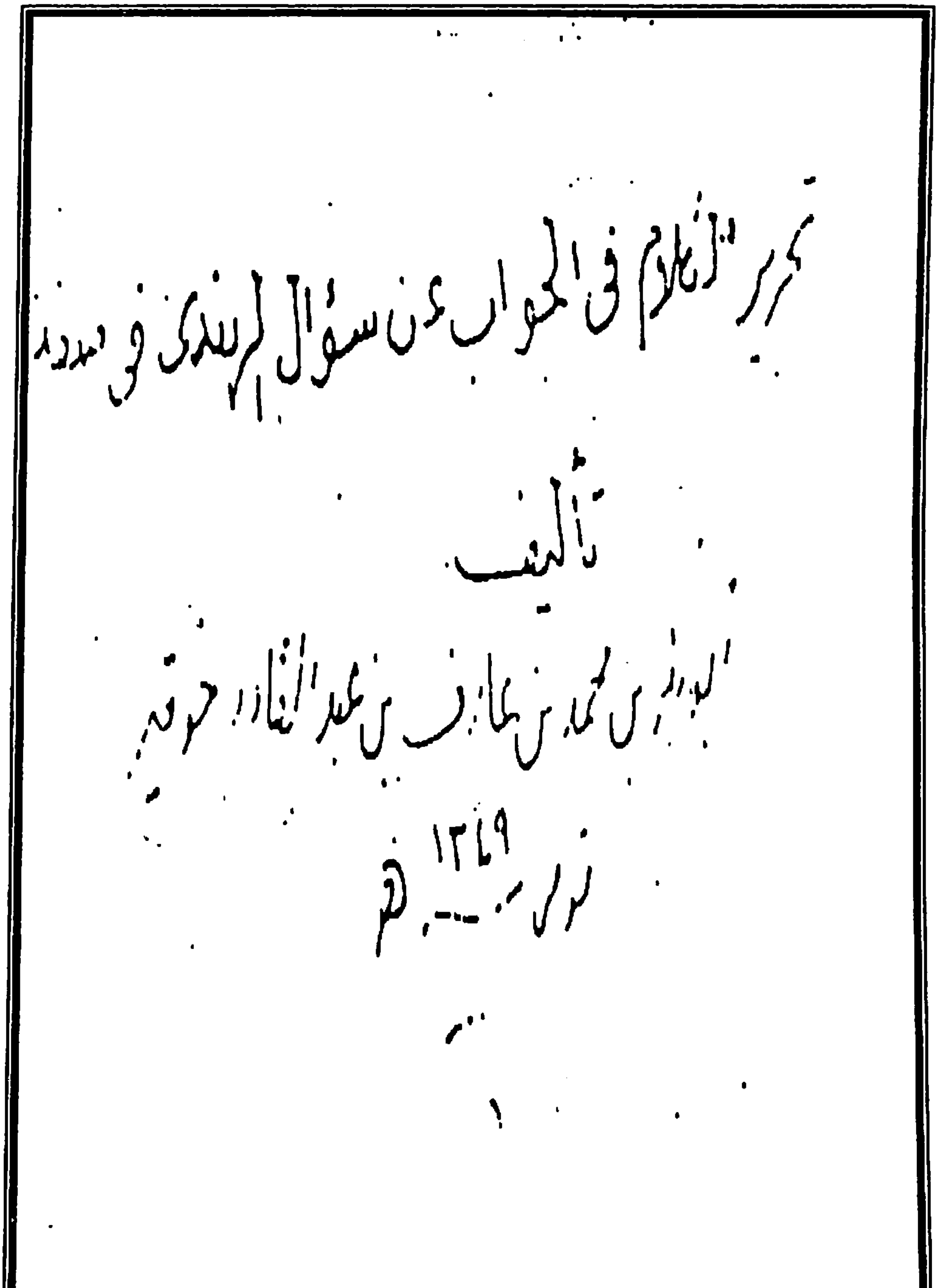
اختلاف أهل السنة والمعتزلة في مسألة خلق القرآن
قال أهل السنة إن القرآن قديم وغير مخلوق لأنه كلام الله والكلام صفته
وكل صفاته قديمة. وقال المعتزلة إنه مخلوق وحادث. ففي هذا
المقام يتوجه السؤال الآتي

اللوحة الأولى من مخطوطة مكتبة: نصيف

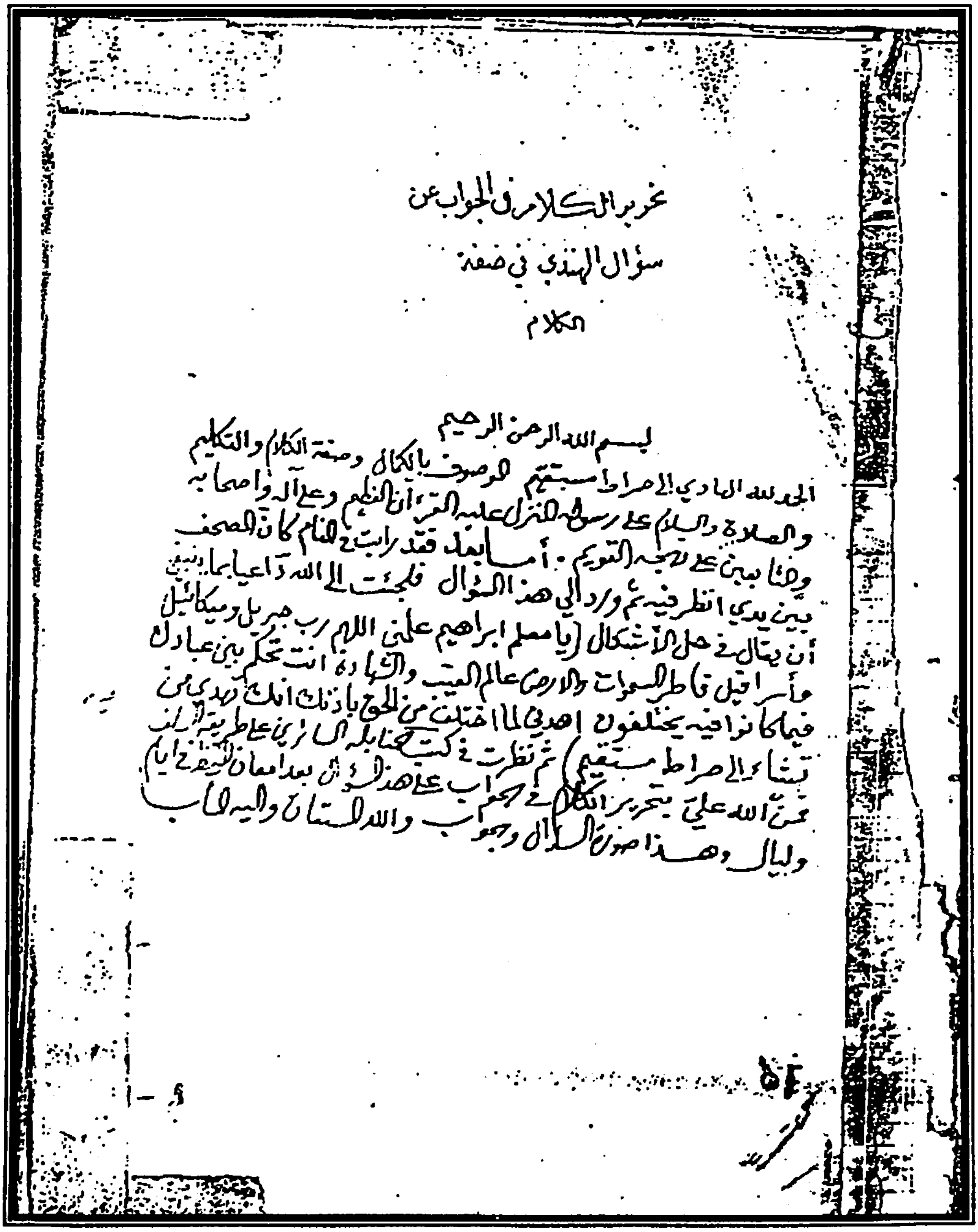

... ذلك الصدد ... الكلام ... الآثار ... المتكلم ... ثم
... كيفية كلام الباري جل شأنه ...

وعلى كل حال فالكيف مجهول وموكول إليه تعالى لا يعلم حقيقته إلا هو سبحانه
ولا ينحصر طريق التكلم فيما هو معروف من الإنسان فتكلم بعض المخلوقات على غير
طريق معهود مثل تسبيح الحصى وتكلم بعض الأحجار والأشجار معجزة له صلى الله عليه وسلم
وكالأيدي والجلود التي تتكلم يوم القيامة قال تعالى وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وأخبر
أن السموات والأرض قالتا أتينا طائعين. وقال شيخ الإسلام كثيرا من الناس
يتوهم في بعض الصفات أو كثير منها أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين
ثم إنه ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أنواع من المحاذير أحدها كونه مثل
ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل
الثاني أنه إذا جعل ذلك مفهومها وعطله بقيت النصوص معطلة عن
ما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله فيبقى مع جنايته على
النصوص وظنه السيء الذي ظنه بالله ورسوله حيث ظن أن الذي يفهم
من كلامهما هو التمثيل الباطل قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما
من إثبات الصفات والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى
الثالث أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم فيكون معطلا
لما يستحقه الرب سبحانه وتعالى انتهى وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم
حرره خادم الحنابلة بمكة المكرمة في جمادى الثانية ١٣٣٧ ثم أعاد عليه
النظر في أواسط ... فأضاف إليه زيادات ... مع تقديم وتأخير ...
وكان ذلك في ٩ محرم الحرام عام ١٣٤٨ بقلم جامعه أبي بكر بن محمد خوقير

اللوحة الأخيرة من مخطوطة مكتبة: نصيف



لوحة العنوان من مخطوطة الحرم المكي


تحرير الكلام في الجواب عن
سؤال الهندي في صفة
الكلام

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الهادي إلى صراط مستقيم الموصوف بالكمال وصفة الكلام والتكليم
والصلاة والسلام على رسوله المنزل عليه القرآن العظيم وعلى آله وأصحابه
ومن تبعهم على نهجه القويم. أما بعد فقد رأيت في المنام كأن المصحف
بين يدي أنظر فيه ثم ورد إلي هذا السؤال فلجأت إلى الله داعيا بما ينبغي
أن يقال في حل الإشكال (يا معلم إبراهيم علمني اللهم رب جبريل وميكائيل
وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من
تشاء إلى صراط مستقيم) ثم نظرت في كتب الحنابلة أن أرى على طريقة السلف
جوابا على هذا السؤال بعد إمعان النظر أياما
فمنّ الله علي بتحرير الكلام في الجواب والله المستعان وإليه المآب
وليالي وهذا صورة السؤال والجواب

اللوحة الأولى من مخطوطة مكتبة الحرم المكي

١٩

يرويها بعضهم عن بعض لم ينكرها منكر فيكون اجماعا كما قال كما نقله

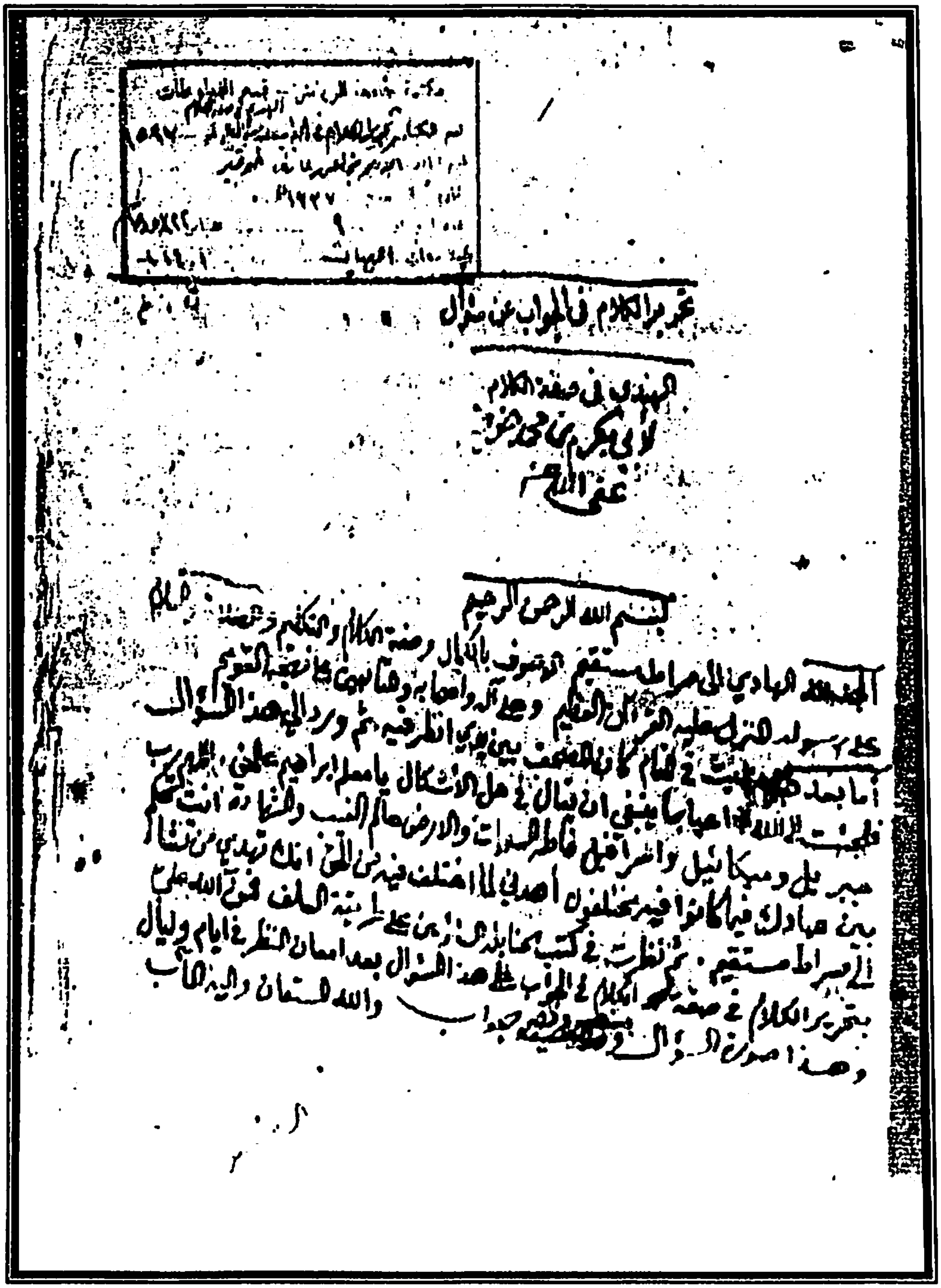
السفاريني الحنبلي وقد اكثر من النقل عن المحققين في شرحه على الدرة

المضية بالتحقيقات المرضية فارجع اليه فانه في مذهب السلف هو المعول

عليه والله سبحانه وتعالى اعلم حرره شيخ الحنابلة بمكة المشرفة ابو بكر بن

محمد خوقير عفى الله عنهما

اللوحة الأخيرة من مخطوطة مكتبة الحرم المكي



تحرير الكلام في الجواب عن سؤال

الهندي في صفة الكلام

لأبي بكر بن محمد ...

عفى الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادي إلى صراط مستقيم الموصوف بالكمال وصفة الكلام والتكلم ... على رسوله المنزل عليه القرآن العظيم وعلى آله وأصحابه وقرابته ... أما بعد ... في الإمام ... ثم ورد إلي هذا السؤال ... فأجبت ... اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ... ثم نظرت في كتب ... بعد إمعان النظر في أيام وليال ... بتحرير الكلام في صفة ... في الجواب على هذا السؤال ... والله المستعان وإليه المآب

اللوحة الأولى من مخطوطة جامعة الملك سعود

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادي إلى صراط مستقيم، الذي أعرب عنه بصفة الكلام والتكليم، والصلاة والسلام على رسوله ذي الخلق العظيم، المنزل عليه القرآن الحكيم، المتضمن للوعد بتأويله للفهيم، وعلى الآل والأصحاب والتابعين على النهج القويم.

أما بعد: فقد رأيت في المنام كأن المصحف بين يدي أنظر فيه، ثم ورد عليَّ السؤال(١)، فلجأت إلى الله ذي الجلال، داعيًا بما ينبغي أن يقال في حَلِّ الإشكال: «يا معلم إبراهيم علمني»، «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(٢).

---

(١) يبدو أن الشيخ رأى الرؤيا، ثم ورد إليه السؤال عن صفة الكلام، فأوَّل رؤياه بما عزم عليه من تحرير لهذه الرسالة جوابًا على هذا السؤال. والله أعلم.

(٢) استنباطًا من الحديث الذي أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، ح (٧٥٣) (عون ١/ ٤٧١)، عن عائشة قالت: كان إذا قام ﷺ من الليل كان يفتتح صلاته: «اللهم رب جبريل...».
وكذا أخرجه الترمذي في الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، ح (٢٤٢٠) (٥/ ٤٨٤)، وقال: «حسن غريب». وأخرجه النسائي في قيام الليل (١٢)، وابن ماجه في الأوقات (١٨٠)، وأحمد في المسند (١/ ٩، ١٠، ١٤).

ثم نظرت في كتب الحنابلة السائرين على طريقة السلف، فمنَّ الله علي بتحرير الكلام في صفة الكلام؛ جوابًا على هذا السؤال، بعد إمعان النظر في أيام وليال، وهذا صورة السؤال بحروفه، وبعدها الجواب، والله المستعان.

سؤال استفهام: اختلاف أهل السنة[(١)] والمعتزلة في مسألة خلق القرآن.

قال أهل السنة: إنَّ القرآن قديم، وغير مخلوق؛ لأنه كلام الله، والكلام صفته، وكل صفاته قديمة.

وقال المعتزلة: إنه مخلوق وحادث، ففي هذا المقام يتوجه السؤال الآتي:

لا يخفى أنَّ الكلام له معنيان:

١- المعنى المصدري.

٢- المعنى الحاصل من المصدر؛ أي: نفس الكلام الصادر من إنسان مثلًا. فقولنا: كلام الله يحتمل المعنيين المذكورين:

١- صفة الكلام وقدرته.

٢- نفس الكلام الصادر من تلك الصفة.

أما الأول: صفة الكلام وقدرته؛ أعني كونه متكلمًا وقادرًا على الكلام، فمسلّم أنه قديم، كذات الله؛ لأنه صفة من صفاته، وكل صفاته قديمة، ولا أظن عاقلًا يشك في هذا.

---

(١) يظهر من السؤال أن السائل يعني بأهل السنة: الأشاعرة، وهذه الشبه واردة عليهم. ولو وقف على حقيقة كلام أهل السنة لزالت عنه هذه الشبه. والله تعالى أعلم.

أما الكلام بالمعنى الثاني؛ أي: نفس الكلام الصادر من تلك الصفة، كالتوراة والإنجيل والقرآن وسائر الكتب المنزلة، وكلام الله مع موسى وغيره، ففي كونه قديمًا كقدم ذات الله، محل اشتباه.

١ - لا يخفى أنَّ التوراة والإنجيل والفرقان وسائر الكتب المنزلة، إنما نزلت لإصلاح البشر تدريجًا، فكلما ارتقى الإنسان نزل كتابًا أحسن من الأول، وأكمل وأنسب للحاجة العصرية[١].

ولذلك كانت الكتب المتأخرة تنسخ شيئًا من الكتب المتقدمة.

فإن قلنا: [إنها][٢] كلها قديمة كذات الله، يلزم منه أنَّ كلها كانت موجودة في زمان واحد، وأن الناسخ والمنسوخ شُرعا في وقت واحد، بل في غير وقت؛ لأنه حينئذ لا يكون لابتدائها وقت، وإنما الفرق باعتبار التنزيل.

٢ - ورد في كثير من الآيات والأحاديث، ذكر كلام الله مع الملائكة وغيرهم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾[٣]، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ

---

(١) دعوى ارتقاء الإنسان، وأن كل كتاب متأخر هو أحسن مما قبله، مسألة غير مسلمة؛ فالتوراة مقدمة على الإنجيل وأفضل منه وأكمل، وهو متأخر في التنزيل.
لكن من المعلوم: أن الله سبحانه وتعالى لحكمته البالغة، ينزل على رسله في كل عصر أفضل ما يناسبهم ويصلح شأنهم. ولما كانت الأمة المحمدية هي آخر الأمم، ونبيها أفضل الأنبياء، ولا نبي بعده، فقد اختار الله تعالى لها أحسن كتبه وأتمها وأشملها، وهو المناسب لهذه الدعوة العالمية الخاتمة والشاملة. والله أعلم.

(٢) في الأصل: «أن».

(٣) سورة البقرة، الآية: (٣٤).

﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾(١)، و﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾(٢)، وقولـه تعالى لإبليس: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾(٣)، وكتكلمه مع موسى عليه السلام(٤)، وكما ورد في حديث النزول: «إنَّ الله يقول: من يدعوني أستجيب له، ومن يسألني أعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له»(٥)، وقوله تعالى مع أهل الجنة يسألهم: «هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى! وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك. فيقول: أنا [أعطيكم](٦) أفضل من ذلك»(٧). فكلُّ هذه الأقوال كلام الله، وكله واقع في أزمنة مختلفة، بل منها ما يقع كل يوم؛ كالقول المذكور في حديث النزول. ومنها ما لم يقع وسوف يقع؛

---

(١) سورة ص، الآية: (٧١).

(٢) سورة سبأ، الآية: (٣٣). والشاهد فيها قوله: ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ الآية.

(٣) سورة الحجر، الآية: (٣٤).

(٤) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

(٥) حديث النزول حديث متواتر، روي عن أكثر من ثلاثين صحابيًا، جمعها الشيخ/ عبد القادر الغامدي، في كتابه: صفة النزول الإلهي.
وممن روى هذا الحديث: الإمام البخاري في كتاب: التهجد، باب: الدعاء والذكر في آخر الليل، ح (٧٥٨) (١/ ٥٢١)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب: الترغيب في الذكر والدعاء، وفي آخر الليل، (١/ ٥٢١)، وأبو داود في الصلاة (٢/ ٧٦)، والترمذي في الدعوات ح (٣٤٩٨) (٥/ ٥٢٦)، ومالك في الموطأ في كتاب: القرآن، باب: ما جاء في الدعاء (١/ ١٧٨)، وغيرهم.

(٦) في الأصل: «أعطيتكم» والمثبت من البخاري.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، ح (٦٥٤٩) (الفتح ١١/ ٤١٥)، ومسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها...، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة...، ح (٢٨٢٩) (٤/ ٢١٧٦).

ككلام الله مع أهل الجنة.

فالقول بقدم كلام الله بالمعنى الثاني، يقتضي أن نقول: كل هذا كان مقولًا في زمان واحد، لكنَّ المخاطبين لم يسمعوا إلا في أوقات مختلفة.

٣- يلزم من هذا القول تعطيل الله سبحانه عن الكلام؛ لأنه إذا قلنا: كلام الله كله قديم، موجود من زمان واحد، يلزم أن نقول: لم يوجد بعده كلام، وإلاَّ كان ذاك الكلام حادثًا، فيكون معنى هذا القول: لله صفة الكلام، ولكن قد فرغ من الكلام، وليس له أن يتكلم بعده بشيء.

٤- قد سمى الله بنفسه القرآن ذكرًا محدثًا: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[1]. فأي حاجة لنا أن نؤول الآية ونجعله بمعنى محدث باعتبار النزول، والحال أن العقل مؤيد للمعنى المتبادر إلى الذهن.

هذا ملخص الشبه، فنرجوكم إمعان النظر فيه، والجواب الشافي عن ثلاثة أشياء:

١- هل الاختلاف في صفة الكلام؟ أو في نفس الكلام الصادر من تلك الصفة؟

٢- إن كان الاختلاف في نفس الكلام، فما الذي حمل أهل السنة على القول بعدم حدوثه، المخالف للعقل والنقل؟.

٣- أي ضرر إذا قلنا: إنَّ صفة الكلام وقدرته قديمه.

وأما الكلام الصادر من تلك الصفة فهو حادث، أو بتعبير القرآن هو محدث. أفيدونا لا زلتم ملجأ للفضل والكمال. انتهى لفظ السؤال بحروفه.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٢).

وهذا الجواب:

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، نحمدك ونصلي ونسلم على نبينا وآله وصحبه.

هذا السؤال مبني على أمرين ظاهرين من عبارته:

الأمر الأول: ترجيح قول المعتزلة، ولوم أهل السنة، فقد قالت المعتزلة: بأن القرآن مخلوق وحادث، خلقه الله منفصلًا عنه في شجرة أو هواء ونحو ذلك.

ورد عليهم أهل السنة؛ بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، سمعه جبريل عليه السلام من الله، وبلغه إلى نبينا ﷺ بالوحي، الذي أنزله في قلبه، وهو غير تكليمه لموسى الذي سمع نداء الله وخطابه وكلامه، كما فرق الله بين إيحائه إلى النبيين وبين تكليمه لموسى، والجميع كلام الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[1]، ولم يقل أحد من السلف؛ بأن القرآن قديم، ولا أن كلام الله قديم، بمعنى: أنه لم يتكلم به جلا وعلا إلا في الأزل، وأنه لا يتكلم في الحال والمستقبل، ولا في أي وقت شاء، وعباراتهم صريحة في وصفه بالكلام والتكلم في مواضع لا تحصى.

وأي عبارة أصرح من قولهم: «إن الله لم يزل متكلمًا، ولا يزال متكلمًا متى شاء». وقولهم: «إن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد». بمعنى

---

(١) سورة الشورى، الآية: (٥١).

تجددها، فيحكمون على قدم النوع في كل فرد متجدد، ولا يحكمون على الأفراد بالحدوث المعروف في المخلوق المنفصل؛ لأن الكلام صفة قائمة به تعالى، يتجدد على حسب الأزمنة والمقتضيات، كما وقع في الكتب المنزلة، وكما جاء في الأحاديث الكثيرة، فيقولون: «إنه صفة ذات وفعل معًا، أزلًا وأبدًا، تقوم بذاته؛ كالعلم والسمع والبصر والإرادة، فلا يتصور معنى التكليم إلاَّ بالكلام؛ كالسميع والبصير لا يتصور إلا بالسمع والبصر، فالصفة تابعة للموصوف، مناسبة لذاته قائمة به، كما تقوم به الأفعال الاختيارية، فنفس فعله القائم بذاته لا يفتقر إلى فعل آخر، وأما الفعل المنفصل فلا يكون إلا بفعل يقوم بذاته، وهكذا كل فعل منفصل يفعله الفاعل».

وسائر الصفات إنما يتصف بها من قامت به؛ كالكلام والقدرة والعلم، ولا يتصف بها من خلقها وفعلها في غيره، فيلزم من قول المعتزلة أن القرآن مخلوق منفصل: أن لا يكون كلام الله؛ لما ذكر.

الأمر الثاني: كون الكلام صفة فعل، وهو التكلم والتكليم الذي هو المعنى المصدري، وأثرها من الحروف والمعاني حادث ومخلوق منفصل، فالقائلون بأن القرآن مخلوق، هم الذين يقولون: إن الكلام صفة فعلية، كما قال شيخ الإسلام.

فأنكر السائل كون الكلام صفة ذات، وهو المسموع من الحروف ومعانيها، وهو المعنى الحاصل بالمصدر الذي هو التكلم أو التكليم، وهو ما يسمعه المتكلم ويصل إلى سمعه، ولا يوصف صاحبه بالمتكلم إلا بعد ثبوت معنى ما اشتق منه، ولا يتصور وصفه به مع سلب معناه.

وقد أجمع السلف على أن كلام الله صفة ذات وفعل معًا، أزلًا وأبدًا.

وأجمعوا هم ـ وسائر أهل السنة ـ على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وكذا الكتب المنزلة، وما ينسب إليه تعالى من الكلام حروفه ومعانيه.

قال شيخ الإسلام: «ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان[1]، وسائر أئمة المسلمين، كالأئمة الأربعة وغيرهم، ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ[2] وإليه يعود[3]، فهو المتكلم بالقرآن

---

(١) قال الإمام اللالكائي ـ بعد أن نقل عن أكثر من خمسمائة عالم من أهل الأمصار المختلفة، قوله: بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ـ: «فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسًا أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين، والأئمة المرضيين، سوى الصحابة المخيرين على اختلاف الأعصار، ومضى السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم، وتدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل أقوال المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة، لكنني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار، ونقلت عن هؤلاء عصرًا بعد عصر، لا ينكر عليهم منكر...». شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٤٤).

(٢) للتأكيد على أن كلام الله حقيقة بحروفه ومعانيه، وأنه صفة من صفاته، والصفة مما تدخل في مسمى اسمه، كما يدل على أنه خرج منه وتكلم به، كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾. وفيه أيضًا: احتراز ممن يقولون: خلقه في غيره، فتكون بدايته مما خلق فيه. انظر: التسعينية (١/ ٣٦٣-٣٦٤).

(٣) كما جاء في حديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدرس الإسلام، كما يدرس وشي الثوب.... ويسري على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية**». أخرجه ابن ماجه في كتاب: الفتن، باب: ذهاب القرآن والعلم، ح (٤٠٤٩) (٢/ ١٣٤٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٠)، وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه ـ المطبوع على هامش السنن ـ: =

والتوراة والإنجيل، وغير ذلك من كلامه، ليس مخلوقًا منفصلًا عنه، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، فكلامه قائم بذاته ليس مخلوقًا بائنًا عنه...» انتهى(١).

وقول السائل: إن القرآن محدث، وكذا غيره مما ينسب إليه تعالى؛ لما قرّر من أن صفة الكلام لا تكون قديمة إلا بمعنى التكلم والتكليم، وأنَّ نفس الكلام ـ أي: الحروف والمعاني المسموعة ـ حادث من أثر تلك الصفة، مخالف لأهل السنة على خط مستقيم.

فالمحدث هو المخلوق المنفصل في اصطلاح المتناظرين في القرآن في محنة الإمام أحمد، كما هو مشهور، على ما سيأتي نقله.

وإنما أُتي السائل من عدم وقوفه على معنى كلامهم كما قررناه سابقًا، وعلى كلام شيخ الإسلام فهو مرجع في هذا المقام الذي تحيرت فيه الأفهام، وزلت فيه الأقدام، على أن كلامه كثير ومفرق في مواضع كثيرة، وبعضها تفسر بعضها(٢).

= «إسناده صحيح، رجاله ثقات»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٨٧) (١/ ١٢٧).

(١) انظر نحوه مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٥٥).

(٢) من ذلك كتاب التسعينية بأكمله. وقد طبع في ثلاث مجلدات، بتحقيق فضيلة الدكتور/ محمد ابن إبراهيم العجلان، ومجملها رد على الأشاعرة والكلابية في كلام الله عز وجل من تسعين وجهًا؛ ولذلك سميت: التسعينية.
وكذلك المجلد السابع بأكمله والمجلد الثاني عشر بأكمله من مجموع الفتاوى، وفيهما عدة رسائل، ومنها: البعلبكية، وقد حققت رسالة ماجستير مستقلة، للباحثة/ مريم =

وقول السائل: إن الكلام له معنيان، ولا يراد إلاَّ المعنى المصدري، وهو التكلم والتكليم ليكون الكلام صفة فعل لا ذات، مخالف لأهل اللغة من جهة أنه موضوع لغة للمتكلم به، الذي هو الحاصل بالمصدر، ولا يستعمل استعمال المصدر بمعنى التكلم أو التكليم، إلا إذا دلت على إرادته قرينة السياق أو اللحاق، وهو قليل كما يشعر به كلام الرضي وغيره.

فالمتبادر إلى فهم أهل اللغة: إطلاق الكلام على العبارة حقيقة، والمبادرة دليل الحقيقة، كما تبادر إلى ذهن السائل فعبر بقوله: «نفس الكلام» في مواضع كثيرة، وهل يمكن أن يراد به غيره، في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾(٢).

قال أبو اليمن الكندي: «القارئ مؤدٍّ مبلغ لكلام الله تعالى، فإن قال: أنا المتكلم فصادق، ولكن بطريق الأداء والتبليغ، وإن قال: إنه كلام الله فصادق، ولكنه بطريق الابتداء والإنشاء، والإنشاء هو الابتداء بغير سبق.

ومن زعم أنَّ الإنشاء خلق، فقد أخطأ بإجماع أئمة العربية، والأداء والتبليغ بمنزلة الحكاية». انتهى.

وقد عُلم أن السلف يقولون: يلزم من كونه صفة ذات بمعنى المسموع، أن يكون ـ أيضًا ـ صفة فعل في وقت واحد، فالتكلم بالفعل والكلام

= الصاعدي. ومنها: المسألة المصرية في القرآن، ومنها: الكيلانية، وغيرها. وكذلك في الجزء السادس فتاوى في هذا الموضوع، وغيرها.

(١) سورة التوبة، الآية: (٦).

(٢) سورة الفتح، الآية: (١٥).

المسموع متلازمان، وإن تجدد الكلام كتجدد التكلم الذي هو الصفة القديمة فقط عند السائل، وأن الكلام داخل في معنى التكلم، ولا يقال له: متكلم إلاَّ بثبوته، وذلك التجدد لا ينافي قدم نوع الكلام في سائر آحاده.

وقد صرحوا بأن الله يتكلم متى شاء بقدرته، كلامًا يسمع منه تعالى، ولم يقل أحد منهم أن الكتب المنزلة قديمة أو أحدها قديم(١)، وإن نقل عن أحد أنه قال: إنه قديم، فلا يعني بذلك إلا أنه غير مخلوق؛ لأن كلام الله تابع لذاته، صفة من صفاته، فهو قديم النوع.

وقد دخلت على السائل شبهة: وقوع كلام الله في أزمان مختلفة متجددة، كما بينها في النصوص المذكورة، وتجدد الزمان واختلافه يقتضي الحدوث، فحكم على الحروف بمعانيها بأنها حادثة، وعلى الصفة بالقِدَم، ولم ينظر إلى تجدد الفعل الاختياري الذي يقوم به تعالى عند تكلمه وتكليمه، وغير ذلك في صفات الأفعال التي حكم عليها الأشاعرة بالحدوث، لئلا يلزم حلول الحوادث بذاته تعالى، ولم يفقهوا ما قرره علماء السلف والماتريدية(٢)، فشنعوا بذلك على فضلاء الحنابلة.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٠١).

(٢) الخلاف في أفعال الله تعالى يرجع إلى مسألة: هل الفعل هو المفعول؟ والطوائف فيه على قولين: الأولى: قالوا: الفعل هو المفعول. وهذا هو قول الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وبناء عليه نفوا صفات الفعل الاختيارية المتعلقة بالمشيئة.

الثانية: قالوا: الفعل غير المفعول، واختلفوا في الفعل هل هو حادث أو قديم؟ على ثلاثة أقوال:

١ -الماتريدية، قالوا: الفعل غير المفعول والفعل قديم، ويرجعون الأفعال إلى صفة التكوين، وينفون عنها تعلقها بالمشيئة والقدرية. =

ونحن نوضح للسائل دفع تلك الشبهة التي دخلت عليه؛ بأنَّ تنزيه الله تعالى عن الاعتبار بالزمان في ذاته وصفاته، واعتقاد أنه بائن عن خلقه، منزَّه عن الزمان، وعن كونه داخل العالم بذاته، وأن ذاته قديمة باقية، لا تشبه الذوات، وصفاته لا تشبه الصفات، فالصفة تابعة للموصوف مناسبة له، كمناسبة استوائه على عرشه، المحيط بالمخلوقات، ومناسبة أسمائه: الكبير المتعال العلي الأعلى، وإن عمَّ نوره المجودات، فاعتبارها كالحوادث في الأزمان بالنسبة لوجودها، فلا يضر تعاقب الأزمان على الباري بالنسبة للعالم، كما لا يضر تعلق بعض صفاته بالممكنات، فكلامه صفة قديمة قائمة بذاته(١) تعالى، غير أن تعلقه بالمعلوم يكون وقت وجوده بمشيئته تعالى وإرادته(٢)، كما أن علمه أزلي متعلق بالمعلومات عند حدوثها،

= ٢-الكرامية، قالوا: الفعل غير المفعول، والفعل حادث بعد أن لم يكن. بمعنى: أن الله لم يكن فاعلًا ثم فعل.

٣-أهل السنة والجماعة، قالوا: الفعل غير المفعول، ونوع الفعل قديم، والآحاد حادثة متجددة.

انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٩)، (٦/ ١٤٦، ١٤٩، ٢٣٧، ٢٩٨)، (١٦/ ٣٤٧)، ودرء التعارض (٤/ ٨٩)، وغيرها.

(١) هذا الكلام فيه إجمال؛ فصفة الكلام صفة ذاتية فعلية؛ ذاتية باعتبار تعلقها بذات الله تعالى، وفعلية باعتبار تعلقها بمشيئته تعالى واختياره، والصفات الفعلية لا يطلق عليها قديمة ولا حادثة إلا بالتفصيل، فنوع الفعل قديم، أما أفراده فحادثة ـ كائنة بعد أن لم تكن ـ لتعلقها بالمشيئة.

وللتفصيل والاستزاده: انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٩)، (٦/ ١٤٦، ١٤٩).

(٢) يفهم من هذا الكلام: أن الحادث هو التعلق فقط، وهذا قول بعض المتكلمين؛ كابن كلاب ومن وافقه، وهم يتوصلون بذلك إلى نفي الصفات الاختيارية؛ لأن التعلق =

وسمعه أزلي متعلق بالمسموعات عند ظهورها، وبصره أزلي متعلق بإدراك المرئيات عند وجودها، من غير حدوث معنى فيه عز وجل، تعالى أن يكون محلًا للحوادث[1] مما كان بائنًا عنه، وأن يكون شيء من صفات ذاته محدثًا

= عندهم أمر عديم لا وجودي، فينفون تجدد قيام أفعاله به سبحانه، وعندهم الإرادة قديمة واحدة، وإنما يتجدد تعلقها بالمراد، وهذا قول ظاهر البطلان، كما بين ذلك شيخ الإسلام وغيره.

انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٠١، ٣٠٥) و(٥/ ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٢)، والصفوية (٢/ ١٠١، ١٠٥)، والصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٤٦٩). وانظر: أبو بكر خوقير وجهوده في نشر العقيدة السلفية، (١/ ٢١٥)، رسالة ماجستير، مقدمة من الباحث/ بدر الدين ناضرين.

(١) قول المتكلمين: «ذات القديم لا يجوز أن تكون محلًا للحوادث». وقولهم: «ما لا يخلو من الحادث فهو حادث». كلام مجمل يحمل حقًا وباطلًا.

فإذا قالوا عن الله: «لا تحله الحوادث». أوهموا الناس بأن مرادهم ألا يكون محلًا للتغيرات والاستحالات، «التحول من حال إلى حال» ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين، وهذا معنى صحيح، ولكن مقصودهم بذلك أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه، ولا له كلام ولا فعل يقوم به ويتعلق بمشيئته وقدرته، وبناء عليه عطل المتكلمون كثيرًا من صفات الله، وناقضوا الكتاب والسنة وسلف هذه الأمة، وارتكبوا مخالفة العقل الصريح، وأتوا بمفاسد وظلمات.

والحق أن يقال: إن أفعال الله صفات قائمة به، تتعلق بها مشيئته وقدرته، وتتجدد آحادها، غير أن نوعها قديم، ولا يستلزم حلول الحوادث به تعالى بالمعنى الذي تريده الجهمية. كما قرره المصنف كما تقدم.

والمصنف ـ رحمه الله ـ جرى مجرى المتكلمين في استعمال هذا المصطلح، لنقله من السعد التفتازاني، لكنه لم يلتزم بلوازمه التي تقتضي ـ عندهم نفي صفات الفعل الاختيارية.

للتوسع في هذه المسألة، ينظر: رسالة الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٢/ ٣- =

أو معطلًا عن معناه، أو غير قائم به؛ كالتكلم والتكليم بغير كلام، ونحو ذلك من الأفعال الاختيارية، فتوقف وصفه تعالى بأنه متكلم عليم سميع بصير، على تعلق مخاطب ومعلوم ومسموع ومبصر على مدى الأزمان، لا يوجب حدوث هذه الصفات القائمة بذاته تعالى، ولا يمنع صدور الحروف بمعانيها منه سبحانه جل وعلا، وهي في الحقيقة صفة الكلام، وذلك لأن التعلق المذكور إضافة من الإضافات، أي النسب التي يجوز تجددها اتفاقًا من العقلاء، حتى يقال: إنه تعالى موجود مع العالم بعد أن لم يكن معه، فما لا وجود له وتجدد يقال له متجدد، لا حادث، ولا يمتنع قيامه به تعالى كما يمتنع قيام الحوادث(١)، وذلك لأن الحادث هو الموجود بعد العدم.

وأما هذا المتجدد فهو قديم النوع، وقد ذكر نحو ذلك السعد(٢).

وأما قول المتكلمين: إن الله لا تحله الحوادث، ولا يكون محلًا لها، فمعناه كما قال شيخ الإسلام: «أوهموا الناس أن مرادهم أن لا يكون محلًا للتغيرات والاستحالات، ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين، فتحيلهم وتفسدهم، وهذا المعنى صحيح، ولكن مقصودهم بذلك: أنه ليس

= ٢٨)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٢١٧-٢٣٦)، ومجموع الرسائل الكبرى (١/ ٩٨-١٠٢)، والدرء (٢/ ١٢)، ومنهاج السنة (١/ ٤٢٥-٤٣١).

(١) هذا بعينه هو قول الماتريدية، وهو ـ كما ترى ـ مخالف لقول السلف رحمهم الله؛ وذلك أن الماتريدية يقولون: إن الأفعال قديمة، ولا تعلق لها بالمشيئة، ويرجعونها إلى صفة التكوين، والمتجدد عندهم إنما هو متعلقاتها. بينما أهل السنة: يقولون إن الأفعال قديمة النوع حادثة الآحاد، وهي متعلقة بالمشيئة والقدرة، كما تقدم، وكما قرره المصنف نفسه رحمه الله.

(٢) يعني به: السعد التفتازاني.

له فعل اختياري يقوم بنفسه، ولا له كلام ولا فعل يقوم به، يتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه لا يقدر على استواء أو نزول أو إتيان أو مجيء، وأن المخلوقات التي خلقها الله لم يكن منه عند خلقها فعل أصلًا، بل عين المخلوقات هي الفعل، ليس هناك فعل ومفعول، وخلق ومخلوق، بل المخلوق [عين](١) الفعل ونحو ذلك...» انتهى.

وقال في فتاويه: «وأصل اضطراب الناس في مسألة الكلام؛ لما ناظرت الفلاسفة في مسألة حدوث العالم، اعتقدوا أن ما يقوم به من الصفات والأفعال المتعاقبة لا يكون إلا حادثًا، بناء على أن ما لا يتناهى لا يمكن وجوده، والتزموا أن الرب كان في الأزل غير قادر على الفعل والكلام، بل كان ذلكم ممتنعًا عليه، وكان معطلًا عن ذلك، وقد يعبرون بأنه كان قادرًا في الأزل على الفعل فيما لا يزال، مع امتناع الفعل عليه في الأزل، فيجمعون بين النقيضين؛ حيث يصفونه بالقدرة في حال امتناع المقدور لذاته، إذا كان الفعل يستلزم أن يكون له أول، والأزل لا أول له، والجمع بين إثبات الأولية ونفيها جمع بين النقيضين، ولم يهتدوا إلى الفرق بين ما يستلزم الأولية والحدوث، وهو الفعل المعين والمفعول المعين، وبين ما لا يستلزم ذلك، وهو نوع الفعل والكلام، بل هذا يكون دائمًا وإن كان كلٌّ من آحاده حادثًا، كما يكون دائمًا في المستقبل، وإن كان كل من آحاده فانيًا، بخلاف خالق يلزمه مخلوقه المعين دائمًا، فإنَّ هذا هو الباطل في صحيح العقل وصريح النقل، ولهذا اتفقت فطر العقلاء على إنكار ذلك لم [ينفه](٢) إلا شرذمة من

---

(١) في الأصل: «بين».

(٢) في الأصل: «ينافيه».

المتفلسفة»[١]. انتهى.

فالمراد من قدم النوع مع حدوث الآحاد، أن قدم نوع الفعل ـ أي: جنسه ـ يتحقق في كل فرد، بأن لا يزال فرد من أفراد ذلك النوع موجودًا، بحيث لا ينقطع بالكلية، ومن البيِّن أن حدوث كل فرد لا ينافي ذلك أصلًا، فلا يلزم القدم الشخصي في شيء من أجزاء العالم، بل القدم الجنسي بأن يكون فرد من أفراد العالم لا يزال على سبيل التعاقب موجودًا، وقد قال بذلك بعض المحدثين المتأخرين، كما قاله جلال الدواني.

وقد فهم مما سبق أن أفعاله سبحانه على قسمين:

لازمة بالقيام بذاته؛ كالمجيء والاستواء.

ومتعدية بتعلقها بالمفعول المنفصل؛ كالخلق المتعلق بالمخلوق، فلا يكون إلا بفعل يقوم بذاته، فالفعل غير المفعول، وهو المراد من قدم النوع، والكلام صفة قائمة بذاته، مسموع منه حروفًا بمعانيها، وبذلك صار متكلمًا، فلا يفهم المعنى المصدري إلا بالمعنى الحاصل بالمصدر، وليست الحروف مفعولًا منفصلًا؛ بل هي الفعل القائم بذاته، فلا يكون حادثًا بمعنى المخلوق المنفصل، بل يقال: إنه يتجدد على حسب المقتضيات في الأزمنة المتعاقبة، وأما الفعل المنفصل أي: المفعول، فلا شك في حدوثه بمعنى المخلوق المنفصل بالمشاهدة. بخلاف الفعل القائم به من الأفعال اللازمة، أو الفعل الذي تحصل به الأفعال المتعدية، فالتعبير بالحدوث والفناء في جانب إيجاد آحاد العالم، وأما في حقه تعالى فهو بمعنى التجدد.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٢-٥٩٣). وانظر: شرح حديث النزول (ص١٥٢).

قال شيخ الإسلام ـ في شرح حديث النزول ـ ما نصه: «فتبين أنه على كل تقدير لا يلزم أن يقال: خُلِقَت المخلوقات بلا خلق، بل يجوز أن يقال: خُلقت بخلق، وهو المطلوب، وتبين أن النفاة ليس لهم قط حجة مبنية على مقدمة، إلا وقد نقضوا تلك المقدمة في موضع آخر، فمقدمات حجتهم كلها منتقضة.

وأيضًا: فمن المعقول أن الفعل المنفصل الذي يفعله الفاعل، لا يكون إلا بفعل يقوم بذاته، وأما نفس فعله القائم بذاته فلا يفتقر إلى فعل آخر، بل يحصل بقدرته ومشيئته، ولهذا كان القائلون بهذا يقولون: إن الخلق حادث، ولا يقولون هو مخلوق، وتنازعوا: هل يقال: إنه محدث؟ على قولين لهم.

ومن كان من عادته أن لا يطلق لفظ: (المحدث) إلا على المخلوق المنفصل ــ كما أن هذا الاصطلاح هو المشهور عند المتناظرين الذين تناظروا في القرآن، في محنة الإمام أحمد رحمه الله تعالى، وكانوا لا يعرفون للمحدث معنى إلا المخلوق المنفصل ــ فعلى هذا الاصطلاح لا يجوز عند أهل السنة أن يقال: القرآن محدث، بل من قال به فقد قال إنه مخلوق، ولهذا أنكر الإمام أحمد هذا الإطلاق على داوود؛ لما كُتب إليه أنه تكلم بذلك[١]؟ فظنَّ الذين يتكلمون بهذا النطق أنه أراد هذا، فأنكره أئمة السنة، وداوود نفسه هذا قصده، بل هو وأئمة أصحابه متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإنما كان مقصوده أنه قائم بنفسه، وهو قول غير واحد من أئمة السلف، وهو قول البخاري وغيره.

---

(١) انظر: القصة مفصلة من عدة روايات في التسعينية، (٢/ ٣٣٩) فما بعدها.

والنزاع في ذلك بين أهل السنة لفظي، فإنهم متفقون على أنه ليس بمخلوق منفصل، ومتفقون على أن الكلام قائم بذاته، وكان أئمة السنة؛ كأحمد وأمثاله، والبخاري وأمثاله، وداوود وأمثاله، وابن المبارك وأمثاله، وابن خزيمة وعثمان بن سعيد الدارمي وابن أبي شيبة، وغيرهم، متفقين على أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، لم يقل أحد منهم أن القرآن قديم(١)، وأن أول من اشتهر عنه أنه قاله هو ابن كلاب»(٢). انتهى.

وقد تبعه الحارث المحاسبي، فهجره الإمام أحمد، ثم روي عنه أنه رجع، وكان الإمام أحمد يحذر من الكلابية.

فسقط قول السائل: «وقال أهل السنة: إنَّ القرآن قديم».

وقد سبق ذكر إجماعهم على أنه غير مخلوق، ردًا على من قال: أنه مخلوق في شجرة أو هواء ونحو ذلك. ولم يقل أحد منهم بأنَّ الكتب المنزلة أو بعضها، قديم كقدم ذات الله؛ بمعنى أنها كانت مقولة في زمان واحد في القدم.

ولكن جروا على مقتضى اللغة؛ من إطلاق الكلام على الحروف ومعانيها المسموعة حقيقة، وأنه صفة ذات وفعل معًا، وأنه تكلم بما شاء في

---

(١) مع إجماع السلف والأئمة: على أن القرآن غير مخلوق، فلم يقل أحد منهم أن القرآن قديم.

قال شيخ الإسلام - في التسعينية (٢/ ٦١٢) -: «إن أحدًا من السلف والأئمة لم يقل: إن القرآن الكريم قديم، وأنه لا يتعلق بمشيئته وقدرته، ولكن اتفقوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق».

(٢) بنصه من شرح حديث النزول (١٥٤-١٥٥)، مطبعة المكتب الإسلامي.

الوقت الذي سمعه منه جبريل، وبلغه إلى رسول ذلك الزمان، فقام الكلام المذكور بذاته تعالى.

وأما قول السائل: «أما الأول أي: المعنى المصدري لصفة الكلام وقدرته، أعني: كونه متكلمًا وقادرًا على الكلام؛ فمسلم أنه قديم كذات الله تعالى؛ لأنه صفة من صفاته، وكل صفاته قديمة، ولا أظن عاقلًا يشك في هذا».

فالواقع خلاف ظنه، فقد وقع خلاف بين الماتريدية والسلف[1] وبين الأشاعرة في قدم صفات الأفعال وحدوثها، ومن قال بقدمها لاحظ أنَّ التجدد فيها من جهة الآحاد لا يقتضي حدوثها؛ لأنها قديمة النوع، وأما الفعل المنفصل بمعنى المفعول فلا شكَّ في حدوثه، بمعنى أنه مخلوق منفصل.

والسائل لم يفقه التجدد في نفس الفعل الاختياري القائم بذاته، مع أنه كنفس الكلام الذي هو الحروف والمعاني المسموعة، وهو داخل في معنى التكلم والتكليم، ولا يوصف الله أنه متكلم بغير كلام؛ لأنَّ وصف الشيء بالمشتق إنما يكون بعد ثبوت معنى ما اشتق منه له، ولا يتصور وصفه به مع سلب معناه عنه، فلا يتصور متكلم بغير كلام، ولا تكلم ولا تكليم بغير كلام، ومن أين له الحكم على المعنى الحاصل بالمصدر بالحدوث، وهو عين الصفة، وداخل في معنى صفة الفعل التكليم والكلام، فإن التكليم هو ما يسمع من المتكلم، ويصل إلى سمع المخاطب، والمسموع إنما هو الحروف بمعانيها، فلا يتصور معنى التكليم إلا بالكلام؛ كالسميع لا يتصور

---

(١) تقدم بيان التفريق بين قولي السلف والماتريدية، ص٤٩٨.

إلا بالسمع، وكالبصير لا يتصور إلا بالبصر، وليس ذاك من قبيل متعلقات الصفة القديمة من الممكنات؛ لأنها خارجة عن معانيها منفصلة عنها، وهذا داخل في معنى الصفة القديمة، بل هو عينها، فهو قديم غير متناهٍ؛ كعلم الله وجارٍ على أوضاع اللغة من إطلاقه على العبارة حقيقة لمبادرة الفهم إليها، كما تقدم؛ ولأنَّ الكلام ينسب على من صدر منه ابتداء[1]، ولو تعدد نقله لا إلى من قاله مبلغًا ومؤديًا، سيما وقد سمعه منه موسى وملائكته وبعض أنبيائه، كما يسمعه خلقه يوم القيامة بلا كيف، وكما يرونه بلا كيف.

وإن قيل: يلزم من ذلك أن الحرف والصوت من سمات الخلق[2]، والله منزه عنها. فقولنا: هو بلا كيف تنزيه لله صفته؛ لأنَّ كون ذلك من سمات الخلق بالنسبة إلى مخارج الحروف، وقياس الخالق بالخلق، وكيف نرد ما جاء في إثبات الحرف والصوت، وما يدل عليه من الكتاب والسنة، وهو المعروف من الكلام لغة على جهة الحقيقة؟

والله خاطب الناس بما يفهمون ويعرفون ويألفون، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[3].

وقد تسترت الأشاعرة بالكلام النفسي، وإن جاز إطلاق الكلام عليه، فلا بد أن يكون بقرينة، فأنكروا الكلام اللفظي ـ بمعنى: العبارة الذي هو الحقيقة في الكلام، المتبادرة إلى الأفهام ـ ونسبوا العبارة لجبريل، وقد قال

---

(١) انظر: تفصيل ذلك في مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٣٤-٥٤٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٣٨-١٣٩).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: (٤).

تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(١). وكفى بسلف الأمة وأئمتها قدوة.

وقد رد عليهم شيخ الإسلام بكتابه: «التسعينية» من نحو تسعين وجهًا.

وقالوا: بحدوث الصفات الفعلية؛ نظرًا لتجدد قيامها به تعالى وحدوث متعلقاتها، القاضي ذلك بالقول بحوادث لا أول لها، ولم يبال به السلف والماتريدية القائلون بقدم صفات الأفعال(٢)، فقالوا: لا مانع من تسلسل فاعلية الرب(٣)، وتجدد كلامه أزلًا وأبدًا، فكما أنه لم يزل فعالًا متكلمًا، كذلك لا يزال فعالًا متكلمًا بمشيئته وقدرته، فالتسلسل في الماضي كالتسلسل في المستقبل، وذلك بحكم الضرورة في التبعية، وإلا لزم تعطيل الصفات واستغناء الحوادث عن الموجد، وهو محال.

فالتكوين الذي هو صفة فعل موجود أزلًا وأبدًا(٤)، والمكوَّن حادث

---

(١) سورة النساء، الآية: (٥٩). وقع خطأ في الأصل في كتابة الآية.

(٢) تقدم التنبيه على الفرق بين السلف وبين الماتريدية في هذه المسألة، ص٤٩٨.

(٣) التسلسل أنواع؛ الواجب منها: التسلسل في فاعلية الله، كما هنا. وأما التسلسل في مفعولاته فجائز، وأما التسلسل الممنوع، فهو: التسلسل في المؤثرين.
انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٧٢)، وشرح الطحاوية ص(١٣٥).

(٤) التكوين: من الصفات التي اختص بها الماتريدية، إضافة إلى السبع التي يثبتها المتكلمون الأشاعرة، وهو مبدأ الإخراج من العدم إلى الوجود، وصفات الأفعال عندهم راجعة إليه، وهي من متعلقات التكوين، وليست صفات حقيقية. وهذا مما يخالف فيه الماتريدية أهل السنة والجماعة. وكلام المصنف ـ رحمه الله ـ يوهم موافقة الماتريدية للسلف في هذه المسألة، وليس الأمر على إطلاقه. فليتنبه لذلك.
ينظر: كتاب التوحيد للماتريدي (٤٧-٤٩)، وشرح العقائد النسفية (ص٥٣-٦٣-٦٩). =

بحدوث المتعلق، كما في العلم والقدرة وغيرها من الصفات القديمة التي لا يلزم قِدَمها قدم متعلقاتها، لكن تعلقاتها حادثة،فلا يضر القول بحوادث لا أول لها؛ تبعًا لصفات الأفعال.

ولا يلزم من ذلك القول: القول بحدوث تلك الصفات، كما جرى عليه السلف والماتريدية، وفهمه السائل، ولم يظن فيه وقوع شك.

وقوله: «أما الكلام بالمعنى الثاني؛ أي: نفس الكلام الصادر من تلك الصفة؛ كالتوراة والإنجيل والقرآن، وسائر الكتب المنزلة، وكلام الله مع موسى وغيره، ففي كونه قديمًا كقدم ذات الله محل اشتباه». ثم أطال في بيانه.

قد علم جوابه مما سبق: بأنَّ المراد من قدم الكلام القدم النوعي؛ من حيث إنه صفة قائمة بذاته، تستلزم الفعل، فلا ينافي ذلك تجدد آحاده على حسب الأزمنة المقتضية لتعلق خطاب الباري بما تقتضيه الحكمة... إلى آخر ما تقدم بيانه.

فسقط قول السائل: «فالقول بقدم الكلام بالمعنى الثاني يقتضي- أن نقول: كل هذا كان مقولًا في زمان واحد، لكن المخاطبين لم يسمعوا إلا في أوقات مختلفة، وذكر أنه يلزم تعطيل الله سبحانه عن الكلام، وأن الحكمة تفوت من عدم نزول الكتب على حسب المقتضيات في الأزمنة، وأنه يشكل تكليم الله للملائكة في بدأ الخليقة، وكذا تكليمه لموسى، وكذا خطابه لخلقه كل ليلة حين نزوله».

= وينظر: كتاب: الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، لشمس الأفغاني (١/ ٤١٨).

فكل ذلك وارد على القول بالقدم النوعي، الذي لا ينافيه تجدد آحاده، كما قررناه، فلو أراد السائل (بالحدوث) معنى التجدد مع التزام قدم النوع، لم ينكر كون الكلام صفة ذات بمعنى نفس الكلام، وقد اعترف بها المتكلمون قاطبة بعدِّها من الصفات السبع العقلية[1] التي يسمونها صفات المعاني[2] لثبوتها بالدليل العقلي والنقلي، غير أنهم صاروا مذاهب عديدة بالتأويل.

قال السائل: «قد سمى الله بنفسه القرآن ذكرًا محدثًا: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[3]. فأي حاجة لنا أنا نؤول الآية ونجعله بمعنى محدث باعتبار النزول، والحال أن العقل مؤيد للمعنى المتبادر إلى الذهن؟».

وجوابه: أن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا بظاهره يحتمل ذلك وغيره.

---

(١) وهي: العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وزاد عليها الباقلاني وإمام الحرمين: الإدراك، وزاد الماتريدية: صفة التكوين.
وهذا ما تسمى الصفات الشرعية العقلية، وهي: ما ثبت بالدليل الشرعي والعقلي. والصحيح أن أكثر صفات الرب عز وجل يشترك فيها الدليلان السمعي والعقلي، وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تسمى الأدلة الشرعية.
انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٧١، ٧٢)، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه، (ص٢٠٧).

(٢) وضابطها في اصطلاحهم؛ هي: ما دل على معنى وجودي قائم بالذات، وهي السبع المذكورة أعلاه.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: (٢).

قال الحافظ البيهقي في كتاب: الاعتقاد، ما نصه: «وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ الآية، يحتمل أن يكون معناه: ذكر غير القرآن، وهو كلام الرسول ووعظه إياهم، بقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١)؛ لأنه لم يقل: لا يأتيهم من ذكر [إلا كان محدثًا، وإنما قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾](٢)، فدلَّ أنَّ ذكرًا غير محدث، ثم [إنه أراد](٣) ذكر القرآن لهم وتلاوته عليهم وعلمهم به، وكل ذلك محدث، والمذكور المعلوم المعبود غير محدث». قاله الشيخ أحمد(٤).

«وهو الذي أجاب به أحمد بن حنبل، ظاهر في الآية، فإتيان تنزيله على لسان الملك الذي أتى به، والتنزيل محدث»(٥). اهـ. بحروفه.

وقد ذكر في ذلك الكتاب نقل الأئمة الثقات، والنصوص الواضحات، في: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه المكتوب في المصاحف المتلو بالألسنة، المحفوظ في الصدور، المسموع بالآذان على الحقيقة. وذكر كلام الإمام الشافعي، وأبي الحسن الأشعري في الإبانة.

وذكر الحافظ البيهقي ـ أيضًا ـ في كتاب: الأسماء والصفات، بابًا:

---

(١) سورة الذاريات، الآية: (٥٥).

(٢) في الأصل: «لا يأتيهم من ذكر محدث فدل...». والتصويب من المنقول منه: كتاب الاعتقاد، (ص٣٤)، الطبعة: الباكستانية.

(٣) في الأصل: «انذار»، والتصويب من المنقول منه.

(٤) يعني: أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة: (٤٥٨هـ).

(٥) الاعتقاد للبيهقي، (ص٣٤-٣٥) مختصرًا.

«فيما جاء في إثبات صفة الكلام وأنه [غير][(١)] مخلوق»[(٢)]. وبابًا: «فيما جاء في إثبات صفة القول، وهو الكلام عبارتان عن معنى واحد»[(٣)]. وبابًا: «فيما جاء في إثبات صفة التكليم والتكلم، والقول سوى ما مضى»[(٤)]. وبابًا: «في تفسير: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا﴾ الآية»[(٥)]. وبابًا: «فيما جاء من إسماع الرب عز وجل بعض ملائكته كلامه»[(٦)]. وبابًا: «فيما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، في أن القرآن كلام الله غير مخلوق»[(٧)]. وبابًا: «في الفرق بين التلاوة والمتلو»[(٨)].

قال السائل بعد إيراده ما مضى-: «هذا ملخص الشبه، فنرجوكم إمعان النظر فيه، والجواب الشافي عن ثلاثة أشياء:

[الأول][(٩)]: أن الاختلاف في صفة الكلام أو [هو][(١٠)] في نفس الكلام؟

---

(١) ساقطة من الأصل، وهي مثبتة في نسخة مكتبة الحرم، والأصل المنقول منه. تحقيق الشيخ/ عبدالله الحاشدي، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ)، نشر السوادي بجدة.

(٢) (٤٦٧/١).

(٣) (٤٨١/١).

(٤) (٤٨٥/١).

(٥) (٤٩١/١).

(٦) (٥١٥/١).

(٧) (٥٨٥/١).

(٨) (٥/٢).

(٩) في الأصل: «١». وكتبناه بالحروف ليتناسق مع ما ذكره المصنف في: ثانيًا وثالثًا.

(١٠) في الأصل: «هي».

والجواب: أنَّ صفة الكلام هي نفس الكلام المتجدد على مدى الأيام عند السلف، وعند أهل اللغة، بل وجمهور المتكلمين، ومن لازمه التكلم والتكليم، الذي هو صفة فعل عند القائلين بخلق القرآن، وهو الذي يعنيه السائل بقوله: «صفة الكلام».

قال شيخ الإسلام: «الذين قالوا: إن كلامه صفة فعل، هم الذين يقولون: إن القرآن مخلوق.

وقد تقدم رَدُّه بأنه لا يوصف بالمتكلم بتجريده عن معنى الكلام؛ لأنَّ وصف الشيء بالمشتق إنما يكون بعد ثبوت معنى ما اشتق منه له». اهـ.

ولا يتصور وصفه به مع سلب معناه، فلا يتصور متكلم بغير كلام، ولا تكلم ولا تكليم بغير كلام كما تقدم إيضاحه.

وأنَّ الكلام صفة ذات وفعل معًا، وأنه من قبيل الأفعال اللازمة المضافة إليه تعالى القائمة به، بخلاف الأفعال المتعدية، فالفعل المنفصل بمعنى المفعول مخلوق.

فالسائل يطلب الجواب عن كون الخلاف في الكلام، هل هو باعتباره صفة ذات بنفس الكلام، أو باعتباره صفة فعل؟

فنقول: بعض المتكلمين يحكي الاختلاف في كلام الله على ثلاثة أقوال، وبعضهم يحكي أربعة أقوال؛ كأبي المعالي ونحوه. وبعضهم يحكي خمسة أقوال؛ كالشهرستاني ونحوه. وحكى شيخ الإسلام في: المسألة المصرية(١)

---

(١) انظرها: في مجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٢-١٧٣)، وهي ضمن: «التسعينية» التي تقدم ذكرها.

نحو سبعة أقوال، وكذا في كتاب: منهاج السنة[١]. وحكى الملا علي القاري في: شرح الفقه الأكبر[٢]. تسعة أقوال.

ومعظمها يدور بين اعتبار المعنى وبين اعتبار اللفظ، مع القدم والحدوث، وبعض أصحابها يجعلها صفة فعل، وأكثر أصحاب تلك الأقوال من فِرَق المبتدعة، الذين كانت لهم مذاهب مشهورة بين المتكلمين، وبينهم جدال وأبحاث تمرض القلوب، ولا حاجة في هذا الزمن إلى إحياء تلك البدع بذكرها، والخوض في أمرها، فإنَّ ذلك شغل عن المهم، ولا يفيد إلا مجرد الحَيْرة، كما اشتكى من ذلك كثير من أئمتهم، وقد تمنى محققوهم في آخر أمرهم دين العجائز، وقالوا: «هنيئًا للعامة»[٣].

ولهذا اتفقوا على أنَّ طريقة السلف أسلم.

وقد أعرضت عن حكاية تلك الأقوال؛ للخوف من تأثيرها في بعض نفوس السامعين، فضلًا عن الشُّبه التي اعترضت لهم، والخوض في غمار الرد عليهم.

فعلى الكاتب في هذا المقام: أن يقتصر على نقل كلام السلف، وما استقر عليه رأي أهل السنة من صحيح القول، وجرى عليه الجمهور.

---

(١) (٢/ ٣٥٩) فما بعدها.

وانظر: مختصر الصواعق لابن القيم (٢/ ٥٠٩) فما بعدها، وشرح الطحاوية (١/ ١٧٣) فما بعدها. وذكروا ثمانية أقوال في المسألة.

(٢) انظر: شرح الفقه الأكبر، ص(١٥) فما بعدها.

(٣) انظر: بعض هذه الأقوال في مقدمة شرح الطحاوية، ومقدمة شرح الفقه الأكبر، (ص٦).

فنقول: إن كلام الإمام أحمد في هذا المقام كثير لا يخفى، فانظر: رسالته إلى مسدد بن مسرهد[١]، وكتاب: السنة، وكتاب: الرد على الجهمية، وغيرها مما نقله أصحابنا.

وقد عُرف هذا الإمام بالمحنة في هذه المسألة، وأنه قام مقام الأنبياء فيها، وأنه كأبي بكر الصديق في يوم الردة، حتى صار إمام السلف وشيخ أهل السنة، وصار حُبّه علامة على السنيِّ، وحب الطريقة السلفية.

وانظر كتاب: الحيدة، للإمام/ عبد العزيز الكناني، في مناظرته لبشر المرِّيسي مع أصحابه، وفيهم محمد بن الجهم بحضرة المأمون العباسي[٢]، وانظر مؤلفات شيخ الإسلام تقي الدين في فَنِّ الكلام، وخصوصًا تأليفه التسعينية[٣].

---

(١) في صحة نسبتها للإمام أحمد نظر؛ باعتبار سندها، وباعتبار ما تضمنته من عقائد مخالفة للمشهور عن الإمام أحمد.
انظر تحقيق ذلك في: براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة، (ص١٠٠-١١٣).

(٢) تكلم بعض العلماء في ثبوتها.
انظر: الميزان للذهبي (٢/ ٦٣٩، ٣/ ٤٤). ولكن نقل عنها الأئمة وأقروها؛ كشيخ الإسلام في درء التعارض (٢/ ٢٤٥-٢٤٩) وغيرها.
وانظر: تحقيق المسألة للدكتور/ علي بن ناصر فقيهي، في مقدمة كتاب الحيدة، طبعة: مكتبة العلوم والحكم، (ص٦) فما بعدها.

(٣) طبعت بتحقيق الدكتور/ محمد بن إبراهيم العجلان، عام (١٤٢٠هـ)، في ثلاث مجلدات، وكانت في أصلها رسالة تقدم بها الباحث، للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة الإمام.

قال ـ رحمه الله ـ في القاعدة التي كتبها في القرآن، ما نصه: «وأما جمهور الأئمة وأهل الحديث والفقه والتصوف، فعلى ما جاءت به الرسل وما جاء عنهم من الكتب والآثار، ففي العلم، وهم المتبعون للرسالة اتباعًا محضًا، لم يشوبوه بما يخالفه من مقالة الصابئين، وهو أن القرآن كله كلام الله، لا يجعلون بعضه كلام الله وبعضه ليس كلام الله، والقرآن هو [القرآن][1] الذي يعلم المسلمون أن القرآن حروفه ومعانيه، والأمر والنهي هو اللفظ والمعنى جميعًا، ولهذا كان الفقهاء المصنفون في أصول الفقه من جميع الطوائف؛ الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، لم يخرجوا عن مذاهب الأئمة والفقهاء، إذا تكلموا في الأمر والنهي ذكروا ذلك، وخالفوا من قال: إن الأمر هو المعنى المجرد، [ويعلم][2] أهل الأثارة النبوية؛ أهل السنة والحديث، وعامة المسلمين الذين هم جماهير أهل القبلة: أن قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[3]. ونحو ذلك، هو كلام الله لا كلام غيره، وكلام الله هو ما تكلم به لا ما خلقه في غيره، ولم يتكلم هو به»[4] انتهى.

وقال الزركشي في: جمع الجوامع: «قال البويطي ـ عن الشافعي ـ: إنما خلق الله كل شيء بـ: (كن)، فلو كانت هي مخلوقة، فمخلوق خلق مخلوقًا؟!».

---

(١) ساقطة من الأصل، مثبتة من المنقول منه.

(٢) في الأصل: ويعلمون. والمثبت من المنقول منه

(٣) سورة البقرة، الآية: (١، ٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦).

قال الأئمة: «ولو كان[١] (كن) الأول مخلوقًا، فهو مخلوق بآخر وآخر، إلى ما لا ينتهي، وهو مستحيل».

وقال سفيان بن عيينة رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[٢]: «الأمر: القرآن، ففصل بين المخلوق والأمر، ولو كان الأمر مخلوقًا لم يكن لتفصيله معنى».

قال ابن عيينة: «فرق بين الأمر والخلق، فمن جمع بينهما فقد كفر»[٣].

وأما أن القرآن هو: الأمر، فلقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[٤].

وروي هذا الاستنباط عن أحمد بن حنبل، ومحمد بن يحيى الذهلي، وأحمد بن سنان، وغيرهم من الأئمة.

وذكر البيهقي[٥] بإسناد صحيح، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون: «القرآن كلام الله ليس بمخلوق». قال: «ومشيخته جماعة من الصحابة؛ فيهم: ابن عباس، وجابر، وابن الزبير، وأكابر التابعين». ثم قال: «وروينا هذا القول عن الليث بن سعد وسفيان وابن المبارك، وحماد بن زيد وابن مهدي، والشافعي وأحمد بن حنبل،

---

(١) في الأصل: «كان» مكرره.

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٥٤).

(٣) تفسير البغوي (٢/ ١٠٩).

(٤) سورة الدخان، الآية: (٣-٥).

(٥) في كتابه الاعتقاد، (ص٣٨-٣٩).

وأبي عبيد والبخاري، ومشيخة جليلة سواهم»(١).

وقد ذكر الإمام محمد [الكرجي](٢)، في كتابه: الفصول في الأصول، بسنده إلى أبي حامد الإسفرائيني، يقول: «مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار: أن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر»(٣).

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: «والذي استقر عليه قول الأشعري: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، مكتوبًا في المصاحف، محفوظًا في الصدور، مقروءً بالألسنة، قال الله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾(٤). وفي حديث: «لاتسافروا بالقرآن إلى أرض العدو؛ كراهية أن يناله العدو»(٥). وليس المراد: ما في الصدر، بل ما في المصحف، وأجمع السلف أن الذي بين الدفتين كلام الله»(٦) انتهى.

ولصاحب المواقف عضد الدين، مقالة مفردة في تحقيق كلام الأشعري، تطابق ما نقله ابن حجر، وكذا التاج السبكي في طبقات الشافعية.

---

(١) من قوله: «قال الزركشي... إلى هنا». منقول من شرح ابن عيسى، لنونية ابن القيم رحمه الله، (١/ ٣١٦-٣١٧).

(٢) في الأصل: «الكرخي». وهو: أبو الحسن، محمد بن عبد الملك الكرجي، أحد أئمة الشافعية الكبار، توفي سنة: (٥٣٢هـ). طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ١٣٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٠٦).

(٤) سورة التوبة، الآية: (٦).

(٥) رواه البخاري في الجهاد، باب: كراهة السفر بالمصاحف إلى أرض العدو، ح (٢٩٩٠) (٦/ ١٣٣)، ومسلم في الإمارة، باب: النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار، ح (١٨٦٩) (٣/ ١٤٩٠).

(٦) فتح الباري (١٣/ ٤٩٣) بنحوه.

فالشيخ أبو الحسن الأشعري موافق للإمام أحمد في مسألة الكلام، ولا يسع أحد من أهل السنة الخروج عنه.

وقد كان السلف إذا نزغ بينهم نازغ، أوضحوا للناس أمره، وبينوا لهم أنه على ضلالة، وحذروا من بدعته؛ كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني وأصحابه، وهكذا فعلوا بمن أحدث هذه البدعة: الجعد بن درهم، فهو أول من قال بخلق القرآن، وتبعه جهم بن صفوان ومن بعده، فقد خطب الناس خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم النحر، فقال: «أيها الناس؛ ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتَّخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا». تعالى الله عما قاله الجعد علوًّا كبيرًا، فذبحه في ذلك اليوم عيد الأضحى(١).

قال السائل: «والثاني: إن كان الاختلاف في نفس الكلام، فما الذي حمل أهل السنة على القول بعدم حدوثه، المخالف للعقل والنقل؟».

والجواب: أنه قد علم مما سبق: أن الخلاف في الكلام من حيث هو، وأنه عند الجمهور: صفة ذات وفعل، أي الحروف الدالة على المعاني المسموعة من الله تعالى، المتكلم بها، فحقيقة الكلام الحروف المسموعة من الصوت. وعند بعضهم صفة فعل، أي: بغير اعتبار الحروف ومعانيها(٢).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٤٢)، ودرء التعارض (٥/ ٢٤٤)، والصواعق المرسلة (٣/ ١٠٧١). وانظر: تفسير مقالته وتحقيق أسباب قتله، والرد على المشككين في ذلك، كتاب: مقالة التعطيل والجعد بن درهم؛ للدكتور/ محمد بن خليفة التميمي.

(٢) وهم الذين قالوا: القرآن مخلوق، وهم المعتزلة ومن وافقهم من المتكلمين.

وعند بعضهم أنه هو الكلام النفسي(١)، مع أنه لو أطلق لفظ الكلام لما فهم إلا العبارة، فلا يدل على المعنى النفسي إلا بالقرينة؛ كذكر النفس في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾(٢)، وقول عمر: «زورت في نفسي كلامًا»(٣).

قال الحافظ أبو نصر السجستاني(٤): «لو كان الكلام غير حرف، وكانت الحروف عبارة عنه، لم يكن بُدّ من أن يحكم لتلك العبارة بحكم؛ إما أن يكون أحدثها في صدر أو لوح، أو أنطق بها بعض عبيده، فتكون منسوبة إليه، فيلزم من يقول ذلك أن يفصح بما عنده من السور والآي والحروف؛ أهي عبارة جبرائيل أو محمد ﷺ؟»(٥).

وسيأتي بيان بعض ما يترتب على القول بالكلام النفسي، ويؤيد إطلاق الكلام على العبارة.

---

(١) وهم الكلابية والأشعرية.

(٢) سورة المجادلة، الآية: (٨).

(٣) وذلك في قصة السقيفة وتولية أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ الخلافة بعد النبي ﷺ.
انظر: صحيح البخاري، كتاب: الحدود، باب: رجم الحبلى، (٣١) (الفتح ١٢/ ١٤٤).
وانظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٦٦٠).

(٤) هو: عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجستاني السجزي، شيخ السنة في عصره، من العلماء الحفاظ. توفي سنة: (٤٤٤هـ).
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٤)، والبداية والنهاية (١٢/ ١١٧).

(٥) انظر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد، في الرد على من أنكر الحرف والصوت، تحقيق: د/ محمد باكريم عبد الله، طبع عام: (١٤١٣هـ).

وقول السائل: «فما الذي حمل أهل السنة على القول بعدم حدوثه، المخالف للعقل والنقل».

محمول على ما قرره السائل من الوجوه التي تقتضي تجدده في الأزمنة، على حسب المقتضيات للأمم، وعلى ما فهمه من الحكم بقدم الكلام عند أهل السنة، وقد بيَّنا أنه باعتبار الصفة القائمة بذاته تعالى، على معنى قدم النوع الذي لا ينافي حدوث الآحاد؛ بمعنى تجددها. كما تقدم تقريره غير مرة.

وأنهم أجمعوا على أن القرآن غير مخلوق، وكذا كلُّ ما ينسب إليه تعالى، وأنهم قد اصطلحوا على إطلاق الحادث على المخلوق المنفصل[(١)]، وأنهم تجنبوا القول بأن القرآن محدث؛ لاحتماله معنى المخلوق المنفصل، في حال الرد على من يقول به من الجهمية والمعتزلة ونحوهم؛ القائلين بأنَّ الله خلق القرآن في شجرة أو هواء، وعلى لسان جبريل، وعباراتهم صريحة في وصفه تعالى بالأفعال الاختيارية، التي تدل على تجدد قيامها به تعالى، ومنها: الكلام والتكليم كما يقتضيه صريح النقل وصحيح العقل[(٢)].

ومن ذلك قولهم: لم يزل الله تعالى متكلمًا كيف شاء، وإذا شاء، وبلا كيف، يأمر بما شاء ويحكم؛ لأن الله سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، بمعنى

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥٣١).

(٢) تكررت مثل هذه العبارة من المصنف رحمه الله، والمشهور: صحيح النقل وصريح العقل. والله أعلم.

أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء، فإن الكلام صفة كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لم يتكلم ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون كذلك.

فالذي حمل أهل السنة على وصفه بنفس الكلام، أي الحروف ومعانيها المسموعة الوقوف عند العرف اللغوي، ومتابعة اللغة التي خاطب الله بها عباده، والوقوف عند ظواهر النصوص، ومتابعة الصدر الأول من الصحابة والتابعين وتابيعهم، وسائر الأئمة، وهو الذي حملهم ـ أيضًا ـ على القول بعدم حدوثها؛ كالمخلوق المنفصل، مع تصريحهم بما يدل على التجدد كما ورد في الكتاب والسنة.

وكون الصفة تابعة للذات في القدم والبقاء، كسائر ما يتعلق بها من الصفات الذاتية والفعلية، وإنكارها يترتب عليه أمور كثيرة، ولا مخالفة في ذلك للعقل والنقل.

وقد تقدم الكلام[1] على قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[2].

ولا يرد على ذلك شيء لقولهم: أن الكيف مجهول، في قيام تلك الصفة به تعالى، وسماع الكلام منه كسائر الصفات التابعة للذات، على اختلاف الأزمان وتجددها، وجميع الأدلة النقلية صريحة في إثبات صفة الكلام له، كما هو المتبادر على الإطلاق.

---

(١) ينظر (ص٥٠٤).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٢).

وفيها: إخباره تعالى عن نفسه بأنه متكلم بالوحي والقرآن، وأن كلامه بصدور أهل العلم والإيمان، وأنه المكتوب في صحف مطهرة، وأنه المقروء والمتلو عند تلاوة الإنسان، نعم التلاوة والكتابة من أفعال المخلوقين، فهو غير المسموع والمكتوب والمحفوظ.

كما أنَّ اللفظ بمعنى التلفظ غير الملفوظ[1]، وإنما أنكر الإمام أحمد على من قال: إن لفظي بالقرآن مخلوق؛ لئلا يتوصل به إلى القول بخلق القرآن، فسَدًّ الذريعة؛ لأن اللفظ يستعمل بمعنى التلفظ، وبمعنى الملفوظ[2]، وقد قام الدليل العقلي على مثل ما قام به الدليل النقلي؛ وهو وجوب اتصافه تعالى بصفات الكمال عقلًا، لاستحالة وصفه تعالى بعدم الكلام، وجعله كالجمادات التي لا تتكلم، وصفاته تعالى تابعة لذاته، في القدم والبقاء وفي جميع اللوازم.

قال السائل: «الثالث: أي: ضرر إذا قلنا: إن صفة الكلام وقدرته قديمة، وأما الكلام الصادر من تلك الصفة فهو حادث، أو بتعبير القرآن هو محدث».

والجواب: إننا نقول في مقابله: أي ضرر إذا قلنا: إن الكلام المنسوب للباري ـ حروفه ومعانيه ـ قديم[3]؛ لأنه صفة قائمة به تتعلق بالمعلوم عند

---

(١) ينظر: كتاب: الاختلاف في اللفظ، لابن قتيبة، (ص٤٤-٥٨). وانظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٩).

(٢) ينظر: كتاب: السنة، لعبدالله بن الإمام أحمد، (١/ ١٦٣-١٦٦). وينظر: تعليق المحقق على كتاب: الشريعة للآجري، (١/ ٥٣٢-٥٣٤).

(٣) هذا الكلام بدعة؛ لم يقل به أحد من السلف فيما أعلم. والعلم عند الله.

ظهوره، من غير كيف؛ كالسمع والبصر والعلم وغيرها، كما جاء في الكتاب والسنة، وفاض استعماله بين الأمم، فهذا هو الأصل، وما جاء على أصله لا يسأل عنه. فهل من شبهة السائل غير ما أورده، وقد أجبناه بما جرى عليه الجمهور، ولم يقبل غيره؟! السلف، وقد صار شعار أهل السنة؛ لأنه علم أن خلافه لم يدل عليه الشرع والعقل، واللغة والعرف.

ونحن نذكر ما يترتب من وجوه الضرر على جعل الكلام صفة فعل، من غير اعتبار الحروف ومعانيها؛ لأنها من قبيل الحادث المنفصل، وكذا على القول بالكلام النفسي.

الأول: أن الكلام حقيقة الأصوات والحروف، لغةً وعرفًا، على جهة الحقيقة، والصوت هو ما يتحقق سماعه، والله خاطب الناس بالمألوف المعروف بينهم، وأي ضرر أعظم من مخالفة ذلك، وهو يقول: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾(١).

قال الإمام الطوفي: «إنما كان ـ أي: الكلام ـ حقيقة في العبارة مجازًا في مدلولها لوجهين:

أحدهما: أن المتبادر إلى فهم أهل اللغة من إطلاق الكلام، إنما هو العبارة، والمبادرة دليل الحقيقة.

الثاني: أن الكلام مشتق من الكلم؛ لتأثيره في نفس السامع، والمؤثر إنما هو العبارات لا المعاني النفسية، نعم هي مؤثرة للفائدة بالقوة، والعبارة

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٢).

مؤثرة بالفعل، فكانتا أولى بأن تكون حقيقة، وما يؤثر بالقوة مجاز». انتهى.

الثاني: عدم تصور معنى التكليم والتكلم الذي هو المعنى المصدري، وجعله صفة فعل من غير اعتبار الحروف ومعانيها، إلا بالمعنى الحاصل من المصدر، وهو الكلام بمعنى العبارة؛ لما تقدم: من أن وصف الشيء بالمشتق إنما يكون بعد ثبوت معنى ما اشتق منه له، فلا يتصور متكلم بغير كلام، ولا تكلم ولا تكليم بغير كلام، وكيف يوصف بنفس الكلام وهو حادث منفصل عنه، على زعم السائل؟!

الثالث: لزوم وصفه بعدم الكلام، وذلك مستحيل عقلًا؛ لجعله كالجمادات والخرس، كما أنه لا يعقل تكلم وتكليم بغير كلام، كما تقدم.

الرابع: أن الله تحدى الخلق بالإتيان بمثل كلامه المنزل، وقال: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾[1]. ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[2]. ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾[3] الآية. فكيف يمكن معارضة ما في نفس الباري، أو ما لا ينسب إليه على جهة اتصافه به، فقد لزم من ذلك عدم كون المعارضة والتحدي بكلام الله الحقيقي.

الخامس: مخالفة الإجماع المعتبر عند أهل السنة؛ على كونه كلام الله حقيقة، وخلاف المعلوم من الدين بالضرورة، وخلاف ما دل عليه النقل والعقل.

---

(١) سورة الطور، الآية: (٣٤).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٣).

(٣) سورة الإسراء، الآية: (٨٨).

السادس: عدم الحكم بكفر من أنكر أن كلام الله بين دفتي المصحف، مع أنه معلوم من الدين بالضرورة.

السابع: عدم التصديق بأن القرآن كلام الله، ولن يحتج به على عباده كما جاء في آيات، وعدم الإذعان لتسمية الله له: ذكرًا وقرآنًا مبينًا، كما قال: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾(١). ومن المعلوم أنهم إنما عنوا هذا النظم، فلا يسمى المعنى بالشعر، ولا ما لم يتصف به، ولا ما لا يسمى كلامًا، فلم تبق شبهة في أن القرآن كلام الله، وأنه هذا النظم دون غيره.

الثامن: عدم خوض الكفار في شأن كلام الله القرآن، مع أنه حكى فيه أن بعضهم يزعم أنه يقول مثله، ومنهم من طلب تبديله أو إنزاله جملة واحدة، ونهى بعضهم بعضًا عن سماعه، وأمروا باللغو فيه، ومن المعلوم ـ يقينًا ـ أن هذا كله في كلام الله، في كتابه المنزل من عنده، الذي يسمعونه من الرسول ﷺ.

التاسع: عدم التصديق بتسمية الله له: عربيًا غير ذي عوج، أي: غير مخلوق(٢). وكذا بتسميته: حديثًا؛ لقوله: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾(٣). وقوله: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ﴾(٤). كإشارة إلى بعض ما ذكر الموفق ابن قدامة.

---

(١) سورة يس، الآية: (٦٩).

(٢) قاله السدي، ويروى ذلك عن مالك بن أنس. انظر: تفسير البغوي (٤/ ١٤).

(٣) سورة الزمر، الآية: (٢٨).

(٤) سورة القلم، الآية: (٤٤).

العاشر: ما قاله البيهقي: «من زعم أن القرآن مخلوق جعله قولًا للبشر، وهذا ما أنكره الله على المشركين»(١).

الحادي عشر: نفاد كلامه تعالى، وهو يقول: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾(٢). فلو كانت البحار مدادًا تكتب به لنفدت وتكسرت الأقلام، ولم يلحق الفناء كلماته، كما لا يلحق الفناء علم الله؛ لأن من فنيَ كلامه لحقته الآفات، وجرى عليه السكوت(٣)، فلما لم يجيء ذلك على ربنا، صحَّ أنه لم يزل متكلمًا، وقد نفى النَّفَاد عن كلامه، كما نفى الهلاك عن وجهه، كما قاله البيهقي(٤). فكما يجب له ـ تعالى ـ القدم والبقاء، كذلك يجبان لصفاته كلها، فيستحيل عليها الفناء.

---

(١) الاعتقاد (ص٣٤).

(٢) سورة الكهف، الآية: (١٠٩).

(٣) ما دام أنه قد تقرر: أن الله تعالى يتكلم متى شاء وكيف شاء، فهذا لا يمنع وصفه تعالى بالسكوت، ولا محذور في ذلك، وقد جاء النص صريحًا به عن النبي ﷺ، من حديث: أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية**».

أخرجه البزار ـ كما في كشف الأستار ـ ح (١٢٣) (١/ ٧٨)، وح (٢٢٣١) (٣/ ٥٨)، ح (٢٨٥٥) (٣/ ٣٢٥)، وقال: «إسناده صالح». وقال الهيثمي: «رجاله ثقات». كما في مجمع الزوائد (٧/ ٥٥).

وأخرجه الدارقطني (٢/ ١٣٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٥)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي. قال شيخ الإسلام ـ في مجموع الفتاوى (٦/ ١٧٩) ـ: «فثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت».

(٤) الاعتقاد (ص٣٤).

الثاني عشر: إنكار صفة من صفاته، وما ورد فيها من الكتاب والسنة بتحريف الكلم عن مواضعه، وذلك هو الإلحاد في أسمائه وصفاته؛ بتعطيل ذاته عن صفة استحقها، وتعطيلها عن ذاته ـ تعالى ـ بتجريدها عن معناها؛ كالقول بالكلام النفسي، وكقول السائل: صفة الكلام وقدرته قديمة، باعتبار تجريدها عن نفس الكلام الذي هو الحروف بمعانيها المسموعة، وهو الصفة الذاتية، فحكم عليها بالحدوث بشبهة تجدد الزمان.

وقد أزلنا تلك الشبهة بما لا يبقى لها أثر في الأذهان، ولا يقضي بالحدوث المنفصل؛ لأنه فعل قائم بذاته، ولا يفهم التكلم والتكليم إلا به، كما هو داخل في وصف المتكلم، ولا يمكن تجريده من نفس الكلام، والأشاعرة أنكروه ـ أعني بها المسموع من الحروف ومعانيها ـ، وتستروا بالكلام النفسي، وكل ذلك وارد عليهم. إلى غير ذلك مما أطال به شيخ الإسلام.

وفي هذا القدر كفاية لمن أراد الله له الهداية.

وأكثر المتكلمين أوردوا شبهة تعاقب الكلمات وترتب الحروف[١]، ودفع أهل السنة تلك الشبهة: بأن ذلك في حق من يتكلم بمخارج وأدوات،

---

(١) وهذا هو مذهب الاقترانية السالمية، الذين قالوا: «إن الحروف والأصوات القديمة مقترنة وليست متعاقبة». وهؤلاء قد وافقوا الكلابية في كون كلامه قديمًا، ووافقوا المعتزلة في أنه حروف وأصوات... انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٢٠).
والمصنف ساق الشبهة مساق المقرّ لها، مع أنه ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ لم يلتزم بلوازم هذا المذهب.
ومن المعلوم أن نفي التعاقب في الكلام خلاف الضرورة، وفي أبيات ابن القيم التالية ما يشفي. والله أعلم.

ولا يلزم في حق من اتَّصف بالسمع والبصر بغير كيف[١]، كسائر الصفات.

قال ابن القيم في النونية[٢] في مذاهب أهل الحديث الفرقة الناجية:

وَتَعَاقُبُ الكَلِمَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ ... لِلذَّاتِ مِثْلَ تَعَاقُبِ الأَزْمَانِ
وَاللهِ رَبُّ العَرْشِ قَالَ حَقِيقَةً ... حَم مَعَ طَهَ بَغَيْرِ قِرَانِ
بَلْ أَحْرُفٍ مُتَرَتِّبَاتٍ مِثْلَهَا ... قَدْ رُتِّبَتْ فِي مَسْمَعِ الإِنْسَانِ

وعلى كل حال: فالكيف مجهول، وموكول إليه تعالى، لا يعلم حقيقته إلا هو سبحانه، ولا ينحصر طريق التكلم فيما هو معروف من الإنسان؛ كتكلم بعض المخلوقات على غير طريق معهود، مثل: تسبيح الحصى، وتكلم بعض الأحجار[٣] والأشجار[٤]؛ معجزة له ﷺ.

وكالأيدي والجلود التي تتكلم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾[٥]، ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٦]. وأخبر أن السموات والأرض: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[٧].

---

(١) التعبير السديد أن يقال: بكيف مجهول. كما قال الإمام مالك وغيره من علماء السلف. فالصفات لها كيفيات لكنها مجهولة لنا، كما قرر المصنف ـ رحمه الله ـ ذلك بعد أسطر. والله أعلم.

(٢) انظر: النونية مع شرح ابن عيسى (١/ ٣٠٢).

(٣) كما في صحيح مسلم، في كتاب: الفضائل، ح (٢٢٧٧) (٤/ ١٧٨٢).

(٤) كما في الترمذي في المناقب، باب: (٦)، ح (٣٦٢٦) (٥/ ٥٩٣). وقال: «غريب».

(٥) سورة يس، الآية: (٦٥).

(٦) سورة فصلت، الآية: (٢١).

(٧) سورة فصلت، الآية: (١١).

ونحو ذلك: الصندوق الذي يحكى الكلام بصوته من بعض الآثار الجديدة، التي لو رآها المتكلمون لرجعوا عن بعض أقوالهم، فكيف يبحث عن كيفية كلام الباري جل شأنه.

وقال شيخ الإسلام: «إن كثيرًا من الناس يتوهم في بعض الصفات أو كثير منها، أو أكثرها أو كلها، أنها: تماثل صفات المخلوقين، ثم إنه ينفي ذلك الذي فهمه، فيقع في أنواع من المحاذير:

أحدها: كونه مَثَّل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

الثاني: أنه إذا جُعِلَ ذلك مفهومًا وعطَّله، بقيت النصوص معطَّلة عن ما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله، فيبقى مع جنايته على النصوص، وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله، حيث ظنَّ أنَّ الذي يفهم من كلاهما هو التمثيل الباطل، قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما، من إثبات الصفات والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى.

الثالث: أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم، فيكون معطلًا لما يستحق الرب سبحانه وتعالى»[(١)] انتهى.

وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلم.

حرره خادم الحنابلة بمكة المشرفة، في جمادى الثانية، سنة: (١٣٣٧هـ). ثم أعاد عليه النظر في أول هذا العام، سنة: (١٣٤٨هـ)، فأضاف

---

(١) الرسالة التدمرية، ص(٧٩، ٨٠)، تحقيق: السعوي.

إليه زيادات فيها إيضاحات، مع تقديم وتأخير.

وكان ذلك في (٩) محرم الحرام، عام: (١٣٤٨هـ). بقلم صاحبه/ أبي بكر خوقير، عفا الله عنهما.

فهرس المحتويات

الرسالة الثانية: فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال

الرسالة الرابعة: تحرير الكلام في صفة الكلام